قيام دولة شاهات خوارزم

(٤٧٠ - ٦١٧هـ / ١٠٧٧ - ١٢١٩م)

دكتورة

حنان مبروك اللبودي

أستاذ التاريخ الإسلامي

والحضارة الإسلامية المساعد

كلية الآداب جامعة الإسكندرية



مؤسسة شباب الجامعة

40 ش د / مصطفى مشرفة

تليفاكس: 4839496 الإسكندرية

Email:shabab_elgamaa@yahoo.com


مكتبة
طريق العلم

قيام دولة شاهات خوارزم

«٤٧٠–٦١٧هـ/١٠٧٧–١٢١٩م»

دكتورة

حنان مبروك اللبودي

أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية المساعد

كلية الآداب – جامعة الإسكندرية

٢٠١٣

مؤسسة شباب الجامعة

٤٠ شارع الدكتور مصطفى مشرفة

إسكندرية – تليفاكس : ٤٨٣٩٤٩٦

Email:Shabab_Elgamaa@yahoo.com

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴾

{سورة البقرة : الآية ١٥١}

صدق الله العظيم

إهداء

إلى روح أستاذى

الأستاذ الدكتور

سعد زغلول عبد الحميد

فهرست الموضوعات

تقديـــــم

تناولت تلك الدراسة الحديث عن العوامل التى كانت وراء قيـــام دولة شاهات خوارزم بين عامى (٤٧٠ : ٦١٧هـــ ، ١٠٧٧ : ١٢١٩م) ، والتى تمثلت فى موقع أقليم خوارزم الجغرافى المتميز وتجانس سكانه من فرس وعرب وترك ، ونشاطهم البشري الذى ساعد على ظهــور ذلـــك الاقليم المتطرف فى أقصى الشمال على مسرح الاحداث السياسية .

ثم للتاريخ السياسى لتلك الإمارة وحرص أمرائها الأوائـــل ومـــن بعدهم سلاطينها الذين جاهدوا من أجل تحقيق استقلالهم من تبعيـــة تلـــك الدول التى تعاقبت عليها سواء أكانت الدولة الغزنوية أم الدولة السلجوقية.

ولقد قسمت الدراسة إلى بابين :ـ

الباب الأول : فقد تناولت فيه "البلاد والسكان ونشاطهم البشرى".

وقد أشتمل على ثلاثة فصول:ـ

- **الفصل الأول** : للبلاد .
- **الفصل الثاني** : السكان.
- **الفصل الثالث** : النشاط البشرى .

الباب الثانى : ويتناول : "التطور السياسي والتاريخي لأقليم خـوارزم بـين عامى (٢٠٥ : ٦١٧هـ ، ٨٢٠ – ١٢١٩م).

ويشتمل على ثلاثة فصول:-

- **الفصل الأول** : التاريخ السياسى لإقليم خوارزم وبداية قيـام دولـة شاهات خوارزم بين عامى (٢٠٥ : ٥٥١هـ ، ٨٢٠ – ١١٥٦م) .
- **الفصل الثانى** : دولـة شـاهات خـوارزم بـين عـامى (٥٥٢ : ٦١٧ هـ ، ١١٥٧ – ١٢١٩م).
- **الفصل الثالث** : نظم الحكم والإدارة فى الدولة الخوارزمية .

ثم تختم الدراسة بأهم نتائج البحث

د. حنان مبروك اللبودى

المقدمة

المقدمـــــة :

أ – أهمية الموضوع وسبب اختياره والدراسات السابقة عليه.

ب – دراسة تحليلية نقدية لأهم مصادر البحث :

- مقدمة تمهيدية.
- المصادر الجغرافية.
- كتب الرحلات والمعاجم.
- كتب التاريخ العام.
- كتب التاريخ الخاص.
- كتب الطبقات.
- الكتب الحديثة ، وتشمل :
    - ❖ المراجع الفارسية.
    - ❖ المراجع الحديثة.

المقدمة :

أ – أهمية الموضوع وسبب اختياره والدراسات السابقة عليه :

يتناول البحث الذي يقدم في تلك الرسالة «قيام دولة شاهات خوارزم في الفترة الزمنية منذ عام «٤٧٠-٦١٧هـ / ١٠٧٧-١٢١٩م».

الغرض من هذه الدراسة :

هو تتبع العوامل والظواهر التي كانت وراء قيام دولة شاهات خوارزم في تلك الإمارة المترامية الأطراف ، وأثر تلك العوامل المباشرة وغير المباشرة في قيامها وامتدادها حتى صارت إمبراطورية واسعة الأرجاء شاملة خراسان ، وما وراء النهر ، وغزنة ، وبلدان أخرى ، منها : كرمان ، ومكران ، والسند.

كذلك من أهداف هذه الدراسة التعريف بالدراسات السابقة التي تناولت بشكل مختلف تاريخ تلك الدولة ، ومنها رسالة حافظ أحمد حمدي بعنوان «الدولة الخوارزمية والمغول – غزو جنكيزخان للعالم الإسلامي وآثاره السياسية والدينية والاقتصادية والثقافية» ، وقد طبعت كتاباً عام ١٩٤٩م ، وقد تناول الدولة الخوارزمية وعلاقاتها بالمغول منذ بداية احتكاكهم بالدولة وقضائهم عليها ، وتضمن ذلك معلومات متفرقة عن نشأة الدولة ، وموقفها من الخلافة العباسية ، علاقاتها بالقراخطاى ، ثم نبذه عن الحياة الاجتماعية لتلك الدولة ، أيضا رسالة طبعت كتاباً لعفاف صبره بعنوان «التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية» عام ١٩٨٧م ، ثم رسالة ماجستير لفوزى حامد عباس بعنوان «علاقة خوارزم بالعالم الإسلامي خلال العهدين البويهي والسلجوقي» ، وقد نوقشت عام ١٩٩٥م.

وعلى الرغم من تلك الموضوعات التي تناولت تاريخ الدولة الخوارزمية والتي سبق ذكرها ، وعلى الرغم من استفادتنا من تلك البحوث السابقة إلا أننا عالجنا بشئ من الاستفاضة ذلك الموضوع ، وحاولنا إضافة شيء جديد من حيث المنهج والموضوع.

وقد قسمنا تلك الدراسة إلى بابين :

الباب الأول : الذي جاء تحت عنوان «البلاد والسكان ونشاطهم البشرى» فقد قسمته إلى ثلاثة فصول ، أما **الفصل الأول** : فيحمل عنوان ««البلاد» وقد تحدثنا فيه عن أهمية الموقع الجغرافي لإقليم خوارزم ، من حيث إنه همزة الوصل بين شرق آسيا وغربها حيث الممرات والطرق التجارية واثر ذلك والذي جعلها فيما بعد ثغراً من الثغور الإسلامية مثلها في المكانة مثل سمرقند وبخارى.

أما **الفصل الثاني** : الذي جاء تحت عنوان «**السكان**» فقد بينا فيه تمتع تلك المنطقة بتجانس بشرى واضح ، ومن **سكانها الفرس** وقد تحدثنا عن أصولهم وصفاتهم والدولة الفارسية الموجودة آنذاك ، مثل الدولة المادية ، والهخامنشية «الاخمينية» ، والساسانية ، وتبعية خوارزم لهم منذ القدم ودخولها ضمن نطاق حدودهم ، وحرص تلك الدول على طبع تلك الولايات المترامية الأطراف بنظمها الفارسية ، ثم **الترك** فتناولنا أصولهم والترك الخوارزمية والقبائل المجاورة لتلك المنطقة ونبذه بسيطة عن الحياة الاجتماعية لهؤلاء الترك ، **والعرب** : حيث ركزنا على تواجدهم في إقليم خوارزم ، وخاصة في فترة الفتوحات العربية الإسلامية لتلك المنطقة ، ومحاولة الولاة تثبيت التواجد العربي بها من خلال وضع حامية عربية يرأسها راليان : أحدهما عسكري خاص بالأمور العسكرية ، والآخر خاص بشئون الخراج «الأمور المالية» ، وتعتبر تلك البذور الأولى للتواجد العربي ، إلى جانب الحكومة المحلية الفارسية الأصل في خوارزم.

ولقد ركزت في تناولي للعنصر العربي على سياسة الدولة الأموية في تلك المنطقة والمناطق المجاورة وتغييرها لولاتها من آن إلى آخر ،

وكذلك تحدثنا عن العباسيين ودعاتهم في خوارزم وسياستهم المختلفة عن الأمويين ، وذلك بتركيز حكم تلك المناطق في يد أسر ارستقراطية تابعه لهم ، وما لبثت تلك التبعية أن صارت اسمية فقط ، وبذلك سنحت الفرصة لقيام دول مستقلة.

وختمت الباب الأول **بالفصل الثالث** : وعنوانه «النشاط البشـري» وبيّنا فيه مدي اهتمامهم الشديد بحرفتي الزراعة والرعي ، وبراعتهم في تصنيع المادة الخام بالمنطقة التي امتازت بطبيعة أرضها الخصبة وتوفر مياه أنهارها ، وازدهارها بالثروات الزراعية والحيوانية والمعدنية.

ويحمل **الباب الثاني** عنوان **«التطوير السياسي والتاريخي لإقليم خوارزم» «٢٠٥ – ٦١٧هـ / ٨٢٠ – ١٢١٩م»** وقد قسمته إلى ثلاثة فصول وكان **الفصل الأول** تحت عنوان **«التاريخ السياسي لإقليم خوارزم وبداية قيام دولة شاهات خوارزم ٢٠٥ – ٥٥١هـ / ٨٢٠ – ١١٥٦م»** حيث تناولنا الكيانات السياسية شبة المستقلة في خـوارزم ، وهـي مـن العوامل المباشرة التي ساعدت على قيام دولة شاهات خوارزم ، وتتمثـل في الأسرة المأمونية التي حكمت إمارة خوارزم منذ عام «٣٨٥ –٤٠٨هـ / ٥٩٥ – ١٠١٧م» أي ما يقارب من ثلاثة وعشرين عامـاً ، وتبعيتهـا للدولة الغزنوية ، ومحاولات أمرائها المسـتمرة فـي الحصـول علـى الاستقلال الكامل لمنطقتهم ، ثم الأسرة الالتونتاشية ، والتي حكمت منـذ عام «٤٠٨ – ٤٢٩هـ/١٠١٧ – ١١٣٧م» ، وحصول بعـض أمرائهـا على الاستقلال ولو لفترات قليلة جداً ، حتى انتقلت تبعية تلـك المنطقـة للسلاجقة.

واستكمالاً لتلك الكيانات التي وضعت البذور الأولى لقيام دولـة شاهات خوارزم أوردت الباحثة فضل مؤسسها أنوشتكين غرجه ، وابنـه

قطب الدين محمد ابن انوشتكين ، وحفيده الأمير آتسز الذي جاهد من أجل الحصول على استقلال تلك الدولة الناشئة من خلال صراعاته وحروبه المتعددة مع السلطان الأعظم سنجر السلجوقي ، وتحقق ذلك بوفاة السلطان السلجوقي ، وانتهاء تبعية تلك الدولة الناشئة إلى الأبد وبداية استقلالها وقيامها الحقيقي.

أما **الفصل الثاني** من هذا الباب فهو بعنوان «**دولة شاهات خوارزم ٥٥٢ – ٦١٧هـ/١١٥٦ – ١٢١٩م**» وقد تناولت فيه جهود سلاطين تلك الدولة ، وذلك منذ عهد السلطان إيل أرسلان الذي يعتبره المؤرخون أول السلاطين العظام المستقلين في خوارزم ، وكذلك علاء الدين تكش ، وعلاء الدين محمد في توسيع أملاك تلك الدولة ، وذلك من خلال صراعهم مع سلاجقة الغرب ، وطمعهم في تملك أملاكهم في العراق العجمي «إقليم بلاد الجبل» ، ونجاحهم في ذلك ، كذلك قضاء سلاطينها على تلك الدولة القوية المجاورة لهم ، مثل القراخطاى في ما وراء النهر ، والغوريين في غزنه ، ونجاحهم في ذلك لتثبت أنها دولة عسكرية من الطراز الأول استطاعت في أقل من مائة وأربعين عاماً أن تصل إلى أقصى اتساع لها أيضا علاقاتهم مع العباسيين والخلافة العباسية في بغداد التي اتسمت في البداية بالود والتعاون ، ثم تبدلت تلك العلاقات بسبب طمع الخوارزميين في أملاك الخلافة وعاصمتها بغداد ، وفشلهم الذريع في تحقيق ذلك.

أما **الفصل الثالث** فهو بعنوان «**نظم الحكم والإدارة في الدولة الخوارزمية**» والذي وفقنا إلى حد ما في أعطاء نبذه مبسطة عن نظم حكم تلك الدولة من خلال معالجة البلاط السلطاني الذي كان على قمته السلطان الخوارزمي ، يليه الموظفون التابعون له ومنهم ، الوزير ، والحاجب ، ووكيل الباب ، وغيرهم ، ثم معالجة الدواوين المتعددة في الدولة ، ومنها

ديوان الوزارة ، والبريد والشرطة ، والحسبة ، والقضـــاء ، وغيرهـــا. والتي أن دلت على شيء فإنما تدل على مدى اهتمام رجال تلــك الدولــة بنظم دولتهم وسياستهم الداخلية ، وحرصهم الشديد على تــوافر الأمــن والأمان لكي تتاح لهم فرصة توسيع إرجاء تلك الدولة ، ثم اختتم البحــث بخاتمة ذكرت فيها أبرز ما توصلت إليه من نتائج من خلال البحث.

وفي النهاية أتوجه بخالص شكرى لأستاذي القدير سعد زغلــول عبد الحميد – أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية المتفرغ بكلية الآداب – جامعة الإسكندرية ، الذي تتلمذت على يديــه فــي مرحلتــي التمهيــدي للدراسات العليا ، ومرحلة الماجستير ، فاستفدت من علمه ومنهجه العلمي الواضح ، كما أتقدم بخالص شكري وتقديري للعلامــة الكبيــر الأســتاذ الدكتور/ **سعيد عبد الفتاح عاشور** – أستاذ تــاريخ العصــور الوســطي المتفرغ بكلية الآداب – جامعة القاهرة ، ورئيس اتحاد المؤرخين العرب ، والذي نشكر الله ﷻ الذي مَّن علينا من وقت الأستاذ الدكتور عاشــور لكى يشارك في مناقشة رسالتى هذه ، وذلك لكى استفيد مــن ملاحظاتــه وتوجيهاته والتي تدل على كونه ينبوعاً لا ينضب من الخبــرة والعلــم ، فجزاه الله عني كل الخير ، كما أتوجه بخالص شكري وعرفاني لأستاذتي القديرة والعزيزة الأستاذة الدكتورة/ **نبيلة حسن محمد** – أستاذ التــاريخ الإسلامي بكلية الآداب – جامعة الإسكندرية ، والتي شــرفت بموافقتهــا على مناقشة رسالتي هذه ، لكي انتفع من توجيهاتها ، فجزاها الله عنــى خيراً ، كما أتوجه بالشكر إلى أساتذتي وزملائي الــذين اســتفدت مــن ملاحظاتهم وتوجيهاتهم لإتمام ذلك البحث.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

ب – دراسة تحليلية نقدية لأهم مصادر البحث

المقدمة :

المصادر التي نرجع إليها لدراسة موضوع البحث تتمثل في المصادر الجغرافية ، وما يرتبط بها من كتب الرحلات ، والمعاجم ، وكتب التاريخ العام ، سواء أكانت مشرقية متمثلة في الطبري ، وابن الأثير ، والنويري وغيرهم ، أم مغربية مثل ابن خلدون ، وكتب التاريخ الخاص «المحلية» وأخيراً الكتب الحديثة التي عالجت الموضوع من زوايا مختلفة.

المصادر الجغرافية :

تعتبر تلك المصادر من أهم المراجع بالنسبة لموضوع البحث ، وذلك لأن الجغرافية العربية وثيقة الصلة بالتاريخ ، وبمرور الوقت استطاعت الجغرافية أن تنفصل عن التاريخ انفصالاً غير تام على كل حال.

وتنقسم كتب الجغرافيا إلى قسمين :

- **أولهما** : الجغرافية الرياضية : وتشمل فرعين هما «علم الأطوال والعروض ، علم تقويم البلدان».
- **ثانيهما** : الجغرافية الوصفية : وتضم فرعين هما «علم المسالك والممالك ، علم عجائب البلدان»[1].

وتكمن أهمية كتب الجغرافية في أنها «تكمل كتب التاريخ» التي اهتمت بالأحداث السياسية بشكل خاص – من حيث اهتمامها ، إلى جانب

---

(١) سعد زغلول عبد الحميد : ملاحظات عن مصر كما رآها ووصفها الجغرافيون والرحالة المغاربة في القرنين «٦ ، ٧هـ/١٢، ١٣م» ، نقد للمصادر «مجلة كلية الآداب ، الإسكندرية ، المجلد الثامن ، ١٩٥٤م ، ص٩١.

وصف الأحوال الطبيعية والبيئية بإمدادنا بمعلومات ذات طبيعة متنوعة ، منها الاقتصادية والاجتماعية وما يختص بعادات الشعوب وتقاليدها ... الخ[1].

وتصنف تلك المصادر الجغرافية إلى كتب جغرافية مشرقية منها – على سبيل المثال لا الحصر – ابن خرداذبة «ت ٢٧٢هـ/٨٨٥م» ، اليعقوبي «ت ٢٧٨هـ/٩٨١م» ، ابن رسته « ت ٢٩٠هـ/٩٠٢م» ، الإصطخرى « ت ٣٤٠هـ/٩٥١م» ؛ المسعودى إلى جانب بعض الكتب المغربية ، مثل الإدريسي «ت ٥٦٠هـ/١١٦٦م» ، والزهري «توفي أواسط القرن السادس الهجرى/أواسط القرن الثاني عشر الميلادي» ، والحميرى «توفي في القرن التاسع الهجرى/الخامس عشر الميلادي».

ولقد تناولت أغلب كتب المشارقة في متن صفحاتها العديد من المعلومات المتناثرة والتي تكمل بعضها البعض منهم عن جغرافية خوارزم وما وراء النهر شاملة الحديث عن مناخها ، مدنها ، أنهارها ، وان انفرد ابن خرداذبة[2]. دون غيره من الجغرافيين القدماء بوصف طرق التجارة وخط سيرها إلى جانب ذكره لبعض المعلومات التاريخية والحضارية والتي تمثلت في ذكره لبعض ألقاب الملوك ومنهم لقب خوارزم «خسرو خوارزم».

وبجانب ما سبق هناك بعض الكتب الهامة ذات أهمية عظمى بالنسبة لموضوع البحث وخاصة في الفصول الأولى من الرسالة والتي

---

(١) سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصور الاستقلال «ليبيا ، تونس ، الجزائر ، والمغرب» ، الإسكندرية ، ١٩٧٩ ، ص٥١.

(٢) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، (دار صادر ، بيروت ، ١٨٨٩م).

تمثلت في جغرافية المنطقة «خـوارزم» ، ومـا وراء النهـر وسـكانها ونشاطهم البشري ، وسوف نوضح ذلك بالتفصيل مع الإشارة إلى مواضع الاستفادة على وجه الخصوص ، وسوف نراعى بجانب أهميتهم ، ترتيبهم الزمني من الأقدم إلى الأحدث وهم :

١ – اليعقوبي «ت ٢٧٨هـ/٨٩١م» :

البلدان[١].

هو من أشهر الجغرافيين الرحالة العرب ، يمتاز أسلوبه بكونـه عملياً سهلاً مبسطاً ، نشعر من خلاله نزعة الكاتب للتحليل العقلي ، لـذا اعتبره أبو الفدا مصدراً موثوقاً به ويعتبـر كتابـه ن كتـب الجغرافيـة الوصفية.

وتناول في كتابه الحديث عن خوارزم والأنهار التي يعتمد عليها الإقليم ، مع ذكره لإشارات بسيطة إلى المسافات التي تـربط عاصـمتها بالمدن المجاورة لها.

---

(١) طبعة بيريل ، ١٨٩١م ، وهو معروف في مخطوطـة فريـدة جلبهـا مخلنـت A- Mukhinski من المشرق عام «١٨٠٨-١٨٧٧م» وهـي الآن بميـونخ ، ومخطوطة أخرى يملكها المستشرق «ف – كرن F.Kern» «١٨٧٤/١٩٢١م» ، وبعدها دخلت المكتبة الملكية الروسية ، ولم تدرس بعـد ، ولليعقـوبي كتـب أخرى منها تاريخ اليعقوبي أخبار الأمم السابقة ، مشاكل الناس لزمانهم ، خيـر الدين الزركلى ، الإعلام قاموس ، وتراجم ، الطبعـة الثانيـة ، د.ت ، ج١١ ، ص٩٠ ، كراتشوفيسـكى : تـاريخ الأدب الجغرافـي ، القـاهرة ، ١٩٦٣م ، ص١٥٩.

٢ – ابن رسته « ت ٢٩٠هـ/٩٠٢م» :

الاعلاق النفيسة[١].

وقد استفاض في الحديث عن أنهار منطقة ما وراء النهر وخاصة نهري جيحون وسيحون ، متضمناً منبعهما ومصبهما ، ومدى استفادة المناطق المجاورة منهما ، وخاصة إقليم خوارزم وتأثير نهر جيحون الايجابي والسلبي عليها وعلى ما يجاورها ، وهو شيء دقيق يفوق الوصف ، واعتمد في مؤلفة على الفرغاني ، وأبي معشر وابن خرداذبة في طريقة العرض[٢].

٣ – المسعودي « ت ٣٤٥هـ/٩٥٦م» :

مروج الذهب ومعادن الجوهر[٣].

امتاز هذا على سابقية باشتماله على العديد من المعلومات الجغرافية والتاريخية والسياسية والاقتصادية ، حيث تناول وصفا جغرافيا كاملاً لمنطقة دراستنا ، وكذلك ذكره للفرس وأصولهم القديمة وطبقاتهم ، وايضا الترك وأجناسهم وذلك ما اعتمدنا عليه أثناء تناولنا للفصل الثاني «السكان» وتحدث عن القبائل العربية ، ولكنه لم يشر إلى تحديد دقيق للتواجد العربي في خوارزم ، ولكن إشارات بسيطة فقط.

ولقد اعتمد في المقام الأول على معلوماته من خلاله هو كشاهد عيان عبر أسفاره في الصحراء والبر والبحر من الصين إلى أقصى الشرق والى الشام ومصر والمغرب.

---

(١) المجلد السابع ، طبعة بيريل ، ١٨٩١م ، وهو كتاب ضخم يشتمل على بضعة مجلدات ، صدر منه مجلد واحد وهو السابع في المكتبة الجغرافية العربية الخاص بالفلك والجغرافيا.

(٢) كراتشوفيسكى : تاريخ الأدب الجغرافي ، ص١٦٤-١٦٥.

(٣) الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٩٨٢م

ومن كتبة أيضاً التنبيه والإشراف[1]. الذي تحدث فيه عن فيضان نهر جيحون ، وحدد ذلك في أول كانون الثاني ، وكذلك بحيرة خـــوارزم متتبعاً أصل مياهها والأنهار التي تصب فيها.

كذلك تعريفه لبعض المصطلحات ، ومنها : الميـــل ، الـــذراع ، الإصبع ، الفرسخ ، الكورة «والتي تشمل عدة طساســيج» ، الطســـوج : «يقصد بها الناحية مع ملاحظة تغير ذلك من آن لآخر».

٤ – الاصطخرى «ت ٣٤٠هـ/٩٥١م» :

المسالك والممالك[2].

وتكمن أهمية ذلك المصدر كونه تحدث عن إقليم خوارزم شـــاملاً أغلب المعلومات المتعلقة به وذلك من خلال عواصمه ، ومنها الجرجانية متجر الترك الغزية ، تخطيط تلك العواصم المعماري ، طرق خـــوارزم وأبوابها والمسافات بينها وبين المدن ، وان كان من الصعب تحويل تلـــك المسافات بمقاييسنا الحالية ، وذلك لمخالفتهـــا للواقـــع ، وعـــدم توصـــل الجغرافيين لحقيقة تلك المقاييس مثل المرحلة ، الميل ، تجارة خـــوارزم وخاصة من الرقيق والأوبار ، والصناعات التي قامت بها مثل صـــناعة المنسوجات القطنية والصوفية ، وكذلك صناعة أدوات الحرب.

---

(١) اعتنى بتصحيحه ومراجعته عبدالله إسماعيل الصاوى ، مكتبة العصرة ، بغداد ، ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م

(٢) ط بيريل ، ١٩٣٧م.

٥ – المقدسي[١] «ت ٣٧٥هـ/٩٨٥م» :

أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم[٢].

يعتبر هذا الكتاب خلاصة ما شاهده وعاينه في رحلاته وأسفاره الطويلة في ديار الإسلام وخدماته للملوك ، ومجالسته للقضاة ، وتحصيله للعلم على يد الفقهاء والعلماء ، إلى جانب الجغرافيين السابقين ، مثل : ابن خردانبة ، والجيهانى ، والبلخى الهمذاني ، ويعتبر أسلوبه من أصعب أساليب مكتبة الجغرافيين العرب.

ولقد تناول في مجلده الحديث عن خوارزم ، وعلى الأخص عاصمتها الجرجانية «گرگانج» معابرها وتجاراتها المتعددة والتي سوف نوضحها في الفصل الثالث من الرسالة ، كذلك سكان إقليم خوارزم من يهود وأصناف المجوس والنصارى[٣]. ولقد انفرد عن سابقيه من المؤرخين الجغرافيين بذكر تلك المعلومة ، وان كان قد أكدها من بعده بسنوات عديدة القلقشندي «ت ٨٢١هـ/١٤١٨م» ، صبح الأعشى[٤]. ثم لم يأت بجديد عما ذكره سابقيه من الجغرافيين حول نهر جيحون منبعه ومصبه والأنهار المتفرعة منه.

---

(١) وهو من كبار الجغرافيين العرب وأكثرهم أصالة في الأدب العربي في القرن الرابع الهجرى/١٠م ، وهو ختام المدرسة الكلاسيكية الجغرافية العربية.

(٢) مجلد١ ، الطبعة الثانية ، بيريل ، ١٩٠٦م.

(٣) المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص٣٢٣.

(٤) القلقشندي ، صبح الأعشي في صناعة الإنشا ، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية ومذيلة بتصويبات واستدراكات وفهارس تفصيلية مع دراسة وافية ، المؤسسة المصرية العامة لتأليف والطباعة والنشر والترجمة (د.ت) ، ج٤ ، ص٤٥٤.

٦ – الادريسي «ت ٥٦٠هـ/١١٦٦م» :

نزهة المشتاق في اختراق الآفاق[1].

والذي سبق وصنف ضمن كتب الجغرافية المغربية والتي تناولت بعض تاريخ المشرق تنوعت مادته وخاصة فيما يتعلق بموضوع البحث ما بين المعلومات الجغرافية والحضارية فتحدث عن خوارزم حيث أطلق لفظ الإقليم عليها ، وتتبعه لها حتى بحيرة خوارزم «بحر آرال» من حيث تجارتها ، وتحدث عن صفات أهل خوارزم ولسانهم إلى جانب معالجته لمنطقة ما وراء النهر شاملة طبيعة أراضيها وبساتينها ، قراها والمسافات بينهما ، وطرقها الرئيسية والفرعية.

وإلى كتب الجغرافيا تضاف كتب الرحلات «الرحلة» ، وتتميز تلك الكتب بتسجيل المعلومات وليده التجربة ومشاهدة العيان[2].

أهم الرحلات بالنسبة لموضوع البحث :

١ – ابن فضلان «ت ٣٩٠هـ٩٩٩م»

رسالة ابن فضلان[3].

ولقد تناول في رسالته الحديث عن خوارزم والمسافات بينها وبين مدن ما وراء النهر ، إلى جانب انفراده بالحديث عن تجمد نهر جيحون ، وعلى الأخص تحديده للفترة الزمنية لذلك التجمد وهي ثلاثة أشهر وسمك ذلك ، وذكره لدواب وحيوانات تلك المناطق ، والتي تستخدم في التنقل والترحال ، وهي : البغال ، الحمير ، الخيول ، الجمال.

---

(١) مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، د.ت.

(٢) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ص٥٤.

(٣) رسالة ابن فضلان : في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة ، (دار صادر ، بيروت ، ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م).

وبجانب تلك المعلومات السابقة نجد المعلومات الحضارية التي تتحدث عن سكان خوارزم ، ووصفهم بشكل عام بكونهم أوحش الناس في الكلام والطباع ، فشبه كلامهم بالزرازير ، كذلك دراهمهم المستعملة لديهم ، وهي : «المزيفة ، والطازجة ، والكعاب ، والدوامات ، والدراهم» ذاكراً مقدارها بالدانق ، وهو الأكثر استعمالاً وتناولاً فيما بينهم.

وتعتبر تلك الرحلة مرجعاً أساسياً للجغرافيين في المقام الأول ، وذلك لوصفه القائم على المشاهدة والمعاينة ، ومن هؤلاء : الإصطخرى ، والمسعودي ، وياقوت الحموي.

٢ – ابن بطوطة[(١)]. «ت ٧٧٩/١٣٧٧م» :

تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار[(٢)].

ولقد جمع ابن بطوطة معلوماته عن طريق مشاهدته ومحادثاته مع شخصيات تعرف عليها من خلال رحلته ، فكانت تلك الرحلة وصفاً

---

(١) من أعظم الرحالة العرب ، رحل من موطنة عام ٧٢٥هـ لأداء فريضة الحج ، لكن قدر أن يقضى ثلاثين عاماً في رحلات متواصلة زار خلالها جميع ديار الإسلام ، بالإضافة إلى سيلان ، والهند والصين وآسيا الصغرى وبلاد القرم ، وزار كذلك خوارزم ، بخارا ، سمرقند من بلاد ما رواء النهر ، وترمذ وبلخ وهراة وطوس ونيسابور من خراسان ، ولم ينته الأمر عند هذا الحد بل ذهب إلى فارس والأندلس ثم عاد إلى فاس مرة ثانية ؛ حسين مؤنس : ابن بطوطة ورحلاته ، (تحقيق ودراسة وتحليل) ، (دار المعارف ، القاهرة ، د.ت ، ص١٢).

(٢) هذا الكتاب ليس من تصنيف ابن بطوطة ، ولكن وفقاً لرواية ابن بطوطة أن الذي وضع له الصياغة الأدبية الفائقة هو ابن جزي الذي انتهى منه عام ٧٥٦هـ/١٣٥٥م ، حيث لم يعمر ابن جزي طويلاً ، وتوفى في العام التالي نفسه ؛ نبيلة حسن محمد : انتشار الإسلام في السودان الغربي من القرن الخامس حتى القرن التاسع الهجرى ، رسالة ماجستير ، (الإسكندرية ، ١٩٧١)، ص٢٩.

للمجتمع الإسلامي والشرقي بشكل خاص ، وهي لا تشتمل فقط على معلومات جغرافية وتاريخية بل جمع فيها حضارة ذلك العصر من خلال عرضه لجميع الظروف الاجتماعية من مراسيم البلاطات وأزياء الشعوب وتقاليدها وأصناف الأطعمة بها[1].

ولقد افرد ابن بطوطة حديثاً خاصاً عن خوارزم تناول فيه معلومات قيمة قد بلغت إفادتها على مدار فصول البحث ، وخاصة في الباب الأول فنجده وصف طبيعة أرض خوارزم ، وتلك الصحراء التي بينها وبين بخارا ومسيرتها ثمانية عشر يوماً في رمال ليس بها عمارة إلا بلدة واحدة ، كذلك نهر جيحون ، وذلك باعتباره نهراً من أنهار الجنة الأربعة ، ذاكراً جموده واستمراره لمدة خمسة أشهر ، وبذلك فقد اختلف مع ابن فضلان كما سبق ووضحنا من قبل. ثم عاد وتحدث عن ثروات خوارزم وخاصة النباتية ومنها بطيخ خوارزم ، ودوره في التجارة وتصديره إلى أسواقها ووصفها نظراً لمروره بتلك الأسواق ومنها «سوق الشور ، القيسارية»

وأضاف فيما يتعلق بالمعلومات الحضارية ، بذكره لسكان خوارزم حيث لم يجد أحسن أخلاقا من غيرهم وذلك عكس ما ذكره ابن فضلان من قبل.

---

(١) كراتشوفيسكى : تاريخ الأدب الجغرافي ، ص٤٣١.

وبجانب الرحلات تضاف المعاجم ، ومن أشهرها :

ياقوت الحموى[1]. «ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م»

معجم البلدان :

والذي تناول في معجمه بشكل عام الحديث عن الأقاليم السبعة شاملاً مدن كل إقليم ، خطوط طوله ودوائر عرضه ، والتعريف ببعض المصطلحات الجغرافية الأخرى ، مثل الكورة ، الرستاق ، وهو ما استفدنا به أثناء تعريفنا بتلك المصطلحات في فصول الرسالة.

أما فيما يختص بمنطقة دراستنا وهي خوارزم فقد تناولها من خلال ذكره السبب وراء تسميتها بهذا الاسم ، عواصمها القديمة ، وتأثير النهر على تلك العواصم ، وكذلك أنهار تلك المنطقة مع تتبع جغرافي لكل نهر على حدة ، وحديثة عن بحيرة خوارزم من حيث منبعها.

ومن خلال ما سبق نلاحظ تتبعه لتلك المناطق وملاحظة وتدوين تطورها التاريخي منذ الفتح العربي وحتى الغزو المغولى ، موضحاً الفرق بين ما كانت عليه وما أصبحت عليه. ولقد تناول معلوماته من كتب الجغرافيا وكتب التاريخ الموجودة لديه ، ويتميز بالأمانة العلمية حيث يذكر مصدر كل مادة أخذها منه.

---

(١) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، (بيروت ١٩٥٥م) ، ٥ مجلدات

كتب التاريخ العام :

١ – الطبري «ت ٣١٠هـ/٩٢٣م» :

تاريخ الرسل والملوك(١).

ويعتبر هذا الكتاب من أشهر كتب التاريخ العام المشرقية ، حيث نقل الطبري الكثير من كُتاب المغازى الأوائل الذي لم تصل إلينا أعمالهم مثل الواقدى وآخرين(٢).

ولقد استفدنا من كتاب «الرسل والملوك» وعلى وجه الأخص من الجزء الرابع حتى الجزء السابع فيما يتعلق بالأحداث الأولى في إقليم خوارزم حول بداية التواجد العربي فيه من خلال الحملات الثغرية لذلك الإقليم منذ عام «٣٢هـ/٦٥٢م» ، وحملة القائد الأحنف بن قيس على خوارزم ، ثم تكرار تلك المحاولة من قبل القائد سلم بن زياد عام «٦١هـ/٦٨٠م» ، ثم الفتوحات المنتظمة لذلك الإقليم على يد القائد العربي قتيبة بن مسلم الباهلى عام «٩٣هـ/٧١١م» واستقرار العرب إلى حد ما ، وإقامه حكومة عربية في خوارزم(٣).

وتناول الطبرى كذلك – وعلى الأخص في الجزء السابع – بدء ظهور الدعاة العباسيين في إقليم خوارزم ، وترك ولاة على ذلك الإقليم ، وذلك في عهد الوالى نصر ابن سيار «١٢١هـ/٧٣٨م» ومنهم : أبو حفص بن على ختنة ، وكذلك مسعدة بن عبدالله اليشكرى عام «١٢٦هـ/٧٤٣م»(٤).

---

(١) تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم : الطبعة الرابعة ، منقحة ومعدلة ، ١٩٦٥م.

(٢) سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربي ، ص٣٣ ؛ بديع محمد جمعة : من روائع الأدب الفارسي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٨٣م ، ص١٤.

(٣) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٤٦٩-٤٧٦ ؛ وانظر : الفصل الثاني من الرسالة ، ص١٢٣-١٢٦.

(٤) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص١٥٧ ، ٢٧٩-٢٨٠.

٢ – البيروني «ت ٤٣٠هـ/١٠٤٨م» :

الآثار الباقية عن القرون الخالية[١].

لقد انفرد هذا الكتاب ، (وذلك لكونه معاصراً لأمراء الأسرة الثانية في خوارزم ومن أبناء ذلك الإقليم) بمعلومات لم تذكر في أي مصدر أخر ومنها الحديث عن أهل خوارزم وبداية تأريخهم لإقليمهم بأول عمارتها ، وذلك على وجه التحديد قبل الإسكندر بحوالي ٩٨٠ عام ، وأخذهم بتورد سياوش بن كيكاوس ، ثم تملك كيسخرو لها ، وذلك بعد عمارتها بحوالى مائتى وتسعين عاما «٢٩٠ عام» ، كذلك اقتداؤهم بالفرس في التأريخ العام «على ذرية كيسخرو والمسمي بالشاهية».

فتوحات قتيبة بن مسلم ومقدمهم للمرة الثانية لذلك الإقليم بعد ارتدادهم ، وعين عليهم شخص يدعى «إسكجموك بن ازكاجوارين» وبذلك خرجت الولاية من نسل الأكاسرة ، وبقيت الشاهية لكونها مورثة ، ثم انتقل التاريخ إلى الهجرية على رسم المسلمين وسياسة القائد العربي المتبعة ، وتركه للحكومة المحلية كما هي مع وجود والٍ وحامية عربية بها.

كذلك احتوى كتابه على جداول منها جدول يحمل كل ألقاب الملوك ومنهم ملوك خوارزم «خوارزم شاه» إلى جانب معلومات حضارية ذات قيمة عظيمة سوف نستعين بها عندما نستكمل الجانب الحضاري لإقليم خوارزم في دراسة قادمة أن شاء الله.

---

(١) دار صادر ، بيروت ، ١٩٢٣م.

٣ – ابن العماد الحنبلي «ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م»

شذرات الذهب في أخبار من ذهب[١].

تحدث عن بداية قيام دولة خوارزمشاه وذكره للأمير محمد بن انوشتكين «مولى الأمير ميكائيل السلجوقي» ولقبه «خوارزم شاه» وذلك عام «٤٩٠هـ/١١٩٧م» وفي كل من الجزأين الرابع والخامس تناول باستفاضة الحديث عن شاهات خوارزم ، وصراعهم على العرش ، فتوحاتهم وتوسعاتهم ، وعلاقاتهم وصراعهم مع السلاجقة ، والقراخطاى والغوريين.

٤ – ابن الأثير « ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م»

الكامل في التاريخ[٢].

يعتبر ابن الأثير مؤرخاً محققاً موهوباً ، حيث يمتاز بشده التثبيت فيما ينقل من حوادث إلا أنه له السبق في النقد التاريخي على ابن خلدون ، ومن هنا جاءت أهمية كتابه ليس فقط في العصور الإسلامية القديمة ، وليس بالنسبة للمشرق فقط بل للبلاد الأخرى من المغرب والأندلس[٣].

ولقد اتبع طريقة الحوليات في عرض الأحداث ، حيث لخّص كتاب الطبرى وإن كان قد اختلف معه حيث تفادى القضاء على الوحدة التاريخية للحادثة ، كما كان يفعل الطبرى ، فجعل لكل حادثة ترجمة ، أما الحوادث الصغيرة فقد جمعها في فترة زمنية واحدة.

وعلى الرغم من كونه لخص كتاب الطبرى إلا إنه فيما يتعلق بموضوع البحث ولم يذكر استعانة ملك خوارزم بالقائد العربي قتيبة بن

---

(١) الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

(٢) دار الفكر ، بيروت ، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.

(٣) سعد زغلول عبدالحميد : المرجع السابق ، ص٣٤.

مسلم الباهلى ، وتحدث عن بداية الدعوة للعباسيين في إقليم خوارزم ، ودعوة الجهم بن عطية إلى العلاء بن حريث بخوارزم لإظهار الدعوة العباسية بها في رمضان لخمس بقين منه.

ومن المعلومات القيمة التي ذكرها ابن الأثير ، وخاصة فيما يتعلق بالكيانات السياسية شبة المستقلة في إقليم خوارزم ، وهو ما سوف نعالجة في الفصل الأول من الباب الثاني عن تبعية خوارزم لكل من السامانيين ومن قبلهم الطاهريين ، ثم الأسرة الأولى في خوارزم «المأمونية» ومعاصرتها للدولة الغزنوية ، الأسرة الثانية «الالتونتاشية» ، واستعانتهم بالسلاجقة ، وتمكن السلاجقة من الاستيلاء على خوارزم عام «٤٢٥م/١٠٣٣م» ، ثم تناول قيام دولة شاهات خوارزم ، وذلك عام «٤٩٠هـ/١٠٩٦م» منذ عهد مؤسسها وحتى آخر ملوكها المستقلين جلال الدين منكبرتى وسياستهم الخارجية مع السلاجقة والقراخطاى والغوريين ، وكذلك الخلافة العباسية وخاصة على عهد الخليفة الناصر لدين الله العباسي ، وتطلعهم إلى الخلافة في بغداد.

٥ – ابن العبري « ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م»

تاريخ مختصر الدول[١].

لقد تركزت معلومات ابن العبري فيما يتعلق بموضوع البحث حول الكيانات السياسية شبة المستقلة في إقليم خوارزم ، فذكر وفاة الأمير مأمون بن محمد خوارزم شاه «مؤسس الأسرة الأولى» ، وكذلك مقتل أبي العباس مأمون بن مأمون ، وتملك السلطان محمود الغزنوى لإقليم خوارزم عام «٤٠٧هـ/١٠١٦م» ثم انتقل للحديث عن قيام دولة شاهات خوارزم ، ذاكراً الحروب الدائرة بين القراخطاى والأمير آتسز ووفاته ، وتولى ابنه من بعده سلطان شاه محمود ، وطعم ذلك التاريخ السياسي بنبذات عن حضارة ذلك الإقليم.

---

(١) دار المشرق ، ط٣ ، بيروت ، ١٩٩٢م.

وملاحظتنا عن كتاب ابن العبري تناوله لبعض الحوادث السياسية والحضارية المتعلقة بدولة خوارزم شاه ، ولكن ليس في توسع واستفاضة ابن الأثير في كتابه «الكامل في التاريخ».

٦ – النويري «ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م»

نهاية الأرب في فنون الأدب[١].

قبل تناولنا للأجزاء الهامة والتي تناولت موضوع البحث ، نذكر الأجزاء الأولى من موسوعة النويري ، وهي عبارة عن موسوعة عامة كبرى في الأدب والجغرافيا والتاريخ والاجتماع ، ولقد اقتصرت مدى استفادتى منها على بعض المعلومات الطفيفة ، مثل : تعريف لبعض المحاصيل الزراعية مثل البطيخ[٢]. وكذلك الحيوانات مثل القاقم[٣].

أما الجزء السادس والعشرون فقد تناول فيه مقتل خوارزم شاه أبي العباس مأمون بن مأمون عام «٤٠٧هـ/١٠١٦م» ، وما ترتب على ذلك من شغب في الإقليم ، كذلك أسرة التونتاش وعلاقاتهم بالسلاجقة وخاصة عام «٤٢٦هـ/١٠٣٤م» وتبعية الإقليم للسلاجقة ، القراخطاى وعلاقتهم بالدولة الخوارزمية ، منذ عهد أميرها آتسز وحتى القضاء عليهم على يد السلطان الخوارزمي علاء الدين محمد واستحواذه على أملاكهم ، الباطنية الإسماعيلية وقضاء السلطان تكش على نفوذهم إلى حد ما.

أما الجزء السابع والعشرون ، وخاصة في الباب الحادي عشر من القسم الخامس ، والذي خصصه في أخبار الدولة الخوارزمية ،

---

(١) تحقيق : محمد فوزى العنتيل ، مراجعة : محمد طه الحاجرى ، الهيئة العامة المصرية للكتاب ، «١٤٠٥هـ/١٩٨٥م» ، ج٢٦-٢٧.

(٢) النويري : نهاية الأرب في معرفة فنون الأدب ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، المؤسسة المصرية العامة للنشر والتأليف والترجمة والطباعة ، القاهرة ، د.ت ، ج١٠ ، ص٣ ، ١١.

(٣) النويرى : المصدر السابق ، ج١٠ ، ص٣١٩.

فتناولها من حيث ملوكها «أي فرع ينتمون إليه ، وصول الأمير محمد بن أنوشتكين لخوارزم ، تسلسل هؤلاء الشاهات منذ عهده وحتى أواخر سلاطينها» ، كذلك السلطان الخوارزمي الأعظم علاء الدين محمد ، وتوسعاته ، الصراعات على العرش بين أبناء هؤلاء السلاطين واستعانتهم بالقوى المجاورة للدولة مثل القراخطاى والغوريين ، ومحاولة السلطان علاء الدين محمد الذهاب إلى بغداد ، ومراسلة الخليفة العباسي وطلبه ملك آل سلجوق ، ورد فعل الخليفة الناصر لدين الله على ذلك ، وتقسيم علاء الدين محمد لإمبراطوريته على أولاده قبل وفاته.

٧ – ابن خلدون «ت ٨٠٨هـ/١٤٠٦م»

العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأعظم(١).

يعتبر كتاب ابن خلدون من أهم المصادر ، وذلك للسببين المعروفين اللذين اختص بهما ابن خلدون ، وأولهما : ملكة المؤرخ العبقري الموهوب التي جعلته يفهم التاريخ بمعناه الحقيقى الشامل الذي يتلخص في أن الحدث التاريخي أكبر من أن يكون حدثاً سياسياً فقط ، بل هو نتيجة لتفاعل عدد من العوامل السياسية والجغرافية والاقتصادية والاجتماعية وكذلك النفسية أيضاً ، وهذا ما دعا ابن خلدون إلى الكلام عن كل هذه الفنون في المقدمة فجعل مفهوم التاريخ أشبه ما يكون بمفهوم الحضارة أي جعله تاريخاً للأمم والشعوب بدلاً من سير الملوك والأمراء أو طبقات الأعيان وهذا ما سماه البعض فلسفة التاريخ ، وهو في الحقيقة ليس إلا التاريخ كما ينبغي أن يكون(٢).

---

(١) بيروت ، لبنان ، ١٣٣٥هـ/١٩٣٦م.

(٢) سعد زغلول عبدالحميد : تاريخ المغرب العربي ، ج١ ، ص٣١.

ولقد توزعت استفادتي من تلك الموسوعة حتى شملت كل البحث منذ بدايته وحتى قيام دولة شاهات خوارزم وتوسعاتها ، فتحدث عن الأقاليم بما فيها إقليم خوارزم شاملاً أنهاره وبحيرة خوارزم ، كذلك العرب وفتوحاتهم في خوارزم ، ودعاه الدولة العباسية بها ، والكيانات السياسية شبه المستقلة بالإقليم وذلك منذ تبعيته للطاهريين والسامانيين ، وقيام الأسرة الأولى والثانية ، وبداية قيام دولة شاهات خوارزم منذ عهد مؤسسها وحتى أخر سلاطينهم مع ترتيبهم وأعمالهم وصراعهم على العرش وتوسعاتهم على حساب الدول المجاورة من القراخطاى والغوريين والخلافة العباسية.

كتب التاريخ الخاص :

ثم ننتقل بعد هذا العرض لكتب الجغرافيا وكتب التاريخ العام من مشرقية ومغربية مما يرجع إليه في دراسة موضوع البحث نعرض بعض كتب التاريخ الخاصة ، ومنها :

١ – أرمنيوس فامبرى :

تاريخ بخارى[١].

حيث تركزت معلوماته فيما يتعلق بالكيانات السياسية شبة المستقلة في خوارزم ، وخاصة حول الدويلات التي استقلت عن الدولة العباسية ، مثل : السامانية وبسط سلطتهم على خوارزم وما وراء النهر عام «٢٨٠هـ/٨٩٣–٨٩٤م» ، الأسرة المأمونية وكذلك الأسرة الالتونتاشية ، وإشارات بسيطة حول ذلك ، وعلاقة الأخيرة بالدورة الغزنوية ، وظهور السلاجقة نظراً لاستعانة الأسرة الثانية «الالتونتاشية» بهم.

---

(١) ترجمة : أحمد محمود الساداتى ، مراجعة وتقديم : يحيي الخشاب : المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٥٦م.

٢ – أبو الفضل محمد بن حسين البيهقي «ت ٤٧٠هـ/١٠٧٧م»

تاريخ بيهق[(١)].

تحدث عن خوارزم من حيث «صفاتها ، عرضها فهى ثمانون في ثمانين ، بها مساحات كثيرة ، دائماً حاضرة الملوك العظام ، ولقد جاء ذلك في سير ملوك الفرس من أحد أقارب بهرام گور الذي أتى إلى هذا الإقليم ، وكان قائداً لملك الفرس واستولى على هذا الإقليم حتى مجيء العرب ويذكر أن خوارزم كانت دائماً لملك مستقل ولم تكن جزءاً من خراسان».

ولقد تحدث باستفاضة عن الأسرة الأولى في خوارزم «الأسرة المأمونية» والذي كان معاصراً لتلك الأسرة ، لذا كانت معلوماته موضع ثقة ، ولقد استقي تلك المعلومات أيضاً من كتاب البيروني السابق الحديث عنه «الآثار الباقية عن القرون الخالية»الذي تحدث عنهم ، والأسباب التي

---

(١) مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م ، وهو مصدر ذو أهمية لتأريخ العصر الغزنوى ، وكذلك باعتباره تاريخاً لبلاد ما وراء النهر من قبل فهو معلم بارز من معالم التاريخ الإسلامي ، لما كان ينعم به مؤلفة في البلاط المسعودي الغزنوي ، وهدفه من هذا الكتاب هو البحث في معرفة الواقعة وأحداثها ونتائجها ، وهو في ذلك يعتمد على الوثائق في رصد الحدث التاريخي ، ولقد كتب في ثلاثين مجلداً ، ولم يبق سوي الجزء الخاص بالسلطان مسعود ، «١٠٣٠م-١٠٤١م» ، وانتهى من كتابة هذا الجزء عام «٤٥١هـ/١٠٥٩م» حقق ونشر في طهران عدة مرات أكثرها تحقيقا تلك التي حققها قاسم غنى ، وقام يحيى الخشاب وصادق نشأت بنقله للعربية عن النسخة المحققة ، وطبع أكثر من مرة ، إقبال عباس الاشتيانى ، تاريخ إيران بعد الإسلام منذ بداية الدولة الطاهرة حتى نهاية الدولة القاجارية «٢٠٥هـ/٨٢٠م-١٣٤٣هـ/١٩٢٥م» ، نقله عن الفارسية وقدم له وعلق عليه : محمد علاء الدين منصور ، راجعه : السباعى محمد السباعى : دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م ، مقدمته.

أدت إلى زوال إمارتهم على تلك الإقليم عندما استولى السلطان محمــود الغزنوى عليها ، وكذلك آخر أمرائها ، الذي ظل البيروني في خدمته سبع سنوات ، والصداقة والمصاهرة التي كانت بينه وبين الســلطان محمــود الغزنوى.

كل ما سبق ذكر لدى البيرونى تحت مقدمة بعنوان «المسامرة في أخبار خوارزم» وانقلاب الأمور عام «٤٠٧هـ/١٠١٦-١٠١٧م» وتــولى الحاجب التونتاش وحتى أخر أمرائها وهو هارون بن إســماعيل خنــدان الذي استعان بالسلاجقة لمساعدته ضد أعدائه من داخل البلاد وهو وزيره عبدالجبار وأعوانه.

تناول كذلك الألقاب التي كانت تطلق على الأمراء والسلاطين في تلك الأسرة الثانية ، ومنها على سبيل المثال : لقب ولدى ومعتمدى الذي أطلقه سلاطين الدولة الغزنوية على ابن التونتاش.

٣ – عطا ملك الجوينى « ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م»

جهان كشا «فاتح العالم»[1].

جمع في مادته ما بين التاريخ السياسي والذي تمثل في الحــديث عن الدولة الخوارزمية منذ بدايتها ، سنوات بقائها كدولــة ، حكامهــا ، وموقعها باعتبارها في منتصف الطريق ، وبالتالي فقد عهد إليهــا بــدور كبير في التجارة ، آتسز وحروبه مــع الســلطان ســنجر الســلجوقي ، القراخطاى ودولتهم وتمكن الخوارزميين منهم ، وخاصة في عهد السلطان الخوارزمي الأعظم علاء الدين محمد ، وحروبه مع الغوريين.

---

(١) ترجمه للعربية السباعي محمد الســباعي : (دار الزهــراء للنشــر ، القــاهرة ، ١٤١٢هـ/١٩٩١م).

انفراده باستعراض كامل للعلاقات القديمة بين ملوك الدولة الخوارزمية والخلافة العباسية منذ أيام علاء الدين تكش وأطماعه التوسعية المنافية لأهداف الخلافة التي أوشكت على الانهيار ، التي لم يبق لها سوي نفوذها الروحي ، وامتدت حتى عهد السلطان علاء الدين محمد ، ورغبته في ملك بغداد ، وذلك عام «٦١٤هـ/١٢١٧م» وفشلها فشلاً ذريعاً.

أما مادته الحضارية فقد تمثلت في ذكره للتنظيمات الإدارية الغزنوية ، والتي استمرت في خوارزم ، وكذلك التنظيمات في عهد السلاجقة التي أخذت شكلاً محلياً ، ومدى استفادة الخوارزميين من ذلك وان كانت قد اختلفت عنهم ، وخاصة أن الخوارزميين في عهد السلطان علاء الدين تكش الخوارزمي قد اعتمدوا على قوة القبائل ، لذا قوى نفوذ رؤساء تلك القبائل الذي ساعد على ظهور الدولة ، ومن ناحية أخرى ساعد على إضعاف قوة الدَّولة المركزية ، أما السلاجقة فقد أشركوا الشعب في الأعمال الإدارية والاجتماعية.

كتب الطبقات ، وهي نوعان :

كتب طبقات عامة ، مثل «وفيات الأعيان ، وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان» ، **وكتب عامة** «إقليمياً» مثل : طبقات المالكية والشافعية والحنفية والحنابلة ، وطبقات الصوفية ، وطبقات الأطباء والحكماء واللغويين والنحويين والقضاة والفقهاء ، **وكتب خاصة** ، وميزة هذه الكتب تتلخص في أنها تهتم بالتاريخ الاجتماعي والحضاري أكثر من اهتمامها بالتاريخ السياسي[١].

---

(١) سعد زغلول عبدالحميد : المرجع السابق ، ص٥٤-٥٥.

١ ـ ابن خلكان[١]. «ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م» :

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان[٢].

٢ – الصفدي « ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م»

الوافي بالوفيات[٣].

والذي تناول الحديث عن السلطان الخوارزمي محمد بن تكش ، وتوسعاته لمد حدود دولته ، ومدى اهتمامه بالعلم والعلماء ، ومعلومات أخرى متفرقة عن التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية ، وكذلك الدولة الغورية : نشأتها ومؤسسها ، بالإضافة إلى ذلك تناوله للعديد من تراجم للشخصيات الموجودة في منطقة خوارزم ، سواء من العرب اللذين نزلوا بها واستقروا فيها ، وكذلك علمائها وأدبائها ونتاجهم العلمى ، وهو ما سوف نعالجه في دراسة حضارية قادمة للمنطقة أن شاء الله.

---

(١) قاضى القضاة ، شمس الدين أبو العباس البرمكي الأربلي الشافعى ، ولد بأربل عام ثمانية وستمائة ، وكان فاضلا بصيراً بالعربية ، علامة في الأدب وأيام الناس.

(٢) المجلد الثالث ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٠-١٩٧١م ، المجلد الرابع ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧١م ، وهو يقع في ثمانية مجلدات ، وإن كانوا ليسوا مرتبين ترتيبياً أبجديا.

(٣) باعتناء هلموت ريتر ، الطبعة الثانية ، جـ١ ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، باعتناء س. ديدرنيغ ، الطبعة الثانية ، جـ٦ ، د.ت ، ولقد اخذ الصفدى في التأليف حيث جمع تاريخه الكبير الذي سماه الوافي بالوفيات ، وذلك في ثلاثين مجلداً مرتبين على حروف المعجم ، ولقد أفرد منه أهل عصره في كتاب اسماه «أعوان النصر وأعيان العصر» في ستة أجزاء ، وله كتب أخرى عديدة ، ولقد سمع منه شيوخ عصره : الذهبي ، ابن كثير الحسينى ، وغيرهم ، وترجم له السبكى في الطبقات ، مقدمته تحت عنوان «ترجمة مؤلف هذا الكتاب» ص:ز.

الكتب الحديثة وتشمل :

أ – المراجع الفارسية

محمد بن برهان الدين خواوند شاه «ميرخواند»[1]. «ت ٩٠٣هـ/١٤٩٧م»

روضة الصفا[2].

لقد ألفه في سبعة مجلدات ، ولم يمهله القدر ليتم الجـزء السـابع وأكمله حفيده من بعده «خواندمير» ولقد تركزت المعلومـات الخاصـة بموضوع البحث في المجلد الرابع ، حيث تناول تـاريخ الخـوارزميين ، ومنها على الأخص – الأمير آتسز وصراعه مـع السـلطان السـلجوقي سنجر ، مع إضافة بعض الأبيات الشعرية التي تؤيد وتؤكد تلك الأحداث ، كذلك الصراع القائم بين السلطان علاء الدين تكش والسلطان السلجوقي طغرل الثالث على العراق العجمى «إقليم بلاد الجبل» وتوليـة السـلطان علاء الدين محمد لعرش خوارزم ، وبعد ذلك تناول العلاقات بين الدولـة الخوارزمية وسلاطينها العظام وبـين القـوى المجـاورة لهـم ، وهـم القراخطاى ، والغوريون ، والخلافة العباسية.

---

(١) يعتبر مؤرخ هذا المرجع من أكبر مؤرخي تلك الفترة منذ عام «٨٣٧هـ/١٤٢٣م» حتى عام «٩٠٤هـ/١٤٩٨م» ، ولد ببلخ واستقر في بـلاط الشـاعر «عليشـير نوائي» وزير السلطان حسين بايقرا ، فأتاح له ذلك اللقاء مع العلماء والفضلاء ، واستفاد من علمهم وبعدها انصرف إلى التأليف.

(٢) ميرخواند : تاريخ روضة الصفا ، المجلد الرابع ، ازانتشارات ، كتابفروشيهاى : ١٣٣٩هـ ، ولقد اشتمل هذا المؤلف على ستة مجلدات ، هم على التوالى ، المجلد الأول : تاريخ الأنبياء والسلاطين القدامى لإيران ، المجلـد الثـاني : الرسـول والخلفاء الراشدون ، المجلد الثالث : أحوال الأمويين والعباسيين ، المجلد الرابع : تاريخ الطاهريين والصفاريين والسامانيين والغزنويين ، الديلم ، الإسماعيلية ، السلاجقة والخوارزميين ، الأتابك ، ملوك خلج ، ملوك تيمروز ، المجلد الخامس : جنكيزخان وأحواله وأولاده ، المجلد السادس : تيمور ووفاته وأحداثه وأولاده.

٢ – غياث الدين بن همام الدين الحسيني «خواندمير» «ت ٩٤٢هـ/١٥٣٥م»

حبيب السير في أخبار أفراد البشر[١].

تناول الحديث عن أحوال ملوك شاهات خوارزم ، وذلك منذ عهد مؤسسها انوشتكين حتى نهاية عهد تلك الدولة على يد المغول في عهد السلطان الخوارزمي جلال الدين منكبرتي.

ومن أكثر الموضوعات التي تتعلق بموضوع البحث ، ووفاها ذلك المرجع ، ذلك الصراع المتكرر بين الأمير آتسز والسلطان السلجوقي سنجر ، وإن كان لم يختلف عما ذكر لدى روضة الصفا ، كذلك الصراع الدائم الذي ظل في دولة شاهات خوارزم ، وكان سمة من سماتها المميزة وهو الصراع بين أبناء السلاطين حول ولاية العهد ، وحروبهم المتعددة مع القراخطاى والغوريين والخلافة العباسية ، ولقد دعم تلك الأحداث ، وإن لم يكن أغلبها بالأبيات الشعرية.

٣ – حبيب الله شماللونى

تاريخ إيران ازما تابهلوى

ليس لدينا معلومات عن تاريخ وفاة هذا المؤلف ، ولا ترجمة له ، ولا تاريخ تأليف هذا المرجع وبالرغم من ذلك فقد عالج التاريخ السياسي لتلك الإمارة منذ نشأتها الأولى منذ عهد الأسرة الأولى وحتى قيام الدولة الخوارزمية الثالثة وتوسعاتها ، فنجده تناول في حديث مختصر الأسرة الأولى «المأمونية» محدداً أمراءها وتواريخهم ، ولم يختلف عن السنوات

---

(١) المجلد الثاني ، الجزء الرابع ، تهران ، ١٣٥٣هـ ، ويقع ذلك الكتاب في ثلاثة مجلدات ضم فيها كل ما ذكرته المصادر التاريخية السابقة ، ولقد جمع في المجلد الثالث الأحداث حتى عام «٩٣١هـ/١٥٢٤م» وخواندمير من أعيان القرن التاسع ومشاهيره ، وبداية القرن العاشر ، ومن كتبه «دستور الوزراء» والذي تحدث فيه عن وزراء الدولة الخوارزمية.

التي ذكرت في المصادر العربية ، إلى جانب الإشارة إلى علاقاتهم بالسلطان محمود الغزنوى ، كذلك الأسرة الثانية «الالتونتاشية» ومدة حكمها منذ عام «٤٠٨هـ-٤٣٤هـ» والتي انتهت بتولي أمر الإقليم للسلاجقة. ثم أسهب في الحديث عن الدولة الخوارزمية وقيامها وتوسعاتها ، موضحاً الفترة الزمنية التي تولاها كل سلطان ، فعلى سبيل المثال مدة حكم السلطان علاء الدين محمد تبلغ اثنين وعشرين عاما ، ثم صار بعد ذلك على نفس منوال الكتب الفارسية ، وإن كان قد ركز على الظروف والأحداث السياسية متضمناً المعارك ، والعلاقات بين سلاطين تلك الدولة والقوى المجاورة لهم ، والتي سبق واشرنا إليها سالفاً ، ولكنه لم يشر إلى تلك الأبيات الشعرية وبعض الملامح الأدبية التي ذكرت من قبل لدى ميرخواند ، وخواندمير.

ب – المراجع العربية الحديثة

١ – محمد ابن أحمد بن علي بن محمد النسوي[١]. « ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م»

سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى[٢].

يعتبر من المراجع الهامة في تاريخ الدولة الخوارزمية حيث تناول ما يلي : الأحداث السياسية الهامة في عهد السلطان الخوارزمي علاء الدين محمد ، وابنه من بعده السلطان جلال الدين منكبرتى ، وكذلك العلاقات القائمة بين السلاطين العظام الخوارزميين ، والخلافة العباسية ، وأتابكة فارس وأذربيجان والإسماعيلية الحشيشية.

---

(١) نشر وتحقيق : حافظ أحمد حمدى ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٥٣م ، وهو يعتبر من الكتب الهامة لدراسته تلك الفترة من تاريخ الإقليم ، وذلك منذ عام ٦١٥-٦٢٩هـ/١٢١٨-١٢٣١م.

(٢) كان معاصراً لأحداث تلك الدولة الخوارزمية وذلك لأنه كان كاتباً للسلطان جلال الدين منكبرتى.

ولقد تخلل ذلك بعض الإشارات عن الوظائف الموجودة في الدولة الخوارزمية والتي أفردنا لها فصلا خاصاً بها في نهاية البحث ، وخاصة أن المصادر العربية لم تشر إلى معلومات وفيرة عن هذا الجانب إلى جانب مصداقية تلك المعلومات الخاصة بذلك الجانب في ذلك المرجع ، وذلك لكونها قد ذكرت عن طريق شاهد عيان معاصراً إلى حد ما لهؤلاء الشاهات العظام ، ومن ذلك النظم نجد الدواوين ، ومنها : ديوان الجيش ، والإنشاء ، والوزارة ، والقضاء.

٢ – حافظ أحمد حمدى

الدولة الخوارزمية والمغول غزو جنكيز خان للعالم الإسلامي وآثاره السياسية والدينية والاقتصادية والثقافية[١].

تناول في ذلك المرجع الدولة الخوارزمية ، وإن كان الهدف الأساسي من وضع ذلك الكتاب هو دراسة تلك العلاقات التي كانت قائمة بين الدولة والمغول منذ بداية احتكاكاهم بالسلطان الخوارزمي علاء الدين محمد حتى قضائهم على الدولة الخوارزمية ومن بعدها الخلافة العباسية.

ولقد تركزت استفادتنا منه فيما يتعلق بأعمال بعض هؤلاء الشاهات ، وكذلك نبذات بسيطة عن بعض نظمهم وسياستهم الداخلية والتي اعتمد المرجع نفسه في تلك النقطة على المرجع السالف الذكر «سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى»

---

(١) دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٤٩م.

٢ – فاسيلي فلاديمير وفتش بارتولد

تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي[1].

وهو من المراجع الهامة التي استفدت منها على مـدار البحـث وذلك ابتداء من الفصل الأول والذي عالج فيه جغرافية مـا وراء النهـر بشكل عام وخوارزم بشكل خاص شاملاً جميع النواحي سواء من الناحية الطبيعية والاقتصادية ، كذلك تناوله للقوى التي كان لها علاقات مع الدولة الخوارزمية ، وهم : القراخطاى ، والغوريون ، وغيرهم فتناول بطريقة طولية علاقاتهم منذ عهد إيل أرسلان حتى نهاية تلك الدولة.

---

(١) نقله عن الروسية : صلاح الدين عثمان هاشم ، أشرف على طبعه : قسم التراث العربي ، ط١ ، الكويت ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م».

البــــاب الأول
البلاد والسكان ونشاطهم البشرى

الفصل الأول

البلاد

محتويـــات الفصل الأول

البلاد

خـــــوارزم :

وتشتمل على :

١- موقع خوارزم.

٢- عواصم إقليم خوارزم.

- مدينة كاث.
- مدينة الجرجانية.
- مدن بلاد خوارزم.
- قري بلاد خوارزم.

ما رواء النهر

وتشتمل على :

١- موقع ما وراء النهر.

٢- كور ما وراء النهر.

- كورة بخارا وأهم مدنها.
- سمرقند وأهم مدنها.
- الكشانية.
- إشتيخن.
- أشروسنة وأهم مدنها.
- كش ، ونسف.
- كورة الختل والوخش.
- الصغانيان والقواديان.

المياه الجارية :

وتشتمل على :

١- نهر جيحون وخاصة الأنهار التابعة لبلاد خوارزم.

٢- نهر الصغد.

٣- نهر سيحون.

٤- البحيرات «بحيرة خوارزم» أو بحر آرال.

٥- العيون والآبار.

الجبال.

الصحاري

فهرس الخرائط المتعلقة بالفصل الأول

الفصـل الأول
البلاد

خوارزم[1] :

١ - موقع خوارزم:

تقع بلاد خوارزم في الإقليم[2]. الخامس الجغرافي الواقع في بلاد التركستان الغربية شرق بحر آرال ، ويشمل بشكل عـام مصـب نهـر جيجون وبحيرة آرال بشكل خاص ، وذلك في المنطقة ما بـين دائرتـي

---

(١) خوارزم : وتفسيرها خوار بمعنى اللحم ، رزم تعنى الحطب : المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، بيريل ، ط٢ ، ١٩٠٦م ، ص٢٨٤ ، وتذكر الرواية حول ذلك أن ملك الشرق منذ القدم غضب على أربعمائـة (٤٠٠) رجـل مـن حاشيته ، فأمر بحملهم على مسافة مائة فرسخ منهم ، حيث يذكر أن موقعهم كان مدينه كاث ، وبعد فترة أراد معرفة أخبارهم ، فوجـدهم قـد بنـوا كخاخـات ويصيدون السمك ويتقوتون به حيث الحطب المتوافر لـديهم ، وأخبـر الملـك بحالهم ، وسألهم عن تسمية السمك لديهم ، فقالوا : خـوار ، والحطـب رزم ، فذكر اسم تلك المنطقة وقال خوارزم ... المقدسي ، المصدر السابق ، ص٢٨٥ ، ياقوت الحموى ، معجـم البلـدان ، بيـروت ، ١٩٥٥م ، المجلـد الثـاني ، ص٤٨٠.

(٢) إقليم : ذكر أنها عربية الأصل فهي مأخوذة من قلم الشيء (أي قطعة) فكان كـل إقليم مقلوم أي مقطوع من الأرض التي تتاخمة ، أي تعنى البلـد أو القطـر أو المنطقة الجغرافية وفي موضع أخر ذكر أنها مشتقة من الكلمة اليونانيـة كليمـا «Klima» ومعناها ناحية أو صقع ، ولقد تنوعت دلالتها في مختلف الأقطـار والأمصار ، ففي الشام تعنى الجهة أو القطر ، وفي فارس حيث قسـم الفـرس بلادهم «ايرانشهر» إلى سبعة أقسام أطلقوا عليها لفظ كشورات «جمع كشـور» أي خطوط مستقيمة.
ولقد قسم الإدريسي الأقاليم إلى سبعة أقاليم وهو تقسيم بطليموس ، فالإقليم لديـة منطقة عالية عامة ، ليست سياسية ولا إداريـة ، بطـرس البسـتانى : دائـرة المعارف ، قاموس عام لكل فن ومطلب ، مطبعة المعارف ، بيروت ، ١٨٨٠م ، المجلد الرابع ، ص٩٣-٩٤ ؛ ياقوت الحموي : المصدر السـابق ، المجلـد الأول ، ص٢٣٧ ، دائرة المعارف الإسلامية ، دار الشـعب ، ١٨١٠م ، ج٤ ، ص١٣٥.

عرض ٤٠ °، ٤٥° شمالاً ، وخطى طول ٦١ °، ٩٦° شرقاً ، وتقع على مفترق الطرق إلى بلاد خراسان جنوباً ، وإقليم ما وراء النهر شرقا ، وتحيط بها المفاوز والصحراء من الشرق والغرب[1].

وهي منطقة جليلة واسعة الأرجاء ، ذات مدن كثيرة ممتدة العمارة[2]. فمحيطها «ثمانون في ثمانين فرسخاً في الكبر»[3].

ولقد أيد ياقوت الحموى ما ذكرته المصادر السابقة عند زيارته لإقليم خوارزم عام «٦١٦هـ/١٢١٩م» حيث قال : «فما رأيت ولاية قط أعمر منها على ما هي عليه من رداءة أرضها وكونها سبخة كثيرة النذور

---

(١) ابن رسته : الاعلاق النفسية ، بيريل ، ١٨٩١م ، المجلد السابع ، ص٩٨ ؛ أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفاسي الاصطخرى : المسالك والممالك بيريل ، ١٩٣٧م ، ص٢٥٣-٢٥٤ ؛ ابن حوقل : صورة الأرض ، الطبعة الثانية ، بيريل ، ١٩٣٨م ، ص٤٧٧ ؛ أبو عبدالله محمد بن إدريس : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، د.ت. ، المجلد الثاني ، ص٦٩٧ ؛ القلقشندى : صبح الأعشي في صناعة الأنشا ، نسخة مصورة عن الطبقة الأميرية ، د.ت. ، ج٤ ، ص٤٥٢ ؛ القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد ، بيروت ، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م ، ص٤٨٨ ؛ محمد بن عبد المنعم الحميري : الروض المعطار في خبر الأقطار ، معجم جغرافي ، مؤسسة ناصر للثقافة ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٠م ، ص٢٢٤ ؛ جرجى زيدان : تاريخ التمدن الإسلامي ، مطبعة الهلال ، القاهرة ، ١٩٠٣م ، ج٢ ، ص٤٦ ، دائرة المعارف الإسلامية ، ج٩ ، ص٣.

(٢) ابن رستة : المصدر السابق ، ص٢٢٤ ؛ الاصطخرى : المصدر السابق ، ص٢٥٣-٢٥٤ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ، ص٤٧٧ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الثاني ، ص٦٩٧ ؛ القلقشندى : المصدر السابق ، ج٤ ، ص٤٥٢ ؛ القزوينى : المصدر السابق ، ص٤٨٨ ؛ الحميري : المصدر السابق ، ص٢٢٤.

(٣) المقدسي : المصدر السابق ، ص٢٨٤ ، ٢٨٦.

متصلة العمارة متقاربة القرى كثيرة البيوت المفردة والقصور في صحاريها قل ما يقع نظرك في رساتيقها على موضع لا عمارة فيها مع كثرة الشجر بها»[1].

٢- **عواصم إقليم خوارزم.**

- **مدينة كاث.**

تعنى باللغة الخوارزمية «الحائط في الصحراء من غير أن يحيط به شيء»[2]. وإن كان يقصد من ذلك شدة حصانتها. وهي مازالت موجودة حيث أطلالها الآن هى مدينة تعرف باسم شيخ عباس ولى (وإن كان حصنها الحديث البناء لا يشغل إلا ربع القلعة القديمة بها، إلى جانب منارة وبقايا سور قديم)[3].

وهناك اختلاف في تحديد موقع مدينة كاث، فربما كانت مدينة فيل القديمة، أو مدينة المنصورة (الموجود بها قصر خوارزم شاه) والتي ظهرت في أواخر العصور الوسطي، وهي التي أطلق عليها الاسم الخوارزمى «كاث»[4].

---

(١) ياقوت الحموي: المصدر السابق، المجلد الثاني، ص٢٨٢.

(٢) ياقوت الحموي: المصدر السابق، المجلد الثاني، ص٢٢٢.

(٣) كى لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، نقلة للعربية: بشير فرنسيس وكوركيس عواد: مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٥هـ/١٩٥٨م، ص٤٨٩، ٤٩٠؛ بارتولد: تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي، نقله عن الروسية: صلاح الدين عثمان هاشم: قسم التراث العربي، الكويت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص٢٥١.

(٤) المقدسي: المصدر السابق، ص٣٨٧؛ شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي، المشترك وضعا والمفترق صقعا، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت، ص٤٠٤؛ شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي طالب الأنصاري «شيخ الربوة»، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، بطربورغ، ١٢٨١هـ/١٨٦٥م، ص٢٣٣؛ مؤكداً «أن المنصورة مصرها ثم أتت بعدها الجرجانية».

عمارة مدينة كاث :

وهي القصبة الأولى لخوارزم وباب تركستان[1]. ولقد صارت في نظامها العمراني على النظام الإيراني القديم ، وكذلك معظم مدن خوارزم وما وراء النهر ، نظرا لوقوع اغلب تلك المدن تحت تبعية الإمبراطورية الفارسية في إيران ، تتمثل تلك العناصر المعمارية في الشهرستان «المدينة» كاث ، القهندز[2]. «القلعة» وهى أحصنها ، وكما ذكر البيروني أن «الفير» قلعة على طرف مدينة خوارزم مبينه من الطين اللبن مكونة من ثلاثة حصون فوق بعضها متوالية في العلو وفوقها قصور خوارزم شاه[3].

وعلى ظهر القهندز كان المسجد الجامع والحبس ودار الإمارة (التي كانت واقعة على نهر جردور أحد أفرع نهر جيحون)» ، وسوقها (على جانبي النهر وطوله نحو ميل) ، وربضها[4].

---

(١) مؤلف مجهول : حدود العالم من المشرق إلى المغرب ، القاهرة ، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م ، ص٩٤.

(٢) القهندز : وهو تعريب كهندز ، ومعناه القلعة القديمة (كهن : تعنى العتيق ، دز : أي قلعة) ، وهو اسم جنس لكل حصن في وسط المدينة ، وقل أن يخلو بلد من بلدان فارس من قهندز ، الجواليقي : المعرب من الكلام الأعجمى على حروف المعجم ، تحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر : دار الكتب ، القاهرة ، ط٢ ، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م ، ص٣١٥ ، حاشية ١ ؛ ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ص٣٦٣.

(٣) أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني : الآثار الباقية عن القرون الخالية ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٢٣م ، ص٣٥.

(٤) الربض : وهي تلك الضاحية القائمة بين المدينة القديمة والحائط الذي بنى في عهد المسلمين ولا تستعمل المصنفات الفارسية كلمة للدلالة على هذه الناحية إلا الكلمة العربية الربض ، دائرة المعارف الإسلامية ، ج٣ ، ص٤٠٣.

وبين مدينة كاث ومدينة خيوه مرحلة (أي ستة فراسخ وثلثا فرسخ) وكذلك القرية الحديثة «بنكيت» وعلى الرغم من كونها من أفخم المدن إلا أنها تفتقر إلى النظافة ، كما توصف بأنها أقذر من أردبيل في أذربيجان ، نظرا لعادات أهلها السيئة ، وهي تغوطهم في الشوارع.

ولقد أتي نهر جيحون على مدينة كاث فلم يتبق منها شيء وابتنى الناس مدينة جديدة إلى الشرق من المدينة الأولى وعلى مسافة من جيحون لحمايتها من عواقب فيضانه.

وفي ختام المائة الرابعة الهجرية فقدت مكانتها ومركزها كعاصمة لخوارزم ، فصارت مدينة ليس لها شأن[1]. لتحل محلها العاصمة التالية ، وكان ملكها من ملوك الأطراف ويدعى «خوارزم شاة»[2].

- **مدينة الجرجانية (گرگانج) :**

تقع على الجانب الغربي لنهر جيحون (أي الجانب الفارسي) ، أما الجانب الشرقي والذي كانت تقع عليه مدينة كاث فيطلق عليه «الجانب التركي»[3]. وهي الآن مدينة أركنج[4]. على بعد مسافة قليلة من المدينة القديمة.

---

(١) الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص٣٠٠-٣٠١ ؛ محمد على حيدر : الدويلات الإسلامية في المشرق ، القاهرة ، ١٩٧٤م ، ص١٨٤.

(٢) مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص٩٤.

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص٤٧٨ ؛ شيخ الربوه : المصدر السابق ، ص٢٢٥ ؛ القلقشندى : صبح الأعشى ، ج٤ ، ص٤٥٤ ؛ دائرة المعارف الإسلامية ، ج٩ ، ص٣ ؛ على الشابي : الأدب الفارسي في العصر الغزنوى ، تونس ، ١٩٦٥م ، ص٥٧ ؛ كى لسترنج : المرجع السابق ، ص٤٩٠.

(٤) أبو سعيد عبد الحى بن الضحاك بن محمود الگرديزى : زين الأخبار ؛ ترجمة : عفاف السيد زيدان : الطبعة الأولى ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، ص٢٦٢ ، حاشية ١ ؛ كى لسترنج : المرجع السابق ، ص٤٨٩.

وهي مدينة عظيمة مشهورة من أمهات المدن الجامعـة لجميـع الخيرات وازدادت مكانتها بعد فقدان العاصمة الأولى كاث لمكانتها كمتجر ومعبر للقوافل الآتية من بلاد الغز ، فحلت الجرجانية محلها[١].

وترتب على ما سبق انتقال أهل خوارزم لها فبنوا بها المسـاكن والدور ونزلوها وعلى بعد عشرة أميال منها مدينة گرگانج الصـغري[٢]. حيث تقع على مسافة فرسخ من نهر جيحون ، وهو أهم موضع عليه.

ولم تشر المصادر إلى التخطيط المعماري لتلك المدينة وإن كانت بعض المؤشرات تشير – وبصورة واضحة – إلى وجود تلك العناصـر المعمارية السالفة الذكر والتى من المرجح أن يكون فيضان نهر جيحـون قضى عليها.

وقد وصفها المقدسي بأنها «قصبة ناحية خراسان على جيحـون حيث أن الماء يمس جوانبها ، واحتالوا في رده بالخشب والحطب وهـي في كل يوم في زيادة» ، وأضاف كذلك بان للبلد أربعـة جوانـب ومـن أبنيتها قصر بناه المأمون على باب الحجاج «وإن كان لم يوضح من هو المأمون» ، ولهذا القصر باب ليس بجميع خراسان أعجب منـه ، ومـن بعده بنى ابنه قصراً مواجها للآخر وأمامه ميدان[٣].

ولقد وصف بارتولد المدينة بان لها أربعة أبـواب وإن كانـت لا توجد معلومات عنها بسبب فيضان نهر جيحون ، وأكد ذلك تلك القنوات التي تصل إليها والتي أقيمت من اجل تفادى مخاطر نهر جيحـون ، وإن كانت لم تدخل في المدينة لضيق مساحتها[٤].

---

(١) كى لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص٤٩١.

(٢) گرگانج الصغرى : تقع على بعد ثلاثة فراسخ من القصبة «الجرجانيـة» ومـن المرجح أن تكون خوارزم الجديدة قد اختير لها موضع هذه المدينة ، ثم سرعان ما صارت خوارزم هي قصبة الإقليم الذي حمل اسمها وذلك في القرن ٨هـ/١٤م بارتولد : المرجع السابق ، ص٢٥٣ ؛ كى لسترنج : المرجع السابق ، ص٤٩٢.

(٣) المقدسي : المصدر السابق ــ ص٢٨٨ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص٢٥٣.

(٤) بارتولد : الرجع السابق ، ص٢٥٣.

وهي تقع على طرف نهر كبير يتفرع من نهر جيحون ، ويأخذ منه من جهة الغرب ، وتجري فيه السفن[1].

وتحدث ابن فضلان عن مدينة الجرجانية ذاكراً بردها الشديد لوقوعها في أقصى الشمال ، وكذلك إحاطتها بالمفاوز مؤكداً أنه إذا أراد أحدهم إكرام شخص قال له : «تعال إلى نتحدث فإن عندى نارا طيبه».

ولقد تغلبوا على ذلك بتوفر الحطب لديهم ورخص ثمنه ، وكذلك ارتدائهم أكثر من نوع من الثياب الثقيلة ، مثل القرطق[2]. الخفتان[3]. البوستين واللبادة[4]. والبرنس[5]. والسراويل[6]. واللان والقلانس ، وكانت بيوتهم في جوف بعضها البعض لاتقاء حدة هذا الطقس[7].

- **مدن بلاد خوارزم :**

لقد ذكر الإصطخرى مدن خوارزم دون قصباتها ، وهم درغان ، هزاراسب ، خيوه ، خشميثن ، اردخشميثن ، سافروز ، نوزوار ، كردران ، خواس ، كرد ، قرية براتكين ، مذمينيه ، مرداجقان[8].

---

(١) القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد ، ص٥٢٠.

(٢) القرطق : تعريب لكلمة «كرته» وتصغيرها قريطق ، وهو قميص أو معطف قصير يصل إلى منتصف الجسم ؛ ابن منظور : لسان العرب ، دار صادر بيروت ، ١٣٧٥هـ/١٩٦٥م ، المجلد العاشر ، ص٣٢٣ ؛

R.P.A. Dozy : dictionnaire detaille dis noms des vetements, Amsterdam, 1845, p.2-3.

(٣) الخفتان : القفطان أو الجاكيت ، هو صدرية تحت الثياب ؛

R.P.A Dozy : Op.cit., p.29.

(٤) اللبادة : يلبس من اللبود وقاية من البرد ؛ Ibid, p.29.

(٥) البرنس : وهو معطف طويل له قلنسوة ملتصق به ويغطى الرأس ؛ Ibid,

(٦) السراويل : لباس يستر النصف الأسفل من الجسم ؛ Ibid, p.29.

(٧) ابن فضلان : رسالة ابن فضلان في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة ، حققها وعلق عليها وقدم لها سامى الدهان ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م ، ص٨٣ ، ٨٦ ، ٨٧.

(٨) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص٢٩٩ ، ٣٠٠ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ص٤٧٨ ؛ شيخ الربوة : المصدر السابق ، ص٢٢٣.

أما المقدسي فقد قسمها حسب موقعها على المجرى الأعلى لنهر جيحون وهي :

أولاً : المدن الواقعة على الجهة الشرقية للنهر وهي : غردمان وأنجان أرذخيوة ، ونوكفاغ ، وكردر ، ومزداخكان ، وخشير ، وسدور ، وفرزدوخ ، وقرية براتكين ، ومذمينيه ، ذاكرا أن سائر المدن الهيطيلية عامرة ومحصنة.

ثانياً : المدن الواقعة على الجهة الغربية للنهر ، وهي : نوزوار ، وزمخشر ، وروزند ، وزارمند ، ودسكا خاز ، وخاس ، وخشميثن ومدامثين ، وخيوة ، كردرانخاس ، وهزاراسب ، وجگربند ، وجاز ، ودرغان ، وجيت ، والجرجانية الصغرى ، وسدفر ، وكاردار ، وآندرستان[1].

أولاً : المدن الواقعة على الجانب الشرقي لنهر جيحون :

١ – نوكفاغ :

مدينة حسنة قرب المفازة ، وسط الأنهار المتشعبة من نهر جيحون وتعود بالنفع على بلاد خوارزم[2].

٢ – ارذخيوه «خيوق» :

مدينة في أول المفازة ، واسعة ، مقامة على إحدى الشعاب المتفرعة من نهر جيحون وموقعها تحت جبل ، بها حصن بباب واحد وجامع[3].

---

(١) المقدسي : المصدر السابق ، ص٢٨٦-٢٨٧.

(٢) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص٤٧٩ ؛ كي لسترنج : المرجع السابق ، ص٤٩٥.

(٣) المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص٣٨٨ ؛ الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، المجلد الثاني ، ص٧٠٠ ؛ بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص٢٥٨ ؛ كي سترنج : المرجع السابق ، ص٤٩٣.

قال عنها ياقوت الحموي : «أنها بلدة من نواحي بلاد خوارزم ، وحصن في الوقت نفسه» ، وهو ما ذكرته المصادر السابقة ، ولقد أضاف المسافات بينها وما حولها من المدن التابعة لبلاد خوارزم فبينهــا وبــين أيخان بريد «أي أربعة فراسخ» وبين سافردرز خمسة عشر ميلاً وذلــك في القرن ٧هـ/١٣م ، ولقد أطلق عليها أهل خوارزم اسم «خيوة» وهــو الاسم الحالي لمدينة خوارزم[1].

٣ – إيخان :

مدينة تتضح من وصف المؤرخين لها كونها مدينــة عســكرية ، وذلك لأن بها حصنا وخندقاً ، ووجود حواجز «عردات» على أبوابهــا ، وهي على بعد مرحلة من الشمال ، ولقد أيد بارتولد المقدسي فيما ذكره ، وإن اختلف معه – فقط – في كونه اعتبرها «قرية»[2]. وعلــى نســقها كانت غردمان وإن كانت الإضافة في وجود خندق سعته رمية سهم ، ولها بابان[3].

٤ – كردر :

مدينة أكبر من نوكفاغ وأحصن ، ولها نهر خاص يستمد مياهــه من أسفل مدينة خوارزم على بعد أربعة فراسخ ، أي (١٢ مــيلا) مــن أربعة مواضع ويصبح نهراً بعدها.

ويذكر أن مجرى نهر جيحون القديم كان في تلــك المواضــع ، ودليلهم على ذلك أنه إذا قل الماء في جيحون تقل الماء في هذا الفرع[4].

---

(١) ياقوت الحموي : المرجع السابق ، المجلد الثاني ، ص٢٣٥.

(٢) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص٤٧٩ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص٣٨٨ بارتولد : المرجع السابق ص٢٥٨ ؛ كي لسترنج : المرجع السابق ، ص٤٥٩.

(٣) المقدسي : المصدر السابق ، ص٣٨٨ ؛ قحطان عبد الستار الحـديثي : أربــاع خراسان المشهورة ، جامعة البصرة ، وزارة التعليم والبحث العلمي ، ١٩٩٠م ، ص٣٠٦.

(٤) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص٤٨٢ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص٢٨٨.

واختلف معهم ياقوت الحموي وجعلها ناحية من نواحي خوارزم أو ما يجاورها من نواحي الترك ، وأشار إلى وجود قوى بها ، وإلى أن أهلها «أناس لا يتكلمون باللسان الخوارزمي ولا التركى»(١). وإن كان من الواجب أن نضع في الاعتبار الفترة الزمنية ، والتي من الجائز أن يكون قد تطور وضع تلك المدينة وتحولها من كونها مدينة إلى ناحية كبيرة تشمل أكثر من مدينة وقرية.

٥ – مزراخكان «مزدخقان» :

وهي رستاق(٢). يقع بين نهر كردر وجيحون بحذاء الجرجانية(٣). بينها وبين نهر كردر فرسخان ، ووصفها المقدسي بأنها رستاق ومدينة كبيرة بها أثنا عشر ألف حصن وربض ، وهي تقارب الجرجانية في المساحة وهي أكبر المدن الهيطيلية(٤).

٦ – سدور :

تقع على حافة نهر جيحون ، ومن خلال وصفها المعماري يتضح كونها مدينة مكتملة العناصر المعمارية فلها حصن وربض ، وكذلك الجامع في وسط البلد داخل الحصن ، وهي الآن أطلال مدينة سدفر «Sadver»(٥).

---

(١) ياقوت الحموي : المصدر السابق ، المجلد الرابع ، ص٤٥٠.

(٢) رستاق : فارسي معرب عن رزتاق أو رزداق ، ولقد ذكر في بلاد الفرس أنهم يعنون بالرستاق ، موضع فيه مزارع وقرى ، حيث لا يقال ذلك على المدن كالبصرة ، وبغداد ، فهو عند الفرس بمنزله السواد عند أهل بغداد ، وهي اخص من الكورة والاستان ؛ الجواليقي : المصدر السابق ، ص٢٠٦ ، حاشية٤ ، ص١٢٣ ، حاشية١ ؛ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، المجلد الأول ، ص٣٧.

(٣) الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص٣٠٣ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ، ص٤٨٠.

(٤) المقدسي : المصدر السابق ، ص٢٨٨.

(٥) المقدسي : المصدر السابق ، ص٢٨٨ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص٢٤٨.

٧ – مذمينية :

مجاورة لمدينة كيت «جيت» داخل ألمفازة بحوالي فرسخ في الجانب الشمالي الشرقي ، بينها وبين نهر جيحون أربعة فراسخ أي «اثنا عشر ميلا» ولقد تحول نهر جيحون من نهر كردر فقطع ما بين كيت ومذمينية لذا صارت من الجرجانية ولا يوجد على الشط بعدها عمارة تذكر[١].

٨ – براتكين :

اعتبرها العديد من المؤرخين قرية وفي الوقت نفسه وضعوها ضمن المدن الواقعة على الضفة اليسرى لنهر جيحون.

أما المقدسي فاعتبرها مدينة كبيرة في مفازة بالقرب من جبل لم يحدد اسمه تحمل منه الحجارة لاستخدامها في أغراض عديدة ، بنيانها من الطين اللبن ولها سوق عامر ، أما الإصطخري فجعلها ثغرا من الثغور الهامة وهي قليلة السكان[٢].

٩ – غردمان :

تقع على بعد مرحلة ن مدينة كاث[٣].

---

(١) الإصطخري : المصدر السابق ، ص٣٠٣ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ، ص٤٨٠ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الثاني ، ص٦٩٨ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص٢٦٠.

(٢) الإصطخري : المصدر السابق ، ص٣٠٣ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص٣٨٧ ؛ مؤلف مجهول : حدود العالم من المشرق إلى المغرب ، ص٩٥.

(٣) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص٤٧٩ ؛ كي لسترنج : المرجع السابق ، ص٤٩٦.

ثانياً : المدن الواقعة على الضفة الغربية لنهر جيحون :

١ – الطاهرية :

ومن الملاحظ على الجانب الغربى لنهر جيحون امتداد العمارات عليه من حد مدينة الطاهرية حتى مدينة هزاراسب ، وسبب ذلك نهر جيحون ودوره في عمران تلك المناطق ، وتعتبر أولى المدن في تلك الناحية على جيحون ، وهي ظاهرة الحسن ، وتحتوى على كثير من المزارع والخيرات[١].

٢ – درغان :

من أكبر المدن بعد مدينة الجرجانية ، بها مسجد جامع على شط نهر جيحون لا مثيل له في المنطقة بأجمعها ، مزينه ومنقوشة بالحجارة الكريمة والذهب ، وهي الآن أطلال مدينة درغان «Daeghanste».

وصفها ياقوت الحموى عام «٦١٦هـ/١٢١٩م» بأنها «مدينة على شاطئ جيحون ، وهي أول حدود خوارزم من ناحية أعلى نهر جيحون على طريق مرو ، تقع على جرف عال ، وهي على سن الجبل وبناحية البر منها رمال ، بينها وبين جيحون ميلان»[٢].

٣ – ارنخشميثن

مدينة كبيرة كثيرة الخيرات وافرة لأهلها ، من أعمال خوارزم ، وهي في حجمها قدر حجم نصيبين ، وإن كانت أعمر منها ، بينها وبين الجرجانية مقدار ثلاثة أيام[٣].

---

(١) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص٣٠١ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ، ص٤٧٩ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الثاني ، ص٦٩٦ ؛ ياقوت الحموى : المشترك وضعا والمفترق صقعا ، ص٢٩١.

(٢) المقدسي : المصدر السابق ، ص٢٨٩ ؛ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، المجلد الثاني ، ص٤٥١ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص٢٤٨.

(٣) ابن فضلان : المرجع السابق ، ص٦٨ ، حاشية٧ ؛ ياقوت الحموي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص١٤١.

٤- جگربند :

يذكر أنها مثل خيوه على شط نهر جيحون كثيرة الشجر والبساتين ذات سوق عامر إلى جانب وقوع جامعها في وسطه فهي بذلك تمثل موقعا تجاريا هاماً[١].

٥- كردر أنخاس :

تقع في بداية المفازة «فم المفازة» على فرع من الفروع الخارجة من نهر جيحون ، واسعة بالرغم من قله سكانها ، وبها جامع عامر[٢].

٦- هزاراسب :

تعنى بالفارسية «الألف فارس» ولقد ظلت محتفظة بهذا الاسم منذ الفتح الإسلامي حتى يومنا هذا ، وهي في حجمها مثل مدينة خيوه ، وإن كانت اقرب من ضفة نهر جيحون اليسرى من خيوه ذات ، شأن عظيم لها أبواب خشب ، وكذلك خندق.

ولقد وصفها القلقشندى بكونها قلعة حصينة ، واقعة في الإقليم الخامس ، بينها وبين كاث ستة فراسخ وأيده ياقوت الحموي عام «٦١٦هـ/١٢١٩م» وأضاف بأنها مدينة جيده في موارد مائها ، وذلك لإحاطته بها مثل الجزيرة.

وقد أضاف بوجود طريق واحد على سمرقند قد أنشئ بحيث يصل إليها من نواحي اركنج الجديدة قاطعاً تلك السهلة الممتدة من ضفاف نهر جيحون[٣].

---

(١) بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص٢٤٨ ؛ قطحان عبد الستار الحديثي : المرجع السابق ، ص٣٠٤ ؛ كى لسترنج : المرجع السابق ، ص٤٩٤.

(٢) ياقوت الحموي : المصدر السابق ، المجلد الثالث ، ص١٤٧ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص٢٤٨.

(٣) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص٣٠١ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ، ص٤٧٩ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص٢٨٩ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الثاني ، ص٦٩٨ ؛ القلقشندى : المصدر السابق ، ج٤ ، ص٤٥٥ ؛ ياقوت الحموي : المصدر السابق ، المجلد الرابع ، ص٤٠٤.

٧ – نوز وار :

مدينة صغيرة ، بها سور ذو أبواب حديد ، وإن كانَ المقدسي قد ذكر أن (أيِ المدينة) لها بابان ، وكذلك جسر يرفع كل ليلة لحماية المدينة من هجوم الترك المجاورين لهم ، بالإضافة إلى حصن وخندق بها ويوجد على الباب الغربي للمدينة حمام ليس بالإقليم كله مثله ، ووجود جامعهـا في أسواقها وهو مغطى بأكمله ما عدا القليل منه[1].

٨– زمخشر :

قرية صغيرة بها حصن وخندق وسجن وأبواب محدودة إلى حـد ما ، وكانت مثل مثيلتها السابقة بها جسور ترفع كل ليلة للأمن والحماية ، وخاصة أن كل المدن والقرى التي يشقها الأنهار تبني فيها تلك الجسور ، وذلك لربط جانبي المدينة ويوجد جامعها في سوقها ولقد بلغـت مكانـه عظيمة في القرن «٦هـ/١٢م» فصارت قرية كبيرة من قري خوارزم[2].

٩– جيت «جيث» :

ولقد ذكرها الإصطخرى وابن حوقل والإدريسـي تحـت لفـظ «كيت» وهي من قرى خوارزم ، توجـد علـى بعـد خمسـة فراسـخ من كوجاغ بالقرب من جبل (لم تشر المصادر إلى اسمه) والـذي وراءه مفازة ، ليس بعدها عمارة تذكر ، بها مياه وفيرة وعيون جارية ، بالرغم من كونها قرية إلا أنها ثغر محصن على حـد الغـز ، ومـدخل إلـيهم أيضا[3].

---

(١) المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص٢٨٩.

(٢) المقدسي : المصدر السابق ، ص٢٨٩ ؛ بارتولد : المرجع السـابق ، ص٢٥٦ ؛ شكرى فيصل : حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول الهجري ، دار الكتـاب العربي ، القاهرة ، ١٣٧١هـ/١٩٥٢م» ، ص٤٥٢.

(٣) الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص٣٠٢ ؛ ابن حوقل ، المصـدر السـابق ، ص٤٧٩ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص٢٨٩ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الثاني ، ص٦٩٧.

وفي الختام – بالنسبة لمدن خوارزم – نذكر أن المدن السابقة الذكر هي التي ذكرت في المصادر الجغرافية ومن الملاحظ على تلك المدن – مع وجود التفصيلات القليلة التي ذكرت – أنه نادراً ما توجد مدينة خالية من الحصون والقلاع والأسوار ، وكذلك الجسور ، ويدل ذلك على مدي تأثير الطبيعة الجغرافية المتمثلة على الأخص في نهر جيحون وفيضانه والضرورة الواجبة وراء إقامة تلك الجسور لحماية الإقليم بشكل عام ، والمدينة بشكل خاص ، وكذلك الأهمية العسكرية لذلك ، وخاصة أن معظم تلك المدن تعتبر مدخلا رئيسياً للأتراك لقرب موقعهم من بلاد خوارزم مما يستوجب قيام تلك الأسوار والجسور للحماية.

- **قري بلاد خوارزم**

- ❖ **غارابخشتة** : : وهي قرية على نهر جيحون على بعد ستة فراسخ من نهر كاوخواره جنوب مدينة الطاهرية[1].
- ❖ **غرنيز ، وكذلك فرينغشان** : وهي من قرى بلاد خوارزم ، تقع على بعد فرسخين من العاصمة الأولى مدينة كاث[2].
- ❖ **سويرني** : من قري خوارزم علي بعد عشرين فرسخا من ناحية شهرستان.
- ❖ **منقشلاغ** : ولقد وزعت ضمن قرى خوارزم ، وهي قلعة حصينة ، تقع في آخر حدود بلاد خوارزم ، بين خوارزم المدينة وسقسين ونواحي الروس قرب البحر الذي يصب فيه نهر جيحون ، وهو بحر طبرستان[3].

---

(١) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص٣٠١.

(٢) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، المجلد الثالث ، ص٣٥٧.

(٣) ياقوت الحموي : الصدر السابق ، المجلد الثالث ، ص٢٧٧ ؛ دائرة المعارف الإسلامية ، ج٥ ، ص٢١٥.

❖ برقان : من قرى مدينة كاث ، تقع شرقي نهر جيحون على شاطئه ، بينها وبين مدينة الجرجانية يومان ، ولقد خرب معظمها وتحولت إلى مزرعة[1].

ومن قرى بلاد خوارزم والتى لم تشر إليها المصادر بأيه معلومات نجد آمش ، وباف ، وتمرتاش ، وروذان ، والسعب[2].

ما رواء النهر :

ذلك الاسم الذي أطلقة العرب على المنطقة الواقعة في حوض نهر جيحون «OXUS» أو «Amau - Daria» ، ونهر سيحون «Sir -Daria ».

ووفقا لمفهوم الجغرافيين المسلمين لم تكن تلك المنطقة ضمن تركستان ، لأنها يطلق عليها الأصقاع المترامية الأطراف التي تمتد بين بلاد الإسلام ومملكة الصين ، حيث يقطنها الرُحَّل من الترك والمغول[3].

١- موقع ما وراء النهر

يحده من الشرق : فامر والراشت ، وما يجاور الختل من ارض الهند ، ومن الغرب : بلاد الترك الغزية والخرلخية (من حد طراز حتى تنتهي إلى فاراب وبيكند وسغد سمرقند ونواحي بخارا وخوارزم حتى بحيرتها) ، ومن الشمال : الترك الخرلخية من اقصى بلد فرغانه إلى طراز على خط مستقيم ، ومن الجنوب : نهر جيحون من بذخشان حتى بحيرة خوارزم[4].

---

(١) ياقوت الحموي : المصدر السابق ، المجلد الثالث ، ص٢١٥.
(٢) قحطان عبد الستار الحديثي : أرباع خراسان ، ص٣٠٩ ، ٣١١.
(٣) القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد ، ص٥١٤ ، ذاكراً أن «تركستان اسم جامع لجميع بلاد الترك وحدها من الإقليم الأول ضارب في الشرق عرضا إلى الإقليم السابع» ؛ أحمد عطية الله : القاموس الإسلامي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م» ، المجلد الأول ، ص٤٥٨ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص٦٤٥.
(٤) الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص٢٨٦ ؛ ابن حوقل : صورة الأرض ، ص٤٥٩ ؛ ياقوت الحموي : المصدر السابق ، المجلد الخامس ، ص٤٥ ؛ =

٢- كور ما وراء النهر :

لقد كان لليعقوبي السبق الأول في ذلك ، وأتي بعده الإصطخرى وابن حوقل وغيرهم ، فكانت أولى تلك الكور بخارا ويتصل سائر السغد «الصغد» المنسوب إلى سمرقند وأشروسنة والشاش وفرغانه وكش ونسف والصغانيان وأعمالها الختل ، إلى جانب ما يمتد على نهر جيحون من الترمذ والقواذيان وأخسيسك وخوارزم ، فجمع أسبيجاب إلى الطراز وإيلاق إلى الشاش وخجند إلى فرغانه ، واضاف قائلا : «وجمعنا ما بين واشجرد والصغانيان إلى عمل الصغانيان ، وجعلنا الختل بماء وراء النهر ، لأنها ما بين نهري وخشاب وجرياب ، أما بخارا وكش ونسف فيجوز أن يجمعها كلها إلى السغد ، ولكن فرقناها ليكون أيسر على التفصيل»[١].

بلاد الصغد :

لقد بدأنا به نظرا لأهميته الجغرافية التي سوف نوضحها فيما بعد وقربه من بلاد خوارزم واهتمام شاهات خوارزم فيما بعد بتلك المناطق ، وخاصة بخارا وسمرقند ، ومحاولتهم المستمرة ضمة لمملكتهم ونجاحهم في ذلك ، وإن كنا لن نعرض لكل بلاد الصغد بل سنركز على بعض الكور ومدنها وعواصمها الهامة وسبب تسميته هو نهر السغد (الصغد) ، حيث ترتكز عليه قصبتا الصغد : بخارا وسمرقند ، بجانب العديد من الكور والمدن والقرى التابعة له[٢].

= جرجى زيدان : المرجع السابق ، ج٢ ، ص٢٦ ، قائلاً : «إقليم ما وراء النهر آخر بلاد الإسلام شمالا شرقيا ، يحدها من الشمال تركستان وبلاد الهند ، ومن الغرب الجنوبي خراسان يفصل بينهما نهر جيحون ، ومن الشمال الغربي خوارزم ، ومن الجنوب طخارستان» ، وما هو إلا اختصار واضح لكلام كل من الإصطخرى وابن حوقل وكذلك أبي الفدا ؛ تقويم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، د.ت ، ص٤٤٧ ، الذي أضاف قائلاً : «أما حدود ما وراء النهر من الشرق والشمال فلم يتضح لى»

(١) اليعقوبي : البلدان ، بيريل ، ١٨٩١م ، ص٢٩٠ ، ٢٩٢ ؛ الإصطخرى : المصدر السابق ، ص٢٩٥ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ، ج١ ، ص٤٧٤.

(٢) اليعقوبي : المصدر السابق ، ص٢٩٣ ؛ أبو القاسم عبيدالله بن عبدالله بن خرداذبه : المسالك والممالك ، ص١٥ ؛ الإصطخرى : المصدر السابق ، ص٢٩٥.

موقع بلاد الصغد :

من الشرق : خجند ، ومن الغرب : بخارا ، ومن الشمال : بلاد جغانيان وكش ونسف ، ومن الجنوب : بلاد غرجة وطخارستان المتصلة ببذخشان[1]. وهي من أشهر بقاع خراسان خضرة ، حيث قيل أن جنات الدنيا ثلاث وهي : نهر الأبلة ، وغوطة دمشق ، وصغد سمرقند[2].

- **كورة بخارا[3]:**

أعظم مدن ما وراء النهر وأجلها[4]. فهى المركز الديني لبلاد الصغد[5]. والى الغرب منها آمل الشط ، وهي معبرها من خراسان ، بينها وبين جيحون يومان.

---

(١) شيخ الربوه : نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، ص١٧٨.

(٢) الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص٢٩٣.

(٣) بخارا : صيغة تركة للكلمة السنسكريتيه وهار «بهار» ، تعن الصومعة (الدير) ومنها النوبهار=المعبد الجديد ، ولقد ورد لدى لغة الزند لفظ بخارا بمعنى الحكمة والعلم ، يؤيد ذلك خواندمير ، وتعنى في لغة المجوس مجمع العلم ، وأكد ذلك عطا ملك الجوينى : بخارا مشتق من بخارا وبخر ، وهي بلغة المغان جمع مغ ، (هو رجل الدين الزرادشتى) ، مجمع العلوم ، ومن خلال ما تقدم يتضح أن بخارا لم تكن اسم علم لهذا المكان ، لكنها صفة له ، ومن الجائز أن يكون للمجوس في ذلك المكان معبد للعبادة ومجمع لمناقشة الأمور الدينية ، ويؤيد ذلك معنى كلمة بهار ومعناه معبد البوذيين ؛ لمزيد من المعلومات انظر : دائرة المعارف الإسلامية ، ج٦ ، ص٣٤٦-٣٦٤ ؛ عطا ملك الجوينى : جهان گشا ، دار الزهراء للنشر ، القاهرة ، ١٩٩١م ، ص٨٦ ؛ خواندمير : حبيب السير في أخبار أفراد البشر ، تهران ، ١٣٥٣هـ ، المجلد الثاني ، ج١ ، ص١٧ ؛ طه ندا : بخارى ، مجلة كلية الآداب ، الإسكندرية ، ١٩٦٥م ، مجلد١٩ ، ص٣٧.

(٤) ولقد اعتبرها قدامة بن جعفر ، وابن رسته من كور خراسان ،واختلف معهما الإصطخرى فجلعها من كور ما وراء النهر وصار على نهجه كل من المقدسي وياقوت الحموي والقزوينى ، قدامة بن جعفر ، الخراج وصنعه الكتابة ، مطبعة بيريل ، ١٨٨٩م، ص٢٤٣ ؛ ابن رسته : المصدر السابق ، ص١٠٥ ؛ الإصطخرى : المصدر السابق ، ص٣٠٥ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص٢٦١ ؛ ياقوت الحموي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص٣٥٣ ؛ القزوينى : المصدر السابق ، ص٥٠٩.

(٥) كى لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص٥٠٤.

وقد اختلفت بخارا عن سمرقند في كونها حافظت على تخطيطها المعماري القديم على نسق المدن الإيرانية القديمة كما سبق ووضحنا. ولم يكن بمدينه بخارا ولا قهندزها «القلعة» الذي على مقربة منها ماء جار نظراً لارتفاعها(١).

وتميزت بخارا دون سائر مدن ما وراء النهر بالهواء الجاف المتقلب باستمرار ، ومرجع ذلك قربها من المناطق الجبلية ، وشتاؤها بارد طويل حيث تتكاثر الثلوج ، وربيعها ممطر ، وصيفها حار جاف ، أما خريفها فيتميز بالاعتدال ، ويتميز صيفها وخريفها بالقصر ويرجع تقلبها إلى الصحاري التي تحيط بها ، حيث صحاري خوارزم وصحراء فرغانه من الشرق مما أدي إلى هجرة بعض سكانها إلى السهول والوديان لصعوبة المعيشة هناك. وتتركز منطقتها الخصبة إلى الشرق ، حيث يقع معظمها ، لذا فهى المركز الرئيس للزراعة في ضواحي بخارا(٢).

أهم مدنها :

أولاً : أهم مدنها الواقعة داخل سورها

١- بومجكث :

قصبة بخارا ، ولقد شابهت الفسطاط في العفن وسواد الأرض وسعة الأسواق ، وعلى شاكلة دمشق في البنيان وضيق البيوت وكثرة

---

(١) بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولى ، ص١٩٣.

(٢) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص٣١٢ ؛ أبو محمد بن جعفر النرشخى ، تاريخ بخاري ، عربة عن الفارسية وقدم له وحققه وعلق عليه : أمين عبد المجيد بدوى ، ترجمة : نصر الله مبشر الطرازي : دار المعارف ، القاهرة ، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م ، ص٤٦ ، ٩٣ ؛ أبو منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري : يتيمة الدهر ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م» ، ج٤ ، ص١١٨ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص٤٩٥.

الأضرحة[١]. وهي مدينة على مسافة قصيرة من جنوب نهر السغد بناؤها من الخشب.

ويتضح من خلال المصادر أنها مثل مدينتها في عناصرها المعمارية بدليل وجود قلعتين بها : أحداهما داخل المدينة ، وبابين يطلق على الأول باب الغورية «دروازة غوريان» وهو الباب الشرقي «وصار يطلق عليه باب الجامع المؤدي إلى المسجد الجامع ، ثم الباب الغربي «باب الصحراء» دريكستان أو باب السهلة والذي سمي فيما بعد بباب العلافين[٢]. (در علف فروشان).

وتقع القلعة الثانية في الربض خارج المدينة[٣]. ويحيط بها سور سعته فرسخ وبه سبعة أبواب ، وهم : المدينة ، نور ، حضرة ، الحديد ، القهندز ، أسد ، مهر[٤]. بنى سعد.

٢- طواويس

من أكبر المدن بعد قصبة بخارا السابقة ، مثلها مثل بقية مدن ما وراء النهر في التخطيط المعماري فلها قهندز وسور عظيم ومسجد جامع[٥]. ولقد ذكرها النرشخى «طوايسة» واسمها «أرقود» والاسم مأخوذ من حيوان الطاووس الذي تكثر تربيته بها[٦].

---

(١) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص٤٨٣ ؛ المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص٢٨٠ ؛ القلقشندى : المصدر السابق ، ج٣ ، ص٤٣٤.

(٢) ارمنيوس فامبرى : تاريخ بخارى ، ترجمة : أحمد محمود الساداتى ، مراجعة وتقديم : يحيى الخشاب ، ص٣٩.

(٣) الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص٣٠٥-٣٠٦ ؛ النرشخى : المرجع السابق ، ص١١٦ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص١٩٣.

(٤) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص٤٨٣ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص٢٨٠ ؛ القلقشندى : المصدر السابق ، ج٣ ، ص٤٣٤.

(٥) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص٣١٣-٣١٤ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ، ص٤٨٩ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص٤٩٥.

(٦) النرشخى : المرجع السابق ، ص٢٧.

٣- بمجكث :

تقع شمال مدينة الطواويس على بعد أثنى عشر ميلا عامرة متحضرة لها سور ترابي[١].

ثانياً : أهم مدنها الواقعة خارج سور بخارا :

١- بيكند :

تقع على ربوة مرتفعة بها سور حصين ومسجد جامع به محراب بالغ في الزخرفة ، ليس بما وراء النهر محراب أحسن زخرفة منه ، أما عن رباطتها فليس في بلدان ما وراء النهر أكثر عددا منها فعددهم ألف رباط[٢].

٢- كرمينية

ذكرت لدى ابن الفقيه تحت إسم «كرمانية» واعتبرها من مدن بلاد الصغد[٣]. بينها وبين الدبوسية خمسة فراسخ ، أكبر من مدينة الطواويس وأكثرها خلقا وكذلك أخصب أرضا وألطف هواء ، تحتوى على مسجد جامع ومنبر وكثير من القرى[٤].

ومن الطبيعي أن يكون لتلك المدن السابقة الذكر العديد من القرى ومنها أغذون ، وأفرخش ، وأندق ، وبراكد ، وبرسخان ، وبرفشخ ، وخرمثين ، وخزوان ، وزرخش ، وشرغ وغيرها[٥].

---

(١) الإصطخرى : المصدر السابق، ص٣٣٤ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ، ص٤٨٩ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص٤٩٥.

(٢) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص٣١٠ ، ٣١٤ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ، ص٤٨٩ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، ص٤٩٥.

(٣) ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ، بيريل ، ١٣٠٢هـ/١٨٩١م ، ص٣٢٧ ؛ كى لسترنج : المرجع السابق ، ص٤٧٦.

(٤) ابن خردانبة : المصدر السابق ، ص٢٦ ؛ الإصطخرى : المصدر السابق ، ص٤٩٩ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص٤٩٦.

(٥) قحطان عبد الستار الحديثي : أرباع خراسان ، ص٤٧٧ : ٤٧٩ ، ٤٨٣-٤٨٧.

- **سمرقند وأهم مدنها**

تقع جنوب وادي السغد وهي أكثر منه ارتفاعا فتبعد عن فرغانه ثلاثة وخمسين فرسخا تقريبا وعن أشروسنة ستة وعشرون فرسخا ، فهي ملتقي الطرق التجارية القادمة من الهند مارة ببلخ ، ومن إيـــران مـــارة بمرو من ارض الترك ، إلى جانب خصوبة أرضها لوقوعها فـــي وادي الصغد وهذا يعتبر المركز السياسي لإقليم الصغد(١). ولقد وصفها اليعقوبي بأنها «مدينة الصغد العظمى ، وهى من أجل البلدان ، وأعظمها قـــدراً ، وهي في نحر الترك»(٢).

أما الإدريسي فقال أنها مدينة لها شوارع ومبان وقصور ســـامية وفنادق وحمامات وخانات كثيرة(٣).

صارت في تخطيطها المعماري على نسق سابقتها بخارا وهي : الشهر ستان «المدينة» ، حيث بلغت مساحتها نحو ألفي جريب(٤). القهندز ، دار الإمارة التي ظلت مقرا للأمراء حتى عهد إسماعيل السامانى ونقلت بعد ذلك إلى بخارا(٥). ثم المسجد الجامع أسفل القهندز بينه وبينها عرض

---

(١) ابن خرداذبة : المصدر السابق ، ص٢٩-٣٠ ؛ قدامه بن جعفر : الخراج وصنعه الكتابة ، ص٤٩٢ ؛ الإصطخرى : المصدر السابق ، ص٣١٦ ؛ ابن حوقـــل : المصدر السابق ، ص٤٩٢ ؛ بارتولد : المرجع السابق، ص١٧٠ ؛ محمد على حيدر : المرجع السابق ، ص١٨٣.

(٢) اليعقوبي : البلدان ، ص٢٩٣.

(٣) الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص٤٩٧.

(٤) الجريب : قيمته ثلاثة آلاف وستمائة ذراع مكســـورة ؛ المـــاوردي : الأحكـــام السلطانية والولايات الدينية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ، ص١٩٤.

(٥) الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص٤٩٨ ؛ كى لسترنج : المرجـــع السابق ، ص٢٠٧ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص١٧١ ؛ ياقوت الحمـــوي : المصدر السابق ، المجلد الثالث ، ص٢٤٧-٢٤٨ ؛ محمد على حيدر : المرجع السابق ، ص١٨٣.

الشارع بناؤها من الطين والخشب يحيط بها خندق بنى على منطقة عالية من الأرض ويجلب إليها الماء من الجنوب على باب كش ، وهو نهر بنى له قنطرة عالية على الأرض في بعض المواضع تطوعا[1]. ثم الربض الذي تبلغ مساحته حوالي ستة آلاف جريب ، تتركز فيه أسواقها وبه السور الخاص بالربض إلى جانب سور المدينة الأصلية نفسها ، ومشربهم في الربض هو رأس الطاق ، وهو نهر جاهلي وسط السوق ، وهو أعمر موضع بسمرقند[2].

مدن سمرقند ورساتيقها :

ولقد قسمها الإصطخرى إلى قسمين : الأول ، يقع جنوب وادي السغد ، ويشتمل على (ورغسر ، ومايمرغ ، وسنجر فغن ، والدرغم ، وبنجيكث ، وجبال الساودار ، وأبغي) ، والأخر شمال وادي السغد ، ويشتمل على : (ياركث ، ويوزغد ، وبزماجن ، وكبوذنجكث ، وذار ، والمرزبان)[3].

---

(١) ابن الفقيه : المصدر السابق ، ص٣٢٦ ؛ الإصطخرى : المصدر السابق ، ص٣١٧ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص٢٧٨ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص٤٩٧-٤٩٨ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص١٧٢ ؛ ياقوت الحموي : المصدر السابق ، المجلد الثالث ، ص٢٤٨.

(٢) ابن للفقيهة : المصدر السابق ، ص٣٢٦ ؛ الإصطخرى : المصدر السابق ، ص٣١٦-٣١٨ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ، ص٣٢٦ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص٢٧٨-٢٧٩.

(٣) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص٣٢٠-٣٢٣ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص٢٦٦ ؛ حيث ذكر الرساتيق نفسها التي ذكرها الإصطخرى مع اختلاف بسيط في الرساتيق الجنوبية فبدلا من أبغر ذكرت «أوفر» ولم يشر إلى جبال الساودار.

- **الكشانية**[1]:

بلدة بنواحي سمرقند شمال وادي السغد ، بينها وبين سمرقند اثنا عشر فرسخا وهي قلب مدن الصغد[2]. وأكبرها عمرانا بعد سمرقند[3].

هي ومدينتها إشتيخن متقاربتان في الكبر ، ولكن قصبتها أكبر وأعمر وقراها أكثر ، أما أهلها فهم أيسر وأجمل وأظهر من جميع مدن الصغد[4].

- **إشتيخن**[5] :

مدينة جليلة ذات حصون ورساتيق ، امتازت بالبساتين والقرى والضياع[6].

وتمثل إشتيخن والكشانية وحدة إدارية تامة بذاتها إلى الشمال الغربي من سمرقند فتبعد عن سمرقند سبعة فراسخ ومن الكشانية إلى اشتيخن مرحلة يحدها من الشمال جبال ساغرج[7].

---

(١) اعتبرها بن خرداذبة وبن الفقيهه ضمن سمرقند حيث قالا : «مسرقند قهندز ولها من المدن الدبوسية ، وارنبجن ، وكشانيه ، وإشتيخن ، وكش ، ونسف ، وخنجده» ؛ المصدر السابق ، ص٢٦ ؛ ابن الفقيه : المصدر السابق ، ص٣٢٥ ، ٣٢٧ ؛ أما الإصطخرى والمقدسي فقد جعلاها من مدن الصغد جنوب الوادي الإصطخرى : المصدر السابق ، ص٣١٦ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ، ص٥٠٠-٥٠١ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص٢٦٦ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص٤٩٩.

(٢) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص٢١٦ ، ٣٢٣ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ، ص٥٠١ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص١٨٨.

(٣) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، المجلد الأول ، ص٤٦١.

(٤) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص٥٠٠ ؛ ياقوت الحموي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص٤٦١.

(٥) اليعقوبي : المصدر السابق ، ص٢٩٤ ؛ وذكرها تحت اسم «اشتاخنج».

(٦) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص٣٢٣ ؛ الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، المجلد الأول ، ص٤٩٩.

(٧) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص٣٢٣ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص١٨٧.

- **أشروسنة**

بلدة كبيرة تقع في ما وراء النهر وهي من بلاد الهياطلة بين سيحون وسمرقند ، بينها وبين سمرقند ستة وعشرون فرسخا[1]. يحدها من الشرق : بعض فرغانه وفامر ، ومن الغرب : حدود خراسان ، ومن الشمال : الشاش ، ومن الجنوب : بعض حدود كش والصغانيان وشومان وواشجرد والراشت[2]. وأرض إقليم اشروسنة عبارة عن سهول وجبال لا يتخللها انهار كبيرة[3]. وإن كان للإصطخرى رأي آخر مخالف حيث قال قال : أن هناك نهراً كبيراً يجري في المدينة الداخلة[4].

بونجكث :

قصبة أشروسنة ومدينتها الكبرى ، تلك التي يسكنها الولاة[5]. وهي تسير مثل مثيلتها من مدن ما وراء النهر على التخطيط المعماري الإيراني حيث «الشهرستان» المدينة داخلها مدينة أخرى ، بناؤها من الطين وسقوفها من الخشب[6]. وبها كذلك القهندز والمسجد الجامع الذي تقام فيه حلقات العلم وربضها الواسع الذي يحيط به السور الكبير الذي يبلغ قطره نحو فرسخ ، وبه أربعة أبواب ، وهم باب زامين ، وباب مرسمندة ، وباب نوجكث ، وباب كلهباد[7].

---

(١) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص٣٢٥ ؛ المقدسي : المرجع السابق ، ص٢٦١.

(٢) الإصطخرى : نفسه ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ، ص٥٠٤ ؛ أحمد عطية الله : المرجع السابق ، ص١١٦.

(٣) كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص٥١٧ ؛ محمد على حيدر : الدويلات الإسلامية في المشرق ، ص١٨٦.

(٤) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص٣٢٦ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ، ص٥٠٥.

(٥) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص٣٢٥ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص٥٠٤.

(٦) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص٣٢٥ ؛ الإدريسي المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص٥٠٤.

(٧) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص٣٢٦-٣٢٧ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ، ص٥٠٤ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص٢٧٧ ؛ الإدريسي : المصدر =

وأهم مدنها

ارسبانيكث[1]. ديزك[2]. زامين[3]. ساباط[4].

▪ **كش ، ونسف**

كش[5].

من مدن ما وراء النهر ، تبلغ مساحتها مقدار ثلث فرسخ أي «ميل ونصف ميل» بناؤها من الطين والخشب[6].

ويتضمن تخطيطها المعماري مدينة داخلة ذات أبواب خشب مصفحة بالحديد ، وكذلك القهندز ، والحبس والمسجد الجامع ، أما دار الإمارة فهي خارج المدينة في مكان يسمي المصلى ولها ربضان تتركز فيهما معظم الأسواق وهي مدينة خصبة تنضج بها الفواكه أسرع من أي مكان آخر بمدن ما وراء النهر ، وبها مياه جارية وبساتين ومع ذلك فهي وبئة.

وبجانب المدينة الداخلة هناك كذلك المدينة الخارجة ولها بابان (باب المدينة الداخلة ، وباب يركنان ، وهو منسوب إلى قرية)[7].

= السابق ، ص٥٠٤ ؛ الحميري : المصدر السابق ، ص٦٠ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص٢٨٠.

(١) المقدسي : المصدر السابق ، ص٢٦٥ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، ص٥٠٤.

(٢) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص٣٢٧ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ، ص٥٠٤.

(٣) ابن خرداذبة : المصدر السابق ، ص٢٧ ؛ الإصطخرى : المصدر السابق ، ص٣٢٧ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص٢٨٠.

(٤) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص٤١٥ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص٢٧٧.

(٥) أحيانا تكتب «كس» وهي شهر سنبر الحالية ، وينطقها الأهالي شرسنبر ؛ ابن خرداذبه : المصدر السابق ، ص٢٦ ؛ قدامه بن جعفر : المصدر السابق ، ص٢٤٣ ؛ اليعقوبي : المصدر السابق ، ص٢٩٠ ؛ ابن الفقيه : المصدر السابق ، ص٣٢٥ ؛ الإصطخرى : المصدر السابق ، ص٣٢٣ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص٢٣٨.

(٦) الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص٣٢٤ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ، ص٥٠١ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص٢٨٢ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، ص٥٠٠ ، بارتولد : المرجع السابق ، ص٢٣٨.

(٧) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص٣٢٤-٣٢٥ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ، ص٥٠٥ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص٢٨٢ ؛ الإدريسي : المصدر السابق المجلد الأول ، ص٥٠٠ ، بارتولد : المرجع السابق ، ص٢٣٨.

ومن رساتيقها : رستاق كش ، وبوزماجن ، وخزار ، خزاروود ، ومنكورة الداخلة ، ومنكورة الخارجة ، وما يمرغ ، وسيام أو سنام ، وخزوذة ، وكشك وأرغان[1].

نسف[2]. «نخشب»

من مدن ما وراء النهر تقع ما بين نهر جيحون وسمرقند بينها وبين جيحون مفازة لا جبل بها وبينها وبين سمرقند ثلاث مراحل.

وبها ربض وقهندز وسور له أربعة أبواب وفي وسطها تقع دار الإمارة والحبس والمسجد الجامع وهو يقع على شاطئ النهر الذي يشق ويجرى وسط المدينة في مكان يعرف «رأس القنطرة»[3].

رساتيق مدينة نسف :

ومنها يزدة : على بعد ستة فراسخ من نسف[4]. وكسية (حيث المسافة بينها وبين نسف حوالي أثنى عشر ميلا)[5]. وبها العديد من المدن المدن ، وعلى الرغم من عدم كفاية الماء بها طوال العام وذلك لانقطاع مياه نهر كشكادريا إلى جانب عدم وجود ماء جار بها ، لذا فقد اعتمدت على مياه الآبار ، وإن كانت تعتمد في معظم الأحيان على الرطوبة

---

(١) هو الاسم الذي اطلقة العرب ، والاسم المحلى نخشب ؛ اليعقوبي : المصدر السابق ، ص٢٩٠ ؛ ابن الفقيه : المصدر السابق ، ص٣٢٧ ؛ وهي حاليا «قرش» ولم تتخذه المدينة اسما لها إلا في القرن «٩هـ/١٤م» عندما بنى الخان كيك من آل جغتاى قصراً على مسافة فرسخين ونصف من المدينة وهي تعني بلغة المغول قصر ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص٢٤٠.

(٢) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص٥٠٢ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص٢٤٠ ؛ ياقوت الحموي : المصدر السابق ، المجلد الرابع ، ص٧٨١.

(٣) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص٣٢٥ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ، ص٥٠٢ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص٢٤٠.

(٤) الإصطخرى : نفسه ؛ ابن حوقل : نفسه ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص٢٨٣ ص٢٨٣ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص٥٠٠ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص٢٤٠.

(٥) الإصطخرى : نفسه ؛ ابن حوقل : نفسه ؛ الإدريسي : نفسه.

الجوية ، وبالرغم من تنوع موارد المياه بها إلا أنهـا تمتعـت بالسـعة والخصب في جميع نواحيها[١].

- **كورة الختل والوخش**

وهي أول كورة على جيحون فيما وراء النهر ، وهمـا الاثنتـان مجموعتان في واحد ، يقعان في الربض بين نهري جريان ووخشاب[٢].

الختل «ختلان ، وخطلان»[٣]:

وهي البقاع الجبلية العظيمة في تلك المنطقة التي يؤلفهـا نهـر وخشاب مع جيحون[٤] ، مدينتها العظمى هي «واشجرد» ، والتي تحتوى على ما يقارب من سبعمائة حصن ، ويقع جامعها في وسط المدينة ، وبها مستقر السلطان ، بناؤها من الطين[٥]. مشربهم من نهر عـذيبي وهـي أصغر من الصغانيان المجاورة لها[٦]. وأشهر مدنها أندريجاراغ (ومـن المحتمل أن تكون في موضع قلعة ومرالحالية)[٧]. ومنك : التي تقع شمال شمال هلبك وشرق تمليات[٨]. وهي مدينة خصبة ومرجع خصـبها إلـى أحاطتها بالأنهار وفروعها من جيحون[٩].

---

(١) الإصطخرى : نفسه ؛ ابن حوقل : نفسه ؛ الإدريسي : نفسه ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص٢٨٠.

(٢) الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص٣٢٥ ؛ ابن حوقل : المصدر السـابق ، ص٤٦٧ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص٤٨٧.

(٣) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص٣٦.

(٤) كى لسترنج : المرجع السابق ، ص٤٨١.

(٥) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص٢٧٩.

(٦) المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص٢٩٠-٢٩١.

(٧) كى لسترنج : المرجع السابق ، ص٤٨٢.

(٨) الادريسي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص٤٨٨.

(٩) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص٢٩٧.

الوخش :

كورة انضمت إلى الختل في عمل واحد[1]. ومن مدنها هـلاورد الواقعة على نهر وخشاب.

- **الصغانيات[2].**

تقع غرب نهر وخش (وخشاب) ، ومن الجنوب نهر جيحـون[3]. وتتصل تلك الناحية بأرض الترمذ حيث تتوع السطح ما بـين السـهول والجبال.

وهي أكبر من مدينة الترمذ ، حيث تسير على نفس نمط المـدن الإيرانية القديمة في تخطيطها المعماري ، وتشمل المدينة ، والـربض ، والقهندز ، إلى جانب المسجد الجامع ورساتيقها[4].

ولقد تميزت مساكنها وشوارعها بالسعة ، لذا فهي شديدة العمارة ، كثيرة الخيرات ، ويعتمد أهلها في مشربهم على انهار تمتد علـى النهـر الرئيسي ، وهو نهر جيحون وبها ما يقارب من ست عشر ألف قريـة[5]. ووصفها اليعقوبي بأنها «بلد جليل واسع فيه كور وعدة مدن ومن كورها: جردان ، ومهاران ، وكاسك»[6].

---

(١) الإصطخرى : نفسه ؛ ابن حوقل : المصدر السـابق ، ص٤٧٦ ؛ الإدريسـي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص٤٨٧ ؛ كى لسترنج : المرجـع السـابق ، ص٤٨٢.

(٢) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، المجلد الثاني ، ص٨٨ ؛ والصغانيان هي مدينة سرآسيا الحديثة ، ومن المحتمل وجودها في أعالى نهر الصغانيان أو نهر زامل ؛ كى لسترنج : المرجع السابق ، ص٤٨٣.

(٣) اليعقوبي : البلدان ، ص٢٩٢.

(٤) الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص٤٨٩.

(٥) المقدسي : المصدر السابق ، ص٢٦٨ ، ٢٨٣ ، ٣٨٤ ؛ ذكر أنها مدينة «طيبـة من نحو جيحون ، عامة أهلها صوافون يعلمون الأكسية ، مشربهم من نهـر ، والجامع وسط الأسواق ولهم نهر آخر طرف البلد».

(٦) اليعقوبي : البلدان ، ص٢٩٢.

مدن الصغانيان :

ومنها : دارزنج : وهي ناحية الجبال ، رحبة ، وكثيرة البساتين ودستكرة : وتقع بين نهرين من شعب جيحون ، وهي كذلك نحو الجبال كثيرة البساتين(١). والواشجرد : والتي اعتبرها الإصطخرى من النواحي التابعة للصغانيان ، حيث قال : أنها مدينة نحو الترمذ(٢). في حين ذكرها اليعقوبي سابقا – من مدن الختل(٣).

- **القواذيان(٤):**

هى تمثل القسم الشرقي من ناحية الصغانيان ، على أول نهر يلتقي بجيحون غرب وخشاب فوق الترمذ ، أي بينها وبين الختل(٥).

المياه الجارية :

نقصد بها نهرى جيحون وسيحون ، وما يتبعهما من روافد ونهيرات متفرعة منهما ، وإن كنا سوف نركز على تلك الروافد النابعة من نهر جيحون وتفيد بلاد خوارزم.

وترجع أهمية تلك الأنهار في هذه المنطقة إلى ندرة الأمطار بها ، وخاصة أنه لا توجد سوى مدينة واحدة قد اعتمدت في زراعتها على الأمطار ، والباقي اعتمدوا على الأنهار والرى الصناعى والعيون والآبار النابعة من جبال المنطقة القليلة.

---

(١) ناصر خسرو علوى : سفر نامة ؛ ترجمة : يحيى الخشاب : تصدير عبد الوهاب عزام ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٣م ، ص١٥٨.

(٢) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص٢٩٧-٢٩٨.

(٣) اليعقوبي : المصدر السابق ، ص٢٩٢.

(٤) ذكرت في المصادر الجغرافية بأسماء متعددة ، منها : قبانيان ، القوانيان ، والقواديان ؛ اليعقوبي : المصدر السابق ، ص٢٩١ ؛ الإصطخرى : المصدر السابق ، ص٢٩٥ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص٢٩٠ ؛ كى لسترنج : المرجع السابق ، ص٤٨٢.

(٥) كى لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص٤٨٢.

١- **نهر جيحون آموديا** «Amou – Daria»[(١)]:

يعد نهر جيحون الحد الفاصل بين تلك الأقوام الناطقة بالفارسية والأخرى الناطقة بالتركية أي الإيرانيين والتورانيين ، وهذا لا يعنى كونه حداً جغرافيا ولا إدارياً ففي شماله أقاليم أطلق عليها العرب اسم الهياطلة الذين كانوا في المائة الخامسة للميلاد أعداء الدولة الساسانية ، وإن كان العرب لم يتقيدوا في استعمال اسم الهيطل «الهياطلة» وإنما أطلقوا اسم التورانيين على كل شعوب ما وراء النهر[(٢)].

ولقد تعددت الآراء حول منبع نهر جيحون ، وإن كان هذا التعدد والاختلاف مجرد اختلاف لفظي ، أما المضمون فهو واحد حيث ينبعث من بحيرة التبت الصغرى (مقدار عرضها وطولها أربعون ميلاً) تجتمع

---

(١) جيحون : وهو بالفارسية (به روذ) ، ولقد اطلق العرب في العصور الوسطي على نهري : أوكسس «Oxus» ، وجكزرتس «Jaxartes» ، اسمى جيحون وسيحون ، وهما كدجلة والفرات يعدان حسب ما يروي من أنهار الجنة ، وينتاب الغموض أصول هذه الأسماء فيبدو أن العرب قد اقتبسوها من اليهود ، فهما لم يكونا سوي صورتين لاسمي النهرين المذكورين في سفر التكوين (٢ ، ١١ ، ١٣) جيحون (كيحون Aihon) ، فيثون (بيسون Pison) وفي أواخر العصور الوسطي كاد يبطل استعمال هذين الاسمين ، وظهر نهر أوكسس آموديا (آموية) ، أما (جكزرتس) فعرف «سيردريا» ولفظ آمو (آموية غير معروف) ، ومن المحتمل تفسيره إلى المدينة من المدن التي تقع على ضفة النهر ، وهي آمل (مدينة غربي جيحون ومدخلة إلى ما وراء النهر) ، ومن أسمائه كذلك نهر بلخ ، وهي مدينة تقع على بعد بضعة أميال من ضفته الجنوبية والمدخل لما وراء النهر ، أما اسم أكسس فقد أطلقة اليونان عليه ؛ ابن خردانبة : المصدر السابق ، ص١٧٣ ؛ القلقشندى : صبح الأعشي ، ج٤ ، ص٤٤٤ ؛ شيخ الربوة : المصدر السابق ، ص٩٤ ؛ شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، المؤسسة المصرية العامة ، د.ت ، المجلد الأول ، ص٢٧٠ ؛ كي لسترنج : المرجع السابق ، ص٤٧٧-٤٧٨.

(٢) ابن الفقية : مختصر كتاب البلدان ، ص٣١٤ ؛ كى لسترنج المرجع السابق ، ص٤٧٦.

من أنهار الوخش والختل ، ويمر من خلالها ببذخشان حيث عموده الأول وهو نهر جرياب[1].

ويجرى من الشرق إلى الغرب إلى أعلى حدود بلـخ ، وبعـدها ينعطف إلى ناحية الشمال فيصير إلى الترمذ مارا بزم متجها إلى «آمل» من بلاد خراسان حتى يصل إلى بلاد خوارزم فيشق قصبتها ثم يتجاوزها ويتشعب منه أنهار وخلجان ذات اليمين واليسار ، ثم يخرج منهـا ميـاه تصير عموداً واحداً يجرى مقدار عشرين فرسخاً حتى يصب فـي بحـر آرال (بحيرة خوارزم) ، ومقدار جريه من مبدئه حتى منتهاه مائة وثلاثة وستون فرسخا[2]. ويطلق على ساحلة بالفارسية «الروذبار»[3].

أما الرافد الثاني لنهر جيحون (نهر وخشاب) وهو المعروف الآن بنهر سرخان (النهر الأحمر)[4]. منبعه من بلاد الترك الخركانية ، فيسير إلى بلاد فامر والراشت ، ويمر بين جبلين فيما بين واشجرد ورستاق من

---

(١) ابن خرداذبة : المسالك والممالك، ص١٧٢ ؛ ابن رسـته : الاعـلاق النفسـية ، ص٩١ ؛ المسعودى : التنبيه والإشراف ، ص٥٦ ؛ شـيخ الربـوة : المصـدر السابق ، ص٩٤ ؛ كى لسترنج : المرجع السابق ، ص٤٧٨.

(٢) ابن خرداذبة : المصدر السابق ، ص١٧٣ ، ذاكراً أن «مجـرى النهـر حتـى خوارزم ثم قال حتى يصب إلى بحيرة كردن» ؛ اليعقوبي : المصدر السـابق ، ص٢٨٩ ، «حيث جعل مخرج هذا النهر من جبـل الباميـان» ؛ المسـعودي : المصدر السابق ، ص٥٩ ؛ الإدريسي : المصـدر السـابق ، المجلـد الأول ، ص٤٨١ ؛ شيخ الربوة المصدر السابق ، ص٩٤ ؛ الحميري : المصدر السابق ، ص١٨٥ ، أحمد بن على بن عمر بن صالح بن أحمد بن سليمان ابـن إدريـس إسماعيل بن يوسف بن إبراهيم الطرابلسي الأصل المنينى المولد : الفتح الوهبي فـي شـرح تـاريخ أبـي نصـر العتبـي ، «دم ، د.ت» ، ج١ ، ص١٩٣ ، ١٧١-١٧٢.

(٣) الروذبار : معناه بالفارسية (موضع النهر) ولقد نقل الحموي عن السمعانى أنهـا لفظة لمواضع عند الأنهار الكبيرة في بلاد متفرقة ، فقال روذبار بلخ ، ثم قـال وبالشاش أيضاً قرية لها روذبار من وراء نهر جيحون ؛ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، المجلد الثالث ، ص٧٧ ؛ النويري : المصدر السابق ، المجلـد الأول ، ص٢٧١ ، حاشية١.

(٤) كى لسترنج : المرجع السابق، ص٤٧٩.

أرض الختل يسمي تمليات ، ويستمر في جريانه حتى آخر أرض الختل ، ويصبح بعدها في جيحون عند موضع يعرف بجبلة فوق الترمذ[1].

وبعد انعطاف جيحون حول بذخشان واتجاهه إلى الغرب يستقبل في ضفتيه اليمنى نهرى الطايقان وقندز من طخارستان وأطلق عليها ابن رسته نهرى ختلاب ووتداب (نهر ضرغام) وبعد تكملة مسيرة في الصغانيان تصب فيه عدة أنهار من جبال البتم وسنام ونهام وخاور تسمي (كروذ ونهام روذ وخاور روذ)[2]. وهي أنهار من الصغانيان والقواذيان[3].

ويطلق عليها ابن رسته نهر زامل في ضفتيه الشمالية على آخر حدود الصغانيان ، ويصب في جيحون فوق الترمذ ويطلق على نهر وخشاب حيث تلك الجبال بين زامل ووخشاب القواديان ، ويستكمل مسيرته أعلى حدود بلخ[4] حتى خوارزم ، وما أن يسير جيحون في مجراه الأعلى نجد عمارة ذلك النهر في جنوبه أكثر من شماله حتى ينتهى إلى قرية غارابخشة (جنوب الطاهرية أول مدن خوارزم بعد ستة فراسخ

---

(١) ابن رسته : صورة الأرض ، ص٩٢-٩٣ ؛ الإصطخرى : المصدر السابق ، ص٢٧٩ ؛ ابن حوقل : صورة الأرض ، ص٤٥٩ ، ٤٧٥ ؛ المسعودي : المصدر السابق ، ص٥٦ ؛ الإدريسي : نزهة المشتاق ، المجلد الأول ، ص٤٨٢ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص١٥٣.

(٢) ابن رستة : المصدر السابق ، ص٩٣ ؛ كى لسترنج : المرجع السابق ، ص٤٧٩ ؛ بارتولد : المصدر السابق ، ص١٥٥ ، حيث يعلق على كلام ابن رسته قائلا : يذكر ابن رسته أسماء كمروذ ، نهام روذ ، خارو روذ ، بأنها روافد كافرنهان وأنها تنبع من جبال سنام ونهام (داري نهام من جبال حصسن روخاور من مرتفعات البتم ، والواقع أن هذه الأنهار الثلاثة المعروفة الآن باسم قراطاغ – دريار طوبلنك – وسنكردك دريا ليست سوي المجرى الأعلى لنهر سرخاب).

(٣) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص٢٩٤ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ، ص٤٧٥ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص٤٨٢ ؛ كى لسترنج المرجع السابق ، ص٤٧٩.

(٤) ابن رسته : الاعلاق النفيسة ، ص٩٣.

من نهر كاوخواره) ، وقبل بلوغه هذا النهر بحوالي ثلاثة فراسخ يقطع جيحون جبل في وسطه قطعا فيضيق النهر حتى يصبح عرضه الثلث ويطلق على ذلك الموضع «أبو قشة» وهو موضع يخاف على السفن منه نظراً لشدة جريانه وخطورته عند مخرجه(١).

الأنهار التابعة لبلاد خوارزم :

أما عن الأنهار المتفرعة من المجرى الرئيسي لنهر جيحون والتي تستفيد منها مدن خوارزم ، فمنها :

١- انهار الجانب الشرقي من جيجون :

أ - نهر كاوخواره «آكل البقر» :

وهو أول الأنهار العظيمة فيها يستمد مياهه من ضفة جيحون اليمنى في موضع بإزاء درغان عرضه خمسة اذرع (أي خمسة عشر شبرا ، حيث الذراع الواحد ثلاثة أشبار) وعمقه نحو قامتين ، صالح للملاحة ، يجرى شمالا فيسقي كثيراً من المزارع ، وبينه وبين المجرى الرئيسي للنهر بقع رستاق كاث ، والذي تبعد عنه تلك المدينة نحو اثنا عشر فرسخا(٢).

ب - نهر كرية :

وهو مما يلي مخرج نهر كاوخواره بحوالي خمسة فراسخ ، فيكون بداية هذا النهر ، حيث يعمر بعض الرساتيق ، ومن الملاحظ على مدن الجانب الشرقي من جيحون قلتها ، فبين الواحدة والأخرى نحو مسافة يوم في الرساتيق جنوب كاث(٣).

---

(١) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص٣٠١ ؛ ابن حوقل : صورة الأرض ، ص٤٧٨ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الثاني ، ص٦٩٧ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص٣٠٤.

(٢) بارتولد : المرجع السابق ، ص٢٥٠.

(٣) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص٤٧٩ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص٢٥٣ ؛ كى لسترنج : المرجع السابق ، ص٤٩٥-٤٩٦.

٢- أنهار الجانب الغربي لنهر جيحون في بلاد خوارزم :

حيث تبدأ الكثافة بعد مدينة هزاراسب وإن كانت الطاهرية – كما سبق وذكرنا – هي أول مدن بلاد خوارزم على شط نهر جيحـــون إلـــى هزاراسب ، وتلك المسافة أشبه ما تكون معدومة ، والسبب وراء ذلك هي المفاوز والصحراء ، وكذلك ضيق مجرى النهر ، والذي ما يلبث أن يعود مرة ثانية لمجراه حتى يتسع عند مدينة هزاراسب نحو مرحلة إلى مقابـــل مدينة ، ويضيق مرة ثانية حتى يصير بالجرجانية نحو فرســـخين حتـــى ينتهى إلى قرية كيت (جيت) التي تقع على بعد خمسة فراسخ من گرگانج ولا توجد بعدها عمارة بل جبل ومفاوز(١).

أ – نهر هزاراسب :

وعلى ضفته مدينة هزاراسب ، ويطلق على هذا النهر لفظ قنوات حيث أصلة من نهر جيحون ، والسبب وراء ذلك هو تفادى فيضان هـــذا النهر وتغير مجراه من آن لآخر ، ويترتب على ذلك خراب معظم مـــدن ضفافه مثلما حدث لمدينة كاث ، ومن قبلها المنصورة وقلعتهـــا «فيـــل» ومياهه من نهر جيحون نحو آمل ، وهو نصف كاوخواره ، ويحمل السفن نحو فرسخين ويعنى ذلك صلاحيته للتنقل فيه بالمراكب والجمال ، وذلك عند تجمده في فصل الشتاء ويسقي هذا النهر رساتيق مدينة هزاراسب.

ب – نهر كردران خواش :

يقع على بعد فرسخين شمال هزاراسب وأصل مياهه مـــن نهـــر جيحون ويمر على مدينة تحمل اسمه ، وإن كان كما سبق وذكرنا من قبل أن الأنهار هي التي تحمل أسماء المدن والعكس وذلك نظرا لقدمها.

وموقع تلك المدينة «وهي خواش» فـــي نصـــف الطريـــق بـــين هزاراسب وخيوه ، حولها خندق ولها أبواب من الخشب وهو أكبر مـــن نهر هزاراسب.

---

(١) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص٤٧٩ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص٢٥٣.

جـ – نهر خيوه :

يقع شمال سابقة وهو أكبر منه ، تجرى فيه تلك السفن الآتية من تلك المدينة التي تحمل الاسم نفسه.

د – نهر مدرا :

أو (ندرى) كما ذكر الإدريسي ، ومن قبل بن حوقل وهو ينسب إلى المدينة ، وهي مدينة حسنة عامرة ذات سوق وسور ، ونهرها ضعف نهر كاوخواره ، وتجرى فيه السفن إليها ، ويكفي المدينة من مياهه وما يجاورها ، والمسافة بينه وبين النهر السابق عليه نحو ميل.

هـ – نهر جردور :

من الطبيعي أن يكون موضع هذا النهر مع انهار الضفة الشرقية لنهر جيحون ، حيث توجد عليه مدينة كاث العاصمة الأولى لإقليم خوارزم ولكن لأن أغلبية مياهه من ضفة نهر جيحون الغربية ، واليسير من جنوب المدينة من ضفتها الشرقية لذا صنف ضمن انهار الجانب الغربى لنهر جيحون.

و – نهر وذاك الكبير «وداك أو ودان» :

يحمل السفن إلى مدينة الجرجانية القصبة الثانية لإقليم خوارزم ومخرجة على نحو ميل من نهر مدرا ، ونجد المسافة بين وداك وخوارزم حوالى فرسخين.

ز – نهر بوه «بوية» :

ومخرج هذا النهر من جبل في بداية المفازة ، يقع أسفل على مقربة من درغاس حيث يجتمع كل من ماء نهري بوه ووداك في الشمال الغربي على حد قرية تعرف بأندرستان وهي على نحو مرحلة يوم من جنوب الجرجانية ، وحيث تجرى فيه السفن إلى الجرجانية ، وهو اصغر من سالفة. وبالقرب من الجرجانية يوجد سكر يمنع ويعوق سير السفن ، ومن مجمع مياه هؤلاء إلى الجرجانية حوالى مرحلة ، وبين نهر

كاوخواره والمدينة حوالي أثنى عشر فرسخاً وعرض نهر خوارزم على أربعة فراسخ من أربعة مواضع ، فيصير نهراً واحداً مثل بوه ووداك إذا اجتمعا ، هذا ويقال أن جيحون كان مجراه في هذا الموضع حيث إذا مـا قل ماء نهر جيحون يقل الماء في هذا النهر[1]. وإذا ما انحدر هذا النهـر من مدينة الجرجانية إنشعبت منه أنهار وفيـوض ذات اليمـين واليسـار فصارت منها بطائح وآجام ومروج أسفل مدينة خـوارزم نحـو أربعـه فراسخ ، ثم يمر مستقبلا من خوارزم فيما بين الجرجانية والمزداخكان ، فالأولى فى غربية والثانية في شرقية ، حيث الأولى أسفل من المزداخكان بحوالى أربعة وعشرين فرسخاً.

وفي المزداخكان حيث شاطئها الشرقي توجد قرية «هرواز» ثـم قرى أخرى مجاورة لها ، وما أن ينحدر من هذا الموضع حتى تتشـعب منه شعبة ذات اليسار ويمضي إلى موضـع يسـمي «ورغـده» أسـفل الجرجانية بأربعة فراسخ تقريبا ، ثم إلى قرية «دار بيض» فتسير منه إلى أسفل القرية بطائح كثيرة تسمي خلجان وهو موضع لاصطياد الأسـماك المجلوبة من خوارزم إلى بقية النواحي ، ثم تتجه إلى بحيـرة خـوارزم (بحر آرال)[2].

---

(١) الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص٣٠١-٣٠٣ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ص٤٨٠ ، ٤٨٩ ؛ الإدريسـي : المصـدر السـابق ، المجلـد الثـاني ، ص٦٩٧-٦٩٨ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص٢٥٣ ، ٣٠٤ ؛ كى لسترنج : المرجع السابق ، ص٤٩٦.

(٢) ابن رستة : المصدر السابق ، ص٩١-٩٢ ؛ الإصطخرى : المصدر السـابق ، ص٣٠٤ ؛ ابن حوقل المصـدر السـابق ، ص٤٨١ ؛ المسـعودى : التنبيـه والإشراف ، ص٥٧-٥٨ ؛ مطهر بن طاهر المقدسي : البدء والتاريخ ، اعتنى بنشره وترجمته من العربية إلى الفرانسوية : كلمان هوار : طهران ، ١٩٦٢م ، ج٤ ، ص٥٩ ؛ شيخ الربوة : نخبة الدهر في عجائب البر والبحـر ؛ ص٩٤ ؛ الحميري : الروض المعطار في خير الأقطار ، ص١٨٥.

ويتضح مما سبق أن طول مجرى نهر جيحون من مبدئه إلى مصبة في بحيرة خوارزم نحو أربعمائة فرسخ وقيل أكثر وفي مواضع أخرى قيل أقل[1].

صلاحيات نهر جيحون :

كان البلدانيون الأولون يعدون تجمد نهر جيحون في الشتاء من العجائب ، حيث يتم ذلك في الجزء الأعلى منه (أي عند منطقة خوارزم) ويرجع ذلك إلى قسوة الطقس وشدة البرودة التي تتصف بها المنطقة ، وخاصة كلما اقتربنا من الشمال ،وتتقارب مدة تجمده من شهرين إلى خمسه أشهر ، ويبلغ سمكه ما يقارب من خمسة أشبار ، لدرجة أن أهل خوارزم كانوا يحفرون بالمعاول آباراً في النهر ويسقون منه كما يسقون من البئر ، وكانوا يخزنون المزيد منه في الجرارات لحين الحاجة إلى ذلك ، كذلك يستغلونه في تنقلاتهم وذلك كما ذكر ابن فضلان ، ومن بعده ابن بطوطه ، فكانوا يجعلون الخيول والبغال والحمير تجتاز عليه وكأنه طريق ثابت[2].

وعلى الرغم من تجمده طوال تلك الفترة إلا أنه صاحب الفضل الأعظم على تلك المناطق ، وذلك يتضح من تركز معظم الرساتيق المشهورة بالحاصلات الزراعية في الجانب الغربي من نهر جيحون ، والأنهار المتفرعة منه والتي من أهميتها أن كان لكل من تلك المدن نهر

---

(١) المسعودي :المصدر السابق ، ص٥٨ ؛ شيخ الربوة : المصدر السابق ، ص٩٤ ، (وان كان قد اختلف في تقدير مقدار جريان نهر جيحون من مبدئه إلى مصبه بحوالي ثلاثمائة وستين فرسخا).

(٢) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، المجلد الثاني ، ص١٩٧ ؛ كي لسترنج : المرجع السابق ، ص٤٨٧ ؛ ابن فضلان : المرجع السابق ، ص٨٣ ، قال (أن سمك جمود نهر جيحون حوالي سبعة عشر شبراً ، ويجمد من أوله إلى أخره) ؛ ابن بطوطة : تحفه النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، (رحلة ابن بطوطة) ، ص٣٧٥.

خاص بها ، وكان لذلك دور رائع في ذلك الإقليم المتطرف المحاط بالمفاوز في كل مكان.

أما عن مجراه الأدنى فكان صالحا لسير السفن والملاحة[١]، وخاصة لوجود مدينتي بلخ ومرو فهما بمثابة المدخل لما وراء النهر مدينة بخارا وأسواقها ويفيض إلى طواحين وضياع والفائض يكون في مجمع مار يجاور بيكند بالقرب من فرير ويسمي «بسام خسواس» ، أو «بسام خواش»[٢].

ونظراً لارتفاع المدينة فلا يوجد بها ولا بقلعتها ماء جار كما سبق ووضحنا ، لذا فاعتمادهم الأول على نهر الصغد الذي ينتهي إلى بخارا ويدخل قصبتها من كلاباذ ، لذا فقد جعلوا له مدخلاً واسعاً وأقيم فيه الخشب ، ففي الصيف ومع غزارة المياه يقومون برفع ذلك السد من الخشب الواحدة تلو الأخرى حسب زيادة الماء فينقلب أكثره من المدخل ، ثم يمر إلى بيكند ، ويطلق عليه (أي الفتح الأول) اسم «ناشون» والآخر أسفل المدينة ويسمي «رأس الورغ» ليحمى المدينة من غرق الضياع والرساتيق[٣].

ويتشعب من هذا النهر في منطقة بخارا انهار عديدة وهي : نهر قشيديزة ، ونهر جويياريكار ، ونهر جوغشج ، ونهر بيكند ، ونهر نوكندة ، ونهر كشته ، ونهر الطاحونة ، ونهر الريكستان ، ونهر رياح ، ونهر زغاركنده[٤].

---

(١) كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص٤٨٧.

(٢) الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص٣٠٦ ؛ ابن حوقل : صورة الأرض ، ص٤٨٣ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص٤٩٤ ، «وإن كان قد اختلف معهم في مكان تجمع الماء فأطلق عليه اسم بسامجن».

(٣) بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولى ، ص١٩٨.

(٤) لمزيد من المعلومات عن تلك الأنهار انظر : الإصطخرى : المصدر السابق ، ص٣٠٠-٣٠٩ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ، ص٤٨٣-٤٨٥ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص١٢٩ ، ٢٠٠.

وكذلك يتشعب من عمود نهر الصغد في حد بخارا ولكن خـارج قصبتها من الحائط الخارجي من ناحية الطواويس إلى أن ينتهي إلى باب المدينة انهار كثيرة متفرقه في القري والمزارع فتقوم عليها عمارة قـرى بخارا وهم : نهر سافرى ، ونهر خرغان روذ ، ونهر بنجـار جغـر ، ونهر بنو كندة ، ونهر فرخشة ، ونهر كشتة ، ونهر فـرواز السـفلي ، ونهر باروان ، ونهر فرواز العليا ، ونهر خرمة ، وهر تينكان.

والملاحظ على تلك الأنهار كونها متصلة ببعضها البعض ، فعلى سبيل المثال : نجد نهر فراوز السفلي يسقي قراة حتى ينتهى إلى فاراب ، ونهر باوران يسقي قرى فاراب حتى ينتهي إلى باذب ... الخ ، وما يتبقي من الصغد فانه يجرى في نهر يعرف بالذر ذلك الذي يشق ربض بخارا ، ومنه انهار المدينة ، ومعظمها تحمل السفن ، وتكون إلى حد ما صـالحة للملاحة.

هذا إلى جانب آثارها الإيجابية في خصوبة الوادي ، إلا أن لهـا آثارها السلبية المتمثلة في قرب مياه بخارا من التربة فهي مفيض لنهـر الصغد ، لذا صارت التربة ضعيفة ، ولا تحتمل الأشجار الكبيـرة مثـل الجوز ، الدلب ، بل زرعت الشجيرات الصغيرة غير المعمرة طويلا بها وبالرغم من ذلك فواكهه بخارا أصح وألذ فواكهه ما وراء النهر كلها[(١)].

٢ـ نهر الصغد :

يعتبر من الأنهار شديدة الأهمية لوادي الصغد بوجـه خـاص ، ومنبعه من جبال البتم على ظهر الصغانيان ، حيث تخرج الميـاه مـن عيون تطرد من تلك الجبال وتتجمع في منتقع يسمي ورغسر[(٢)].

ومن الأنهار التي تتواجد في جهة الشرق عند مفارقة ورغسر :

---

(١) الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص٣١٠-٣١٢ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ص٤٨٦-٤٨٧.

(٢) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص٣٢٠ ؛ ابن حوقـل : المصـدر السـابق ، ص٣٩٥ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص٩٨-٤٩٩.

١- **نهر بارمش** : وهو محاز لنهر برش من جهة الجنوب ، عليه عمارات وقرى عامرة من أوله إلى أخره ، وهو - إلى حد ما - صالح للملاحة.

٢- **نهر بشيمين** : يتشعب منه نهيرات عديدة من الصعب إحصاؤها ، تعمر تلك القرى والضياع من ورغسر إلى آخر رستاق وهو الدرغم.

٣- **نهر يوزماجن.**

٤- **نهر اشتيخن** : ويسقي سبعة وعشرين ميلا «٢٧ ميلا» حتى ينتهي إلى المدينة التي تحمل اسمه فيعمر رساتيقها وهو من أعظم تلك الأنهار ، ويتشعب أسفله نهر كينجكث الذي يسقي مدينة كينجكث والمرزبان ، وغير ذلك حتى تنتهي إلى الكشانية ويجاوزها إلى حدود حائط بخارا.

٥- **نهر القصارين واسروزذ** : مخرجهما من جبال سيام وهي مسقي مدينة كش ، ويجري الأول جنوب المدينة ، والآخر في شمال المدينة.

وبجانب تلك الأنهار انهار أخرى تسقي منها المدينة ، ومنها نهر خروذة ، ونهر بخشك روذ ، على طريق بلخ وهو على بعد فرسخ من المدينة[١]. ويتجمع الفائض من تلك المياه حتى يصل إلى مدينة نسف[٢]. وفي بعض الأحيان تتقطع مياه الأنهار في بعض الفترات على مدار السنة ، لذا يكون اعتمادهم على الآبار حتى عودة مياه الأنهار.

ويذكر الإصطخرى كثرة عدد الأنهار برستاق سمرقند لكثر عدد قراها فمن الممكن أن يكون للقرية الواحدة نهران أو ثلاثة ، ويكثر بها انشعاب الأنهار بحسب عدد الدور والقصور والبساتين[٣]. وآخرها بهر الصغد حيث يشق ربض

---

(١) الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص٣٢٤ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ، ص٥٠١ ؛ الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، المجلد الأول ، ص٥٠٠.

(٢) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص٥٠١.

(٣) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص٣٢٥ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ، ص٥٠٢.

٣ ـ نهر سيحون (سيردريا) :

وهو الحد الفاصل بين بلاد ما وراء النهر وبين التركستان منبعه من تجمع انهار في حدود الترك الخرلخية ، وتصير عموداً حتى يظهر في حدود أوزكند من بلاد فرغانه[١].

وأحيانا ينسب هذا النهر «قرادريا» إلى مدينة أوزكند الواقعة على هذا النهر ، وتفيض معظم مياهه لعدم وجود جسر عليه لحفظ الماء والتحكم في جريانه[٢].

ويجتمع إليه نهران : الأول : نهر خرشاب الذي يعتبره ابن حوقل مصدر الصدارة بين الروافد الكبرى لنهر سيحون أو «أورسست» ؛ والثاني: نهر جدغل والذي في امتداده يصل حتى القرية الحديثة ويبلغ ثلث نهر جيحون وعن طريقة تحمل المير إلى القرية الحديثة ، حيث أغلب سكانها مسلمون ، ومن تجار خوارزم على الرغم من كونها موطن ملك الغز واستقراره في فصل الشتاء هى ومدينتا جند وخواره ولكن القرية الحديثة أكبرها حيث المسافة بينها وبين خوارزم عشر مراحل[٣].

ومن روافده كذلك نهر هرك «برك – parak» ، كذلك نهر جيرجيق له منبعان : أحدهما يخرج من رستاق جدغل والآخر من جبال بسكام ، وأصل منبعهما من بلد الترك الخرلخية ، حيث ينتفع وادي الشاش منه.

---

(١) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص٥٠٩ ؛ شيخ الربوة : المصدر السابق ، ص٩٤ ، «وإن كان الأمر قد اختلف بالنسبة لمبدأ هذا النهر حتى يصل إلى حدود أوزكند حيث يقول : أن المجرى الاعلى لنهر سيردريا هو نهر قرادريا ، الواقع في الجزء الجنوبي من فرغانه فاصل مياهه من نهر قراكلجة ونهر تار ، وهما اللذان يتألف منهما نهر قرادريا حيث منبعهما من بلاد الترك ، ويطلق= = على قسم من فرغانه الواقع بين نهري قراكلجة ونهر تلد باسم ميان روزان (أي ما بين النهرين) وهو تعبير يتفق مع المسمي الحالى وهو بالتركية «ايكي صوار»» ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص٢٦٦ ؛ دائرة المعارف الإسلامية ، ج١١ ، ص٣٥٧ ؛ النويري : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص٢٧١.

(٢) بارتولد : المرجع السابق ، ص٢٦٦ ، دائرة المعارف الإسلامية ، ج١١ ، ص٣٥٧.

(٣) ابن حوقل : المصدر السابق ،ص ٥١١ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الثاني ، ص٧٠٦ ؛ شيخ الربوة : المصدر السابق ، ص٩٤ ؛ القلقشندى : صبح الأعشى ، ج٤ ، ص٤٤٥ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص٢٧٠-٢٧١ ، ٢٩٤ ، حيث تحدث عن قرية بنكيت أو القرية الحديثة ، وهي إطلال جنيكنت Janjent على ثلاثة أميال من قلعة إمارة خيوه المعروفة الآن جات قلعة.

ويذكر المسعودى أن نهر الشاش «مفيض وجوب لا يسقي بلاد الشاش ، وإنما مشربهم من نهر عظيم يعرف بنهر ترك ، وهو حاليا آنكرين ، إلى جانب نهر ايلاق فهو أيضا مشرب وادى الشاش»[1].

ولم يبق من روافد سيحون في الوقت الحالى سوي نهر خرشاب أما بقية الروافد فتصب كلها في القناة المعروفة الآن باسم شاهرا يخان تلك التي تشابه القنوات الأخرى التي مدت من قرادريا في القرن١٩م[2].

٤ـ البحيرات والعيون والابار

بحيرة خورازم[3].

تقع على بعد أربعين فرسخا من الغرب والشمال ، بين دائرة عرض ٤٦ °٤٥ ´٤٥ – ٤٣° شمالا ، وخط طول ٧٦´–٧٩ °٧٩ ´٢٧ شرقا وهي بحيرة شكلها مثلث ، مشهورة ماؤها مالح ، يصل طولها إلى مائة فرسخ ومحيطها ثلاثمائة فرسخ[4].

---

(١) ابن خرداذبة : المصدر السابق ، ص١٧٨ ، ويضيف إلى نهر ترك نهر سياواه ، طراز اب وغيره مما يجرى فيه السفن العظام من الترك إلى الصين ، أي من الشرق إلى الغرب ؛ المسعودي : التنبيه والإشراف ، ص٥٧ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ، ص٥٠٩ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الثاني ، ص٧٠٤–٧٠٥ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص٢٨٣ ؛ ذاكرا رستاق جدغل وهو حاليا جتكل Chatkal جبال بسكام هي بسكم Pskem.

(٢) بارتولد : المرجع السابق ، ص٢٧١.

(٣) بحر آرال «بحيرة خوارزم» : بحيرة كبيرة غربي التركستان ، مالحة ، بلغت مساحتها عام ١٩٤٢م ٦٠,٥٤٨كم٢ منها ٢,٣٤٥كم٢ جزائر أكبرهم جزيرة «توقمان آطه» تجاه مصب نهر آمودريا وهي بالروسية «ostrowvoztozdenigo» «جزيرة البعث» ومن قبل كانت تسمي جزيرة نيقولاس لشفت ، مساحتها ٢١٦كم٢ وجزيرة بارسا كلمز «الوصول بلا عودة» مساحتها ١٣٣كم٢ ، ولها عدة جوان وجزائر صخرية ، أما مستوى الجزيرة في عصور ما قبل التاريخ فيعلو أربعة أمتار عن مستوى مائها الحالى وكان مستوى الماء في البحيرة في الأزمنة التاريخية غير ثابت ، وكذلك تغيرات الشاطي وخاصة في الشرق والشمال الشرقي غير ثابت ؛ دائرة المعارف الإسلامية ، ج١ ، ص٤٢ ؛ النويرى : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص٢٥٠.

(٤) ابن رسته : الاعلاق النفيسة ، ص٩٢ ؛ الإصطخرى : المصدر السابق ، ص٣٠٤ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ، ص٤٨١ ؛ مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص١٤ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الثاني ، ص٦٩٩ ؛ القلقشندى : المصدر السابق ، ج٤ ، ص٤٦٩ ؛ النويري : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص٢٥٠.

يصب فيها نهر جيحون في موضع يسكنه الصيادون حيث لا توجد قرية ولا بناء ، ويطلق عليها خلجان ، ويحاط بها أهل الغزية الذين يأتون إلى خوارزم حيث كانت بينهم علاقات قديمة سواء من قرية براتكين أو من الجانب الآخر من الجرجانية ، وبمنطقة الخلجان يوجد العديد من البطائح والمستنقعات الواقعة في مجرى نهر جيحون الأدنى ، حيث يصطاد كميات كبيرة من الاسماك حيث تصدر من خوارزم إلى البلاد المجاورة[1]. ومن هنا جاءت أهمية تلك البحيرة ، والتي استمرت حتى الوقت الحالي ولكن ليس فقط على اصطياد الأسماك ولكن الصناعات القائمة على تلك الأسماك[2].

ومن جهة أخرى يصب فيها نهر سيحون فتجري فيه السفن المحملة بالمير والأمتعة إليها وإلى البلاد الأخرى ، ونجد أن مسافة ما بين مصب نهر جيحون وسيحون مسيرة عدة أيام (أي ما يقرب من أربع مراحل) ،إلى جانب استقبالها للأنهار الأخرى ، وإن كان ذلك لم يغير من درجة ملوحة مياها[3].

وعلى الشاطئ الشرقي للبحيرة تحيط بها غياض ذات شجر كثيف ملتف لا يمكن لأحد اختراقها وسلوكها إلا في طرق ضيقة وعره حيث اتخذتها الخنازير البرية مسلكاً لها[4].

٥ ـ العيون والآبار

نجدها قليلة جدا إذا ما قورنت بسابقتها من المجاري المائية فهي في أماكن متفرقة ، وعلى الرغم من قلتها فهى تمثل أهمية عظمى في المنطقة التي تتواجد بها.

ففي سمرقند ، وعلى الخص في رساتيقها الشمالية حيث توجد «باركث» وهي متاخمة لأشروسنة ، ماؤها ليس من نهر الصغد ولكن من العيون[5].

---

(١) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص٤٨٠ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الثاني ، ص٦٨٩-٦٩٩ ؛ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، المجلد الأول ، ص٣٥١ ؛ بارتولد : المصدر السابق ، ص٢٦١.

(٢) دارة المعارف الإسلامية ، ج١ ، ص٤٥.

(٣) الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص٣٠٤ ؛ ابن حوقل : صورة الأرض ، ص٤٨١ ؛ المسعودي : المصدر السابق ، ص٥٧ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الثاني ، ص٦٩٩ ؛ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، المجلد الأول ، ص٣٥١.

(٤) ابن رسته : المصدر السابق ، ص٩٣ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص٢٦١.

(٥) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص٣٢٢.

ولم ترد إشارة عن تلك العيون ولا موضعها ، أما مصدرها فهو أما الفائض من مياه النهر أو من الأمطار القليلة الهطول في تلك المناطق أيضا ، كذلك سوسنده في آشروسنة ، وهي على طريق فرغانه إلى السغد وأيضاً «ديزك» وهي مدينة في السهل بها العديد من الخانات والرباطات وماؤها ينبع من عين[1].

مدينة نسف : والتي تعتمد على تلك الأنهار المتجمعة من كش ، ولكن وقت انقطاعها تعتمد على الآبار في سقاية بساتينها حتى تعود مياه النهر إلى جريانه[2].

هذا ما وجد في تلك المنطقة من آبار وعيون ، ويذكر القلقشندى وجود عين بخوارزم في جبل يطلق عليه جبل الخير ، وتعرف به العين أيضا ، حيث يقصدها ذوى الأمراض المزمنة ، ويقيمون فيها سبعة أيام في كل يوم يغتسلون بها بكره وعشية ، ويشربون منها عقب كل اغتسال حتى يحدث البرء[3]. وفي المفازة التي تحيط بخوارزم وهى من حدود بلخ حتى بحر خوارزم ، لا توجد بها أنها وإنما بها آبار[4].

الجبال

من الصعب تحديد الأماكن التي تنتشر فيها الجبال في بلاد خوارزم وما وراء النهر.

الجبال الموجودة على مجرى نهر جيحون الأعلى :

وهي توجد عليه قبل بلوغه نهر كاوخواره بثلاثة فراسخ تقريبا ، وهو يقطع نهر جيحون ويوسطه في موضع يسمي «أبو قشة» فيضيق الجبل حتى يمر بخانق فيضيق مجرى النهر بنحو من الثلث[5].

المرتفعات المحيطة بالشاطئ الغرب لبحر آرال :

نجد «سياه كوه» أي الجبل الأسود ، وذلك على حد قول ابن رسته ، ولكن الإصطخرى يطلق عليه «جغراغر» ، ولعل هذا الاسم يمكن ربطه باسم قبيلة «جغراق» أو «جعراق» التي ورد ذكرها لدى البيهقي على اعتبار أنها من جيران خوارزم[6].

---

(١) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص٣٢٥-٣٢٧.

(٢) الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص٣٢٥.

(٣) القلقشندى : المصدر السابق ، ص٢٨٣.

(٤) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص٢٨٣.

(٥) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص٣٠٤ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص٢٤٩.

(٦) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص٣٠٤ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الثاني ، ص٨٣٨ ، ويطلق عليه جبل نغراغن ، وإن كان من خلال =

ويتصل به جل القبق مما يلي بحر الخزر ، حيث يمتد فيمر خلف بلاد الخزر ، مارا ببلاد الغزية متجها إلــى الشــرق مــن وراء بحيـرة خوارزم ، ويتصل بأرض فرغانه إلى أن يلحق بجبال الصين(١).

الجبال المحصورة بين نهري جيحون وسيحون في مجراه الأدنى وفيما وراء سمرقند :

أ – جبال البتم :

وهي جبال شاهقة منيعة ، الغالب عليها النزهة والخضرة ، بهـا قرى عامرة بالسكان ، وللبتم جبال تعرف بالبتم الأول والأوسط والخارج حيث ماء سمرقند وبخارا والسغد ، بقية مدن السغد من البتم الأوسط من مكان يعرف بجن «مجنى» حيث يبغ نحو ثلاثين فرسخا تقريبا أي حوالى «٩٠ ميلا» ويجرى منه أيضا إلى برغر ، وتختلط بماء سمرقند مياه نهر الصغانيان ونهر فرغانه من قرب رأس ماء جن ، ويغلب عليهـا البـرد وبها من المعادن الذهب والفضة والزاج والنوشادر ، الــذي حمـل منـه الكثير من الأماكن والبقاع المختلفة في الأرض(٢).

ب – جبال الشاوذار «الساودار»:

على جنوبي سمرقند ، فليس برستاق سمرقند ما هو أصح هـواء ولا أجود زرعا ولا أحسن فاكهة منه ، وأهلة اصح أهالى هذه الناحيـة ، طوله زيادة عن عشرة فراسخ ، وهى من أنزه الجبال وأحسـنها وبهـا عمارة لا تنقطع ، وغلاتها متصلة مما يدل على شدة خصبها.

وبالشاوذار منتجع للنصارى وهم من نصارى العراق ، ويطلـق عليه «يوزكردة» ، ولتلك الجبال مخارج «فجاج» فيه أنهار جارية إلـى ضياع ، مما يجعلها حسنة ، وتزداد خصبها وفي فقارهـا العديـد مـن الصيود المختلفة الأجناس(٣).

وبالإضافة إلى ما سبق هناك جبال قرية من سمرقند ، بينها وبين تلك مرحلة واحدة ، وعلى مقدار نصف ميل تتصل تلك الجبـال بجبـال

= استكمال كلامه في موضع آخر يفهم منه أنه يفرق بين جبل سـياكوه وجبـل نغراغن وما ذكره ينطبق على جبال سياكوه.

(١) الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الثاني ، ص٨٢٩.

(٢) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص٣٢٧ ؛ ابن حوقـل : المصـدر السـابق ، ص٤٤٨ ، ٥٠٥ ؛ الإدريسي : المصدر السـابق ، المجلـد الأول ، ص٥٠٦ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص٢٨٣ ؛ ياقوت الحمـوي : معجـم البلـدان ،= = المجلد الأول ، ص٣٣٥-٣٣٦ ؛ آدم متز : الحضارة الإسلامية فـي القـرن الرابع الهجرى ، نقله للعربية : محمد عبـد الهـادي أبـو ريـده : القـاهرة ، ١٣٦٠هـ/١٩٤١م ، ج٢ ، ص٣٣٢-٣٣٣.

(٣) الإصطخرى : المصدر السـابق ، ص٣١٨ ؛ بارتولـد : المرجـع السـابق ، ص١٧٣.

«كوهلك» يعنى الجبل الصغير وهو حاليا «جوبان آنان» يمتد طرفة إلى سور سمرقند ، وهو مقدار نصف ميل في الطول ، ومنه أحجار بلدهم(١). كذلك جبل «وركة» وهو اقرب الجبال إلى بخارا ومنه حجارة بلدهم وأبنيتهم ، وكذلك طين الأواني ولا يوجد بعد هذا في بخارا ولا حائطها من الخارج جبل ولا مفازة(٢).

جـ - جبال سيام «سنام» :

وهي جبال كش ، وكما يذكر بارتولد أن هذا الاسم تحمله الجبال التي تنبع منها قراطاع - دريا مما يرجح أن يكون المراد بها إنما هو القسم الشمالي جميعه لسلسة جبال الحصار ، وينبع منها نهرا اسرود ، والقصارين حيث يستخرج منهما الكثير من الترنجين ، ولقد كان بتلك الجبال حصن قد أعتصم به المقنع(٣).

الصحاري

واستكمالاً لوحدة الطبيعة لإقليم خوارزم وما وراء النهر ، نجد الصحاري التي تحيط بإقليم خوارزم ويطلق عليها مفازة(٤) خوارزم التي تحطيها من الشرق والغرب ، وتسمي كذلك مفازة سيفانه الواقعة غربي النهر ، وهي ممتدة في حدود بلخ إلى بحر خوارزم ، تبلغ سعتها مرحلة واحدة ، وسبع مراحل في مكان آخر(٥).

ويحيط بتلك المفازة من الشرق حدود مرو حتى يصل إلى جيحون وجنوبها حدود باورد ونسا وفراوة ودهستان ، وتمتد إلى بحر الخزر حتى حدود آمل ، وشماليها يحاذي نهر جيحون وبحر خوارزم وحدود الغور حتى حد البلغار(٦).

---

(١) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص٣١٨ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص١٧٣.

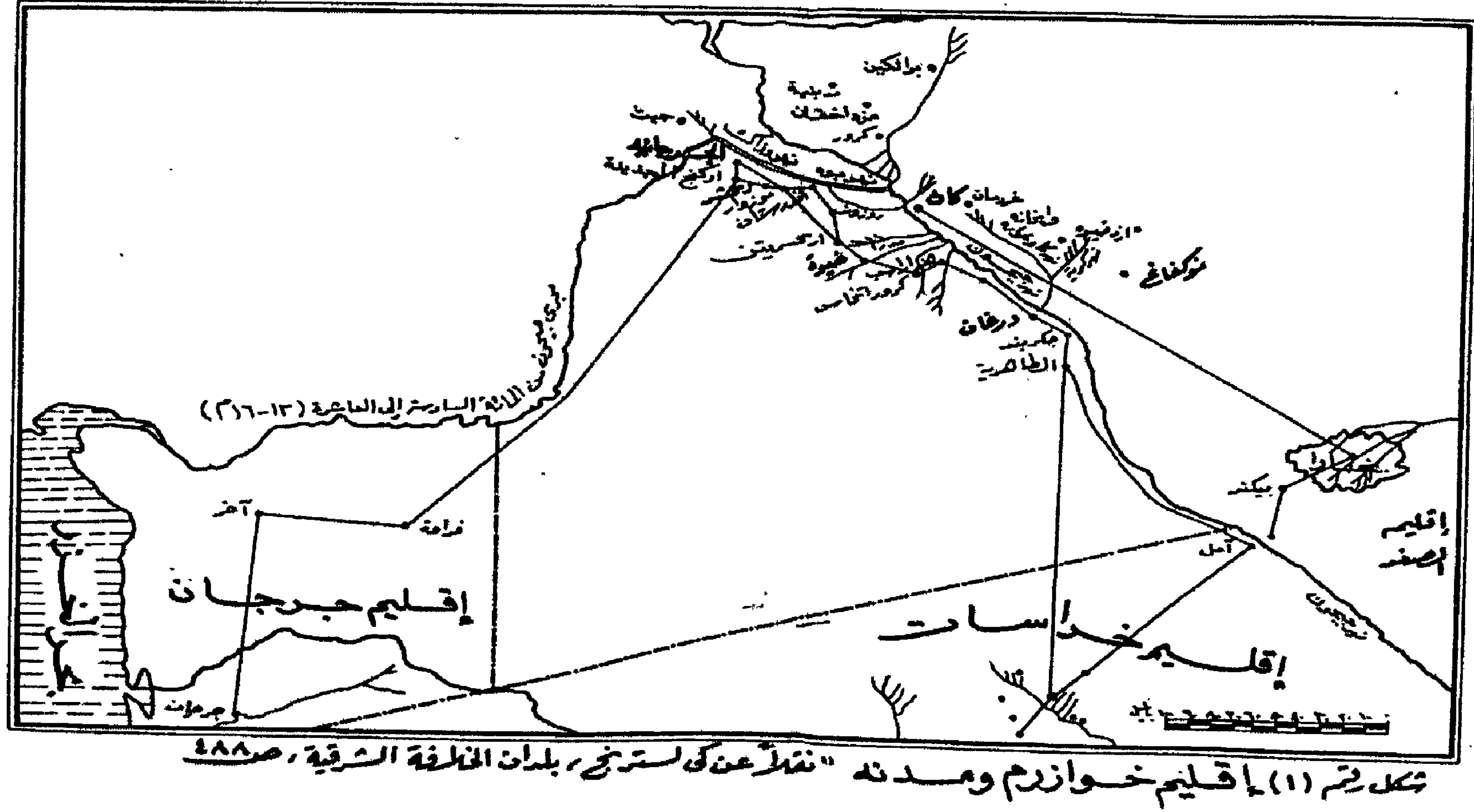
(٢) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص٣١٢.

(٣) الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص٥٠٠ ، بارتولد : المرجع السابق ، ص٢٣٧.

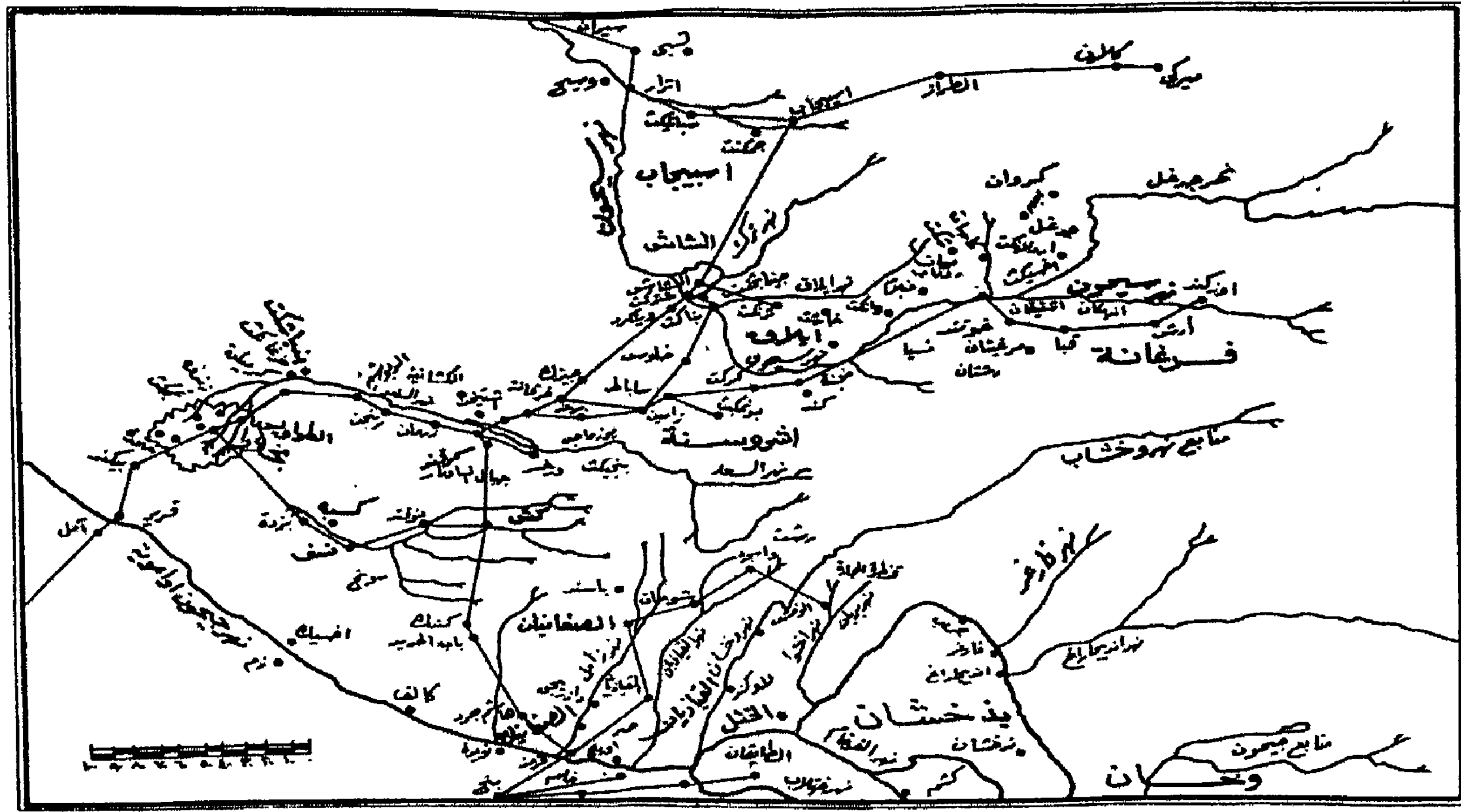
(٤) المفازة : أي الفيف والفيفاء ، والمفازة أيضاً هى التي لا ماء فيها مع الاستواء والسعة «أي الصحراء الملساء» ؛ ابن منظور : لسان العرب ، المجلد التاسع ، ص٢٧٤.

(٥) الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص٢٨٣ ؛ مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص٤٤-٤٥ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الثاني ، ص٦٩٥.

(٦) مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص٤٦.



شكل رقم (١) إقليم خوارزم ومدنه "نقلاً عن كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص٤٨٨"



شكل رقم (٢) إقليم ما وراء النهر ونهري سيحون وجيحون

نقلاً عن: كي لسترنج، الجزء السابع ص ٤٨١

خريطة توضيحية لمنطقتي ماوراء النهر وخوارزم
نقلا عن كي لسترنج، المرجع السابق
ص ٤٩٦ ، ص ٤٨٨

الفصل الثاني
السكان

محتويات الفصل الثاني

السكان

أولاً : الفرس :

- التفسير اللغوي «الاصطلاحي» للفرس.
- التفسير العرقي.
- موطن الفرس.
- هجراتهم وأسبابها.
- سماتهم الجسمانية وصفاتهم.
- الدول الفارسية القديمة وعلاقاتها بولاياتها.
- طبقات الفرس.
- التركيب السكاني لإقليم خوارزم.
- الحياة الدينية عند الفرس.

ثانياً : الترك :

- التعريف اللغوي «الاصطلاحي» للترك.
- التفسير العرقي.
- الحياة الاجتماعية عند الترك.
- الحياة الدينية عند الترك.
- بلاد الترك.
- القبائل التركية.
- أقدم الشعوب التركية

أ – الطخارية.

ب – الهياطلة.

ثالثاً : العرب :

- الوضع السياسي والاجتماعي في إقليم خوارزم.
- الفتوحات العربية لإقليم خوارزم.
- القبائل العربية ومشاركتها في الفتح المنظم لخوارزم.
- المواطن الأصلية لتلك القبائل.
- كيفية إدارة إقليم خوارزم.

الطوائف الأخرى :

أ - اليهود.

٢ - المسيحية.

الفصـــل الثانـــي

الســـكان

مقدمة :

تميزت منطقة دارستنا منذ القدم بكونها موطناً للعديد من الأقـــوام (وهم من الأقدم للأحدث الفرس ، الترك ، العرب) ومهـــداً لحضـــارات كثيرة [١]. وذلك لكونها منطقة عبور في وسط آسيا بين الترك والفرس : شرقاً وغرباً والروس والصقالبة : شمالاً والهند جنوباً.

أولاً : **الفرس** :

- **التفسير اللغوي «الاصطلاحي» للفرس** :

تعددت المسميات التي أطلقت على الفرس وتركزت في اسمين ، وهم الإيرانيون والفرس ، وإن كان مرجعهم إلى قطر واحد بعد هجرتهم من أواسط آسيا.

فالإيرانيون : مرجعهم إلى إيران[٢]. وهي لفظة منقلبة عن آريان ومفردها آرية ، «ذكرت في الفارسية القديمـــة Ariya ، والسنســـكريتيه Arya ، وفي الافستا آريا Ariya»[٣]. لذا أطلق على موطنهم الجديد اسم «ايرايانا فيجا» أي موطن الآريين والإيرانيين[٤].

---

(١) حافظ أحمد حمدي : الدولة الخوارزمية والمغـــول ، غـــزو جنكيزخـــان للعـــالم الإسلامي وآثاره السياسية والدينية والاقتصادية والثقافية ، ص١١٧ ؛ عبد السلام عبد العزيز فهمى : تاجيكستان ماضيها وحاضرها ، القاهرة ، ١٩٦٩ ، ص٢٠.

(٢) عبد النعيم حسنين : الإيرانيون القدماء ، دار الرائد العربي ، القاهرة ، ١٩٧٤م ، ص١١.

(٣) محمد حسنين بن خلف تبريزى تخلص ببرهان : برهام قاطع ، تهران ، ١٣٤١هـ ، المجلد الأول ، ص٣٣ ، حاشية١.

(٤) عبد النعيم حسنين : المرجع السابق ، ص١١ ، حاشية(١١) ، ذاكرا ، ورد فـــي الافستا كتاب زرادشت المقدس ، الذي وضع في القرن ٧ق.م ، اســـم «إيرايانـــا فيجا» على موطنهم الجديد ، أي موطن الآريين لكون الإيرانيين مـــن الشـــعب الآري ، ثم تطورت وأصبحت سهله وهي بلاد إيران ، وهناك تفسير أخر يذكر أن إيران اخذت من اير وهو ايرج احد أبناء أفريدون بعد تقسيم مملكتـــه علـــى أبنائه ، ص١٨ ، شيخ الربوة ، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، ص٢٥٥-٢٥٦.

والفرس : نسبة إلى إقليم فارس[١]. وهو جزء من إيران متاخم لبلاد العرب ، إلى جانب شانه العظيم في حوادث التاريخ القديم وخاصة مع اليونان ، لذا أطلقوا على بلاد إيران اسم Persis وما زال الاسم اللاتيني يدل على ذلك وهو «Persia»[٢].

- **التفسير العرقي :**

تعدد الروايات حول الأصول العرقية للفرس تبعاً لاختلاف النسابة ، من عرب وفرس وما قام بينهم من التفاخر ، فهم عند النسابة العرب يرجعون إلى ولد فارس ابن آرم بن سام بن نوح[٣].

والشائع – والذي يغلب عليه الطابع الأسطوري – كونهم من ولد إيران بن أفريدون[٤]. «من الأسرة البيشدادية» ، وذلك يعنى اختلافهم ما بين الساميين أولاد سام ، والإيرانيين من أولاد يافث.

---

(١) عبد النعيم حسنين : المرجع السابق ، ص١٨ ، حاشية١ ، ذاكرا ، (سميت إيران باسم فارس نسبة للإقليم الذي شمل عواصم الدولة الاكمينيه والساسانية ، والآن ساد الاسم الأعم وهو إيران) ، دونالد ولبر : إيران ماضيها وحاضرها ، ترجمة : عبد النعيم حسنين : (دار الكتاب المصري ، دار الكتاب اللبناني ، ط٢ ، د.ت ، ص١).

(٢) طه ندا : فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية ، (بيروت ، ١٩٧٥ ، ص١٠).

(٣) أبو عبدالله محمد بن أبي بكر الزهرى : كتاب الجغرافية ، تحقيق : محمد صادق : (مكتبة الثقافة الدينية ، د.ت) ، ص٦٧ ؛ شيخ الربوة : نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، ص٢٥٥ ؛ (ومنهم من زعم أنهم من ولد فارس بن ياسور بن سام) ؛ عماد الدين أبو الفدا إسماعيل : المختصر في أخبار البشر ، (الطبعة الحسينية المصرية ، ط١ ، د.ت) ، ج١ ، ص٨٢ ؛ عبد الرحمن بن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، المجلد الثالث ، القسم الرابع ، ص٢٢٦.

(٤) أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي القرمانى : أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ ، بيروت ، د.ت ، ص٣٤٨-٣٤٩ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ص٢٢٧ ؛ ولقد ذكر ابن خلدون انساب عديدة لهم منها إيران بن شوذ ، غليم بن سام ، لاوذ بن أرم بن سام ، إديم بن لاوذ ، يوسف بن يعقوب بن اسحق ، ويذكر أن الساسانية فقط من ولد اسحق وجدهم منوشهر بن منشحر بن فرحس بن وترك ، ووصفها بكونها غير مضبوطة.

أما علماء الفرس فذكروا أن نسبهم يرجع إلى كيومرث «جيومرث» وهو يعنى «حي ناطق مائت» ، ويلقبونه بكلشاه ، وتعنى «ملك الطين» أو «ابن الطين»[١].

ولقد أيد المسعودى كل ما سبق ذاكراً ، أنهم تنازعوا فهناك من زعم أنه ابن آدم وأكبر أولاده ، وطائفة أخرى تضيف بجانب ما سبق أنه أميم بن أرم بن سام بن نوح وذلك لكونه أول من جاء بفارس من ولد نوح[٢].

- **موطن الفرس** :

تحدث ابن صاعد عن موطنهم ، موضحاً حدودهم الرئيسية وما يتضمن ذلك من مدن وأقاليم ذاكراً « أن أمه الفرس مسكنها في الوسط المعمور ، فحد بلادهم من الجبال في شمال العراق المتصلة بعقبة حلوان إلى بلاد خراسان كنيسابور ومرو وسرخس وهراة وخوارزم وبلخ وبخارا وسمرقند وفرغانه والشاش ، وغيرها من بلاد خراسان إلى بلاد تيجستان وكرمان وفارس والأهواز وأصبهان ، وما تصل بها من كل هذه البلاد ، كانت مملكة واحدة لسانها واحد ملكها واحد إلا أنهم يتباينون في شتى يسير من اللغات ...»[٣].

---

(١) شيخ الربوة : المصدر السابق ، ص٢٥٦ ؛ أبو الفدا : المصدر السابق ، ج١ ، ص٨٣ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ص٢٢٧ ؛ القرمانى : المصدر السابق ، ص٣٤٧ ؛ القلقشندى : صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، ج٥ ، ص٤٨١ ، ذكر أنه (أول البيشدادية «الفيشدادية» حيث يطلق على كل ملك فيشداد أي «سيرة العدل»).

(٢) المسعودى : مروج الذهب ومعادل الجوهر ، المجلد الأول ، ص١٨٩.

(٣) أبو القاسم صاعد بن أحمد صاعد الأندلسي : طبقات الأمم ، (بيروت ، ١٩١٢م) ، ص٦٢٥ ؛ محمد عبد المنعم الشرقاوى : المسالة الآرية نشأتها وأطوارها ، (مجلة كلية الآداب ، القاهرة ، ١٩٣٤م) ، المجلد الثاني ، ج٢ ، ص٢٤٩-٢٥١ ، قائلاً : «أن من الآراء المؤيدة لهذا الموطن اعتقادهم بان آسيا هي مهد الجنس البشري نظراً لوجود أقدم اللغات الآرية وهي : (السنسكريتيه ، والزندية) ، التى تتكلمها تلك الشعوب ، لذا لا بد أنها قد وصلت إلى إقليم «بنجاب» آتيه من الشمال الغربي مخترقة إقليم كابل Cabul ، ومن ناحية أخرى : ما كان =

وإن كان بعد فترة زمنية طويلة ظهر رأي جديد تضارب مع الرأي الأول وهو كونهم ساكني أوربا باعتبار أن السهل الأوربي هو الموطن الذي نشأ فيه الجنس الآري ، فارضا وقوعه بين خطى عرض ٤٥°-٦٠′ شمالاً ، ومدى ملائمة ذلك لهم ، إلى جانب الطبيعة الجغرافية المساعدة للانتشار من الشرق إلى الغرب(١).

وأكد ذلك عبد النعيم حسنين ذاكراً «أن أغلب الظن أنهم يقيمون في القوقاز شمال سيبيريا ، وشمال أوربا ووسطها ، وشمال روسيا وشرقها ، وشمال الهند وأيضاً المنطقة الواقعة بين بحيرة أورال ونهر جيحون(٢).

- **هجراتهم وأسبابها :**

هجراتهم :

هاجر هؤلاء الآريون(٣). عام ١٥٠٠ ق.م تقريباً إلى جنوب الهضبة الإيرانية وغربها ، وتلتها هجرة أخرى من الإيرانيين عام ٩٠٠

= سائد بين أهل الافستا «avesta» فتذكر أنهم قد جاءوا إلى مناطقهم من إقليمهم الأصلي عند سفوح جبال بلورتاج ومستاج «Blurtag-Mustag» قبل أن يتفرقوا شعباً ، وكانت الجماعات الهندوأوربية «Indoe_Iranian» تعيش عيشه رعوية في الإقليم الواقع بين نهري سيحون وجيحون ؛ عبد النعيم حسنين : المرجع السابق ، ص١١ ، حاشية(١).

(١) محمد عبد المنعم الشرقاوى : المرجع السابق ، ص٢٥٧ ، ٢٦٣ ، ٢٦٧ ، ٢٧٠.

(٢) أرمنيوس فامبرى : تاريخ بخارى ، ص٤٤ ذاكراً «ما يقوله العلامة خانيكوف من أن مجال الشعب الإيراني هو في الوديان الخصبة بين الهندوكوش وسلسلة جبال بغمان وكوه باب مقبول حين نمد مهد الشعب الإيراني حتى المناطق الخصبة بشواطئ كوهك اوزرقشان ؛ عبد النعيم حسنين : المرجع السابق ، ص١١.

(٣) محمد حسين بن خلف تبريزى : برهان قاطع ، ص٣٣ ، ذاكراً أنه اسم طائفة من الهندأوربية الذين يعيشون منذ عهود سحيقة مع بعضهم البعض ، ثم انقسمت إلى قسمين : أحداهما ظل في الهند ، والآخر جاء إلى إيران ، ومن المحتمل أن تكون تلك التي نحن بصدد الحديث عنها.

ق.م ، وعاشوا حياة مستقرة وبعدها أخذوا في حياة البـداوة والتجـوال ، حتى أسسوا قرى في إيران وصارت موطنا لهم ، وتحدثوا اللهجة الهندية الأوربية «Indo-Europen» ولقد اشتملوا على طوائف عـدة ، منهـا طائفة الميديين ، الفرس ، البارثايين ، الباكتريين «Bactrian» «أهل بلخ والسغديين» ، والساكا والسيذيين «scgthion»[1]. وصارت كل منهم في الانتشار ، وتحديد البقعة المناسبة لها ، وأصبحت الوديان تسمي بأسـماء تلك القبائل[2]. وكان الميديون في الغرب ، والفرس في الولايات الجنوبية الغربية[3].

بالإضافة إلى وجود قبائل أتت عن طريق خوارزم إلى بلخ ومـا حولها واتجهت إلى الإقامة على الحدود الشرقية والشمالية الشرقية لإيران ، وبعدها تم الانتشار في أجزائها المختلفة[4].

أسباب هجراتهم :

ازدياد ضغط السكان على الموارد الطبيعية ، ندرة سقوط الأمطار وحدوث الجفاف ، ولقد استمرت تلك الهجرات الواحدة تلو الأخرى حتى أواسط الألف الثاني ق.م[5].

---

(١) دونالد ولبر : إيران ماضيها وحاضرها ، ص٢٦ ؛ بوكشيشيفسلى : بإشراف : كازانسكى : جغرافية الاتحاد السوفيتى «الطبيعـة ، السـكان ، الاقتصـاد» ، (موسكو ١٩٧٦م) ، ص٢٤١ ؛ ذاكرا أن السكان القدماء وعلى الأقل في القسـم الجنوبي من هذه المنطقة كانوا يشكلون فيما مضي من أقوام وقبائل إيرانية اللغة.

(٢) عبد النعيم حسنين : المرجع السابق ، ص١١ ، عبد المـنعم ماجـد : التـاريخ السياسي للدولة العربية ، (ط٢ ، القاهرة ، ١٩٦٠م) ، ج١ ، ص١٨٨-١٨٩ ؛ طه ندا : فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص١١.

(٣) دونالد ولبر : المرجع السابق ، ص٢٦ ؛ عبد النعيم حسنين : المرجع السـابق ، ص١٢.

(٤) عبد النعيم حسنين : المرجع السابق ، ص١١.

(٥) عبد المنعم ماجد : المرجع السابق ، ج١ ، ص١٨٩ ؛ طه ندا : المرجع السابق ، ص١١ ؛ محمد عبد المنعم الشرقاوى : المرجع السابق ، ص٢٨٢.

- **سماتهم الجسمانية وصفاتهم :**

يتصفون بطول القامة والعيون الزرقاء والشعر الأصفر ، وجمال الوجه والرأس المستطيلة[١]. إلى جانب سرعة العدو وقوة الساعد وحدة السمع والبصر ، أقوياء يعتنون بالزراعة نظراً لبيئتهم الخصبة وطبيعتهم الجبلية ذات البأس والقوة والبطش والشرف[٢].

ثيابهم :

تتميز ثيابهم بأنها مفتوحة من الجانبين والأمام فتخفق مع الهواء وبالرغم من ذلك لا ترى أجسامهم عارية[٣].

ومن الطبيعي مع استمرار تلك الهجرات أن تنشأ دول ما تلبث أن تتحول إلى إمبراطوريات واسعة الأرجاء ، تفرض سيطرتها على من يجاورها ، ومن ضمن تلك الدول نجد :

- **الدول الفارسية القديمة وعلاقاتها بولايتها :**

١ – الدولة المادية «الميدية»[٤]. «٧٠٨ ق.م – ٥٥٠ ق.م» :

من المرجح كونهم من الجنس الآري الذين استوطنوا شواطئ بحر قزوين ، ثم سكنوا بخارى وسمرقند وبعدها هاجروا ق.م بأكثر من

---

(١) محمد عبد المنعم الشرقاوى : المرجع السابق ، ص٢٨٠ ؛ آرثر كريستنسن : إيران في عهد الساسانيين ، ترجمة : يحي الخشاب : دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٤٦م ، ولقد ذكر صفات معارضة لما سبق ، وذلك من خلال ما ذكره أمين مارسلن فهم سمر البشرة أو داكنو اللون ، حواجب مقوسة كنصف دائرة ، لحاهم طويلة ، وكذلك شعورهم شعثاء ، ممشوقو القوام.

(٢) آرثر كريستنسن : المرجع السابق ، ص٤٩٠.

(٣) آرثر كريستنسن : المرجع السابق ، ص٤٩٢.

(٤) الدولة الميدية : أقدم دولة إيرانية فعلية ينطقها البعض ميديا نسبة إلى الميديين ، وكذلك على وزن ليديا التي كانت معاصرة لها ، ويرجع ذلك إلى المترجمين من اللغات الأوربية فكتبوها طبقا للنطق الغربي في اللغة الانجليزية «The Mads» وتعنى الشعب المادى و Madia وهي الدولة المادية ، ويذكر براون أن اسم ماد كان يستعمل في إيران حتى العصور الإسلامية الأولى ، ومع تحوير الكلمة تنطق ماذ وماد وبالفارسية «مادا» ؛ عبد السلام عبد العزيز فهمى : كوروش الكبير مؤسس الإمبراطورية الهخامنشية ، (القاهرة ، ١٩٧٢م) ، ص١١ ، ١٢.

ألف عام إلى غرب آسيا ثم إلى إيران واستقروا بها ، ومن الجائز بقاء بعضهم في إقليم ما وراء النهر «في البقعة الخصبة المحصورة ما بين نهرى سيحون وجيحون» وأسسوا دولة في غرب إيران[1].

ولقد وثقت معلومات تلك الدولة من مصادر ثلاثة وهم على التوالى النقوش الآشورية[2]. والمصادر اليونانية القديمة[3]. والنقوش الفارسية القديمة[4]. وأيضاً الأخبار الإسرائيلية.

---

(١) عبد النعيم حسنين : المرجع السابق ، ص١٣-١٤.

(٢) **النقوش الآشورية** : تناولت الدولة وتبعيتها للآشوريين بذكرها لنقش عمره ١٠٠ ألف عام ق.م للملك الآشوري تجلات بليزر ، ووجودها منذ عام ٧٠٨-٥٥٠ق.م ، واستقلالها في القرن ٧ق.م ؛ عبد النعيم حسنين : المرجع السابق ، ص١٤ ؛ عبد السلام عبد العزيز فهمى : المرجع السابق ، ص١٢-١٣.

(٣) **المصادر اليونانية القديمة** : أهمها ما كتبه هيرودوت في القرن ٥ ق.م فتحدث عن خضوعهم للآشوريين ما يقارب من ٥ قرون ، وعاصمتهم «أكباتانا» وقضى عليها كوروش عام ٥٥٠ق.م ، وتحولت العاصمة إلى مدينه فارس ؛ عبد النعيم حسنين : المرجع السابق ، ص١٤ ، ١٥ ، ١٦ ؛ عبد السلام عبد العزيز فهمى : المرجع السابق ، ص١٣.

(٤) **النقوش الفارسية القديمة** : لم تضف أي جديد عما سبق وذكرناه ، وإنما الجديد فهو الحديث عن العواصم والمدن ، وأصول هؤلاء من الشعوب الهندوأوربية ، وموطنهم وتجوالهم في منطقة ما وراء النهر وعلى الأخص بخارى وسمرقند وهجراتهم ، وعاصمتهم التي تنطق في اللغة الفارسية القديمة باسم هكمتانه «hagmatana» همدان ، ونهايتها ؛ عبد السلام فهمى : آرامية الإمبراطورية الفارسية ، (مجلة المنتدى ، العدد الأول ، ١٩٧٨م) ، ص١٣٥-١٣٦ ؛ عبد السلام فهمى : المرجع السابق ، ص١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ؛ سميرة عاشور : تاريخ الفرس الاسطورى عند الطبرى والفردوسي ،(الإسكندرية ، ١٩٩٣م) ، ص٦٠.

٢ – الدولة الاكمينية «٥٥٠ ق.م – ٣٣٠ ق.م»[(١)].

يطلق عليها العرب دولة الفرس الفارسية الصحيحة ، كما يطلــق عليها اليونانيون الدولة الهخامنشية[(٢)]. ولقد اعتبرها الفرس بعد ثــورتهم على الدولة السابقة ولجوئهم لقوروش[(٣)]. من أولى الدول الفارسية.

ولقد تعرفنا من خلال مصـــادر النقــوش الآشــورية والأخبــار الإسرائيلية ، وكتابات مؤرخي اليونان[(٤)]. العديد من المعلومات عن تلــك الدولة ، والتي حكمت إيران واتسعت حدودها قبل الإسلام[(٥)].

---

(١) الدولة الاكمينية : يطلق عليها الدولة الأخمينية على نســق الكلمــة الانجليزيــة «Achamenianc – Achamanid» والتي صارت على شاكلتها كافة اللغــات الأوروبية ؛ عبد السلام عبــد العزيــز فهمــى : المرجــع الســابق ، ص٨ ، حاشية(٢).

(٢) عبد النعيم حسنين : الإيرانيون القدماء ، ص١٣-١٤.

(٣) نجدها بالعربية تكتب كوروش ، وينطقها البعض قورش ، وإن كان أسلمها نطقــاً هو كوروش تمشياً مع النطق الفارسي الحديث ، وفي اللغة الانجليزية والفرنسية تنطق «سيروس – Syrus» أو الألمانية «Cyras» ، واليونانية Koresh ؛ عبــد السلام عبد العزيز فهمى : المرجع السابق ، ص٧.

(٤) **كتابات مؤرخي اليونان** : يذكر على لسان هيرودوت أنه عــام ٦٥٠ق.م تقريبــا قامت دويلة في فارس «بارس» أقوامها من المناطق الشمالية للهضبة الإيرانية ، تابعة للآشوريين ، ثم هاجرت إلى النواحي الجنوبية ، وصاروا تــابعين للدولــة الميدية مقابل دفع الجزية ، وهؤلاء البارسيون عنصر آري من الأقوام الهنديــة الأوربية ، يتألفون من ست قبائــل ، منهــا قبيلــة «باســارجاد» وبالفارســية «باساركاد» التي تنسب للأسرة الهخامنشية التي وحــدت الهضــبة الإيرانيــة ، وتمجيداً لمؤسسها اتخذ كوروش اسم هخامنش اسماً لدولته ، وذلــك يعنــى أن عناصرها من الأقوام الذين هاجروا للهضبة الإيرانية قبل الألــف مــن مــيلاد المسيح ، ويذكر هيرودوت أن شعب بارثوا قسموا إلى ست طوائف كانت تعمل بالزراعة ، وأربع طوائف تعمل بالرعى وسكن الخيام ، وكان البارساجيون من الطائفة الأولى الذين ينتمون إلى الهخامنشية ؛ عبد الســلام فهمــى : المرجــع السابق ، ص١٩ : ٢٣.

(٥) سميرة عاشور : المرجع السابق ، ص٦١.

وقبل تناول تلك الدولة ومؤسسها وتبعية الولايات الشمالية لها ، وكيفية إدارتها ، رغبت في توضيح الأسباب وراء ذلك والتي يرجع إلى سببين :

- **الأول** : موطن الفرس وهجراتهم تأكيداً لتواجد العنصر الفارسي في منطقة خوارزم.
- **والثاني** : محاولة إثبات أن تلك الهجرات التي حدثت لم تمثل مانعاً من تواجد عناصر إيرانية في تلك المناطق ، وخاصة أن الأسباب كما ذكرنا لم تكن لإبادة العنصر البشري بل لظروف طبيعية فقط مع تزايد العنصر البشري.

ومن أهم أعمال مؤسس تلك الدولة «كوروش» وخاصة بعد ثورة القبائل الموجودة في الأطراف الشمالية من مملكته ، حيث تمكن من تسخير المقاطعات الشرقية للملكة ، وكانت على رأس تلك المقاطعات «خوارزم»(١).

وترى الكتابة أن مفهوم التسخير في هذا المقام يعنى امتداد دولته إلى تلك المقاطعات وسيطرته عليها وجعلها ولايات تابعة له ، إلى جانب حرص تلك المقاطعات على إرسال الجزية السنوية المقررة عليها إلى عاصمة الدولة ومقرها الرئيسي.

ولقد ظل هذا المؤسسة طوال فترة حكمه وحتى وفاته عام ٥٢٩ق.م على هذا المنوال حتى وصلت حدود دولته لأول مرة في تاريخ إيران إلى أقصى اتساع فصارت تضم البلاد الواقعة بين البحر المتوسط ونهر السند وبحيرة أورال(٢).

---

(١) عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسي للدولة العربية ، ج١ ، ص١٩٠ ؛ عبد النعيم حسنين : المرجع السابق ، ص١٩ ؛ عبد السلام فهمى : المرجع السابق ، ص٤٧-٤٩.

(٢) عند النعيم حسنين : الإيرانيون القدماء ، ص٢٠ ؛ عبد السلام فهمى : المرجع السابق ، ص٢٥-٢٦.

ولقد ظلت تلك الدولة أكثر من قرن حتى قدوم الإسكندر وسقوطها على يديه[1]. وانتقلت إليه بالتالي سلطة الأقاليم التابعة لتلك الدولة السابقة ومنها خوارزم[2]. ومع سقوطها انتابت إيران فترة من الضعف بلغت خمسة قرون[3].

والأهم لنا بالنسبة لتلك الدولة هو تناول بعض نظمها الإدارية وعلاقاتها بأقاليمها ، لنوضح وضعها مع إقليم خوارزم الذي صار من الأقاليم التابعة لها.

من نظم الحكم في الدولة الاكمينيه :

حكومة الولايات :

فنذكر أن دارا الأول – أحد الملوك العظام في تلك الدولة – كان إدارياً من الدرجة الأولى قد قسم تلك الدولة إلى ولايات جعل على كل ولاية حاكماً أو والياً يصاحبه رجلان ، **الأول** : رجل عسكري يتولى قيادة الجيوش لحماية الولاية ؛ **والثاني** : يتولى ديوان الإنشاء حيث يكون على صلة بالعاصمة مقدماً لها تقريراً عن كل ما يدور في تلك الولاية التي تسمي «دبير» ويساعده مفتشون يرسلهم الملك الذي كان على رأس هذا الهرم الوظيفي ، للتأكد من سير العدل وعدم الظلم ، وبتلك السياسة الواضحة استطاع وضع تلك الولايات تحت سيطرته ، وكان الملك يلقب «خسائراً» أي المحارب ، وذلك يعنى أن الملكية الفارسية ذات صبغة عسكرية ، ويلقب كذلك بملك الملوك[4]. ذي السلطان المطلق ، وفي حالة

---

(١) عند النعيم حسنين : المرجع السابق ، ص٢٤-٢٥.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ، ج٩ ، ص٣.

(٣) عبد النعيم حسنين : المرجع السابق ، ص٢٥.

(٤) ملك الملوك : مازال هذا الاسم باقيا في لقب ملك الفرس «شاه» ، وفي لفظ «سترب» الذي يسمي به حكام الأقاليم في فارس ، وهو لفظ «كمشاترا» الدال على الطبقة الحاكمة في الهند ؛ أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين في=

احتياج الدولة لقوات حكومة الولايات يمدونهم بالمال والعتاد والسلاح ، وبذلك اتسعت حدود الدولة إلى أقصى اتساع لها[1].

حاكم الولاية :

والذي يعرف بـ «سترب» وهو خاضع للملك المستمد سلطانه من إرادة الملك المستمدة من إله الخير «آهورامزدا» ، وكان سكان الولاة ملزمين بدفع مرتبات موظفي الولاية ، إلى جانب تعهدهم بإرسال الخراج إلى العاصمة ، ذلك الخراج الذي يحدد حسب ما تتمتع به تلك الولاية من ثراء ، ويكون نقدياً أو عينياً[2].

النظام القضائي في الولايات التابعة للدولة الإكمينية :

هناك المحاكم المحلية المنتشرة في الولايات التابعة ، وتتركز مهمة القضاء فيها في بحث الحقوق ، وإصدار الأحكام المدنية ، حيث يسن القضاة القوانين بأنفسهم ، وهم في ولاياتهم يتمتعون بكافة حقوقهم متمثلة في استعمال لغتهم الخاصة بهم ، وكذلك عاداتهم وتقاليدهم وديانتهم ، وفي معظم الأحيان كانوا يبقون على الأسر المحلية في الأقاليم بجانب الوالي وترتب على ذلك رضا بعض الولايات بهذا الحكم الفارسي[3].

= شبه القارة الهندية وحضارتهم ، (مكتبة الآداب ومطبعتها ، القاهرة ، ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م) ، ج١ ، ص٣٢ ، حاشية١ ؛ عبد النعيم حسنين : المرجع السابق ، ص٣٣ ؛ هذا وقد قال ملك الصين : أن السبب وراء هذا المسمي يرجع إلى فخامة الملك ومملكته وجلالتها ونفاسة قدرها وعظم شأنها ؛ ابن صاعد : طبقات الأمم ، ص١١.

(١) عبد النعيم حسنين : المرجع السابق ، ص٣٣-٣٥.

(٢) عبد النعيم حسنين : المرجع السابق ، ص٣٥ ، ٣٦ ، ٣٨ ؛ آرثر كريستنسن : إيران في عهد الساسانيين ، ص١٦.

(٣) مجدي عبد المنعم عجمية : نظام القضاء عند العرب والعجم ، (مجلة كلية الآداب ، الإسكندرية ، ١٩٩٢/١٩٩٣م) ، مجلد٤٠ ، ص٩٢ ؛ ذاكراً أن الحكم في الأمور السياسية ومخالفات الأمن منوط للملك وفي بعض الأحيان يكون=

ومن خلال تناولنا الموجز لبعض نظم الحكم في ظل تلك الدولة ، والذي من المؤكد أنه قد تم تطبيقه في خوارزم على اعتبارها جزءاً من الدولة الهخامنشية ، ويؤكد ذلك ما وجد في نقش دارا الكبير الإكمينى عام ٥٢٢-٤٨٦ ق.م في بيستون والذي ذكر فيه أقاليم بارت ، أي خراسان وخوارزم وباختر «بلخ والصغد» على أنهم من الولايات الخاضعة له[١].

٣ – الدولة الساسانية وتبعية الولايات لها :

إمبراطورية واسعة الإرجاء ، ظهرت بعد فترة الانتكاسة والتدهور التي مرت بها منطقة فارس والأقاليم المجاورة منذ غزو الإسكندر الأكبر والتي أطلقوا عليها عصر «ملوك الطوائف»[٢].

- بتفويض من الملك للولاة ، ولقد بلغ من اهتمام شاهنشاه متابعته للقضاة في إصدار أحكامهم ، ومعاقبة الجناة ؛ عبد النعيم حسنين : المرجع السابق ، ص٣٦.

(١) عبد السلام فهمي : تاجيكستان ماضيها وحاضرها ، ص١٠.

(٢) لقد اتفق العديد من المؤرخين على تقسيم ملوك الفرس إلى طبقات أو أجناس ، هي البيشدادية ، والكيانيه ، والاشكانية «ملوك الطوائف» ، والساسانية ؛ لمزيد من المعلومات انظر : المسعودى : المصدر السابق ، ج١ ، ص٢٤٣ ، ٣٤٤ ؛ الخوارزمي : مفاتيح العلوم ، (مطبعة الشرق ، القاهرة ، ١٣٤٢هـ) ، ص٦٣-٦٥ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الثالث ، القسم الرابع ، ص٢٣٤-٢٣٨ ، ٢٤٥ ، ٢٤٨ ، ص٢٥١-٢٥٢ ، ص٢٥٧-٢٧٦ ؛ القلقشندى : صبح الأعشي في صناعة الإنشا ، ج٥ ، ص٤٨١.

وبالنسبة لنظم الحكم وخاصة فيما يتعلق بحكم الولايات فلم يختلف الأمر كثيراً عن سابقتها فكان من موظفي الدولة حكام الأقاليم وهم معروفون «بالستاربة أو المرازبة»[1]. وبجانبة الشهرداران[2]. الذي لقب بالشاه ، ويقيمون بالإقليم.

ولقد ذكر أمين مرسلن بياناً بمعظم الولايات التي يحكمها بيدخشان «جمع بيدخشن» بوصفهم قواداً لفرسان تلك الولاية ، وكذلك ملوك وستاربة ، وكان من ضمن تلك الولايات والأقاليم إقليم الصغد وفي القرنين الثالث والرابع الميلاديين امتدت سيطرتها على أقاليم الشمال والشرق.

---

(١) **المرازبة** : مفردها مرزبان «صاحب البلد» ، وبخاصة الثغر وذلك لأن المرز هو الثغر ، ويقال أن من المحتمل أن يكون لقب حكام الأقاليم في الأزمنة الأولى من العهد الساسانى هو سترب أو بيدخش حيث لم يعم لفظ مرزبان في استعماله إلا بعد ذلك ، وإن كان يعتقد أن اللفظ لم يظهر إلا في عهد بهرام الخامس ، «٤٢٠-٤٣٨م» عند تعيينه أحد المرازبة على أرمينيه ، حيث يتم اختيارهم من بين النبلاء ، ومن مظاهر تشريفه أن يمنح عرشاً من الفضة ؛ الخوارزمي : المصدر السابق ، ص٧٠ ؛ آرثر كريستنسن : المرجع السابق ، ص١٢٦ ، ١٢٨ ، حاشية٢ ؛ عبد المنعم ماجد : المرجع السابق ، ج١ ، ص١٩٧ ، حاشية٦.

(٢) **شهردران** : من الأمراء الذين يحملون لقب ملك ، أما ملك إيران فهو ملك الملوك شاهنشاه ، يحكمون الإمارات الخاصة لحماية إيران ، ونظير هذا الخضوع هو ضمان ملك الأمير وأبنائه من بعده في تلك الإمارة ،وذلك مقرون بشرط وهو وضع قواتهم تحت تصرفه وتأدية الجزية ، ويؤكد ذلك قول أردشير : كل من يجيء إلينا مقدماً فروض الطاعة لن نخلع عنه لقب ملك مادام يمضى مستقيماً على طريق الخضوع ، وهم ملزمون بالحضور إلى البلاط ... ولتقديم بيان بأعمالهم ؛ آرثر كريستنسن : المرجع السابق ، ص٨٧-٩٠.

ومن المرجح كون خوارزم ضمن تلك الولايات[1]. ويؤكد ذلك كون أغلب سكان خوارزم من الفرس والمجوس واليهود وبعض النصاري[2]. وكان الخوارزميون من الترك الموجودين في أقصى الشمال الشرقي من الحدود الإسلامية جنوبي بحيرة أورال أدنى نهر جيحون[3]. هذا إلى جانب تلقب أمراء هذا الإقليم وملوكه المستقلين – فيما بعد – بلقب شاه «خوارزمشاه».

وبالنسبة للولايات وحكمها فهو يختلف في الدولة الساسانية عن الدولة الإكمينية ، فنجد الولايات ذات المساحات الصغيرة نسبياً لم يكن لها حدود ثابتة ، لذا كان الملك يرسل مرزبان عندما يحتاج إليه فيها ، فهو قائد الجيش تحت رئاسته الاصبهذيون ، وبذلك يغلب عليه الطابع العسكرى[4].

---

(١) آرثر كريستنسن : المرجع السابق ، ص١٢٦-١٢٧.

(٢) المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص٢٢٣ ؛ البيرونى : الآثار الباقية عن القرون الخالية ، ص٢٨٨ ؛ عبد المنعم ماجد : المرجع السابق ، ج٢ ، ص٢١٢-٢١٣.

(٣) محمد عبد الهادي شعيره : الممالك الحليفة أو «ممالك ما وراء النهر والدولة الإسلامية إلى أيام المعتصم» ، (مجلة كلية الآداب ، جامعة فؤاد الأول ، ١٩٤٨م) ، المجلد الرابع ، ص٤٩.

(٤) كان النظام السائد لدى الدولة هو تقسيم تلك الولايات إلى مديريات «آستاندار» ويطلق على حاكمها لقب «آستاندار» أما «باذگوسبان» فهو لقب الوالي الذي يتولى أمر وشئون جزء من الولاية ، ولقد كان لهم مثل ما للمرزبان مجموعة من الجنود تحت تصرفهم ، وكانوا كذلك مديرين للأملاك الملكية ثم كان تقسيم الكور وهي تشمل المدينة ولها شهرستان ويحكمها «شهريگك» الذي يتم انتخابه من بين الدهاقنه ، أما القرية «دية وسوادها رستيگك» يتولى أمرها «دبهيگك»؛ آرثر كريستنسن : إيران في عهد الساسانيين ، ص١٢٨-١٢٩.

- **طبقات الفرس :**

ظهر النظام الطبقي بين الفرس منذ أيام الملك جمشيد «جم من الأسرة البيشدادية» لإيمانهم به ، فوصل الأمر إلى احتفاظ كل فرد بالطبقة التي ينتمي إليها وإذا ما حدث تجاوز فإنما يعتمد على دراية الفرد ونجابته في طبقته.

ومن الملاحظ على تلك الطبقات منذ ظهورها وحتى الدولة الساسانية كون أفرادها معروفين ، ويكمن الاختلاف في الترتيب أو اختصار المسمي الخاص بإحدى هذه الطبقات.

فهناك مقاييس لتلك الطبقات ، فنجد أيام العجم كان السن ، فأكبرهم سناً أعلاهم مجلساً ، ثم الغنى والثروة أيام الضحاك وكذلك أفريد ون ، ثم الأصول والقدم على عهد منوجهر فالعقل والحكم في عهد كيكاوس ، ثم الغنى والبأس والنجدة في عهد كيسخرو ، والدين والفقه أيام بهراسف وانوشروان ، ومن الممكن الأخذ بكل تلك الصفات ما عدا الغنى والثروة[1].

وتلك الطبقات هي على التوالي :

١- طبقة رجال الدين.

٢- طبقة الفرسان.

٣- طبقة أهل الحرف «ويقع تحت نطاقها : البقال ، والزراع ، والبناء».

ولقد ذكرت تلك الطبقات في الاوفستا داخل أناشيدها ، وإن كان الاختلاف فيما ذكر بين الأقواس ، ومن المرجح كون تلك المسميات باللغة

---

(١) طه ندا : دراسات في الشاهنامة ، (دار الطالب ، الإسكندرية ، ١٩٥٤م) ، ص٢١٢-٢١٣ ؛ طه ندا : فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص٣١-٣٢ ؛ آرثر كريستنسن : المرجع السابق ، ص٨٥.

الافستائية التي كتب بها كتابهم المقدس ، ولقد أشارت إليها الشاهنامة للفردوسي أيضاً[1].

طبقات الفرس في عهد الساسانيين :

ولقد صارت في عهدهم أربع طبقات يتشعب من كل طبقة أفراد آخرون يمثلون جهازاً إداريا متكاملاً على رأسه الملك :

أ – طبقة رجال الدين :

يتم اختيارهم من قبيلة المغان ، ورئيسها يطلق عليه «موبذان موبذ»[2]. وعلى كل مركز من مراكز الدولة موبذ.

وتتمثل وظائف الموبذ موبذان في أن له السلطة العليا في المسائل الدينية والعلمية والسياسية ، وكذلك اشتراكه في تكوين هيئات محاكم التفتيش ، وخاصة في الأقاليم الخاضعة للدولة ، إلى جانب كونه مستشاراً في كل الأمور الدينية.

---

(١) طه ندا : فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص٢١٤ ، حيث وضح أن تلك الطبقات التي ذكرت في الافستا هي :

أ – طبقة رجال الدين والروحيين «أثير يامن».

ب– طبقة رجال الحرب «خوائتو».

جـ– طبقة الزراع والفلاحين «ورزنا».

(٢) **موبذان موبذ** : قاضي القضاة ، وهي من الألفاظ الفهلوية ، موبذ أي القاضي ؛ الجاحظ : التاج في أخلاق الملوك ، تحقيق : أحمد زكي باشا : (القاهرة ، ١٣٣٢هـ/١٩١٤م) ، ص٧٧ ؛ وإن كانت قد ذكرت تحت تعريف أعلم العلماء فمن الممكن أن يكون المقصود بذلك أنه اعلم العلماء في النواحي الدينية ؛ الخوارزمي : المصدر السابق ، ص٧١ ، ذاكراً أن الموبذ «قاضي المجوس» ، والموبذان «قاضي القضاة».

أما الوظائف القضائية فكانت من سلطة الهربذان هربذ[1]. بوصفهم قضاه يصدرون الأحكام ، ويلقبون «دادوران» ووكلاؤهم «دستوران» ثم يليه القاضي الروحاني «سروشورزداريك» وهو الذي يتولى القضاء في الأقاليم ومهمته تنفيذ العدالة وسير القانون في جميع الأعمال.

ويتبع رجال الدين كذلك «آل وردبد» «أستاذ العمل» ، و«آل دستور» الخبير بالمسائل الدينية وهو رجل دين ومشرع يلجأ إليه الناس للحسم في القضايا المشتبه فيها ، ومنهم «ماغان أندرذبد» أو مكوكان أندرزيد» «مؤدب المجوس»[2].

ويتواجد في كل إقليم «الدهقان»[3]. والذي يفصل في القضايا باعتباره المسئول عن هذا الإقليم.

---

(١) **الهربذ** : خادم النار والجمع هربذ ، وهي من لغات الفرس الفهلوية ؛ الخوارزمي : المصدر السابق ، ص٧١.

(٢) آرثر كريستنسن : المرجع السابق ، ص١٠٦-١٠٧ ؛ جرجى زيدان : التمدن الإسلامي ، (مطبعة الهلال ، القاهرة ، ١٩٠٦م) ، ج٥ ، ص٥٣٢ ؛ مجدي عبد المنعم عجميه : المرجع السابق ، ص٩٦ ؛ يحيى الخشاب : فن الحكم عند الفرس ، (مجلة المنتدى ، د.ت) ، ص٢١ ؛ وذلك أن زواندان تخصص في علوم الدين والفقه ، فصار كبير الهربذاة.

(٣) **الدهقان** : يذكر أن أول من تدهقن هو «وهكرت بن فروال بن سياسك بن نرس بن كيومرث الملك» ، وله عشرة أبناء كلهم دهاقنه ، لذا هو أول من وصفها ، وجعل على كل قرية دهقان وهم ملاك الأراضي ، وكانت طبقتهم تتفرع إلى خمس مراتب ، وتختلف ملابسهم على حسب مراتبهم ؛ المسعودى : المصدر السابق ، ج١ ، ص٢٤٤ ؛ القرمانى : المصدر السابق ، ص٣٤٩ ؛ عبد المنعم ماجد : المرجع السابق ، ج١ ، ص٣٦.

ب – طبقة المحاربين «الفرسان»[1].

وتتضمن الفرسان ، ومن المرجح كونهم من طبقة النبلاء ، ويطلق على ضباط الجيش الأساورة[2]. حيث يعيشون في إقطاعياتهم التي يباشرونها في وقت السلم ولقد صار هذا اللقب فيما بعد «فارس ، سوار» له قيمة اجتماعية أعلى شأناً[3].

ويطلق على رئيسهم «مير ميران»[4]. وبحكم سلطانه يتدخل في كل الأمور المتعلقة بالجيش وتحت إمارته أربعة قواد يطلق عليهم «اصفهبذ» سباهبد ، وتحت إمرته أربعة مرازبة ، وتحت هؤلاء أربعة سالارية ، وتحت الأخير عشرة أساورة وهم الفرسان وخمسة من الرجال المشاة[5]. وهناك موظف كبير يطلق عليه «مؤدب الأساورة» وهو المكلف بتعليم أبناء المحاربين في المدن والرساتيق حمل السلاح وآدابه[6].

---

(١) المنينى : تاريخ العتبي ، ج١ ، ص٤١ ، حيث أطلق عليها «طبقة الأصبهبذية» ووصفها في الطبقة الثالثة ، وكذلك رئيس رجال الحرب «سباه» ؛ طه ندا : المرجع السابق ، ص٣٣.

(٢) الأساورة : مفردها أسوار «سوار» حيث قال أبو عبيده هم الفرسان ، والأساورة أيضاً قوم من العجم ، وذكر الخوارزمي أن العجم لا تطلق اسم «أسوار» إلا على الرجل الشجاع البطل المشهور وبالتالي يكون مقابلة في الفرنسية «Chevrier» ؛ الخوارزمي : مفاتيح العلوم ، ص٧١ ؛ الجاحظ : المصدر السابق ، ص٢٤ ، حاشية(١).

(٣) آرثر كريستنسن : إيران في عهد الساسانيين ، ص١١٩-١٢١.

(٤) جرجى زيدان : المرجع السابق ، (مطبعة الهلال ، القاهرة ، ١٩٠١م) ، ج١ ، ص١١٩.

(٥) جرجى زيدان : المرجع السابق ، ج١ ، ص١١٧ ، ١١٩.

(٦) الخوارزمى : المصدر السابق ، ص٧١.

جـ – طبقة المشاة «بايكان» :

ورئيسهم «بيگانسالار» ويكونون تحت تصرف موظفي الأقاليم ، ولشغل وظائف مماثلة كانت فرقة الرماة ورئيسها وقائدها «تيربد» تلحق بالقرى ، وبعض أنحاء المملكة على الأقل[1].

د – طبقة الكتاب :

ورئيسهم الذي يلقب «إيران يهربذ» أو «إيـران – دبيريـد» أو «ديهران مهيست» ، ويقع على عـاتقهم الاهتمـام بالوثـائق الرسـمية للدولة[2].

هـ – طبقة الفلاحين والزراع :

يدخل في نطاقها الزراع ، والصناع ، والفلاحـين ، والتجـار ، وكافة أصحاب الحرف ، فيكون لكل حرفه رئيس خاص بها ويطلق عليه «واستريوشان سالار»[3]. وبجانبه الأشراف[4]. والتي تتميز عـن طبقـة العامة بلباسها وما تمتلكه من القصور والبساتين والخدم وغير ذلك.

---

(١) آرثر كريستنسن : المرجع السابق ، ص١٢١.

(٢) الجاحظ : المصدر السابق ، ص٧٧ ؛ طه ندا : المرجع السابق ، ص٣٣ ؛ طـه ندا : دراسات في الشاهنامة ، ص٢١٥ ؛ آرثر كريستنسن : المرجع السـابق ، ص١٢١ ، ١٢٣-١٢٤ ؛ لمزيد من المعلومات حول ذلك.

(٣) طه ندا : المرجع السابق ، ص٣٣ ؛ طه ندا : دراسات في الشاهنامة ، ص٢١٥.

(٤) الأشراف : كثيراً ما يذكر في الدولة الساسانية اصطلاح «العظماء والأشـراف» وخاصة في توقيت تولية ملك جديد ، فكانوا حريصين على تقديم فروض الولاء والطاعة ، إلى جانب دورهم الواضح في النـواحي السياسـية ، ثـم ظهـرت مصطلحات خاصة بهم وهي «Azadhan» الأحرار ، ويقال إنهم في الأصـل اسم لغزاة الآريين ، ويعتبرهم من السكان الأصليين الذين غلبوا على أمـرهم ، ولكن مع اختلاط الأجناس وحدوث العديد من التغيرات نزل كثير من تلك الأسر إلى طبقة الحراثين المستبعدة ، وإلى طبقة أهل المـدن ، ومـنهم مـن احـتفظ بأصالته ، وكون آخرون ما يطلق عليهم النبلاء وهي طبقة أقل شـأناً ، كانـت مبعثرة في الدولة ، حيث يعمل عدد كبير منها موظفين صغار في إدارة الأقاليم ، واحتفظوا لأنفسهم بكلمة آزدان «الأشراف» وكذلك أم گنگ خوذابان «رؤساء العائلة» ؛ آرثر كريستنس : إيران في عهد الساسانيين ، ص١٨.

- **التركيب السكاني لإقليم خوارزم :**

يتضح من نصوص كل من المقدسي والبيروني والخوارزمي تواجد الفرس المجوس بتلك الإمارة المترامية الأطراف ، فيذكر البيرونى اتجاه أهل خوارزم للتأريخ لأنفسهم ، وكانت البداية مع أول عمارتها «قبل عهد الإسكندر بحوالى ٩٨٠ عاماً ، وبعدها اخذوا بتورد سياوش بن كيكاوس لها وتلاه كيخسرو هو ونسله لها عندما سير أمره على ملك الترك بها. مما سبق نستنتج تبعية الإمارة – منذ بدايتها – للفرس ، فكانت بدايتها مع الأسرة الكيانية(١).

وكان من نسل كيخسرو رجل يدعى «أفريغ» وحكم من بعده ابنه الذي بنى قصره على ظهر الفير «الفيل» ، ولقد أرخ أهل خوارزم به وبأولاده فكان تولية ابنه الذي بنى هذا القصر عام ٦١٦ للإسكندر. ولقد ظل نسلهم متواجداً في تلك الإمارة ، فكان آخرهم قبل مقدم القائد قتيبة بن مسلم الباهلي ، وهو أرثوخ بن بوزكارين خامكري بن شاوش سخر بن أزكاجوار بن إسكجموك بن سخسك بن بغره بن أفريغ» ، وظلوا حتى مقدم القائد السابق لتلك الإمارة مرة ثانية بعد ارتداد أهلها ، وملك عليهم واحد من تلك الأسرة وأخذوا لقب الشاهية منهم ، وبذلك خرجت الولاية من نسل الأكاسرة.

وبقيت حتى فترة الحاكم «الشهيد أبي عبدالله محمد بن أحمد بن محمد بن عراق بن منصور بن عبدالله بن تركسبانه بن شاوشغر بن إسكجموك بن ازكا جور بن سبري بن سخر ابن ارثموخ» أمير خوارزم في مدينة كاث والحامل للقب خوارزم شاه(٢). وذلك دليل قاطع على وجود

---

(١) البيرونى : الآثار الباقية عن القرون الخالية ، ص٣٥-٣٦.

(٢) البيرونى : المرجع السابق ، ص٣٥-٣٦.

لقب خوارزم شاه : يظهر من شكل الكلمة أن لفظ خوارزمشاه ، لقب لذلك الشخص الذي يكون حاكم ذلك الإقليم ، وهو بديل للفظ والى أو حاكم ، وكان حكام وولاة مختلف مناطق إيران في الفترة التي لم تكن فيها حكومة واحدة ، يتخذ كل واحد منهم لقباً خاصاً بهم ومنهم حكومة خوارزم «خوارزم شاه» =

اشره فارسية قديمة تمارس شئونها ، وإن كان ذلك لا يمنع مـــن تبعيتهـــا لتلك الدول السالفة الذكر.

وبجانب الفرس بخوارزم ، وجدت شعوب أخرى منهم الاورس ، وعند الصين «ينى تسي» زحفوا إلى الغرب فـــي «القـــرن الأول ق.م» واتبعوا نفس الطريقة التي اتبعها من قبل السين والسرمت ، ويقصد بذلك من كون وجود تلك العناصر بتلك الولاية ، أو بالقرب منها ، وخاصة بعد تحديده لموقع هؤلاء.

وقد ذكر أنهم «شعب قديم ممتد تواجدهم فيما بين البلطيق والبحر الأسود «بحر بنطش» ، وبعد منتصف القرن الأول ق.م اختفى ذلك الاسم وسمى الشعب هناك باللان ، وهي الصيغة الإيرانية لكلمـــة «آري» فـــي المناطق الشمالية[1].

وإن كنت أرجح من خلال ما سبق كون تلك العناصـــر عناصـــر تركية تأثرت بالعناصر الفارسية ، واندمجت معها ، وأطلقت عليها هـــذه الصيغة أو اللفظة.

ومن خلال ما سبق نؤكد أن الطابع المميز لتلك الإمارات بما فيهم إمارة خوارزم هو سيطرة طبقة الملاك «الدهاقين» من رؤساء القريـــة ، فهم ينتمون إلى الأمراء المحليين ، والذين بدورهم يرجعون إلـــى طبقـــة النبلاء أصحاب النفوذ الأعلى[2]. الذين انبثقوا من أصحاب الإقطاعـــات ،

= بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد بن موسي بن أحمد بـــن الحســـين بـــن يوسف بن محمود ، السيف المهند في سيرة الملك المؤيد «شيخ المحمـــودي» : (دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القـــاهرة ، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م) ، ص٩٩ ؛ محمد دبير سياقي : سلطان جلال الدين خوارزم شاه ، ترجمة : حربـــي أمـــين سليمان : (تهران ، د.ت) ، ص٧٣-٧٤.

(١) آرثر كريستنسن : المرجع السابق ، ص١٨.

(٢) بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغـــولى ، ص٢٣٨ ؛ آرثـــر كريستنس : المرجع السابق ، ص٩٩.

ومن كبار الملاك في القرية وبشيء من التجاوز يمكن أن يطلق عليهم «طبقة الدهاقين» ويدخل فيها كل أصحاب النفوذ والسيطرة ، سواء نفوذ إداري متمثلاً في الدهاقنة أو نفوذ إقطاعي متمثلاً في كبار الملاك ، أو نفوذ عسكري الذي تمثله طبقة الفرسان[1]. بجانبهم طبقة التجار وأصحاب الحرف ، وطبقة الفرسان التي تتصف بالشجاعة وتفتقر إلى التنظيم[2].

- **الحياة الدينية عند الفرس** :

في البداية كانوا يميلون إلى عبادة القوى والظواهر الطبيعية المتمثلة – على سبيل المثال – في النهار ، والهواء وغيرها ، أما أهم القوى فكانت الشمس «مثيراً» عين الشمس ، والضوء النابع منها «عين الله» ، والثور المقدس «ها أوما» ، «آناهينا» إله الخصوبة والأرض[3].

ويطلق على الدين الذي اعتنقه الفرس – قديماً – الديانة المجوسية ، ومن يعتنقه مجوسي ، وإن كان حسب الرواية العربية تنسب إلى شخص اسمه «منج كوش» وكان قدومه قبل زرادشت ، ولقد تمثلت في الإله الأعلى الرامز إلى إله النور وهو «آهورامزدا» الذي يعرف في كتب أخرى باسم «يزدان» (وهي تعنى خالق الخير والمعرفة) ، ويفهم منها

---

(١) عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسي للدولة العربية ، ج٢ ، ص٢١٣.

(٢) بارتولد : المرجع السابق ، ص٢٩٨-٢٩٩.

(٣) مسيو ماسبيرو : تاريخ الشرق ، ترجمة : أحمد زكى : (الطبعة الأولى ، بولاق ، ١٣١٤هـ/١٨٩٧م) ، ص٢١٦ ؛ ذكر أن ديانة الماديين الفرس مأخوذة من عبادة الأمم الآرية القديمة ، ودليلنا على ذلك بعض كتب الهند المقدسة ، ولقد جاء في الأساطير المتداولة عند العامة كونها من صنع رجل واحد هو زرادشت أو زرثوستراوان وهو من السلالة الملوكية ؛ أحمد أمين : فجر الإسلام ، (الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٦م) ، ص٩٩ ؛ آرثر كريستنسن : المرجع السابق ، ص١٩ ؛ طه ندا : دراسات في الشاهنامة ، ص٢٤٠-٢٤١ ؛ على حسنى الخربوطلى : المجوسية والمجوس ، (مجلة كلية البنات ، د.ت) ، ص١٤٧ ؛ طه ندا : المرجع السابق ، ص٢٤١.

تقديسهم للظواهر الطبيعية كوسيط للإله الأعلى ، وطريقتهم في ذلك هـو اشتعال النار «آتش» في بيوت النار أو على رؤوس الجبـال باعتبارهـا مصدر النور وأساس الخير الذي يحرق الشر[1].

المتمثل في الظلمة والجدب ، وهم يتقربون إليه بتقديم القـرابين والضحايا[2].

بيوت النار :

لقد حصر المسعودي بيوت النار في عشرة بيوت تقريباً ، حيـث توجد في مناطق متعددة ومنتشرة فهناك بيت نار باصطخر[3]. بيت نـار بسابور من أرض فارس ، وآخر بنسا ، وآخر بنيساور من بلاد خراسان.

بيت نار خوارزم :

ونظراً لعظمة النار وأهميتها به ، نقلت إلى مدينة درابجرد مـن أرض فارس ، بناءً على طلب النبي زرادشت ، وكان يعظمها جم الملك ، وتلك النار هي نار خوارزم ، ويدل على ذلك أمران :

---

(١) عبد المنعم ماجد : المرجع السابق ، ج١ ، ص١٩٢-١٩٣ ؛ طه ندا : المرجـع السابق ، ص٢٤٨ ، حيث أكد أن من بين الأقدمين من كان يؤمن بوجـود إلـه واحد عظيم يسيطر على الكون يكمن وراء كل الظواهر التي يعبـدها الآريسون القدمان مثل الشمس وغيرها.

(٢) أبو الفتح عبد الكريم الشهرستانى : الملل والنحل ، (مكتبة المثنى ، بغداد ، د.ت) ، ج١ ، ص٧٢ ؛ ولمزيد من المعلومات انظر نفس المصدر ص٦٣-٧٦ ؛ عماد الدين أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ، ج١ ، ص٨٣ ؛ زين الدين عمر بن الوردى : تاريخ ابن الوردى ، (د.م ، ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م) ، ج١ ، ص٧٢ ؛ ذكر (أن تلك الملة التي يدين بها الفرس يطلقون على معتنقها كيومرثية ، يعبدون إلها مخلوقا من النور «يزدان» ، والآخر من الظلمة وهو «آهرمن» فأصل دينهم قائم على تعظيم النور ، ثم تحول لعبادة النور وأنشأوا بيوت خاصة بذلك لمقاومة اله الظلمة إبليس) ؛ على حسن الخربوطلى : المرجع السابق ، ص١٤٧-١٤٨.

(٣) المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج١ ، ص٥٤٦.

- **الأول** : قدم تلك النار وأهميتها.
- **الثاني** : تواجد العنصر الفارسي وممارستهم لعبادتهم بحرية كاملة مع تواجد عناصر وطوائف أخرى.

وكما ذكر المسعودى كان يطلق على تلك النار اسم «آزرجوى» أي نار النهر «آزر هو أحد أسماء النار ، وجوى أحد أسماء النهر بالفارسية» ، وزيادة على ذلك هو تعظيم الفرس لتلك النار على أيه نار أخرى ، فذكر أن كيخسرو عندما خرج غازياً للترك صار إلى خوارزم ومر عليها وعظمها وسجد لها ، وكذلك فعل أنوشروان – من الأسرة الساسانية – حيث نقلها إلى «الكاريان» فخافوا عليها من المسلمين فتركوا بعضها في الكاريان ، وبعضها في نسا البيضاء من كورة فارس لتظل إحداهما إذا انطفأت الأخرى[1]. وأخيراً بيت نار في كاسان بمدينه فرغانه[2].

الديانة الزرادشتية :

ظهر زرادشت في القرن ٧ ق.م في عهد كشتاسب بن لهراسب الملك[3]. ووقع الخلاف حول مولده ، وإن كان الشهرستانى قد أشار إلى

---

(١) المسعودي : المصدر السابق ، ج١ ، ص٥٤٦-٥٤٧ ؛ الشهرستانى : المصدر السابق ، ج٢ ، ص٩٢.

(٢) المسعودي : المصدر السابق ، ج١ ، ص٥٣٦ ؛ أبو المعالى محمد الحسينى العلوى : بيان الأديان ، ترجمة : يحيى الخشاب : (غرنـه ، د.ت) ، ص١٦ ، ٢٥ ؛ تقي الدين أحمد بن على المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك ، صححه ووضع حواشيه : محمد مصطفي زيادة : (دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٨٣٤م) ، ج١ ، القسم الأول ، ص١٠-١١.

(٣) المسعودي : المصدر السابق ، ج١ ، ص١٩٦ ؛ الشهرستانى : المصدر السابق ، ج١ ، ص٧٧ ؛ مظهر بن طاهر المقدسي : البدء والتاريخ ، ج٣ ، ص١٤٩ ؛ أبو الفدا : المصدر السابق ، ج١ ، ص٨٣ ؛ ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، المجلد الثالث ، القسم الرابع ، ص٢٣٨ ؛ أحمد أمين : فجر الإسلام ، ص١٥٤ ؛ عبد المنعم ماجد : المرجع السابق ، ج١ ، ص١٩٣ ؛ أسعد السحرانى : الصابئة ، الزرادشتيه ، اليزيدية ، (دار النفائس ، بيروت ، ١٤١٧/١٩٩٧م) ، ص٤٣.

أنه ولد بالري من إقليم ميديا «منطقة الجبال موطن الآريين القدماء» ثم رحل إلى بلخ ومنها انتشرت عقيدته إلى الصغد وخوارزم وجميع أنحاء فارس[١].

وتدعو تلك العقيدة إلى عباده إله واحد ، وهو : «آهورامزدا» وليست سوى تأكيد وتقوية لدعائم ما كان يعتنقه الفرس منذ القدم ، ذاكراً أن هذا الإله هو خالق الكون كله «فيفسر الوجود على أساس مبدأي الخير والشر» ، لذا عرفت عند العرب بالثنوية أو المزدية أيضاً[٢].

ولقد اتخذ زرادشت النار رمزاً لإله الخير «أو النور» ، وأطلقوا كلمة زنديق على كل ملحد لا يؤمن بالدين الحق[٣].

---

(١) المسعودي : المصدر السابق ، ج١ ، ص١٩٦ ؛ حيث ذكر أنه (من أهل أذربيجان وهو نبى المجوس الذي أتاهم بالكتاب المعروف عند العوام من الناس بالزمزية ، وعند المجوس بالبستاه) ؛ الشهرستاني : المصدر السابق ، ج١ ، ص٧٧ ؛ ولمزيد من المعلومات عن ظهوره ومولده انظر نفس المصدر ، ص٧٨-٧٩ ؛ أبو الفدا : المصدر السابق ، ج١ ، ص٨٣ ؛ طه ندا : المرجع السابق ، ص٢٤٢ ؛ عبد المنعم ماجد : المرجع السابق ، ص١٩٣ ؛ مسيو ماسبيرو : تاريخ المشرق ، ص٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ؛ على حسن الخربوطلى : المرجع السابق ، ص١٤٨.

(٢) آرثر كريستنسن : إيران في عهد الساسانيين ، ص١٩ ، ٢٢ ؛ ذكر أن زرداشت نبيا لمذهب مزدى معدل في الشرق وربما على الأكثر تحديداً في الإقليم الذي به أفغانستان الحديثة ، ولقد ظلت الزرادشتية وعقائدها تتغلغل في الغرب ، حيث نجد أن المزدية الزرادشتية لم تنتشر عند مجوس ميديا إلا منذ القرن ٤ ق.م ، وإن كانت تختلف في بعض المسائل عما وجد في مزدية الگاثات ؛ طه ندا : دراسات في الشاهنامة ، ص٢٤٧-٢٤٨ ؛ عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسي للدولة العربية ، ج١ ، ص١٩٣ ؛ على حسن الخربوطلى : المرجع السابق ، ص١٤٩ ؛ محمد توفيق صادق : ثغر خراسان من الفتح العربي حتى قيام الدولة المستقلة ، (الإسكندرية ، ١٩٨٤م) ، رسالة دكتوراه ، ص٦ ، حاشية(١).

(٣) محمد توفيق صادق : المرجع السابق ، ص٦ ، حاشية(١) ؛ ذكر أن كلمة زنديق والتي كانت في الأصل سامية وهي صديق ثم نقلت محرفة عند الآرامية زديق إلى الفهلوية ، وأخذها العرب بصورتها المحرفة عند الفرس زنديق وإن كانت لدى المانويين تعطى المعنى العكسي ، وهي تطلق على المؤمن المخلص من أتباع ماني.

ولقد جمع زرادشت كل تلك العقائد من تراث الأجداد في كتاب سماه «الافستا» «النص الأصلي» وعرفت فيما بعد باسم الايستاق أو الابستا[1]. ولقد امتاز بضخامته وإن كان قد تعرض للضياع أكثر من مرة ، ولم يبق منه سوي خمسة أجزاء ، وهي :

- بسنا «وتعنى العبادة ، الحمد ، الصلاة» وتضم المقطوعات المنظومة وتعرف «كاثا».
- وبسبرد.
- وندیراد.
- بشتها أو «البشتات».
- خورده أفستا ، وهي : «الأفستا الصغيرة التي تشمل كل ما تبقي من قطع الزندافستا»[2].

ولقد كان من أهم مبادئ تلك العقيدة هو الحث على الاهتمام بالزراعة ورعاية الماشية لكونها أشرف الأعمال ، لدرجة تحريم الصوم لكي يجدوا في الفلاحة ، إلى جانب اعتباره لكل من الماء والهواء والنهر والتراب عناصر طاهرة مقدسة لا تنجس ، ومن هنا جاء تقديس النار والماء ، وتحريم دفن الموتى في الأرض[3]. لذا كانوا يستنجون بالدهن ، ولا يتكلمون وقت الطعام وإنما الزمزمة واجبة في ذلك الحين[4].

---

(١) مسيو ماسبيرو : تاريخ المشرق ، ص٢١٦ ؛ أحمد أمين : فجر الإسلام ، ص١٥٦ ؛ عبد المنعم ماجد : المرجع السابق ، ج١ ، ص١٩٤ ؛ على حسنى الخربوطلى : المرجع السابق ، ص١٥٠.

(٢) لمزيد من المعلومات حول ذلك انظر : القلقشندي : صبح الأعشي في صناعة الإنشا ، ج٣ ، ص٢٩٢-٢٩٤ ؛ طه ندا : دراسات في الشاهنامة ، ص٢٤٤-٢٤٧.

(٣) محمد حسنى الخربوطلى : المرجع السابق ، ص١٥١.

(٤) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، (بيروت د.ت) ، ج١ ، ص١٥٨ ؛ أبو المعالى محمد الحسينى العلوى ، بيان الأديان ، ص٢٥ ؛ آرثر كريستنسن : المرجع السابق ، ص١٣٤ ؛ ذكر أن الفرس يقدسون الماء قبل كل شيء إلى حد أنهم لا يغسلون به وجههم ولا يلمسونه إلا للشرب أو ري الزرع.

ولقد سادت تلك العقيدة بلاد فارس وما جاورها حتى انتصار الإسكندر عليهم عام ٣٣١ق.م ، لذا انحط شأنها حتى استعادت مكانتها مع قيام الدولة الساسانية ، وبقيت ديناً للفرس حتى ظهور الإسلام ، فبقيت فئة منها بفارس تمارس شعائرها تقريباً في كل ولاية فارسية ، وذلك نحو ثلاثة قرون بعد انتشار الإسلام ، وفر بعضهم إلى الهند(١).

المانوية :

كانت من المعاول وراء ضعف الزرادشتية في إيران بعد تغلغل المسيحية ونفوذها داخل المجتمع الإيراني(٢). تنسب لمانى الذي ولد عام ٢١٥ أو ٢١٦م في إحدى قري بابل ، وكان متأثرا بالزرادتشية ، والمسيحية ، والبوذية ، فاستمد أصولها من هؤلاء ، لذا لم يأت بجديد فأطلقوا على عقيدته الزرادشتية الحديثة ، ولقد دعا إلى عبادة النور والظلمة ، ثم عاد ثانية إلى دين المجوسية(٣). إلى جانب جمعه ما بين النصرانية والمجوسية ، وتمثل ذلك في زعم مانى أن العالم مركب من عنصرين أصليين قديمين ، هما : النور والظلمة ، وهما مختلفان في النفس والصورة ، متضادان في الفعل والتدبير(٤).

---

(١) طه ندا : دراسات في الشاهنامة ، ص٥٠ ؛ محمد حسنى الخربوطلى : المرجع السابق ، ص١٥٢.

(٢) طه ندا : المرجع السابق ، ص٢٧٥ ؛ طه ندا : فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص٥١.

(٣) المسعودي : المصدر السابق ، ج١ ، ص٢١٥-٢١٦ ؛ الشهرستانى : المصدر السابق ، ج١ ، ص٨١ ؛ ابن النديم : الفهرست ، (دار المعارف للطباعة والنشر ، تونس ، سوسه ، د.ت) ، ص٤٥٨.

(٤) عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادى : الفرق بين الفرق ، تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد : (المكتبة العصرية ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م) ، ص٢٧١ ؛ ذاكراً كون مانى قتل في زمن «سابور بن بهرام» ، حاشية(١) ؛ الشهرستانى : المصدر السابق ، ج١ ، ص٨١ ؛ طه ندا : فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص٥١.

وبذلك فقد تشابه مع الزرادشتية ، وفي الوقت نفسه اختلف معهم في تشاؤم مانى على عكس زرادشت حيث دعا إلى التقشف بقمع الشهوات والزهد ، والصيام «سبعة أيام من كل شهر» إلى جانب أربع أو سبع ساعات في اليوم ، وتناقضات أخرى عديدة.

وعلى الرغم مما سبق فقد كثر معتنقوه حتى زاحموا الزرادشتية وضيقوا عليها المجال ، وظلت مزدهرة حتى عهد بهرام الأول وقتله لمانى وتشريد أتباعه ، وإن كانت قد ظلت تعاليمه مع مريديه الذي أخذوا على عاتقهم نشر تعاليمه ، والتي كانت في بابل ثم انتشرت إلى ما وراء النهر وخاصة سمرقند[١]. ولقد ألف مانى سبعة كتب شرح فيها تعاليم دينه ورحلاته بآسيا الوسطى والهند والصين[٢].

المزدكية :

من الواضح كونها فرقة قد انبعثت من الزرادشتيه مع اختلاف بسيط فهي تنسب إلى مزدك «وكان يشغل وظيفة موبذ موبذان أيام قباذ بن فيروز» ظهر في القرن الخامس الميلادي عام ٤٨٧م من فارس من أهل نيسابور[٣].

---

(١) ابن النديم : المصدر السابق ، ص٤٦٨ ؛ الشهرستانى : المصدر السابق ، ج١ ، ص٨٥ ؛ طه ندا : دراسات في الشاهنامة ، ص٢٧٥-٢٧٦ ؛ طه ندا : فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص٥١ ؛ محمد حسنى الخربوطلى : المرجع السابق ، ص١٥٣-١٥٤.

(٢) محمد حسنى الخربوطلى : المرجع السابق ، ص٦ ، حاشية٢.

(٣) الشهر ستانى : المرجع السابق ،ج١ ، ص٨٦ ؛ طه ندا : دراسات في الشاهنامة ، ص٢٧٦ ؛ طه ندا : فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص٥١ ؛ محمد حسنى الخربوطلى : المرجع السابق ، ص١٥٥ ؛ محمد توفيق صادق : المرجع السابق ، ص٦ ، حاشية(٢).

ولقد خالف زرادشت في كثير من المسائل ، حيث ناقش الصلة بين الأصلين القديمين ، وهما : النور والظلمة ، وهما أساس دين المجوس القديم[1]. وذكر أن النور يفعل بالقصد والاختيار والظلمة تفعل على الخبط والاتفاق والنور عالم حساس والظلام جاهل أعمى ، وإن المزج كان على الاتفاق ، وليس على القصد والاختيار ، وأيضاً الخلاص بالاتفاق دون الاختيار[2]. ودعا كذلك إلى الشيوعية والمساواة بين كل الناس للقضاء على التحاسد والطمع بينهم ، وكان ذلك وراء مقتله على يد أنوشروان عام ٥٢٣م وأتباعه معه[3].

هذا إلى جانب فرق أخرى عديدة قد تشبعت من مذاهب الفرس ، منها فرقة الديصانية ، والمرقونية ، والكينونه ، والتناسخية[4].

هذا ومن الملاحظ على الحياة الدينية عند الفرس بقاء الديانة الزرادشتيه ، وانتشار بيوت النار لممارسة العقيدة فيها ، بخلاف كل من المانوية والمزدكية ، والتي ما لبثت أن ظهرت ثم اختفت ، وإن كان اختفاؤها لم يكن مبرماً ، ومرجع ذلك إلى القيمة العملية لتلك الديانة بالنسبة للملك والرعية ، فمن خلالها وضعوا أسس النظام الملكي في

---

(١) طه ندا : فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص٥١-٥٢ ؛ محمد توفيق صادق : المرجع السابق ، ص٦ ، حاشية(٣).

(٢) الشهرستانى : الملل والنحل ، ج١ ، ص٨٦ ؛ دائرة المعارف الإسلامية : ج١ ، ص٣٥٢.

(٣) ابن النديم : المصدر السابق ، ص٤٨٠ ؛ الشهرستانى : المرجع السابق ، ج٢ ، ص٨٦-٨٧ ؛ أبو المعالى محمد الحسينى العلوى : بيان الأديان ، ص٨٦ ؛ طه ندا : دراسات في الشاهنامة ، ص٢٨٦ ؛ طه ندا : فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص٥١-٥٢ ؛ محمد توفيق : المرجع السابق ، ص١٥٥ ؛ أحمد أمين : فجر الإسلام ، ص١٧٠-١٧١.

(٤) الشهرستانى : المرجع السابق ، ج٢ ، ص٨٨-٩١ ؛ على حسن الخربوطلى : المجوسية والمجوس ، ص١٥٦-١٥٧.

فارس ، حيث ألقوا في وجدانهم كونهم ينتمون إلى سلالة الملوك الكيانيين السابقين عليهم ، وهم الآلهة الذين اصطفاهم الله لكي يحكموا العالم والأرض بتفويض منهم هو إله النور[1]. لذا وجب عليهم السمع والطاعة ، لذا فقد جعلوها الدين القومي للدولة.

ثانياً : الترك :

اتفق الباحثون على أن موضع الترك وأصولهم العرقية من الموضوعات التاريخية الصعبة ، وذلك لعده أسباب ، وهي :

- اتساع تلك الرقعة التي تشغلها قبائل الترك في أواسط آسيا وشرقها.
- اختلاف لهجات تلك القبائل التركية وتنوعها.
- اختلاط عروق قبائل الترك بالشعوب المجاورة من الإيرانيين غرباً وإلى الصين شرقاً.

وتضيف الكاتبة إلى تلك الأسباب سبباً أخر وهو المصادر ، فأغلب من كتب عن هذا الموضوع كتب في عصور متأخرة مما يعرض المعلومات الواردة فيها للشك ، نظراً للفارق الزمنى الشاسع بين تاريخ حدوث الوقائع وتاريخ كتابتها.

وإن كانت الاكتشافات الأثرية الحديثة ، وأيضاً نقوش أورخون[2]. التي تناولت فترة تاريخه قصيرة تبلغ نصف قرن من عام ٦٨٠-٦٣٠م ،

---

(١) محمد حسنى الخروطلى : المرجع السابق ، ص١٥٧.

(٢) **نقوش أورخون** : نسبة إلى نهر أورخون في منغوليا ، عثر عليها عام ١٨٨٩م ، وهي أقدم اثر حفظته الأيام من آثار اللغة التركية ، اكتشفت على ضريح مشترك لاثنين من الأمراء ، وهما بالكاقاغان وأخيه الأصغر كلتكين ، وترجع لعام ٧٣١م/٧٣٤م ، حيث كتبت بخط شعبه الخط الرونى «الذي استعملته الشعوب الجرمانية حوالى القرن٢م» ، فاقتبسوه من الفرس ، واستنبطوه من الخط الآرامى ؛ وكما يذكر كارل بروكلمان ، بأنها تحمل كتابات تركية قديمة منذ عام ٧٣١-٨٣٥م ، وترجع إلى الدولة الجديدة التي حكمت إلى عام ٧٤٤ ، وإن كان قد اختلف معه بعض الباحثين الذين ذكرهم طه ندا بكونها تشمل فترة ضئيلة من تاريخ الترك تبلغ نصف قرن وتشير إلى أتراك الشرق أثناء خضوعهم للصين ؛ كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، الطبعة الخامسة ، بيروت ، ١٩٦٨ ، ص٢٦٠ ؛ طه ندا : التوارنيون والإيرانيون ، (مجلة كلية الآداب ، الإسكندرية ، ١٩٦٩م) ، مجلد٢٣ ، ص٩٤-٩٥.

والتي اكتشفت في النصف الثاني من القرن ١٩م على ضفاف نهر أورخون في منغوليا قد كشفت النقاب عن أشياء عديدة عن هؤلاء الترك[(١)].

- **التعريف اللغوي «الاصطلاحي» للترك :**

احتل هذا التعريف اهتماماً كبيراً من كل من الأتراك والأجانب ، ولقد تعددت آراؤهم حول ذلك ، فنجد **الرأي الأول** : وهو أن لفظ الترك تعني «ترك» بمعنى عفا أو أخلى سبيله ، ولقد وجد الجاحظ في هذا غايته بتوثيقها من تلك الأحاديث النبوية عن الرسول ﷺ فقال ﴿تاركوا الترك ما تاركوكم﴾ ، وهو يعني مسالمة الترك ، وهي أشبة بوصية موجهة للعرب جميعاً ، وإن كانت تلك الأحاديث ملفقة ، الغرض منها التباهي والتفاخر ، وهو ما عرف لدى الطوائف الأخرى بالشعوبية منادية بروح المساواة والحرية ، وإن كان الأمر مختلفا بالنسبة للعرب ، فهي تعبر عن روح التباغض والعداوة والتي يحملها هؤلاء للعرب[(٢)].

والرأي الثاني : والذي نتج من خلال الاكتشافات الأثرية أثناء العشرين أو الخمسة والعشرين عاما السابقة ، والتي ساعدت على تعزيز الدراسات التاريخية والغوية تلك التي تتراكم بسرعة من حل رموز نقوش أورخون Orhun ، فكانت كلمة الترك من الأشياء التي كادت تفصل في معناها فذكرتها بكونها اسماً شائعاً يعني القوة أو السلطة ، وصفة تعني رجل القوة «الأقوياء الأشداء» واستخدمت بهذا المعنى في وثيقة فارسية[(٣)].

---

(١) طه ندا : المرجع السابق ، ص٩٣-٩٤.

(٢) الجاحظ : فضائل الترك «رسائله» أبو الفتح بن خاقان وزير المتوكل وما اختصوه من الشجاعة وعلو الهمة وحسن البلاء في خدمة الإسلام ، (القاهرة ، ١٨٩٨م) ، ص٧٦ ؛ سعد زغلول عبدالحميد : الإسلام والترك في العصر الإسلامي الوسيط ، (مجلة عالم الفكر ، الإسكندرية ، ١٩٧٩م) ، المجلد العاشر ، العدد الثاني ، ص١٤٥.

(٣) يرجع تاريخها إلى عام ٤٢٠ق.م ، وكذلك في النصف الأول من القرن ٥م ، وفي المصادر البيزنطية عام ٥١٥م.

Ibrahim Kafeso Glu : Hakkidu Rsum Jildiz Erdo Gan Morcil and Mehmet Sarary : Ashort History of Turkish-Islamic States Excluding the Ottomen State, (AnKara, 1994), p.1

والرأي الثالث : ساد بين بعض العلماء أنها ربما مشتقة من «Tu-Tu» أو «Tu-Ko» وهو الاسم القبلي لأسرة ««Mon-Tun» حاكم إمبراطورية الهون Huns في الوقت المناسب كاسم لتلك الشعوب التي تنحدر من الجنس التركى الذين يتحدثون اللغة التركية ويشاركون في الميراث والثقافة التركية[١].

- **التفسير العرقي** :

لقد تعددت الآراء حول ذلك[٢]. وإن كان هناك رأي قد استقرت عليه بعض مصادرنا التاريخية القديمة من كون كل أمه من الأمم تنحدر سلالتها من أحد أبناء الجد الأكبر[٣]. وهو نوح من ولد يافث بن نوح والذي قسم الأرض بين أولاده ، فكان نصيب يافث الشمال والشرق ، وهي المناطق الممتدة من سهول سيبيريا إلى وادي بحر الخزر وجبال آلتاى ، وترك زعامة قومه لأحد أبنائه[٤].

---

(١) بارتولد : تاريخ الترك في آسيا الوسطى ، (مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م) ، ص٢٨-٢٩ ؛ عبد المنعم ماجد : المرجع السابق ، ج١ ، ص٢١٥ ؛ زبيدة عطا : الترك في العصور الوسطي بيزنطة وسلاجقة الروم والعثمانيون ، (دار الفكر العربي ، القاهرة ، د.ت) ، ص١٣ ؛ Ibid, p.1.

(٢) كونهم ينحدرون إلى أصل أنثى الذئب ، ومن المحتمل كونها أمراه يطلق عليها زين Zena وأحيانا بورا Bura ، ثم أنجبت طفلا انحدرت منه سلالة الترك والمغوليين ، وذلك يوضح السبب وراء ظهور هذا الحيوان في الحروب الأولى لأتراك آسيا الوسطي ، ثم صارت عند الأتراك العثمانيين فيما بعد
M.A. Czaplicka, the Turks of central Asia in History and at the present day, (Oxford, 1981), p.4.
وهناك ارتباط بين أسطورة Bazkurt التي يظهر فيها الذئب كرمز المنقذ أو المرشد وبين اعتقاد Cok-Turk بأنهم ولدوا من أنثى الذئب التي انعكست في احتفالهم السنوي التي يحملون فيها أعلام قائدهم المتوج برأس الذئب المصنوع من الذهب ؛ Ibrahim, op.cit., p.24.

(٣) أبو بكر الزهرى : كتاب الجغرافية ، ص٦٧ ؛ الگرديزى : زين الأخبار ، ص٤٣٣ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الخامس ، القسم الرابع ، ص٧٦٨.

(٤) سعد زغلول عبد الحميد : الإسلام والترك في العصر الاسمي الوسيط ، ص١٤٥ ؛ سعد زغلول : الترك والمجتمعات التركية عند الكتاب العرب وغيرهم ، (مجلة كلية الآداب ، الإسكندرية ، ١٩٥٦م) ، المجلد العاشر ، ص٦١.

ويؤكد ذلك ما ذكرته المصادر الدينية وأكدته الدراسات العلمية على مدار الخمسين عاماً الأخيرة «٥٠ عاماً» والتي تمت على بقايا الهيكل العظمى الذي عثر عليه في «Kurgans» في حجرات الدفن التي بنيت في الأراضي التركية القديمة في آسيا[١].

- **الحياة الاجتماعية عند الترك :**

أولاً : صفاتهم الجسمانية :

وصف الصينيون قبائل «الهونح – نو» والتي يعتبر الهياطلة فرعاً منهم ، حيث تتواجد فيهم بعض تلك الصفات ، بأنهم ذو قامة ، وجسم ربعة ، ورأس مدور ضخم ووجه عريض بارز وانف أفطس ، ولحية قليلة الشعر ، وأذنين طويلتين بهما حلقات تركب للزينة ، ورأسهم بلا شعر سوى خصلة موضوعة في منتصف الرأس ، وحاجبين كثيفين وعينين مفتوحتين ذو حدقات حادة ، وتلك الصفات تنطبق على قبائل الهون آتيلا Attila التي ذكرها الكتاب اللاتين ، ونضيف عليها ندبهم لخدودهم ولأبنائهم منذ الصغر لكي لا ينبت بها الشعر[٢].

---

(١) واستكمالا لما ذكر حول أصل الترك ، نجد هناك وجهات نظر عديدة لبعض علماء أوربا في العصور الوسطى ، فيما يتعلق بالأصل المنغولى للأتراك وإن كانت الدراسات في الهيكل العظمى لهم ، توضح عدم صلتهم بالمغول لا من الناحية اللغوية ولا الثقافية ، ولا من ناحية السلالة والعرق ، أما مفهوم الحكومة والقانون وكذلك التشابه في اللغة والملامح العرقية يرجع إلى العلاقات المتوارثة ، وكذلك الاتصالات اللغوية فيما بينهما ، ولقد أوضح الانثربولوجيون الخصائص المميزة للأتراك عن المنغوليين بعد الكشف الذي تم في شمال غرب بحيرة بيكال Baykal في سهول منشوريا Minusinsk منطقة معروفة نيغانة «سيغانة» Andronove ، حيث كان يعيش الأتراك في عصور ما قبل التاريخ.
Ibrahim, A short History of Turkish-Islamic States Excluding the Ottomen State, p.2.

(٢) سعد زغلول عبد الحميد : الترك والمجتمعات التركية ، ص٩٦ ؛ سعد زغلول : الإسلام والترك في العصر الإسلامي الوسيط ، ص١٤٩.

أما عن الكتاب العرب مؤرخينا فقد ذكروا الوصف نفسه ، ومنهم الطبرى الذي سبق ونسبهم إلى يافث بن نوح ، وضم إليهم الصقالبة ويأجوج ومأجوج حث ذكر أنهم من ولد يافث «عظيم الوجه ، ضيق العينين»[١].

ولقد تناول المسعودي الشيء نفسه حيث عاد ذلك إلى تأثير البيئة على صفاتهم وتركيبهم الجسمانى موضحاً أن تأثير كل بقعة في الناس من النباتات وفيما ليس بنام كتأثير أرض الترك في وجوههم وصغر أعينهم وامتد هذا التأثير على دوابهم مثل الجمال ، فقد قصرت قوائمهم وغلظت رقابهم وأبيض وبرهم ولقد شارك الطبري في هذا الرأي ذاكراً أن أرض يأجوج ومأجوج في صورهم[٢].

ثانياً : صفاتهم العسكرية :

التركى فارس دائما راكب الخيل ، لدرجة أنها قد تركت أثرا على تركيبه الجسمانى وهو تقوس أرجله[٣]. يضرب بالسهم والقوس من على بعد ، وفي كل اتجاه ذو شدة ، صاحب توقد واشتعال ذو فطنة ، رام بارع فهو عندما يرمي فهو يرمى الوحش والطير والناس والطائر الخاطف حيث يرمى بسهم واحد ، وللتركى أربع عيون ، عينان في وجهة وعينان في قفاه وإن دل ذلك فيدل على حذرة وقوة ملاحظته وتربيته وإقامته الطويلة على ظهر الخيل.

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج١ ، ص١٠٦.

(٢) المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج١ ، ص٣٣ ؛ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، المجلد الثاني ، ص٣٧٨.

(٣) سعد زغلول عبد الحميد : الإسلام والترك في العصر الإسلامي الوسيط ، ص١٥٠.

وعلى الرغم من كل تلك الصفات العسكرية ، إلا أنه في قتاله وصراعه لا يقاتل على بلاده ولا على دينه ولا ملك ولا أي شيء من هذا القبيل ، وإنما على السلب حيث لا يخاف الوعيد إن هرب ، كما أنه لا يرجو الموعد إن لجأ وهو في بلاده وطبقا لعاداتهم وحروبهم فهو الطالب ، وليس المطلوب ، فحياته تتمثل في الغزو والغارة والصيد وركوب الخيل وطلب الغنائم ، وذلك لأنهم ليس لهم في الصناعات ولا التجارات ولا الطب والفلاحة والهندسة ولا شق الأنهار وجباية غلات(١).

وهم مهرة في تربية الحيوان وخاصة الخيول حيث اعتمادهم أول والأخير عليها ، ساعدهم في ذلك تلك السهوب المناسبة لموطن تلك الخيول ، لذا فهم ملازمين لها طوال الوقت لا ينزلون من عليها إلا لمقابلة زوجاتهم وأطفالهم الذين يعيشون في تلك الخيام التي كانت في وقت السلم مثل البيوت ، وفي الحرب فهي خيام على عجلات متحركة.

وهناك وصف لتلك العجلات قد اتفق عليها كل من المتقدمين والمتأخرين ووصفوها بأنها عبارة عن عصيان خشب تركب جنبها إلى جنب بأشرطة من الجلد ، وفي أعلاها تكون على شكل دائري حيث تغطى بالوبر أو الجلد ، وسقفه يترك مفتوحا لدخول الضوء ولخروج الدخان وذلك لكونها بيتاً لمعاشهم ومقامهم أما في الحرب فهي على شكل أسوار للدفاع وحفظ ما يتعلق بهم(٢).

---

(١) الجاحظ : في فضائل الترك ، ص٤١-٣١ ؛ سعد زغلول عبد الحميد : الإسلام والترك في العصر الإسلامي الوسيط ، ص١٥٢.

(٢) ابن بطوطة : تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، ص١٩٧ ؛ ابن عربشاه : عجائب القدور في أخبار تيمور ، (الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٢٨٥هـ) ، ص٥٩ ؛ سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ص٧٢.

ثالثاً : طعامهم :

نظراً لكونهم قوما من الرعاة ينتقلون من مكان لآخر وكذلك توافر الخيول عندهم ، لذا كان اعتمادهم في الطعام على لحومها وكانت لهم طريقة معينة في ذبحها بحيث لا يجعلونها تنزف ، وذلك عن طريق ضرب الواحد منهم على رأس الشاه حتى تموت أو عن طريق الخنق ، أو إدخال السكين في الجوف[١]. وقال ابن عربشاه «إنهم يأكلون الميتة والدم المسفوح»[٢].

ويؤكد ذلك ما ذكره الجاحظ قائلاً : «ليس في الأرض أحد إلا وبدنه ينتفض على إقنيات اللحم وحده غير التركى»[٣]. والسبب في طريقتهم تلك اعتقادهم بأن اللحم يظل رطباً مع احتفاظه بقيمته الغذائية.

شرابهم :

لقد كان المفضل لديهم لبن «الخيل» المخمر ويطلقون عليه «القمز» فلم يكن من الغريب أن تشترك النساء معهم في شربه وإن كانوا بعد دخولهم في الإسلام لم يتخلوا عن هذه العادة والى جانب هذا الشراب يوجد شراب العسل وذلك نظراً لكثرته في بلادهم ، فكان الغز يشربون النبيذ ويقدمونه قرابين لمعبوداتهم ، وكذلك ترك القبشاق الذي شاع عندهم نبيذ «الدوقي» الذي يصنع من الدخن حيث يسمونه «بوزه»[٤].

---

(١) الجاحظ : المصدر السابق ، ص٢٩ ، ٤٨ ؛ سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ص١٥٩ ؛ سعد زغلول : الترك والمجتمعات التركية عند الكتاب العرب وغيرهم ، ص٧٣.

(٢) ابن عربشاه : المصدر السابق ، ص٢٣٧.

(٣) الجاحظ : المصدر السابق ، ص٤٨ ؛ أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد : رسالة بن فضلان في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة ، ص١٢٥.

(٤) ابن بطوطة : المرجع السابق ، ص١٠٩-١١٠ ؛ سعد زغلول : الإسلام والترك في العصر الإسلامي الوسيط ، ص١٦٠.

- **الحياة الدينية عند الترك :**

للترك العديد من المعتقدات الدينية[1]. التي تبين مدى تأثرهم واعتناقهم لتلك الديانة فتشير الأبحاث الحديثة أن العقيدة التركية تدور في ثلاث محاور ، وهم :

المحور الأول :

وهو الاعتقاد في قوى الطبيعة فنسبوا الحياة في حقيقة الأمر إلى الملامح الجغرافية ، مثل : الجبال ، والمستنقعات ، الوديان ، والبحار ، والمحيطات ، والأنهار ، والكهوف ، والغابات ، وأيضاً الظواهر الطبيعية المتمثلة في البرق ، الرعد ، السماء ، فكانوا يطلقون على هذا الاسم Yir-sub وكل تلك المعتقدات كانت لدى الشعوب التركية القديمة.

ومن الأشياء الشيقة التي تشير إليها النقوش أن تربة أوتكين Otuken ومنبع نهر Tamir حيث جد الأتراك الأول المتمثل في الذئب ، والذي اتخذه الترك الغربيين شعاراً لم يضعونه في سارية رايتهم في حروبهم «وهو عبارة عن رأس ذئب من الذهب» لذا اعتبرت تلك الأرض أرضا مقدسة[2].

ويؤكد ذلك ما ذكرته المصادر الصينية أن خيمة ملك «التوكيو» كانت تفتح نحو الشرق نظراً لشروق الشمس منها مع بداية كل صباح ، وكذلك حجهم إلى جبل الذهب وهو «التون داغ» أو التاى حيث تسكن روح السماء التى أطلقوا عليها «بوت تنجرى» وكان من هؤلاء الغز الذين يتوجهون نحو إله السماء «تنكرى»[3].

---

(1) Ibrahim Kafeso Glu : Hakkidu Jildiz Erdo Gan Morcil and Mehmet Saray, op. cit., p.2.

(٢) عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسي للدولة العربية ، ج٢ ، ص٢١٧-٢١٨ ؛ Ibid, p.2.

(٣) تنكرى «السماء» **Tengri** : والتي يقدسها الترك ، لكونها بيت الأرواح الخيرة ، وأحيانا يسمون أنفسهم Tengri ، وكذلك من أجل اتقاء شر إله الشر ، لذا هناك مجموعة من الشماس «Shamans» ، وهي مجموعة من رجال الدين ، وإن كان لكل قبيلة مسمي معين ، وكلهم يشتركون في طقوس شبه واحدة تشترك =

ولقد عبد الترك من أهل الصين العناصر الطبيعية الموجودة حولهم مثل الشمس ، القمر ، الجبال ، الأنهار ، وهناك قبائل عبدت البقر ، وقبائل البجناك التي بلغ عدد العناصر التي تعبدها ١٢ عنصراً بها عناصر خاصة بالشتاء ، وأخرى بالصيف ، والمطر والشجر والناس والماء والليل والنهار ، والأرض ، وإن كان أكبر الآلهة هو تنجرى «تنكرى إله السماء» إلى جانب تقديسهم للماء لدرجة أن المسلمين كانوا يجدون حرجاً في استخدامهم للمياه في الوضوء ، لذا كانوا يغتسلون ليلاً.

ومن الأشياء المقدسة لديهم أيضاً معدن الحديد الذي تصنع منه آلات الحرب[١].

= فيها الطبلة المقدسة ويطلق عليها «Tiungur» ، ولم تذكر أي إشارة عن تلك الطقوس ، إلا أن هناك تشابها بين تلك التي تمارس في الوقت الحاضر ، ويطلق علي تلك المراسم لدى أتراك مقاطعة «Minusinsh» وهي ربع سنوية ، وعادة في نهاية شهر يونيو ، ومن هؤلاء الأتراك بلتر Beltir Kachints وليس مسموح للنساء الاشتراك فيها ولا التحضير لها. ويتم اختيار المكان الذي تتم فيه تلك المراسم في قمة جبل حيث ينمو الزان وبعض الأشجار المقدسة ، ويوقد جنبها ناران واحدة تسمي Ulugot أب النار الكبرى ، والأخرى Kiching أي النار الصغرى ، ولا يجرؤ أحد أن يقترب من تلك النار سواء من جهة الشرق أو من الجهات الأخرى ، فيسمح للقادة بالدخول ، ثم يتم التضحية بنعجة أوتيس دون أراقه دماء أو سماع صرخة كعادتهم في الذبح ، وفي بعض القبائل يستخدم الحصان Ulgen ، «إله» حيث يتم ذلك بين Altainan حيث يغلى الربع الأمامي على النار الكبرى ثم الأربع الخلفية مع لحم الحيوانات الأخرى غير المضحى بها على الصغرى ، بينما كبير القوم Midurba يربط «خيط طويل من الكتان مربوط بريش النسر مربوط بقطعه زان وطرفي الخيط يمسك باليد ويبدأ سيد السماء في الغناء للسماء.

M. A. Czaplicka, the Turks of central Asia, p.31,32, 140.

(١) سعد زغلول عبد الحميد : الترك والمجتمعات التركية عند الكتاب العرب وغيرهم ، ص٧٧.

المحور الثاني :

عباد الأجداد التي تمثلت في احترام الموتى ، وكان هذا الاعتقاد موجوداً في المجتمعات المختلفة منذ العصور القديمة ، ويؤكد ذلك تلك العقوبة التي توقع على من ينتهك المقابر ، فيذكر أن الحرب التي قامت عام ٧٩ ق.م ، كانت بسبب سرقة قبور الأتراك القدامى ، والذين دفنوا في مراسم تمسي Yog وفيها يدفن الرجال بأسلحتهم وسروجهم وأطقم فرسانهم ، أما النساء فتزين بمجوهراتهم.

وإن كنت أعتقد أن تلك العبادة قد تطرقت ووصلت إلى التضحية بالناس في مراسم الذكرى كما كان يحدث مع بعض الناس في بعض الشعوب الأخرى ، حيث أن تلك العادة لم تكن سائدة في الاعتقاد الديني لدى الترك ، حيث الجدل الذي دار ليثبت عكس ذلك من جانب بعض العلماء ، فهو لم يكن سوى نوع من التحامل على هؤلاء حيث كان يستخدم فيها « At, dan Aygir, koyundan Ko C, deveden bugra» ، وهي تعنى أن اختيار الأضحية من بين ذكر الخيول والأغنام أو الجمال(١).

المحور الثالث :

ثم تطورت عبادة تلك العناصر إلى عبادة ثنائية قد اقتصرت على عنصرين فقط هما : عنصر السماء «تنجرى» ، وعنصر الأرض المرتفعة كالجبال ، وعبادة تلك السماء وهي المعروفة بعبادة الشمسنية «chomanissene» والمقصود بها عبادة إله السماء إلى جانب عبادة بعض الكواكب الأخرى كزحل والزهرة ويشبهها المسعودي في ذلك بعبادة الصائبة عند الفرس(٢).

---

(1) Ibrahim, Ashort history of Turkish-Islamic States Excluding the Ottoman State, p.26-27.

(٢) المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج١ ، ص٨٢ ؛ مطهر بن طاهر المقدسي : البدء والتاريخ ، ج٤ ، ص٢٤ ؛ حسين مجيب المصرى : =

مفهوم السمنيه :

هو امتلاء كل من السماء والأرض بالأرواح سواء أكانت شريرة أم خيرة وبواسطة الكاهن الذي يطلق عليه سامان ، يستطيع السيطرة على تلك الأرواح واكتساب محبة الخير بالنظر إلى السماء التي قدروا إلوهيتها ، فاعتقدوا أنها خلقت العالم.

ولقد تمسك الترك باسم السماء «تنجرى» ، فكانت السمنيه هي ديانتهم القومية «الوطنية» تلك التي تتناسب مع طبيعتهم البدوية ، وهى التي تفسر ذكرهم لحبهم للحرب ، والقتل حيث ينكروا تماما عقوبة أي شخص منهم في الآخرة بسبب قتله لشخص آخر ، ولكنهم يفخروا بذلك باعتبار الذي قتل هذا روح شريرة ، لذا فهم يضعون على قبر الميت أحجاراً بعدد ما قتل ، وهذا نوع من التشريف ، أو صور من خشب على عدد من قتل من الناس ، وذلك ليكونوا خدماً له في الحياة الأخرى(1).

= من أدب الفرس والترك ، (القاهرة ، ١٩٥٠م) ، ص٣١ ؛ عبد المنعم ماجد : المرجع السابق ، ج٢ ، ص٢١٧ ؛ كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص١٣ ؛ ذاكراً عن تلك **الشامانية** : أنها نسبة إلى شامان ، حيث تعود إلى أصل سنسكريتى «كاهن» وقد عمت تلك الديانة الشعوب النازلة في منطقة جبال أورال من مغول وأتراك.

(1) ابن فضلان : رسالة ابن فضلان ، ص١٣٠ ؛ سعد زغلول عبدالحميد : الترك والمجتمعات التركية ، ص٨ ؛ سعد زغلول عبد الحميد : الإسلام والترك في العصر الإسلامي الوسيط ، ص١٦٦ ؛ وإن كان هناك رأي مخالف لما ذكر عن السمنية بعد أن اتضح أن كلمة Shaman ذات أصل هندي أوربي ، حيث تقول إن الاعتقاد الشائع بان الأتراك كانوا شامانيين ليس له دليل على الرغم من صحة أن بعض أتراك آسيا الوسطي كانوا كذلك ، وإن كان ذلك لم يؤثر على الديانة الأصلية للأتراك ، ولكن في القرنين العاشر والحادى عشر نجد هذا التسرب قد أتى من الجنوب من الأفكار البوذية التي انتشرت بين الأقطار التركية ، وحتى أثناء Gök-Turk كان ينظر إلى الشامانية على أنها شكل من أشكال الشعوذة أكثر منها ديانة وأفكار ، مثل الأرواح الشريرة التي تسكن الإنسان =

- **بلاد الترك :**

تعددت الآراء حول بلادهم ، وإن كانت جميعها تحمل في مضمونها معنى واحداً ، ويكمن الاختلاف في الشمول أو الاختصار.

تركستان : « وهي المكان الجامع لكل بلاد الترك» ، وهذا يعنى انتشار أمم الترك[1]. في الربع الشرقي الشمالي من المعمور فيما بين الصين إلى تركستان وخوارزم والشاش وفرغانه وما وراء النهر وبخارا وسمرقند والترمذ[2].

وبمعنى أكثر تحديداً نذكر أن موطنهم يشمل تلك المناطق الخصبة الواقعة بين نهرى جيحون وسيحون ، وإن كان ذلك ليس موطناً للترك جميعاً بل موطن الترك الغربيين ، ثم يتجاوز إقليم ما وراء النهر صوب الشمال حتى منطقة السهوب الروسية ، وتمتد قليلاً صوب الشرق حتى حدود الصين ، وقد يمتد أحيانا ناحية الشمال الغربي من بحر قزوين ويدخل منطقة القوقاز من الشمال ، وأحيانا يمتد في حوض الفولجا ، فهذا موطن الترك الشرقيين[3].

ولقد أطلق العرب على المناطق المعمورة التي تمتد من مشارق خراسان من أرض الإسلام إلى مغارب الصين في أقصى الشرق ، ومن شمال الهند جنوباً إلى أقصى المعمور شمالاً موطن الترك[4].

= في القرن السابع ، والأسئلة الخفية المتعلقة بحياة ما بعد الموت ، وهذه الأشياء لم يعتقد فيها التركى ، ولقد ظهر ادعاء أن كلمة Shaman-Kam لها المعنى نفسه ، وهو رجل الدين ولكن ثبت خطؤها.

Ibrahim, op. cit. p2.

(١) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، المجلد الثاني ، ص٢٣.

(٢) ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الثالث ، القسم الرابع ، ص٩٣٤.

(٣) حسن أحمد محمود : الإسلام في آسيا الوسطي بين الفتحين العربي والتركى ، (الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٢م) ، ص١٣١-١٣٢.

(٤) أبو القاسم صاعد بن أحمد بن صاعد الأندلسي : طبقات الأمم ، ص٨ ؛ السيد الباز العرينى : المغول ، (دار النهضة ، بيروت ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م) ، ص٣٠.

- **القبائل التركية :**

سوف نركز على تلك المصادر التي ذكرت تلك القبائل موضحة أجناسها وشعوبها الكثيرة إلى جانب اهتمامنا بتلك القبائل الموجودة في أقصى الشمال الشرقي لإقليم خوارزم ، وذلك لكون وجود علاقة بينهما بحكم القرب والجوار ، ووجود عناصر تركية منهم داخله في التركيب السكاني لإقليم خوارزم[١].

ولقد ذكر ابن خلدون في مواضع عديدة من كتابه ما لهؤلاء من أجناس وشعوب كثيرة ، منهم التغزغز «اطغزغز» وهم التتر – الخطا بأرض طمغاج ، ثم كانت بلاد ملوكهم في الإسلام تركستان وكاشغر ، الخرلخية ، الغز الذين منهم السلاجقة ، الهياطلة الذين منهم الخلج ، ومن أجناسهم الغور ، القفجاق «الخفشاج» ، ، ويملك ، العلان أو اللان ، شركس ، أركش ، الخزر ، وهم التركمان من ولد توغر بن كومر بن يافث[٢]. إلى جانب أصناف عدة ، منهم التبتية ، الخرخيزية ، الكيماكية ، الجقر ، البجاناك ، الخلج ، بلغارية ، فذكر أنها كلها خلف النهر إلى جانب البحر الشرقي المظلم[٣].

ولقد انتشر هؤلاء في الأرض وعمروها حتى كثرت أنسالهم وتمذهبوا بمذاهب شتى ، حيث الغالب على أكثرهم كونهم مجوسا ، وعلى طباعهم الجفاء ، يتضح ذلك من خلال غزوهم للمسلمين سواء العرب أو الترك الذين أسلموا فيما بعد ، والذين كانوا لا يهابون هؤلاء.

---

(١) محمد عبد الهادى شعيرة : الممالك الحليفة أو ممالك ما وراء النهر والدولة الإسلامية إلى أيام المعتصم ، ص٤٩.

(٢) ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الثاني ، القسم الأول ، ص١٧ ؛ القلقشندى : نهاية الأرب في معرفة انساب العرب ، (دار الكتب العربية ، بيروت ، لبنان ، د.ت) ، ص٢٥-٢٦.

(٣) الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، المجلد الأول ، ص٥١٨.

قبيلة الغز[1]. وعلاقاتهم ببلاد خوارزم :

يعتبر ترك الغز أحد الشعوب التركية التي هاجرت من أواسط آسيا وخضعوا للصين ، حيث أطلق الصينيون على جماعة الأتراك الغز المهاجرين من منغوليا إلى شرق تركستان الصينية اسم «شا – تو» أي سكان الاستبس ، وكانت مدينة «بشي – باليق» في أيدي هؤلاء منذ القرن التاسع الميلادي «٩م» ، وما إن وقع عليهم الضغط من قبل بنى جلدتهم الموجودين في الغرب لم يقوموا بأيه مقاومة واتجهوا إلى الشرق ، فدخولا الصين في القرن التاسع الميلادي «٩م» واشتركوا في قمع الثورة ، وأنقذوا عرش الإمبراطور ، ثم استقلوا عنهم وانضموا إلى إمبراطورية تومين «Tumen» فكانوا ضمن العشائر التي تكونت منها تلك الإمبراطورية السابقة في القرن السادس الميلادي «٦م» إلى جانب عشائر من ترك الغز التي كانت تنتمى إلى الأتراك الغربيين ولقد ظلوا في صراع مع أتباعهم من القبائل التركية دائمة الثورة ، وبعد انهيار تلك الإمبراطورية في القرن الثامن الميلادي «٨م» تفرق هؤلاء في اتجاهات مختلفة.

---

(١) **الغز – الأغز – الأوغوز** : من القبائل التركية ، ولقد أطلق هذا اللفظ على القبيلة الكبيرة فيما يبدو ، والتي وجدت في القرن ٦م ، حيث كانت جميع القبائل في قبيلة واحدة ، والتي امتدت من الصين إلى البحر الأسود ، وقد وردت الإشارة إليهم تحت مسمي آخر وهو التغزغز في نقوش أورخون في القرن ٨م ، ويعنى هذا «القبائل العشر» وإن كان هذا يعنى أن الأوغوز يتألفون من عشر قبائل ؛ السيد الباز العرينى : المرجع السابق ، ص٣٠ ؛ ومما يؤكد كون الأوغوز هم الغز من خلال ذكرهم لأماكنهم ؛ ذاكرا «كانت بلاد الأوغوز تتاخم جرجان ، وهي من أملاك المسلمين في الغرب حتى فاراب واسبيجات حيث تعرف الآن تحت مسمي «سيرام» بالقرب من «جمكنت» ؛ دائرة المعارف الإسلامية : ج٢ ، ص٦٦-٦٧.

وفي أواخر القرن العاشر الميلادي اتجهوا إلى منـــاطق الأورال والفولجا إلى الشمال الغربي من الصين ، فطردوا عناصر البجناك ، وبعد احتلالهم تلك المناطق وعبورهم من الفولجا إلى جنـــوب روســـيا بـــدأت علاقاتهم بروسيا ، لذا أطلـــق علـــيهم فـــي المصـــادر الصـــينية اســـم «Tokki»[1].

وتضيف المصادر الصينية كذلك أن هؤلاء الغز المقيمين ينقسمون إلى عشر قبائل خمس من تلك العشائر تسكن نهر أبله ، والخمس الآخـــر في جنوبه ، ويطلق عليها في ترجمة نقوش اورخون اسم «اون اوق» أي «السهام العشرة»

وتشترك تلك المصادر السالفة الذكر مع المصادر العربية في أنها قد اتجهت فيما بين بحر الخزر إلى أواسط نهر سيردريا.

أما عن موطنهم بالنسبة لمن يجاورهم من القبائل الأخرى فنجد : حدودهم ما بين الخزر وكيماك وأرض الخرلخيـــة وبلغـــار وحـــدود دار الإسلام ما بين جرجان إلى فاراب واسبيجاب ، ويدل ذلك على مجاورتهم للأراضي الإسلامية ، لذا كان من الطبيعي اشتباكهم مع العرب عند نهر

---

(١) بارتولد : المرجع السابق ، ص٤٦ ، ٥٢ ؛ قائلاً «ولا شك أن العرب قد عرفـــوا نواحي «بشي باليق» التي سكنها التغزغز ، ولكن بعد أن هـــاجروا أتـــي قـــوم آخرون من الترك وحلوا محلهم ، وظلوا يطلقون على السكان الجدد الاسم نفسه ، ولعل أوضح دليل أن كلمة طقوزاعو» كانت تطلق أول الأمر على «شا – تو» لا على الأويغور ؛ فيذكر : المسعودي : أن إمبراطور الصين استطاع بمعاونـــة التغزغز قمع ثورة في النصف الثاني من القرن التاســـع المـــيلادي «٩م» وإن كانت المصادر الصينية تخالف ذلك قاصدة أتراك «شا – تو» الغز ، ومن هنـــا جاء الاختلاف فيما بينهم وإن كانت المعاصرة وبالتالي الأصدق للأحداث هـــي المصادر الصينية.

سيردريا ، وإن كانت الغلبة للمسلمين حتى حل القارلوق محل الغز عند ضفتي نهر جو عام ٧٦٦م(١).

دياناتهم :

تشير المصادر البيزنطية إلى ديانة هؤلاء ، وهي المسيحية على مذهب الأرثونكس ، وذلك لدخولهم ضمن فرق الإمبراطورية ، بالرغم من اعتبارهم أعداء اعتادوا الإغارة على أراضيهم.

وإن كنت أرجح أن سبب اعتناقهم لهذا المذهب هو مجاورتهم لإقليم خوارزم ووجود مسيحيين من الخوارزميين على المذهب نفسه إلى جانب وجود علاقات تجارية فيما بينهم ، ودور الخوارزميين في إمكان اعتناق هؤلاء لهذا المذهب.

ومن المرجح حدوث ذلك بعد مصالحة تمت بينهم ، ويتضح ذلك من خلال كلام البيرونى ، وذكره بأنه كان هناك يوم معين يسمي «يوم فغبرية» من شهر أخشويورى كان يخرج ملوك خوارزم فيه ، وذلك بعد انتهاء الصيف ومقدم الشتاء يقضونه في الخارج متعقبين أتراك الغزية ليبعدوهم عن ثغورهم وحماية مملكتهم منهم(٢).

---

(١) الاصطخرى : المسالك والممالك ، ص٩ ؛ ابن حوقل : صورة الأرض ، ص١٤ ؛ المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج١ ، ص١١٣ ؛ حمزة بن الحسن الاصفهانى : تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء ، (د.م ، د.ت) ، ص٣٠ ؛ ابن فضلان : المصدر السابق ، ص٩١ ؛ زبيدة عطا : المرجع السابق ، ص٥ ، ٢٢ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص٣٧.

(٢) البيرونى : الآثار الباقية عن القرون الخالية ، ص٢٣٦ ؛ النرشخي : تاريخ بخارى ، ص١١٧ ؛ بارتولد : تاريخ الترك في آسيا الوسطى ، ص١٠١ ؛ زبيدة عطا : الترك في العصور الوسطى بيزنطة وسلاجقة الروم والعثمانيون ، ص٢٢.

وقبل اعتناقهم للمسيحية كانوا كما يذكر ابن فضلا مثل الحمير الضالة لا يدينون بدين ، ولا يرجعون إلى عقل بل إلى رئيسهم ، وعندما يسأله أحدهم في شيء يقول «يارب أيش أعمل في كذا وكذا»[١].

وكان اعتناقهم للإسلام في القرن العاشر الميلادي ، وخاصة هؤلاء الذين عند مصب نهر سيردريا ، ويذكر أن القارلوق كان لهم دور واضح في تعليم هؤلاء الغز الإسلام وتعاليمه ، لتمتعهم بمستوى أعلى من الحضارة[٢].

ولقد أكد بن فضلان إسلامهم فيذكر أنه سمعهم بقولون لا إله إلا الله محمداً رسول الله تقربا إلى من يجتاز إليهم من المسلمين ، ويدل ذلك على تظاهرهم بالإسلام ، وإن كان هذا أمرا مستبعداً بعض الشيء فيتضح ذلك من استكمالنا لحديث ابن فضلان عنهم بأنه إذا ظلم أحدهم أو حدث له مكروه رفع رأسه إلى السماء ذاكراً «بيزتنكرى» أي الله الواحد بالتركية ، وهذا يعنى إيمانهم بالله[٣].

- **أقدم الشعوب التركية :**

أ – الطخارية[٤] :

أطلق عليهم العرب الطخاريين ، وذلك باسم اللهجة المغولية التى يتكلمها هؤلاء ، ويسمون عند الصين «يوكش – Yue-tche».

---

(١) ابن فضلان : رسالة ابن فضلان ، ص٩١.

(٢) ابن فضلان : المصدر السابق ، ص١٠١ ؛ بارتولد : تاريخ الترك في آسيا الوسطي ، ص٧٧ ؛ زبيدة عطا : المرج السابق ، ص٢٢ ؛ Ibrahim, K. op. cit. p.39.

(٣) ابن فضلان : المرجع السابق ، ص٩٢.

(٤) **الطخارية** : سميت المناطق الواقعة في أعالى نهر جيحون باسم طخارستان نسبة إلى الطخاريين ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص٢٨.

ويذكر أنهم ربما يكونون تحت ضغط من قبل الشعوب التركية المغولية[1]. التي فرضت سلطانها على السهوب الشرقية ، ورحل هؤلاء في القرن الثاني قبل الميلاد «٢ ق.م» إلى الغرب في حوض الآلي وشواطئ سيحون العليا في فرغانه ، ومنها دخلوا إلى بلخ.

ويذكر الباحثون كونهم شعباً هندوأوربياً ، وإن كان المؤرخون الصينيون قد عارضوا ذلك[2]. وفي النصف الثاني من القرن الخامس الميلادي ظهر شعب آخر استولى على ولاياتهم وغلبهم.

ب- الهياطلة :

أطلقت عليهم العديد من المسميات فعند الصينيين عرفوا باسم «يى- تا» «Ya-Ta» وعند البيزنطيين باسم هفتاليت «Hephthalites» وأيضاً الهون البيض «White-Hunes» وعند الفرس اسم هيتال[3]. ولقد عرَّب العرب «هتيال» وأطلقوا عليهم اسم الهياطلة[4].

---

(١) سعد زغلول عبد الحميد : الترك والمجتمعات التركية عند الكتاب العرب وغيرهم ، ص٦٢ ؛ حيث ذكر أن هذه الشعوب التركية المغولية قد سماها الصينيون باسم هيونج – نو Hioung-Nou بمعنى العبيد أو العصاة ، وهم اسم قريب من الهون Huns أو الهونى Hunni والهونا Huna الذي أطلقة الرومان والهنود على هؤلاء البرابرة فيما بعد ، أما فيما يتعلق بكون هؤلاء عند الصينيين هم يونتش ولكن هناك رأي مخالف ، وهو أنه في الوقت الذي كان فيه «اليو – تش» في شمال جيحون ، وجد اسم قبيلة التخار ، ولا يعلم هل كان هذا الاسم يدل على هذه الجماعة نفسها ، وإن اليو – تش ، حينما اخضعوا التخار أطلق اسم هؤلاء عليهم ، أو أن اسم «اليو – تش» أطلق على الهيئة الحاكمة بين التخار ؛ آرثر كريستنسن : إيران في عهد الساسانيين ، ص١٧ ؛ محمد عبد الهادى شعيرة : المرجع السابق ، ص٤٣.

(٢) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ص٦٣.

(٣) محمد عبد الهادى شعيرة : الممالك الحليفة أو «ممالك ما وراء النهر والدولة الإسلامية إلى أيام المعتصم» ، ص٤٢ ؛ سعد زغلول : المرجع السابق ، ص٦٣ ؛ آرثر كريستنسن : المرجع السابق ، ص٢٧٩ ؛ إدوارد بروى ؛ موسوعة تاريخ الحضارات العام ، (ط٣ ، بيروت ، ١٩٩٤م) ، المجلد الثالث ، ص١٠٤.

(٤) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ص٦٤ ؛ آرثر كريستنسن : المرجع السابق ، ص٢٧٦.

ونظراً لأنه من الصعب تحديد الأصل البشري لهؤلاء فقد أطلق العرب هذا الفظ علىٰ كل البلاد التي تقع إلى الشرق من نهر المرغاب وبلاد ما وراء النهر[١].

وحتى الوقت الحاضر لم يصل العلماء إلى رأي حاسم بالنسبة للأصل البشرى لهؤلاء فيذكر البعض أنهم فرع من هيونج – نو «الهون» أي كونهم تركاً تجرى في عروقهم دماء المغول الصينيين ، لذا يصفهم الصينيون بأنهم سلالة هيونج – نو التي تحدثنا عنها سالفاً[٢].

كما يقولون عن الأتراك في القرن السادس الميلادي «٦م» إنهم من سلالة الهياطلة.

أما آرثر كريستنسن فيذكر «أن الهياطلة جاءوا من الولاية الصينية «قان – صو» وغزو مناطق طخارستان التي هجرها الكداريون ، ويطلق عليهم أيضاً اسم الهون البيض ولم يكونوا هوناً حقيقيين[٣].

ولقد هبط هؤلاء من أعالى جبال آلتاى ، واستقروا في التركستان الروسي ، ثم توجهوا إلى الصغديان : سمرقند وبكتريا التي بلغوها في عهد الملك الساسانى بهرام جور «٤٢٠-٤٣٨»[٤]. ومن هنا شكلوا خطراً

---

(١) ابن الفقيه : مختصر تاريخ البلدان ، ص٣١٤ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص٢٦١ ؛ ياقوت الحموي : المصدر السابق ، المجلد الخامس ، ص٤٥.

(2) H. A. R. Gibb, M. A., : The Arab Conquests in central Asia, (London, 1923), p.2.

(٣) آرثر كريستنسن : المرجع السابق ، ص٢٧٩ ؛ ويذكر بروكوب «Procope» ، أن الهون البيض يمتازون عن أقوام الهون الآخرين ببياض بشرتهم ومعيشتهم المتمدنة ، حيث لم يعيشوا على شكل قبائل متنقلة ، ولم تكن لهم طبيعة قاسية ، وكانوا يدفنون موتاهم ، وهذا يخالف حرق جثث الموتى الذي كان يمارسه الصينيون.

(٤) إدوارد بروي : موسوعة تاريخ الحضارات العام ، ص١٠٤.

واسع النطاق على الدولة الساسانية ، وذلك على وجه التحديد في القـــرن الخامس الميلادي «٥م» فكانوا ألد أعداء الفرس في ذلـــك الحـــين ، وإن كانوا بعد انفصالهم عن إمبراطورية «الجوان – جوان» في منغوليا فـــي النصف الثاني من القرن الخامس الميلادي «٥م» قد انتشر سلطانهم فشمل حوض الآلى ، وسهوب تشو ، ومنطقة طراز ، وأقاليم سـيحون حتـــى الارال إلى جانب احتلالهم لمنطقة ما وراء النهر ثم بلخ.

ولم ينته الأمر عند هذا الحد ، بل خاض معهم الملك الساســـانى فيروز بن يزدجرد «٤٥١-٤٨٤م» معركة ضدهم وانتهت بهزيمته ومقتله بمرور عام ٤٨٤م ، وكان زعيمهم اخشنوار[١].

ومن المحتمل أن يكون هذا تحريفا للقب الصغدى «خشوان» أي ملك وعلى أثر تلك المعركة توغل هؤلاء الهياطلة في إيران ، واســـتولوا على ولايات كثيرة مثل «الروذ ، هراه» ، وفرضوا على الفرس جزيـــة سنوية[٢].

ومع مقدم النصف الأول من القـــرن الســـادس المـــيلادي «٦م» عظمت قوتهم وامتدت دولتهم إلى بلاد الصغد وحوض جيحون والأراضي الواقعة في الشمال والجنوب من الهندوكوش[٣].

ونتيجة تعرضهم لهجمات قوية من الفـــرس علـــى يـــد كســـري أنوشروان «٥٣١-٥٧٩م» وذلك نظراً لرغبته في تحرير بـــلاده مـــنهم والتخلص من دفع الجزية ، لذا لجأ كذلك إلى عقد تحالف مع البيـــزنطيين

---

(١) محمد عبد الهادى شعيرة : الممالك الحليفة ، ص٤٥ ؛ آرثر كريستنسن : إيـــران في عهد الساسانيين ، ص٢٨٠.

(٢) محمد عبد الهادى شعيرة : المرجع السابق ، ص٤٥ ؛ سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ص٨٤.

(٣) آرثر كريستنسن : المرجع السابق ، ث٢٨٠.

لتأمين حدوده الغربية وكذلك تحالف مع زعيم الأتراك الغربيين ، تلك الدولة التي ظهرت في منتصف القرن السادس الميلادي «٦م» وراء نهر سيحون[١]. ونتج عن ذلك اتجاه الهياطلة إلى الجنوب الشرقي حيث الطخارية واحتلوا كابل ، واندفعوا إلى غزو الهند[٢]. وبذلك استرجع الطخارية قوتهم وعظمتهم مرة ثانية ، وكان ملكهم يلقب بلقب جبغوية[٣].

وذكر أن هؤلاء الطخارية كان نفوذهم أيام الفتح العربي قد امتد إلى نهر المرغاب غرباً ويصل إلى مرو الروذ ، وفرضوا حلفهم على دهاقنة المدن الفارسية الواقعة شرق المرغاب فكتب التاريخ تذكر هؤلاء الطخارية إلى جانب الدهاقين في المدن الكبرى فيما بين المرغاب وجيحون ، وهي : «الجوزجان ، والفارياب ، الطالقان» ، حيث كانت أوسع الممالك التركية في هذه الناحية ، وإن كانت الانقسامات قد فرقت أجزاءها[٤]. حيث كانت تشمل كل الحوض الأعلى والأوسط من نهر جيحون ، وتمتد على ضفتيه ، وتضم أرض الختل وبذغشان والطالقان والصغانيان وشومان وآخرين.

وبذلك فقد كانت تلك المملكة تحتل مركزاً وسطاً بين شرق إيران وأعالي نهر جيحون أي ما بين السهول والجبال[٥]. ويجانب تلك الممالك والشعوب توجد العناصر التركية في كل من كش ونسف «نخشب» ، وفي أقصى الحدود الشمالية الشرقية من الحدود الإسلامية ، وفي أدنى نهر

---

(١) سعد زغلول عبد الحميد : الترك والمجتمعات التركية ، ص٦٤ ؛ محمد توفيق صادق : قتيبة بن مسلم الباهلي «شخصيته ، فتوحاته ، أعماله» ، رسالة ماجستير ، الكويت ، ١٩٧٤ ، ص٢٤.

(٢) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ص٦٥ ؛ آرثر كريستنسن : المرجع السابق ، ص٣٥٨ ؛ إدوارد بروى : المرجع السابق ، ص١٩٤.

(٣) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ص٦٤.

(٤) محمد عبد الهادى شعيرة : الممالك الحليفة ، ص٤٣.

(٥) محمد عبد الهادي شعيرة : المرجع السابق ، ص٤٤.

جيحون يوجد الخوارزميون ، وهم من الترك حيث حاكمها الـذي يلقـب بخوارزمشاه ، وعاصمته هزاراسب ومدينة الفيل أحصن مدنه[1].

وبجانب تلك القبائل والشعوب التركية ، توجد عناصر أخرى في إقليم خوارزم تتمثل في العبيد والجوارى الذين تم جلـبهم عـن طريـق الشراء «تجارة الرقيق» أو الغـزو أو السـرقة ، فكـان أولاد الأتـراك يسرقون أو يتم شراؤهم من بدو تلك البراري في أقصي الشـمال ويبعـد تعليمهم وتأديبهم يأتون بهم إلى سائر بلاد الإسـلام ، ويتـدرجون فـي المناصب الإدارية حتى يصلوا إلى أعلاها[2].

ويذكر أن أهل خوارزم كانون يخشون من هؤلاء ، ومرجع ذلك هو ذلك الشبة الذي بينهم وبين هؤلاء الترك.

ويذكر المقدسي أنه سأل أحدهم عن اختلاف رؤوسهم عن رؤوس بقية الناس فقالوا : أن قدماءهم كانوا يغزون الترك فيأسرونهم ، وربمـا وقعوا في الأسر للشبة المشترك بينهم ، فبيعوا في أسواق الرقيـق ، لـذا أمروا النساء إذا ولدن أن يربطن أكياس الرمل على رؤوس الصبيان من الجانبين حتى ينبسط الرأس ، وبعد ذلك لم يسترقوا ، ورد من وقع مـنهم إلى الكورة[3].

ومن الواضح كون هؤلاء يتمتعون باهتمام كبير فـي المجتمـع آنذاك ، بدليل وصول الكثير منهم إلى أعلى المناصب وخير مثال علـى ذلك مؤسس دولة شاهات خوارزم «أنوشتكين» وهو في الأصـل عبـد تركى اشتراه أحد أمراء السلاجقة ونظراً لما أظهره من كفاءة صار واليا على خوارزم[4].

---

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج٤ ، ص٥٧٠.

(٢) كى لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص٥٠٢ ؛ هند حسـين عطيـة : الأدب العربي في إقليم خوارزم منذ الفتح العربي ٩٣هـ حتى نهاية الدولة الخوارزميـة ٦٢٨هـ ، (بغداد ، ١٩٧٦م) ، ص٥٥.

(٣) المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص٢٨٥-٢٨٦.

(٤) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١ ، ص٩٢ ؛ هند حسين عطية : المرجع السابق ، ص٥٧.

ثالثاً : العرب :

تناولنا بالدراسة من قبل الحديث عن الفرس والترك ونتلوه بالحديث عن العرب وهدفنا من ذلك محاولة إثبات التواجد العربي في إقليم خوارزم.

وتلك العناصر التي سبق الحديث عنها ، لم تكن بمعزل عن العرب ، بل كانت بينهم وبين الفرس علاقات بحكم الجوار الجغرافي وتمتد جذور تلك العلاقات إلى العصور الأسطورية(١). وتظهر بصورة جلية في العصور التاريخية سواء كانت سلمية أو حربية ، وإن كان أغلبها حربية ، وبالرغم من ذلك فقد أحدثت رقياً حضارياً لدى الجانبين.

ولقد ازدادت تلك الصلات في عهد الساسانيين ، فعلى سبيل المثال نجد الملك الساساني يزدجرد بعث ابنه بهرامگور إلى الحيرة ليشرف الأمراء على تعليمه فتعلم الشهامة العربية.

ويتخلل تلك العلاقات مواقف من العداء والحرب ، مثل موقعة ذي قار التي انتصر فيها العرب(٢).

---

(١) أحمد الحوفي : صلات عريقة بين العرب والفرس ، (مجلة المنتدى ، د.ت) ، ص٥٣ ؛ فؤاد عبد المعطى الصياد دراسات في الحضارة الإسلامية «التقاء الثقافتين العربية والفارسية» ، القاهرة ، ١٩٧٩م ، ص٦٨ ؛ بديع محمد جمعة : دراسات في الأدب المقارن ، (ط٢ ، بيروت ، ١٩٨٠م) ، ص٦٤ ؛ ذكر أن «الكتب التي عنيت بأساطير الفرس وفارس هم الشاهنامة والطبري وابن الأثير وغيرها من المصادر الموثوق بها حيث أن أول من اتصل بالفرس هم العرب ، فقالوا أن الضحاك الملك الحميري الأسطوري استطاع حكم إيران قرابة ألف عام «١٠٠٠ عام» ، ونظراً لسطوته قام الإيرانيون بثورة عليه تزعمها رجل يدعى «كاوه» ونجحت الثورة ، وتولى أمير إيراني آخر ، وهو أفريدون ، وعلى الرغم من كراهية الضحاك إلا أنه سرعان ما عادت العلاقات بين الشعبين العربي والفارسي فاجتهد أفريدون في تزويج أبنائه من بنات ملك اليمن في عصره وتم ذلك الزواج ، وتوطدت العلاقات بينهما.

(٢) بديع محمد جمعة : المرجع السابق ، ص٦٤-٦٥ ؛ عبد السلام فهمى : كوروش الكبير ، ص٥١-٥٤.

ولقد اعتبرت التجارة من العوامل التي كانت وراء توثيق تلك العلاقات فنجد منذ القدم «عبد مناف» قد عاهدوا الدول المجاورة ليترددوا عليها تجاراً ، وكانت إحداهما مع الفرس والأخرى يرسل الفرس تجاراتهم إلى أسواق العرب ، ويلجئون إليهم لحماية قوافلهم التجارية[1].

واستمرت العلاقات بعد الإسلام منذ عهد الرسول ، واتضحت بصورة جلية في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، حيث بدأت الفتوحات الإسلامية لبلاد الفرس ، حيث كان العرب على علم ودراية بهذا الشعب الذي تربطهم به علاقات وثيقة منذ القدم تعرفوا من خلالها على أحوالهم السياسية والاجتماعية ، وعليها خاضوا العديد من المعارك آخرها نهاوند عام «٢١هـ/٦٤١م» وبالتالي صار أمر الفرس وإمبراطوريتهم هيناً للغاية ، وانتهى أمرهم بقتل أخر ملوكهم يزدجرد في عهد الخليفة عثمان بن عفان عام «٣١هـ/٦٥١م» ولكن ذلك لم يعق تلك العلاقات ، ولا مدى الاستفادة من نظمهم الإدارية[2].

- **الوضع السياسي والاجتماعي في إقليم خوارزم :**

في الفترة الزمنية المعاصرة لبدء ذهاب العرب لتلك المنطقة ، وخاصة في المرحلة الأولى التي يطلقون عليها الحملات الثغرية «الاستطلاعية» ، وذلك بعد أن انتهى تقريباً الصراع بين العرب والفرس باستيلاء العرب على خراسان ، وعلى أثرها بدأت مرحلة الفتح الحقيقة ، وإن كان قد ظهر على مسرح الأحداث عدو جديد للعرب وهم الترك.

---

(١) أحمد الحوفي : المرجع السابق ، ص٦٤-٦٥ ؛ ذاكراً وإلى جانب تلك الرسائل نجد ذهاب بعض العرب إلى فارس من أجل العلم والتعلم ، وخير مثال على ذلك الحارث بن كلده الثقفي الذي رحل من الطائف إلى جنديسابور وغيرها من بلدان فارس فتعلم الطب والعزف على العود.

(٢) طه ندا : فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص٥٣-٥٤ ، ٥٧.

ومن قبل ذكرنا كون تلك المنطقة إيرانية لغوياً وسكانياً ، وإن كان يختلف الأمر من الناحية السياسية وخاصة بعد سقوط الإمبراطورية الساسانية المترامية الأطراف ، ولم يتبق سوى الطبقة الارستقراطية من الأسر الحاكمة من الدهاقنه التي ارتفعت فوق طبقة النبلاء «ملاك الأراضي» ثم الوكلاء في القرى[1]. إلى جانب الترك المتواجدين في تلك الإمارات ، ومنها إمارة خوارزم ، ومع بداية الفتوح اتجه الأتراك إلى توسيع ممالكهم إلى الغرب ، وذلك في عهد قابغان قاغان ، والذي يطلق عليه الصينيون اسم «متشوى» بعد تحريرهم ، واستقرار واحد منهم في سمرقند عاصمة الصغد بوصفة طرخاناً خاضعاً للخاقان الأعظم[2]. إلى جانب البدو من القبائل التركية في أقصى الشمال ، وكانت تربطهم بخوارزم علاقات تجارية ، وبالرغم من ذلك لم تسلم من غاراتهم وإلى جانب هؤلاء الأمراء يوجد السادة المحليون حيث لا يتعدى سلطانهم حدود القرى[3].

ومن ذلك نرى التعقيد السياسي الشديد في تلك المنطقة ، فلا نستطيع أن نفصل من له السيادة على الآخر ، فهى عملية موازنة تعتمد

---

(1) J. Wellhausen : Translated bu Margaret Grahanweir, M. A., Calcmtta, the Arab Kingdom and its fall, N.P., 1927, p.432.

(٢) حمزة بن الحسن الأصفهاني : تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء ؛ محمد عبد الهادى شعيرة : المرجع السابق ، ص٤٨-٤٩ ؛ الزشخى : المرجع السابق ، ص٢٣-٢٤ ؛ ذاكراً مدة حكمه اثنين وثلاثين عاماً ؛ السيد الباز العرينى : المغول ، ص٥ ؛ حسن أحمد محمود : الإسلام في آسيا الوسطي بين الفتحين العربي والتركى ، ص١٣٦ ؛ شكري فيصل : حركة الفتح الإسلامي الأول «دراسة تمهيدية لنشأة المجتمعات الإسلامية» ، (دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٣٧١هـ/١٩٤١م) ، ص١٦٠ ؛ J. Wellhausen : op. cit., p.434.

(٣) شكري فيصل : المرجع السابق ، ص١٦٠-١٦١ ؛ محمد توفيق صادق : المرجع السابق ، ص٨١-٨٤ ؛ J.Wellhausen : op. cit., p.434.

في الأول والآخر على قوة المسيطر ، وكان هذا التعقيد والتفكك السياسي الذي صارت عليه تلك الولايات في صالح التواجد العربي حيث هيَّأ المنطقة للفتح والتواجد العربي.

- **الفتوحات العربية لإقليم خوارزم :**

مرت مرحلة فتح إقليم خوارزم بأكثر من مرحلة :

المرحلة الأولى : ويطلق عليها مرحلة الاستطلاع أو الغزوات الثغرية ، ولقد وصفها العديد من المؤرخين بأنها مرحلة جمع الغنائم والسلب والنهب مع قدر ضئيل من الرغبة في نشر الإسلام ، وإن كنت أرجح كونها مرحلة تمهيدية وتدريجية لمعرفة أحوال تلك المناطق الجديدة ذات الطبيعة الجغرافية المتنوعة والمختلفة اختلافا جوهرياً عن طبيعتهم ومعرفه إمكانات سكانها وطبيعة عدوهم صعب المراس ، وكيفية التعامل معه.

وكان طابع تلك المرحلة هو عدم الاستقرار والبقاء فقط في فصل الصيف والعودة إلى مرو مركز خراسان في الشتاء ، وكذلك التباطؤ ، وذلك بعدة أسباب منها :

- طبيعة أراضيهم الجبلية المختلفة عن طبيعة العرب السهلية ، لذا صعب التعامل معهم في البداية.
- وصفها بكونها مرحلة الغرض منها هو الجمع والسلب[1]. حيث أصبح من الصعب تحديد ذلك ، فيمكن وصفها بالاندفاع واستثمار النصر أكثر من اتصافها بالفتح المنظم[2].

---

(١) حمزة بن الحسن الأصفهاني : المصدر السابق ، ص٢٨ ؛ بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولى ، ص٣٠٠ ؛ حسن أحمد محمود : المرجع السابق ، ص١٣٩ ؛ جرجي زيدان : التمدن الإسلامي ، ج١ ، ص٥٢.

(٢) شكري فيصل : حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول الهجرى ، ص١٦٢-١٦٣.

- التعقيد والتداخل ، وأيضاً تلك الروايات التي يتناقض بعضها مع الآخر في حدث بسيط فعلى سبيل المثال اختلاف الآراء حول أول من عبر نهر جيحون إلى منطقة ما وراء النهر[1]. والسبب في ذلك يرجع إلى الاعتماد على الروايات الشفهية التي جاءت عن طريق القصص والروايات التي غلب عليها الخلط والتناقض ، ومرجع ذلك عدم تدوينها إلا بعد عدة أجيال.
- كذلك ارتباط هذا التباطؤ بما كانت عليه خراسان في تلك الفترة ، وما كانت عليه الحياة السياسية والحربية وانعكاس ذلك على هذا الإقليم والأقاليم المجاورة ، وذلك للتجاوب الكامل الذي كان بين المنطقتين.
- وتمثلت تلك الظروف فيما يصيب الفاتحين والعلاقات بين القبائل والخلافات القبلية التي كانت موجودة بين قبائل الشمال والجنوب ، وإعلان عصيانهم على الأمراء وقسوة الأمراء عليهم ، وتغيرهم من آن لآخر كل ما سبق كان له اكبر الأثر على حركة الفتح الأولى لتلك المناطق[2].

---

(1) Gibb: The Arab Conquests in Central Asia, p.30.
ولقد قسم جب تلك الروايات إلى قيسية تدور حول ابن خازم ، وأخرى أزدية تدور حول المهلب بن أبي صفرة ، وهي أكثر الروايات شيوعاً بين العرب ، فيأخذ بها كلاً من : البلاذري : فتوح البلدان ، (بيروت ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) ، ص٥٤٧ ، ٥٧٨ ؛ اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، الجزء الثاني ، ص١٦٧ ؛ وروايات باهلية ، وإن كانت لم تجد قبولاً كثيراً من المؤرخين ما عدا ، الطبري : الذي يعرضها في صورة تهكم ، ج٥ ، ص٢٨٥-٢٨٦ ؛ وروايات أخرى محلية يأخذ بها : الزشخى : تاريخ بخارى ، ص٦٢-٦٣ ، فهي تصور الفتوحات بكونها قصة تاريخية تتزعمها البطلة القومية خاتون ، وبعض الروايات المحلية الأخرى ؛ للمزيد انظر : ابن الأثير : المصدر السابق ، ج٣ ، ص٢٤٧ ؛ أبو الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج١ ، ص٦٠ ؛ الگرديزى : زين الأخبار ، ص١٧٢.

(٢) حمزة بن الحسن الأصفهاني : المصدر السابق ، ص٢٨ ؛ اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص٢٦٩ ، ٢٧١ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الثالث ، القسم الأول ، ص٨٣ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص٣٠٢ ؛ شكري فيصل : المرجع السابق ، ص١٦٢.

عام «٣٢هـ / ٦٥٢م» :

صار خوارزم في أول محاولة للحملات الثغرية الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين بن عبادة التميمي ، على عهد ولاية عبدالله بن عامر ، ولم يقدر عليهم ، ولم توضح المصادر الأسباب وراء ذلك بل تذكر استشارته لأصحابه فأشاروا عليه بالرجوع إلى بلخ ، وقالوا :

إذا لم تستطع أمراً فدعه وجازوه إلى ما تستطيع

ومما سبق يستبعد تركه لعناصر عربية في هذا الإقليم ، وكونها حملات استطلاعية الغرض منها التعرف على الإقليم[1].

عام «٦١هـ / ٦٨٠ – ٦٨١م» :

وهي المحاولة الثانية لفتح إقليم خوارزم في عهد يزيد بن معاوية حيث غزاها سلم بن زياد بن أبيه «وهو ابن عبيد من ثقيف»[2].

فيذكر أن علي بن محمد ذكر الحسن بن رشيد الجوزجاني عن شيخ من خزاعة عن أبيه عن جده ، قال : غزوت مع سلم بن زياد خوارزم ، فصالحوه على مال كثير ، وزيادة على ذلك فقد نال من هدايا خوارزم وأرسلها إلى يزيد بن معاوية[3].

---

(١) أبو عمرو خليفة بن أبي هبيرة الليثي العصفري : تاريخ خليفة بن خياط ، حققه وقدم له : أكرم ضياء العمري : (ط١ ، القاهرة ، ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م) ، ج١ ، ص٢٢٦ ؛ اليعقوبي : المصدر السابق ، ج٢ ، ص٢٢٥ ؛ أبو العباس أحمد بن يحي بن جابر البلاذري : فتوح البلدان ، ص٥٨١ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج٣ ، ص٦٣ ؛ أبو الحسن الماوردي : الوزارة «أدب الوزير» ، تحقيق : محمد سليمان داود ، فؤاد عبد المنعم أحمد : (ط٢ ، القاهرة ، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) ، ص٥٢ ، حاشية٤.

(٢) المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص٣٠٤.

(٣) خليفة بن خياط : المصدر السابق ، ج١ ، ص١٤١ ، ٢٣٦ ؛ (وإن كان قد ذكر أحداث عام ٦١هـ في عام ٦٢هـ) ؛ اليعقوبي : المصدر السابق ، ج٢ ، ص٢٢٥ ؛ البلاذري : المصدر السابق ، ص٥٨١ ؛ ولقد قدر هذا المال بحوالي أربعمائة ألف «٤٠٠٠٠٠» ؛ الطبري : المصدر السابق ، ج٥ ، ص٤٧٣-٤٧٤ ؛ أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج١ ، ص٧٠ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج٣ ، ص٣٠٤ ؛ حسن أحمد محمود : المرجع السابق ، ص١٤٣.

وتكررت المحاولة في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي ، وولاية يزد بن المهلب بن أبي صفرة من قبيلة أزد[1]. الذي غزا خوارزم ووصفها بكونها قليلة السلب شديدة الكلب ، وصالح أهلها ، وأصاب سبياً وذلك في فصل الصيف ، ولقد كرر غزوته مرة ثانية في الشتاء ، ولكنه لم يتحمل بردها ، إذا اخذ ثياب الأسرى حيث ارتداها جنوده ، فمات السبي من البرد[2].

وهنا احتمال نستنتجه من تلك العبارة الأخيرة وهو بقاؤه مدة في خوارزم لاستطلاع أمرها ومعرفة ظروفها وإن كانت المصادر لم تشر إلى أي نوع من التواجد العربي بخوارزم ولا أماكنهم ، ويؤكد ذلك ما فعله رؤساء وحكام المناطق من اجتماعهم بمدينة مما يلي خوارزم ليتعاهدوا على إلا يغزو بعضهم بعضاً ، يتناسوا الخلافات ويتشاوروا في أمورهم ، ويعاهدوا على مقاومة عدوهم في تلك الغزوات[3].

ومن المحتمل أن يكون الحكام المحليون لهذا الإقليم قد تعرفوا – ولو بشكل مبدئي – ما كان عليه هؤلاء القادة العرب من قوة وبأس ، وإعجابهم بفروسيتهم وكرمهم وسماحة خلقهم ، وبالنسبة للعرب فقد تعرفوا – ولو بشكل ضئيل – على طبيعة ذلك الإقليم البارد وتأقلموا عليه ، ودليلنا على ذلك إقامتهم في بعض الأحيان وقيامهم بتلك الغزوات «والتي كانت سنوية في شكل صوائف ، وفي بعض الأحيان في شكل شواتٍ تبعاً للضرورة» ، كما حدث في الغزوة الأخيرة ، وذلك يعني

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج٦ ، ص٢٧٨.

(٢) البلاذري : فتوح البلدان ، ص٥٨٦ ؛ الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٣٩٧-٣٩٨ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج٤ ، ص٩٧.

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج٤ ، ص٥٠٤-٥٠٥ ؛ حسن أحمد محمود : المرجع السابق ، ص١٤٣ ؛ محمد توفيق صادق : المرجع السابق ، ص١٠٧.

تكيفهم مع هذا المناخ ، ومعرفتهم بعض الشيء مقـدرات هـذا الإقلـيم العسكرية والمادية ، ومراكز الضعف والقوة فيه ، وكذلك العناصر التـي يمكن أن يستعينوا بها – أحياناً – ضد العرب ، وإلى جانـب أثـر تلـك الحملات الخاطفة التي أرهقت ذلك الإقليم مادياً من خلال عهود الصلح ، وما يتقرر فيها من مقدار دفع الجزية[1].

- ***القبائل العربية ومشاركتها في الفتح المنظم لخوارزم*** :

حيث يدخل إقليم خوارزم في مرحلة جديدة من الفـتح المـنظم ، وذلك في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان والـى العـراق وخراسـان والحجاج بن يوسف الثقفي والقائد قتيبة بن مسلم الباهلي الذي ينسب إلـى قبيلة باهلة[2]. ودوره الواضح في إقليم خوارزم ومحاولته تثبيت التواجـد العربي بها ، وسياسته التي صار عليها من جاء بعده من الولاة في حكـم تلك الأقاليم.

---

(١) البلاذري : المصدر السابق ، ص٥٨٤ ؛ الطبري : المصـدر السـابق ، ج٥ ، ص ٤٠٣، ٣٦٩ ؛ ج٧ ، ص٧١ : ٧٩.

(٢) يذكر أن باهلة امرأة ، وهي باهلة بنت صعبة وزوجها معن ، حيث يطلق علـى قبيلة معن البدوية في شمال الجزيرة العربية عادة بنى باهلة ، حيـث يقـال إن نسب قتيبة إلى باهلة ، ومنهم من يقول : إن باهلة أم لولد معن ، وليس باسم ابن حيث لا تجد باهليا ينسب إلى باهلة ، وإنما تنسب إلى أحد أولاد معن ، فمن ولد وائل بن معن قتيبة بن مسلم ... ؛ ابن الأثير : اللباب في تهذيب الأنساب ، عن نسخه الخزانة التيمورية المحفوظة في دار الكتب المصرية ، (مكتبة المقدسي ، القاهرة ، ١٣٥٧هـ) ، ج١ ، ص١١٧ ؛ دائـرة المعـارف الإسـلامية : ج٦ ، ص١٥٥ ؛ محمد توفيق صادق : المرجع السـابق ، ص١١٧ ؛ ولمزيـد مـن المعلومات عن نسب قتيبه بن مسلم الباهلى انظر : ابن حزم الأندلسي : جمهرة أنساب العرب ، (باريس ، ١٩٤٨م) ، ص٤٥٠ ؛ ابن خلكان : المصدر السابق ، ج٤ ، ص٨٦.

أما بالنسبة للقبائل التي شاركت في الفتوح فقد بدأ ذلـك منـذ أن عزم معاوية ابن أبي سفيان على تحويل خراسان إلى ثغر إسلامي ، وما ترتب على ذلك من تحويل أعداد كثيرة من سكان كل مـن البصـرة[1]. والكوفة.

ففي عام «٦١هـ/٦٨٠ - ٦٨١م» مد يزيد سلم بن زيـاد «٢٠٠٠ رجل» أو «٦٠٠٠ رجل» تقريبا من وجهاء البصرة وفرسانها ، فخـرج معه «عمران بن الفضيل البرهمي ، والمهلب بن أبي صفرة ، وعبدالله بن خازم السلمي ، وطلحة بن عبدالله بن خلف الخزاعي ، وحنظلة بن عرادة ، ويحي بن يعمر العدواني ، وصله ابن أشيم العدوى».

وأضاف إليهم الطبري « يحيى بن يعمر العدواني» حليف هذيل ، وأبا حزابة الوليد بن نهيك أحد بني ربيعة ، وخلق كثيـر مـن فرسـان البصرة ، وأشرافهم ، فضلا عن الذين أتوا مع نائبة من أهل الشام[2].

---

(١) البصرة : تعرف في العصور الوسطى في أوربا تحت اسم بلسورا «Balsare» وكثيراً ما تكتب الآن تحت مسمي بسورا Bassara ، مدينة تجارية على شـط العرب ، وبها من القبائل الأزد بعد مهاجرتهم إليها ؛ وأيضاً ربيعة التي تحالفت معها ضد تميم وقيس إلى جانب عدد كبير من الموالي ، وفي عام ٥٠هـ ، صار عدد سكانها ثلاثمائة ألف نسمة «٣٠٠٠٠٠» ، ولها السبق في إمـداد جيـوش الفتوح بالجند ، ولقد قسمت البصرة إلى خمسة أخماس ، وهم «أهل العاليـة - سكان إقليم الحجاز العالى - ، وتميم ، وبكر بن وائل ، وعبد القيس ، والأزد» ، ومن خلال هؤلاء ظهرت الطبقة العسكرية في البصرة ، وأدمجت معها الموالى والسكان الوطنيين وكذلك الشعوب المهاجرة من إيـرانيين ، وهنـود ، وأنـاس من السند والملايو ، والزنج ، وكانت العصبيات العربية مشتته حتى فقدت قوتها فيما بعد ؛ دائرة المعارف الإسـلامية : ج٧ ، ص٢٩٦-٢٩٧ ، ٣٠٠-٣٠١ ؛ J.Wellmansem, the Arab Kingdom and its fall, p.398 ؛ حيث ذكر أن تلك القبائل الكبيرة انقسمت إلى أخماس ، لها كور صغيرة ، مثال على ذلـك كندة ، والطائي أخذت مع بكر في البصرة.

(٢) الطبري : المصدر السابق ، ج٥ ، ص٤٧٢ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج٣ ، ص٣٠٤ ؛ محمد توفيق صادق : ثغر خراسان من الفتح العربي حتـى قيـام الدولة المستقلة ، ص٢٨١.

وهناك احتمال وارد من كون كل أو بعض من هؤلاء قد شاركوا في غزوته لإقليم خوارزم عام «٦١هـ/٦٨٠ – ٦٨١م» ومن الملاحظ على عناصر تلك القبائل المشاركة في الفتوح التنوع ، فهم ما بين عرب البصرة والكوفة.

ولقد صنفهم جرجي زيدان ما بين عدنانية وأخرى قحطانية ، ذاكراً أن تلك القبائل لم تكن مقيمة في القرى والمدن حتى لا تختلط بسكانها ، وإنما كانوا رابطين في مناطق تحصيناتهم المخصصة لهم وقت غزوتهم ، ولكن ما لبث أن تطور الأمر واختلطوا بسكان البلاد ، ولم يكن السبب الوحيد وراء ذلك هو انتشارهم في تلك المناطق بسبب الفتح ولا لنشر الإسلام ، وإنما لهجراتهم بأولادهم وخيامها وأنعامهم من أجل التماس سعة العيش في البلاد العامرة من مملكتهم الجديدة[1].

ولقد خالفهم عبد المنعم ماجد في ذلك ذاكراً أن هؤلاء قد دخلوا البلاد فاتحين ولم ينتقلوا إليها مهاجرين ، حيث أنه لو حدثت الهجرة لكانت مؤقتة ، حيث وجد هؤلاء داخل الجزيرة العربية وأطرافها وفي رجال الجيش والقبائل التي انتقلت في حركة الفتوح ليسكنوا الأمصار ، وكان أغلب العرب عند بدء حركة الفتوح من المسلمين ، ومن كان غير ذلك يطلق عليه المنتصرة وسرعان ما تحولوا للإسلام[2].

- **المواطن الأصلية لتلك القبائل :**

١ – أهل البصرة :

تلك القاعدة التي انطلق منها المقاتلون لفتح تلك الأقاليم ، والتي على رأسها إقليم خوارزم ، وقبائلهم مقسمة إلى خمس كتل : فنجد على

---

(١) جرجي زيدان : تاريخ التمدن الإسلامي ، مطبعة الهلال ، القاهرة ، ١٩٠٥م ، ج٤ ، ص٣٢٣.

(٢) عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ، (ط٤ ، القاهرة ، ١٩٧٨م) ، ص٨١-٨٢.

بنى تميم[1]. ضرار بن حصين الضبي ، ولقد عزل عنها وكيع بن أبي سود ، وعددهم «١٠٠٠٠ شخص»[2]. وعلى بكر بن وائل[3]. الحصين بن المنذر البكرى وعددهم «٧٠٠»[4]. وعلى رأس الأزد[5]. عبدالله بن

---

(١) تميم : تنسب إلى تميم بن مر ابن ادبن طانجة بن إلياس بن مضر ، وذلك يعنى كونها من مضر ، ويقال أحيانا أنها مساوية لمضر ، وذلك في مقابل قيس وربيعة حيث ربيعة اقرب القبيلتين إلى تميم ، ومعنى ذلك أن كل تلك القبائل ترجع إلى مضر ، وهي بدورها ترجع إلى عدنان ، ولقد ازدادت معرفة تلك القبيلة منذ القرن السادس الميلادي «٦م» باعتبارها قبيلة عظيمة ، نزلت في جانب كبير من الساحل الشرقي لبلاد العرب «أي بلاد نجد باسرها تقريباً وجزء من البحرين وقسم من اليمامة وتمتد منازلها ببطون من عبد القيس وحنيفة» ، وامتزجت ببكر وتغلب في الشمال ، وهم بدو خلص لم تكن لهم مدن بالمعنى الصحيح ، ولقد اتسعت منازلهم حتى صارت قبيلة قائمة بذاتها ، وهناك روايتان حول اتصالهم بالفرس الساسانيين ، اعتنقوا الإسلام في العام ٨ للهجرة ، ثم ارتدوا عنه ، ثم ما لبثوا أن عادوا إليه ، ووجدوا في الفتوحات الإسلامية ضالتهم ، واتجه معظمهم لفارس وعسكروا في البصرة والكوفة ثم انتقلوا إلى خراسان ؛ ولمزيد من المعلومات حول ذلك انظر : دائرة المعارف الإسلامية : ج١٠ ، ص٥٤-٥٨ ؛ سلطان بن طرنخيم المذهن السرحاني : جامع أنساب قبائل العرب ، (دار الثقافة ، قطر ، الدوحة ، د.ت) ؛ ص٣٨ ، ٤١-٤٣.

(2) H. A. R. Gibb, M. A. : The Arab Conquests in central Asia, p.40.

(٣) بكر بن وائل : قبيلة عربية يرجع نسبها إلى عدنان بن بنى معد ، وهم بكر بن وائل بن قاسط بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد ، وهم أبناء عمومتهم تغلب وعنز ، ولقد عاشت في تهامة اليمن واليمامة والبحرين إلى حدود الجزيرة وسكنوا الناحية التي ما تزال تحمل وتنسب إليهم وهي ديار بكر ، وسكنت كذلك أماكن في بلاد فارس ، وبخاصة إقليم خراسان ، وفي عام «٩هـ/٦٣٠م» أعلن فريق منهم الإسلام ، ورحل بكر إلى خراسان ومرو وهراة ، حيث كان الكثيرون من قبيلتهم قد سبقوهم إلى الإقامة هناك ، وفي عام «١٣٤هـ/٧٥١م» رحل بنو بكر إلى خراسان مع جند البصرة ، وكان عددهم ٧٠٠٠ رجل ؛ دائرة المعارف الإسلامية : ج٧ ، ص٤٧٥-٤٧٦ ، ١٧٨-٤٩٧ ، ٤٨٥ ؛ سلطان بن طرنخيم : المرجع السابق ، ص٢٦ ، ٢٩.

(4) Ibid, p.40.

(٥) الأزد : أعظم قبائل العرب وأشهرها تنسب إلى الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا من القحطانية ، تنقسم إلى أربعة أقسام «أزد شنوى ، أزد غسان ، أزد السراة ، أزد عمان» ، ولقد هاجروا إلى البصرة بعد تصدع =

حودان الجهضمي وعددهم «١٠٠٠٠ شخص»[١]. وعبدالله بن علوان عوذي على خمس عبد القيس ، وعددهم «٤٠٠٠ رجل»[٢]. ويوزع على كل رئيس من هؤلاء الخمسة من البصرة راية أو لواء ليثبت وجوده في المعركة ، وليتعرف عليه قومه وبنوه ، وما لذلك من اثر واضح في المعركة واستمرارها مادام مرفوعا ، إذ أن سقوطه يعنى الانهزام.

وكما هو شائع في تقسيم القبائل إلى بطون فنجد أن لكل قبيلة من هؤلاء بطناً وعليها رئيس يقود رجاله[٣]. الذين هم من الخمس الذي ينتمي للقبيلة بشكل عام.

= سد مأرب عام «٦٠هـ/٦٧٩م» وكان قبل الهجرة بها الأزد من الفرع الغربي ، التي كانت تسكن جبل تراث لساحل عمان ، ويذكر أن هؤلاء ينتمون إلى الأصل العربي ، ولقد اسلموا في القرن ٩هـ ، وشاركوا في الفتوح وبخاصة في جيس قتيبة بن مسلم الباهلى ؛ ابن حزم الأندلسي : المصدر السابق ، ص٣٤٧ ؛ زامباور : معجم الأنساب والاسرات الحاكمة في التاريخ ، تأليف : زكى محمد حسن ، سيدة إسماعيل الكاشف ، حسن أحمد محمود ، حافظ أحمد حمدي : (بيروت ، دار الرائد العربي ، د.ت) ، ص٩٧ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١ ، ص٤٦ ؛ J. Wellhausen: The Arab Kingdom and its fall, p.339.

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص١٢ ، ٤٤ ، ٧٣-٧٤ ، ١٢٢ ، ١٧٤.

(2) Ibid, p.40.

(٣) محمد توفيق صادر : المرجع السابق ، ص٢٨٤ ؛ نقلاً عن : أحمد عادل كمال : الطريق إلى المدائن ، ص٩١-٩٢ ، أن اللواء في الأصل مسئولية رئيس الجيش ، وهو القائد العام أو الوالي ، وبعد ذلك يحمله عنه غيره وذلك لانشغاله بالمعركة ، ويفرق بين اللواء والراية ، فيذكر أن اللواء على ما يعتقد يعقد في طرف الرمح ويلوى عليه ، أما الراية فهى ما بعقد فيه ويترك حتى تضعفه الرياح فاللواء دون الراية ، ويتولى الراية صاحب الحرب ؛ الطبري : المصدر السابق ، ج٥ ، ص٥٥٠.

٢ – أهل الكوفة :

وهي المصدر الثاني لتلك القبائل العربية ، وإن كانت المصادر لم تشر إليها بشكل مستمر ، فنجد في عهد الوالي زياد بن أبيه ، وولاية الربيع بن زياد الحارثي رحل معه خمسون أسرة «٥٠ أسرة» بعيالهم إلى خراسان ، وكان من بينهم خمس وعشرون أسرة من أهل الكوفة[١].

ولقد اعتبرتها المصادر فرقة موحدة مقاتله قائمة بذاتها ، وكانوا في عهد قتيبه بن مسلم الباهلى جزءا لا يتجزأ من تكوين جيشه في الأقاليم التي قام بغزوها وفتحها ومنها خوارزم ، ووصل عددهم «٧٠٠٠ رجل» عليهم جهم بن زهر الجعفي ، ومعهم مواليهم الذين شاركوا في القتال[٢]. وإن كانت أغلبية الفتوح من أهل البصرة ، لذا طبق نظام الأخماس السائدة لديهم في خراسان مع الاختلاف.

٣ – الموالى :

وهم الذين دخلوا في الإسلام حديثاً[٣]. لذا يصبحون موالٍ لرجال الدولة أو القائد العام ، ويطلق عليهم المسلمون الجدد[٤]. إلى جانب أبناء الموالى حيث لاقوا ما لاقاه آباؤهم عند أسيادهم ، وبالتالي نمت طبقة المولدين الذين نتجوا عن سكان البلاد الأصليين[٥].

---

(١) الطبري : المصدر السابق ، ج٥ ، ص٢٨٥ ؛ J. Wellhausen, op. cit. p.415.

(٢) البلاذري : المصدر السابق ، ص٥٩٦ ؛ Gibb, op. cit, p.40.

(٣) فون كريمر : الحضارة الإسلامية ومدى تأثرها بالمؤثرات الأجنبية ، تعريب مصطفي بدر ، (دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٤٧م) ، ص٧٩-٨٠.

(٤) فون كريمر : المرجع السابق ، ص٧٩.

(٥) فون كريمر : المرجع السابق ، ص٧٤ ، ٧٧.

ولقد شارك هؤلاء الموالى في جيش قتيبة ، وكان عددهم المسجل في الديوان عام «٩٦هـ/٧١٤م» «٧٠٠٠ مقاتل» ، وكان قائدهم في القبائل رجل يدعى حيان النبطى[١].

ولقد ظلوا يحاربون جنباً إلى جنب مع العرب أثناء العهد الأموي ، فكان فريق من هؤلاء يدون في الديوان ، فيكون لهم عطـاء ورزق ، وآخرون كان لهم نصيب من الغنائم فقط دون أن يكونوا مسـجلين فـي الديوان[٢].

وبالرغم من ذلك نجد أن الأغلبية كانت للعرب ، وخاصـة فـي العهد الأموي ثم تغير ميزان القوى في العهد العباسي حيث صارت الغلبة للفرس في الجيش ويتطور الأمر فيما بعد إلى تمكنهم من تكوين دويلات مستقلة عن الخلافة العباسية في بغداد[٣].

---

(١) اليعقوبي : تاريخ اليعقـوبي ، ج٢ ، ص٢٨٦ ؛ الـبلاذري : فتـوح البلـدان ، ص٥٩٦ ؛ طه ندا : فصـول مـن تـاريخ الحضـارة الإسـلامية ، ص٥٦ ؛ Gibb : op. cit. p.40 ؛ هذا ما ذكر عن أعداد الموالي في جيش قتيبـة وإن كان في ديوان الجند منذ عهد معاوية ومجيء ابنه يزيد الأول ، عـددهم يفـوق ذلك بكثير فحسب ما ذكر في الديوان يحتوى على ٧٠ ألف جندى نظامى عربي و٩٠ ألف من التجار الموالي ، ثم زاد العدد في عهد يزيد الأول ذاكراً أنه أصبح ٨٠ ألف من الجند النظاميين ، ١٥٠ ألف من التجار ، ولا ندرى إن كان يقصد بالتجـار هـذا مـا قصـده بـاللفظ الأول نفسـه وهـم المـوالي أم لا ؛ J. Wellhausen : op. cit, p.442 ؛ **حيان النبطى** : مولى طلحة بين هبيـرة الشيبانى ، حيث كان رجلاً عظيماً ذا قدر ، ذهب لخراسان وعقد صـلحاً بـين قتيبة وطرخون ملك السغد ؛ النرشخى : تاريخ بخارى ، ص٨٥.

(٢) محمد توفيق صادق : ثغر خراسان من الفتح العربي حتى قيام الدولة المسـتقلة ، ص٢٨٧ ؛ Ibid : p.4-2.

(٣) طه ندا : فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص٦٢ ؛ حسن أحمد محمود : المرجع السابق ، ص٦٩-٧٠.

وبذلك صارت عدة جيش قتيبة بن مسلم الباهلي في فتوحاته مـا يلي من تميم وعددها «١٠٠٠٠ مقاتـل» ، والأزد «١٠٠٠٠ مقاتـل» ، والقيس «٩٠٠٠ مقاتل» ، وبكر «٦٠٠٠ مقاتل» ، وعبد القيس «٤٠٠٠ مقاتل» أي «٤٠٠٠٠ مقاتل» قادرين على حمل السلاح بجانب الموالي ، لذا صار العدد الإجمالي للعرب في خراسان ، وشارك في الفتوحات حتى وصل إلى «٢٠٠ ألف مقاتل»(١).

٤ – السكان المحليون :

استفاد منهم القائد قتيبة في فتوحاته ، وجعل مـنهم فرقـة تقـوم بالعديد من الأعمال التي تتمثل في وظيفة الأدلاء «الدليل» وكذلك الحراس لمعرفتهم بالطرق والمفاوز ، ويتم اختيارهم مـن منـاطق الثغـور ذات الأهمية العسكرية ، والتي تتوافر في سكانها صفات عسكرية جيدة(٢).

وخير دليل على ذلك وجود ما يقارب من (٢٠ ألف مقاتل) تحت قيادة عبد الرحمن بن مسلم الباهلي من ضـمنهم عناصـر محليـة مـن خوارزم وبخارا(٣). ويدل ذلك على حسن العلاقات – إلى حد ما – بـين

---

(1) Ibid: p.427; Jibb : op. cit. p40.

ولقد أضاف على ذلك من البصرة أهل العاليـة «Ahla La Liya» ٩ آلاف ، وإن كنت على ما أعتقد أنه يقصد بها القيس ، ولقد زاد أن من الكوفة ٧ آلاف ، وبذلك يصبح الإجمالي لهؤلاء العرب ٤٧ ألف من العرب ؛ البلاذري : المصدر السابق ، ص٥٩٦ ، حيث قال إن من البصرة ٤٠ ألف ومن أهل الكوفة ٧ آلاف ومن الموالي ٧ آلاف.

(٢) الطبري : المصدر السابق ، ج٦ ، ص٤٣٧ ؛ محمد عبد الهادي شعيرة : المرجع السابق ، ص٥٣.

(٣) البلاذري : المصدر السابق ، ص٥٩٢ ؛ الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٤٦٩ ، ٤٧٣ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الثالث ، القسم الأول ، ص١٣٧-١٣٨ ؛ Gibb : op. cit. p.48.

العرب وسكان تلك المناطق ، وقبولهم العمل داخل الجيوش العربية مقابل مقدار من المال ، وذلك يؤهلهم – بطبيعة الحال – للتقرب والتعرف على تعاليم الإسلام.

ومن خلال هذا العرض السريع للفتوحات والقبائل العربية المشاركة فيها نتحدث عن الفتح المنظم لإقليم خوارزم وبداية تثبيت التواجد العربي به ، وذلك عام «٩٣هـ/٧١١م».

وهي تلك السنة التي صالح فيها ملك خوارزم وسبب ذلك ضعف ملك خوارزم ، وغلبه أخيه خرزاد ، بالرغم من كونه الأصغر منه ، لذا فقد طلب الأول المساعدة من القائد العربي ، وذلك دون علم المرازبة والدهاقنة. وكان مقابل ذلك أن يعطى للقائد العربي ثلاثة مفاتيح من الذهب لثلاث من مدن خوارزم ، واستجاب القائد لذلك ، واعد العدة ونزل مدينة الفيل «أحصن مدن خوارزم» وطلب منه ملك خوارزم أن يرحل هذا العام ومن قبل ذلك صالحه على «١٠ آلاف فارس» وعين ومتاع مقابل إعانته على أخيه ، فبعث إليه أخوه وحاشيته فقتله أخو قتيبه «عبد الرحمن» وقتل من الأسرى ما يقارب من «٤٠٠٠ أسير» ولقد استخدم هؤلاء الخوارزميين أثناء سيرهوفتحه لمدينه سمرقند[1].

---

(١) خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط ، ج١ ، ص٣٠٩ ؛ البلاذرى : فتوح البلدان ، ص٥٩١ ، ٥٩٢ ؛ الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٤٦٩-٤٧٢ ، ٤٧٤ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج٤ ، ص٥٧٠-٥٧١ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ص١٣٧-١٣٨ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص٣٠٣ ؛ محمود شيت خطاب : قتيبة بن مسلم فاتح ما وراء النهر حتى حدود الصين ، (مجلة المجمع العلمى العراقي ، ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م) ، مجلد١١٢ ، ص٥٣-٦٥.

ولم ينته الأمر عند هذا الحد ، بل انتهز الفرصة من أجل الهدف الاسمي وهو تثبيت التواجد العربي ، فبعد مصالحتهم ولى أخاه عبدالله بن مسلم[1]. على خوارزم ، فكانت تلك بداية التواجد العربي ، وكان على خوارزم من قبل القائد العربي قتيبة عامله «إياس بن عبدالله بن عمرو» على جيشها ، وإن كان ضعيفاً ، أما خراجها فكان عليه «عبيد اله بن أبي عبيدالله مولى بني مسلم».

وإن كانوا قد استضعفوا «إياساً» لذا أرسل أخاه عبدالله بن مسلم في الشتاء عاملاً عليها ، وأمره قائلاً : اضرب إياس بن عبدالله ، وحيان النبطي مائة مائة ويحلق لهما ، وضم إليه عبيدالله بن أبي عبيدالله ، ولقد أمره أن يسمع له ، فإنه له وفاء ، وما إن صار إلى خوارزم حتى تنحى إياس ، فضرب حيان النبطي وحلق له ، ووجه بعدها قتيبة إلى خوارزم «عبدالله بن المغيرة بن عبدالله» ، فسبي وقتل وصالحوه على أخذ الجزية.

وكما سبق وذكرنا من قبل على لسان البيروني من وجود أسرة عليها ملك يدعى «اسكجموك» ملقب بالشاهية[2]. وبذلك عاد الهدوء للإقليم ، وقامت حكومة عربية في خوارزم.

---

(١) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص٢٨٦-٢٨٧ ، ذاكراً أحداث عام «٩٢هـ» ، وهي الأحداث نفسها التي تمت في عام «٩٣هـ» حيث إنه عندما صار قتيبه إلى خوارزم كان بها سعيد بن ونوفار حيث كانوا قد قتلوا عامل قتيبة بها فقدمها وسبى ١٠٠ ألف شخص ، وحاصر سعيد حتى قتله ، وعندما أصلح حال البلاد انصرف بالغنائم التي لم يسمع بمثلها ، واستخلف على خوارزم عبدالله بن أبي عبدالله الكرماني ، ومن المرجح أن يكون هذا هو المذكور في رواية الطبري وهو «عبيدالله بن أبي عبيدالله مولى بنى مسلم» ؛ البلاذري : المصدر السابق ، ص٥٩٢ ، وإن كان قد ذكر عبدالله بن مسلم بدلاً من «عبيدالله بن مسلم» ؛ الطبري:المصدر السابق ، ج٦ ، ص٤٨٠-٤٨١ ؛ Gibb : op. cit. p.42, 43.

(٢) البيروني : الآثار الباقية عن القرون الخالية ، ص٣٥-٣٦ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج٤ ، ص٥٧٥-٥٧٦.

ومن خلال ما سبق يتضح مدى اهتمام قتيبة بن مسلم الباهلى بإقليم خوارزم ، وتأكيداً لذلك ما ذكره قتيبة أثناء غزوته لسمرقند للمرة الثانية قائلاً : «إنى أرجو أن تكون خوارزم والسغد كالنضير وقريظة ، وقال الله (وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها»[1].

– **كيفية إدارة إقليم خوارزم :**

كان إقليم خوارزم من الأقاليم التي حرص العرب على أن تكون مركزاً للقيادة العربية ، لكونها من مدن الثغور[2]. لذا تمثلت سياسة قتيبة بن مسلم الباهلى في تولية رجلين عليها ، واحد منهم يتولى أمر الخراج ، والآخر أمور الحرب أو يولي واحد فقط للقيام بالمهتمين العسكرية والمالية[3].

ولقد فرض عليهم جزية ، وضم فرقة خوارزمية إلى جيشه للاستعانة بهم في فتوحاته ، إلى جانب اختياره لمدينه خوارزم لتكون مركز إشعاع للثقافة الدينية ، ومقراً للجيش العربي ، وجعل على كاهلهم مهمة استكمال فتح المناطق المجاورة وترك لملك خوارزم في عاصمته كاث ممارسة السلطة الاسمية إلى جانب مسئولين – كما سبق وذكرنا –

---

(١) الطبري : المصدر السابق ، ج٦ ، ص٤٧٢ ؛ محمد عبد الهادي شعيرة : الممالك الحليفة أو (ممالك ما وراء النهر والدول الإسلامية إلى أيام المعتصم) ، ص٥٨-٥٩.

(٢) محمد عبد الهادى شعيرة : المرجع السابق ، ص٦١-٦٢ ؛ J. Wellhawsen : op. cit. p.432.

(٣) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٤٢٤ ، ٤٣٦ ؛ حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي ، (الطبعة السابعة ، القاهرة ، ١٩٦٥م) ، ج٣ ، ص٤٥٣ ؛ محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق منذ عهد نفوذ الأتراك إلى منتصف القرن ٥هـ ، (دار الفكر العربي ، ١٩٦٥م) ، ص٩٧.

يمارسان السلطة الفعلية ، فالأول للقيادة العسكرية والآخر للشئون المالية[1].

ولقد تطور الأمر بعد مقتل خوارزم شاه ، وتلك الثورة التي قامت ، وتركز الأمور في يد شخص واحد ليقيم حكومة عربية خالصة في خوارزم[2]. وهذا ما نهدف إليه في نهاية الأمر.

ولقد كان ولاة ذلك الإقليم الذين يتم تعينهم من قبيلة قتيبة أو من الموالى وخاصة ذوى الخبرة في التنظيمات الإدارية[3]. وكان يحثهم على ضرورة التزام الحق ، وتطبيق أحكام الشريعة وعدم مخالفة أوامره[4].

ويسانده موظفون ومساعدون ، وعلى رأس هؤلاء القاضي والبندار «كاتب السلعة» وتتركز مهمته في المطالبة بالخراج ووجوه المال وصاحب الجند ، ومتولى الضياع السلطانية ، وصاحب المعون «الذي يساعد صاحب الجند» وينكر أن هؤلاء يعينون من قبل الوزير ، وله الحق في عزلهم متى شاء.

وكانت الإدارية في تلك الأقاليم تسير في أبسط النظم فلم يكن هناك ما تفرضه السلطة العليا في حاضرة الخلافة بغداد سوى دفع مبلغ معين من الضرائب «الخراج»[5].

---

(١) خليفة بن خياط : المصدر السابق ، ج١ ، ص٣٠٩ ؛ البلاذري : فتوح البلدان ، ص٥٩٢ ؛ الطبري : المصدر السابق ، ج٦ ، ص٤٨٠-٤٨١ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الثالث ، القسم الأول ، ص١٣٧-١٣٨ ؛ Ibid : p.437.

(٢) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٤٨٠-٤٨١ ؛ Jibb : op.cit. p.40.

(٣) الطبري : المصدر السابق ، ج٦ ، ص٤٢٩ ، ٤٤٥-٤٤٦ ، ٤٨٠.

(٤) الطبري : المصدر السابق ، ج٦ ، ص٤٨٠ ؛ النرشخى : تاريخ بخاري ، ص٧٣.

(٥) آدم متز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجرى ، ج١ ، ص١٣٢ ، ١٣٤ ؛ محمد جمال الدين سرور : المرجع السابق ، ص٩٥ ، ٩٨.

وعلى الرغم من وجود أوقات استقرار وهدوء تعاون بين العرب والأمراء المحليين لم يمنع ذلك من العديد من الثورات وخاصة في العهد الأموي ويرجع ذلك إلى سياستها الامبريالية التي تستند على أسس متينة في فرض سلطانهم من قبل العرب ، من جباية الضرائب ، وجمع الجزية من الأمراء الذين دانوا لهم بالتبعية ، كذلك قصر مدة الولاة وتغيرهم من آن لآخر وتعسفهم ، وما كان لذلك من رد فعل متمثل في ثورات الأهالي ، مساندة الترك لهم ، كل ذلك كان له تأثير على الوضع العربي في تلك المناطق ، ولم يكن معظم الولاة يسيرون على تلك السياسة ، بل نجد منهم من حاول المحافظة على التواجد العربي ، ومنهم :

- **نصر بن سيار عام «١٢٠هـ / ٧٣٨م»** :

وكان «أبو حفص بن على ختنه»[١] - في فترة ولايته - والياً على خوارزم وقام نصر بن سيار بعزل الولاة المعينين من قبل سلفه الوالى أسد القسرى ، وعين مكانه - دون تعرضهم لأي أذي - ولاة كان أغلبيتهم من قبيلة تميم[٢].

ومن الملاحظ على الولاة في خوارزم في عهد نصر بن سيار تولى أكثر من عامل على تلك المنطقة.

فيذكر الطبري أن نصر بن سيار ولى عليها «مسعدة بن عبدالله اليشكري» ثم ولى «عبد الملك بن عبدالله السلمى» على خوارزم ، وله خطبة فيهم قائلاً : «ما أنا بالأعرابي الجلف ولا الفزاري المستبط ولقد كرمتنى الأمور وكرمتها ، أما والله لأضغن السيف موضعه ، والسوط

---

(١) الطبري : المصدر السابق ، ج٧ ، ص١٥٧ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج٥ ، ص٣٣٧.

(٢) الطبري : المصدر السابق ، ج٧ ، ص١٥٧ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الثالث ، القسم الأول ، ص٢٠٧.

موضعه ، والسجن مدخله ولتجدني غشمشما أغشي الشجر ، ولتستقيمن لي الطريقة ، ورفض البكارة في السفن الأعظم ، أولاً لأصكنكم صك القطامى القط القارب بصكهن جانباً فجانباً»[1].

ويتضح من تلك الخطبة ما فيها من شدة وعنف ، مما يرجح قيام ثورات عديدة ضد الولاة العرب في تلك المنطقة ، وإن كانت المصادر صامته في تلك النقطة.

وبذلك فقد كانت سياسة الدولة الأموية في غير صالح التواجد العربي حتى ظهور العباسيين[2]. وتوليهم مقاليد الأمور من خراسان ، وهم حريصون على البقاء على النفوذ العربي في خوارزم والأقاليم الأخرى.

ولقد تميزت سياسة العباسيين مع ولاتهم بالسمات الآتية :

- حكام العباسيين دنيويون ، اتبعوا في سياستهم المساواة بين رعاياهم من العرب والفرس ، وإن كانت لم تسر في اتجاه واحد.

---

(١) الطبري : المصدر السابق ، ج٧ ، ص٢٧٨-٢٨٠.

(٢) يذكر في عام «١٢٨هـ/٧٤٥-٧٤٦م» أن حدثت الفتنة بين الحارث بن سريج والكرمانى من قبيلة الأزد ، وقتله للحارث وغلب على مرو ، لذا انتهز أبو مسلم الخراسانى تلك الفرصة ولضطراب الأمور في خراسان ، فأمر دعاته بالسمع والطاعة ، وأعلنوا الدعوة عام ١٢٩هـ/٧٤٧م ، ووجه رجالة إلى جميع الولايات من طخارستان ومرو الروذ والطالقان وخوارزم وآمل وبخارا إلى أن دخل مرو عام «١٣٠هـ/٧٤٨م» فغلب على ولاية مرو بخراسان ، وذهب بعد المعارك التي حدثت وهروب نصر بن سيار من مرو ، وقتل شيبان الخارجى وابن الكرمانى ، وبعث العمال إلى البلاد مبشراً بالمسودة والدعوة العباسية ؛ ولمزيد من المعلومات انظر الآتي : خليفة بن خياط : المصدر السابق ، ج٢ ، ص٤٠٩-٤١٣ ؛ الطبري : المصدر السابق ، ج٧ ، ص٣٥٥-٣٥٦ ، ٣٦٣ ، ٣٧٧ - ٣٧٩ ، ٣٨٤ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج٥ ، ص٣٤٢-٣٤٦ ، ٣٥٨ ؛ الگرديزى : زين الأخبار ، ص١٧٨-١٧٩.

- يسيرون في إدارة أقاليمهم على نظام الساسانيين ، لاعتقادهم بكونه أكمل النظم الإدارية ، وتتركز مهامهم في تدعيم النظام السياسي وفقا لروح التقاليد الساسانية وبذلك حددت الإطار الذي تدور فيه مهام الولاة ، كذلك الحرص على جمع كلمة أنصار النظام المتعاونين مع السلطان ، وقمع عناصر الاضطراب والضرب من حديد على العصاة من الأمراء وحلفائهم.

ولم يصبح ذلك حقيقة إلا بعد أن حددت الدولة من تعيين الولاة المتعاقبين وراء بعضهم بتعين حكام وراثيين من بين صفوف الارستقراطيين ، ثم تطورت تلم الأمور حتى انتهت بقيام الدول المستقلة وصارت تبعيتهم للحكومة المركزية تبعية اسميه[1].

وبالنسبة لإقليم خوارزم فلم تشر المصادر إلى ولاة عباسيين به[2]. وخاصة بعد إرسال دعاتها إلى خوارزم لنشر الدعوة العباسية هناك ، ومقاومتهم لهؤلاء الدعاة ، خير مثال على ذلك تلك الثورة التي قام بها شريك بن شيخ المهري باسم العلويين ، وانضم إليهم أكثر من «٣٠ ألف رجل» ، وكذلك عمال العرب بخوارزم وبخارا ، وكذلك سكانها المحليون ، وعلى أثرها أرسل أبو مسلم الخراساني عام «١٣٣هـ/٧٥١ - ٧٥٢م» زياد بن صالح الخزاعي لإخمادها ، وساعده بخارا خداه ووفق في ذلك[3].

---

(١) بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص٣١٨-٣٢٠.

(٢) شاهين مكاريوس : تاريخ إيران ، (القاهرة ، ١٨٩٨م) ، ص١٠٤ ، ١٠٩ ؛ هند حسين عطية : المرجع السابق ، ص٤١.

(٣) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، الجزء السابع ، ص٤٥٩ ؛ محمد توفيق ثابت : ثغر خراسان من الفتح العربي حتى قيام الدولة المستقلة ، ص١٥٦.

وظل الأمر كذلك حتى ظهور طاهر بن الحسين ، ذلك الذي أسندت إليه القيادة العامة للقوات الخراسانية المتجهة إلى بغداد ، ثم انتهى الأمر بظهور الأسر الارستقراطية التي تولت ولاية تلك المناطق بصورة وراثية ، وبدأت تظهر الكيانات شبة المستقلة ، ويظهر غلبة العنصر الفارسي على العنصر العربي.

ويذكر القزويني قائلاً : «بأنه كان بنيساور على أيام الدولة الطاهرية «٦٠٠ رجل» من بني هلال كانوا يثيرون الشغب ، لذا ظفروا بهم ، ونقل منهم «٣٠٠» بجرجان ، «٣٠٠» بالجرجانية بخوارزم ، وما إن تم عليهم العام لم يبق بجرجان سوى ثلاثة ولم يمت ممن كان بالجرجانية إلا ثلاثة» وذلك دليل على استمرار التواجد العربي بخوارزم[١].

الطوائف الأخرى :

أ – اليهود :

بالنسبة للطوائف الأخرى نجد معلوماتنا عنها ضئيلة وإن كان هذا لا يمنع من وجود يهود في تلك المناطق ، ومن المرجح أن يكون السبب وراء ذلك تلك العزلة التي تفرضها تلك الطوائف على أنفسهم وذلك يرجع إلى طبيعتهم التي ما زالوا حريصين عليها حتى الآن ، وذلك باعتبارهم شعب الله المختار.

ولقد ذكر القلقشندى في صبح الأعشى أن بخوارزم مائة بيت من اليهود تقريباً[٢]. وأيد ذلك المقدسي ولكن دون تحديد ، فذكر أن بها يهوداً كثيرين[٣].

---

(١) زكريا بن محمد بن محمود القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ، ص٣٤٩.

(٢) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج٤ ، ص٤٥٤.

(٣) المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص٣٢٣.

٢ – المسيحية :

عندما نتحدث عن الأحوال الدينية في منطقة آسيا الوسطى نجد أنه ينتابها بعض الغموض وعدم الوضوح ، وخاصة فيما يتعلق بحديثنا عن المسيحية ، وخاصة النساطرة منهم التي نفذت في وقت مبكر داخل آسيا ، وبلغت الأراضي المتاخمة لكل من نهرى سيحون وجيحون[١].

ولقد كان موقف أكاسرة الدولة الساسانية منهم مذبذباً ما بين العناية والاضطهاد ، لذا فقد انتشرت المسيحية على نطاق ضيق في كل مكان ، وكان أول اضطهاد في عهد سابور الثاني[٢]. حيث ظل منذ عام ٣٣٩م حتى وفاة سابور الثاني ، ولقد تركز هذا الاضطهاد في ولايات الشمال الشرقي ، والمناطق المتاخمة للإمبراطورية الرومانية ، وقد تخلل ذلك مذابح ومقاتل وتشريد ، وتضمن ذلك عام «٣٦٢هـ» نفي «٩٠٠ مسيحي» مع الأسقف هيليودور من قلعة فنك في بزايده إلى خوارزم ، وقدر سوزمين عدد ضحايا هذا الاضطهاد في عهد سابور بـ ١٦ ألف تقريباً ، وإن كان في هذا العدد مبالغة.

وإن كان يتخلل ذلك العديد من مواقف التسامح وخاصة في عهد يزدگرد الأول «٣٩٩-٤٢١م»[٣]. وكان مذهب المسيحيين الوحيد في إيران هو المذهب النسطورى[٤].

وعلى الرغم من ذلك الموقف المتذبذب ، نذكر أن جهودهم التبشيرية قد لاقت رواجاً قبل الإسلام بقدر ملحوظ من التوفيق في بعض الجهات ، ولقد بلغ عدد النصارى في خوارزم مائة بيت تقريباً ، حيث لا يسمح لهم بأكثر من ذلك[٥].

---

(١) فامبرى : تاريخ بخارى ، ص٥٢.

(٢) آرثر كريستنسن : إيران في عهد الساسانيين ، ص٢٥٤ ؛ فامبرى : المرجع السابق ، ص٥٣ ؛ سبرت ، ارنولد توينبى : الدعوة إلى الإسلام ، ترجمه للعربية : حسن إبراهيم حسن ، عبد المجيد عابدين ، إسماعيل النحراوى : (القاهرة ، ١٩٤٧م) ، ص٦٤.

(٣) آرثر كريستنسن : المرجع السابق ، ص٢٥٤-٢٥٥.

(٤) آرثر كريستنسن : المرجع السابق ، ص٢٧٧ ، ٢٨٣.

(٥) المقدسي : المصدر السابق ، ص٣٢٣ ؛ القلقشندى : المصدر السابق ، ج٤ ، ص٤٥٤.

الفصـــل الثالـــث
النشـاط البشـري

محتويــات الفصل الثالث
النشاط البشري

مقدمة.

أولاً : الزراعة :

أ – المحاصيل الحقلية.

ب– الفاكهة.

جـ– زراعة الزهور.

د– النشاط الزراعي.

ثانياً : الثروة الحيوانية وحرفة الرعى :

أ – الدواب والماشية.

ب– الطيور وتربيتها.

جـ– الحيوانات ذات الوبر الثقيل.

د– النشاط الرعوى.

ثالثاً : المعادن والثروة المعدنية :

أ – الذهب.

ب– النحاس.

جـ– الفضة.

د– الزئبق.

هـ– الحديد.

و– الزاج.

ز– الفحم والنفط.

حـ– الملح.

رابعاً : الصناعة :

١- صناعة المنسوجات وتشمل :

أ - صناعة المنسوجات القطنية والصوفية.

ب- صناعة المنسوجات الحريرية.

جـ- صناعة التطريز والحياكة.

٢- صناعة السجاد والبسط.

٣- الصناعات القائمة على التعدين «الصناعات المعدنية».

٤- الصناعات الجلدية.

٥- الصناعات الخشبية.

٦- صناعة الورق.

٧- صناعات أخرى عديدة.

خامساً : التجارة

١- الصادرات.

٢- الواردات.

٣- الطرق التجارية

<u>أولاً</u> : الطرق البرية.

<u>ثانياً</u> : الطرق النهرية.

<u>ثالثاً</u> : الطرق البحرية.

٤- الإجراءات الأمنية لتلك الطرق.

٥- الأسواق وأنواعها «مدنية ، ريفية ، موسمية».

الفصل الثالث
النشاط البشري

مقدمة :

امتازت تلك المناطق بتنوع السطح ما بين مناطق خصبة للزراعة «وخاصة خوارزم فهى منطقة دلتاوية خصبة لوقوعها على المجرى الأعلى لنهر جيحون»[1]. وسهول وجبال ومع تنوع السطح تنوعت كذلك مصادر المياه بها من أنهار وآبار وعيون ، يجانب مياه الأمطار التي تعتمد عليها الزراعة في بعض المناطق ، ومع توافر مقومات الزراعة كثرت زراعة المحاصيل الزراعية بأنواعها المتعددة ، وذلك تنوعت المعادن بها مما أدي إلى قيام العديد من الصناعات التي اشتغل بها سكانها والتي غطت احتياجاتهم والفائض منها قاموا بتصديره للمناطق المجاورة.

أولاً : الزراعة :

أ – المحاصيل الحقلية :

١ – القطن :

وهو من أشهر المحاصيل حيث يزرع منه أكثر الأصناف مقاومة لتقلبات الطقس وشدة البرد ، ولقد كان مركز القطن في الشرق بشكل عام كمركز الكتاب في المغرب من ناحية الأهمية الكبيرة[2].

ولقد تركزت زراعة القطع في مدينه الطواويس «إحدى مدن بخارى» والفائض منه يصدر إلى العراق[3]. وإن كانت المصادر لم تمدنا بالمعلومات الوافية عن تلك المحاصيل الحقلية بشكل عام في تلك المناطق

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية : ج٩ ، ص٣.

(٢) آدم متز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجرى ، ج٢ ، ص٣٠٠.

(٣) ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ، ص٥٠ ، ٥٤ ؛ أبو عثمان عمرو بن الجاحظ : فضائل الترك «رسائله» ؛ أبو الفتح بن خاقان وزير المتوكل وما اختصوا به من الشجاعة وعلو الهمة وحسن البلاء في خدمة الإسلام ، ص٢٠.

ولا عن ظروف زراعتها ، وإن كان من الجائز حرصهم علـــى زراعـــة الأنواع التي تتلائم مع شدة البرودة التي تميزت بها تلك المناطق. وكذلك اشتهرت بلدان أخرى بزراعتـــه ، ومنهـــا : شـــومان ، وواشـــجرد[1]. والصغانيان ، فيذكر أن أهالي تلك المدينة على الرغم من شدة البرودة بها ، وهو ما يمنع نمو ذلك النبات[2]. إلا أنهم تغلبوا على ذلك ووفقـــوا فـــي زراعته ، ويدل هذا على أهمية الزراعة كحرفة لهـــؤلاء وتفـــوقهم فـــي التغلب على الظروف المناخية مما يدل على إتقانهم لتلك الحرفة.

٢ – القمح :

وهو من الحبوب الهامة التي اشتهرت بها مدينة خوارزم ، وتلتها بخارا[3]. والترمذ[4].

---

(١) اليعقوبي : البلدان ، ص٢٩٢ ؛ قحطان عبد الستار الحديثي : أرباع خراســـان ، ص٤٤١.

(٢) المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقـــاليم ، ص٢٦٥ ؛ الإدريســـي : نزهـــة المشتاق في اختراق الآفاق ، المجلد الأول ، ص٥٠٥ ؛ بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص٢٨٢.

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص٤٨٩ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلـــد الأول ، ص٤٩٥ ؛ الثعالبي : يتيمة الدهر ، ج٤ ، ص١١٨ ؛ النرشخي : تاريخ بخارى ، ص٤٦ ، ٩٣ ؛ فامبرى : تاريخ بخارى ، ص٣٣.

(٤) ابن بطوطة : تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، ص٣٧٥.

٣ – الأرز، الشعير، الدخن[١] :

(وهو أكثر حبوب خوارزم ، ومنه مأكلهم) ، الجاروس[٢]. البندق ، السمسم ، إلى جانب العديد من الحبوب الأخرى التي لم تشر إليها المراجع[٣].

٤ – البندق واللوز :

ولدق احتلت المركز الأول في زراعته مدينه بنجيكث[٤]. وكذلك بخارا[٥]. وسمرقند[٦]. وسبب ذلك أرضهم الخصبة ووفرة المياه الجارية ، والموقع الجغرافي الممتاز.

---

(١) الدخن : من الحبوب ، وهو في منظرة شبيه بالجاروس ، وفي مرجع آخر ذكر أنه نوع من الجاروس يعمل منه الخبز ، غير أنه أقل غذاء من الجاروس ، وتتوافق زراعته في المناطق الباردة ؛ ابن البيطار : الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ، ط١ ، ١٢٩١م ، ج٢ ، ص٨٩ ؛ الانطاكي : تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب ، الطبعة الأخيرة ، ١٣٧١هـ/١٩٥٢م ، ج١ ، ص١٥٢.

(٢) الجاروس : عربت فأصبحت كاووس ، وهو نبت يزرع فيكون مثل قصب السكر في شكله وهيئته ، وهو حب معروف يؤكل ، ويتمثل في ثلاثة أصناف ، مفرطح ابيض إلى صفرة في حجم العدس ، وهو الأجود ، ومستطيل متوسط يقارب الأرز ، ومستدير مفرق الحب ، وذلك أردأهم ، وهو أحسن وأجود من الدخن ؛ ابن فضلان : رسالته ، ص٨٦ ؛ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، المجلد الثاني ، ص٤٨١ ؛ الانطاكي : المصدر السابق ، ج١ ، ص١٠٢-١٠٣.

(٣) بوكشيشيفسكي : جغرافية الاتحاد السوفيتي «الطبيعة ، السكان ، الاقتصاد» ، ص٢٦٣ ؛ على أكبر دهخدا ، لغت نامة ، (دائرة المعارف) ، دانشگاه طهران ، دانشكده أدبيات وعلوم إنساني ، ١٣٤٩هـ ، العدد١٥٩ ، ص٨٠٠.

(٤) الإصطخري : المسالك والممالك ، ص٣١٢ ؛ ابن حوقل : صورة الأرض ، ص٤٩٨-٤٩٩ ؛ بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص١٨٤-١٨٥.

(٥) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص٣١٢ ؛ ابن حوقل : صورة الأرض ، ص٤٨٩ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص٤٩٥ ؛ الثعالبى : المصدر السابق ، ج٤ ، ص١١٨ ؛ النرشخى : المرجع السابق ، ص٤٦ ، ٩٣.

(٦) ابن بطوطة : المرجع السابق ، ص٣٧٧.

٥ – **الزعفران**[١].

وانفردت بزراعته مدينتا واشجرد وشومان ، وتضاف إليهما مدينه الصغانيان ، ونظراً لكثرته فقد غطى احتياجاتهم ، وصدر الفائض منه للعديد من المناطق[٢].

وكانت تباع تلك المحاصيل بالرطل ، ومقداره ثلاثمائة وثلاثون درهماً تقريباً ، فكانت العملة المتعامل بها في إيران هي الدينار ، وقيمتها بالدرهم ستة دراهم ، أما في إقليم خوارزم وكذلك الجرجانية قل أن ترخص الأسعار ، وذلك لأهمية تلك المحاصيل بها وخاصة الأرز فهو اعتمادهم الأول في غذائهم وأرزاقهم ، أما سعر القمح فهو يتراوح بين دينارين ونصف الدينار تقريباً ، ويبلغ الشعير دينارين ، والدخن والجاروس «والذي ربما يكون سعره مماثلاً لسعر القمح»[٣].

ب– الفاكهة :

١ – العنب «الكروم» :

وهو من أشهر الفاكهة التي برعت في زراعته اغلب مدن تلك المناطق وإن كانت المصادر لم تشر ولو بمعلومات بسيطة عن زراعته أو أنواعه أو وقت حصاده ، ولقد اشتهرت به على الأخص مدينه «درغان»

---

(١) **الزعفران** : وهو بالسريانية الكركم ، وبالفارسية كركيماس ، وهو نبات زهرة كالباذنجان ، فيها شعر إلى البياض ، وإذا ما فرك فاحت رائحته ، مصبغ وهذا الشعر هو الزعفران ؛ داود الانطاكى : المصدر السابق ، ص١٧٨.

(٢) اليعقوبي : البلدان ، ص٢٩١ ؛ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، المجلد الخامس ، ص٣٥٣.

(٣) اليعقوبي : البلدان ، ص٢٩١ ؛ الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص٢٨٨ ؛ ياقوت الحموي : المصدر السابق ، المجلد الخامس ، ص٣٥٣.

(من مدن خوارزم) ، ومدينة الطواويس[١]. وسمرقند[٢]. والدرغم[٣]. واشروسنة[٤]. ولقد استحالت زراعته في مدينة أرسمندة «مرسمندة» ، وذلك لشدة برودتها[٥]. وذلك لكونه في حاجة إلى مناخ معتدل «ليس حاراً قاسياً ولا شديد البرودة» وكذلك الترمذ[٦]. أخلخ «إحدى مدن إسبيجاب» حيث الغالب على رساتيقها زراعة الاعناب[٧].

٢ – **البطيخ** :

وهو نوعان برى وبستانى ، والأخير ينقسم بدوره إلى ثلاثة أصناف وهم هندي وصيني وخراساني ، والذي من المرجح كونه الذي يزرع في ذلك الإقليم وله رقبة مستطيلة ومعوجة[٨].

---

(١) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص٤٨٩ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص٤٩٥ ؛ الثعالبى : المصدر السابق ، ج٤ ، ص١١٨ ؛ النرشخى : المرجع السابق ، ص٤٦ ، ٩٣ ؛ فامبرى : تاريخ بخاري ، ص٣٣.

(٢) ابن بطوطة : المرجع السابق ، ص٣٧٧.

(٣) الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص٣٢١ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ، ص٤٩٨-٤٩٩ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص١٨٤-١٨٥.

(٤) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص٣٢٦ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ، ص٥٠٥ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص٥٠٥.

(٥) المقدسي : المصدر السابق ، ص٢٦٥ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص٥٠٥-٥٠٦ ؛ بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص٢٨٢.

(٦) ابن بطوطة : المرجع السابق ، ص٣٧٥.

(٧) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص٥٠١ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص٢٧٥ ؛ الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، المجلد الثاني ، ص٧٠٥.

(٨) النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج١١ ، ص٣٠-٣١.

ولقد وصف ابن بطوطة بطيخ خوارزم بأنه لا نظير له في بلاد الدنيا شرقاً وغرباً إلا ما كان من بطيخ بخارا وأصفهان حيث قشره الأخضر وباطنه الأحمر إلى جانب شدة صلابته وحلاوته[1]. ولقد عرف بطيخ بخارا دون غيره من مدن ما وراء النهر بـ «الساف»[2].

٣ – الكمثرى والشمام :

فاشتهرت بزراعتها خوارزم[3]. وانفردت بهما كذلك بخارا[4]. عن بقية مدن ما وراء النهر.

٤ – السفرجل[5]:

ولقد اشتهرت بزراعته مدينة خوارزم والترمذ[6].

---

(١) الكرديزى : زين الأخبار ، ص٣٩٦ ؛ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، المجلد الثاني ، ص٤٨١ ؛ القلقشندى : صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، ج٤ ، ص٤٧٠ ؛ ابن بطوطة : المرجع السابق ، ص٣٧٨ ؛ بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص٢١٨ ؛ كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص٥٠٢.

(٢) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص٤٨٩ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص٢٧٥ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الثاني ، ص٧٠٥.

(٣) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، المجلد الثاني ، ص٤٨١.

(٤) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص٤٨٩ ؛ المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص٢٧٥ ؛ الإدريسي المصدر السابق ، المجلد الثاني ، ص٧٠٥.

(٥) **السفرجل** : وهوة شجر معروف في قدر شجرة التفاح ، إلا أنه أعرض ورقاً وأغلظ وأعقد عوداً ، وثمره يكون في حجم الرمان ، وهو أصفر عليه حمل كالغبار يلزمه غالباً وأجوده الكبير الهش الحلو الكثير الماء وهو نوعان : حلو رطب ، والنوع الثاني حامض يابس ؛ داود الأنطاكى : المرجع السابق ، ص١٨٩.

(٦) ابن بطوطة : المرجع السابق ، ص٣٧٥ ، ٣٧٨.

٥ – التفاح ، الرمان ، المشمش ، الخوخ[١] :

وبجانب تلك الأنواع المختلفة من الفاكهة نجد هناك العديد من المدن التي – حسب ما ذكر في المصادر – اشتهرت بأنواع مختلفة من الفاكهة دون ذكر لأنواعها ومنها مدينة كش التي تميزت بكثرة فواكهها ، وذلك لوصفها بأنها خصبة تنضج فيها الفاكهة أسرع من أي مدينة بما وراء النهر[٢]. وكذلك مدينه هلاورد فهي خصبة كثيرة الفاكهة[٣].

جـ– زراعة الزهور :

وقد انفردت بزراعتها مدينة أشروسنة ، ومن الواضح أن أهالي تلك المدينة قد تغلبوا على الظروف المناخية لتلك المدينة ، وزرعوا الزهور[٤]. وهيأوا لها المناخ المناسب الذي يختلف مع برودة تلك المنطقة.

د– النشاط الزراعي :

اشتغل الإيرانيون بالزراعة منذ القدم ، فقد حثهم نبيهم زرادشت في عقيدتهم الأولى على حرفة الزراعة ، وكذلك تربية الحيوان ، فمن ابرز مبادئه الاهتمام بالزراعة ، لذا فقد حبب الناس في زراعة الأرض ، وإن يجدوا في العمل لدرجة تحريم الصوم على أتباعه لكيلا يضعفوا في العمل ولا يجهدوا أنفسهم[٥].

---

(١) ابن بطوطة : المرجع السابق ، ص٣٧٨ ؛ كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص٥٠٢.

(٢) الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص٣٢٤ ؛ ابن حوقل : صورة الأرض ، ص٥٠١ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص٢٨٢ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص٥٠٠ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص٢٣٨.

(٣) المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص٣٩١.

(٤) المقدسي : المصدر السابق ، ص٢٦٥ ؛ الإدريسي : نزهة المشتاق ، المجلد الثاني ، ص٥٠٥–٥٠٦ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص٢٨٢.

(٥) طه ندا : دراسات في الشاهنامة ، ص٢٤٥ ؛ محمد حسن الخربوطلي : المجوسية والمجوس ، ص١٥١ ؛ ول ديورانت : قصة الحضارة ؛ ترجمة : محمد بدران : (لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٠م) ، ص٤١٢ ؛ بوكشيشفسلى : جغرافية الاتحاد السوفيتي «الطبيعة ، السكان ، الاقتصاد» ، ص٢٤١.

وكانت بعض الأراضي يزرعها ملاكها المزارعون ، حيث كانوا يألفون في بعض الأحيان جماعات زراعية تعاونية تتألف من عدة أسـر لتتحد سوياً في زراعة مساحة كبيرة من الأرض الزراعيـة ، وبعضـهم يمتلكه الأشراف الإقطاعيون ويقوم بزراعة الأرض المستأجرون ، وذلك مقابل جزء من غلة الأرض ، وبعضهم يتولى زراعته الأرقاء الأجانـب «وهؤلاء لم يكونوا فُرْساً» ، وكانوا يستخدمون في تمهيد الأرض وحرثها بمحاريث من الخشب ذات أطراف من الحديد تجرها الثيران[1].

أما الترك ، فيتضح – من خلال الفصل السـابق – أن الصـبغة الغالبة على الترك وقبائلهم المختلفة هي التنقل والترحال ، لذا لا تتناسب معهم تلك الحرفة.

أما العرب فنجد هناك موانع عديدة تحول بينهم وبـين اشـتغالهم بتلك الحرفة ، وهي على النحو التالي :

١- بيئتهم التي يغلب عليها الطابع الصحراوي ، والتي تتناسب معها حياة البداوة ورعى الأغنام ، إلى جانب التجارة لترويج سلعهم.

٢- مجيئهم لتلك المناطق بغرض الفتح والعمـل علـى نشـر الإسـلام وممارسة حرفتهم الأساسية وهي التجارة.

ثانياً : الثروة الحيوانية وحرفه الرعى :

تكمن أهمية الثروة الحيوانية وحرفة الرعى في الآتي :

١- استغلال تلك الحيوانات في عملية التنقل والترحال.

٢- مساهمتها في التجارة والتبادل التجاري بينهم وبين من يجاورهم.

---

(١) ول ديورانت : قصة الحضارة ، ص٤١٢.

أما عن مراعى تلك المناطق فنجد أنه قلما تخلو مدينه من مـــدنها من انتشار المراعى في سهولها ، فتحرص على تربية ماشيتها وأغنامها ، وتصنف على النحو التالي :

أ – الدواب والماشية :

الدواب :

ومنها الخيول والجمال التركية التي تربى وترعى في مراعى تلك المناطق[١]. وإن كانت الجمال من أهم حيوانات إقلـيم خـوارزم وذلـك لتحملها البرد القارس ، فتستخدم في عمليات التنقل والترحال على نهـر جيحون ، وخاصة في فترة جموده ، فيذكر ابن فضلان قـائلاً : «كانـت الخيل والبغال والحمير تجتاز على الطرق وهو ثابت لا يتخلخل»[٢].

ويتحدث القلقشندى عن رخص ثمن اللحم عندهم ، فأكثر ما يذبح عندهم هي الخيول ، أما سكان البر فكان اللحم لا يباع عندهم ولا يشترى لكثرته ، وأغلب أكلهم إلى جانب اللبن ، فيذكر أن من تلف عنـده دابـة سواء من فرس أو بقرة أو شاة يذبحها لتكفيه هو وأهله وجيرانه ، ولـو حدث ذلك عند أحدهم فعل ما فعل جاره من قبل[٣].

---

(١) المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص٢٨٩ ، ٣٢٥ ؛ ابن فضـلان : رسالته ، ص٨٣ ، ٨٦.

(٢) ابن فضلان : المرجع السابق ، ص٨٣-٨٤.

(٣) القلقشندى : صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، ج٤ ، ص٤٧١ ؛ محمـد علـى حيدر : الدويلات الإسلامية في المشرق ، ص١٨٥ ؛ وعن كيفية الـذبح عنـد الترك انظر : الفصل الثاني من الرسالة «السكان» ، ص١٠٠.

ولقد امتازت بخارى بتربية الخيول في حقولها ومراعيها ، حيث يطلق على خيولها اسم «الشهارى البخارية»[١]. وتلتها في المكانة مدينة كش[٢]. التي امتازت بتواجد الخيول الممتازة بها ، وكذلك بعيرها الذي تميز في نوعه على كل السلالات إلى جانب اعتباره الحيوان النافع الموجود في جنوب شرق آسيا ، وخاصة في عملية التنقل والترحال[٣].

وهناك أيضاً النوق السمرقندية التي انفردت بتربيتها ورعايتها مدينة سمرقند[٤]. أما عن البغال فكان موطن رعايتها وتربيتها مدينة كش ، فكانت تصدر وتوزع من منطقة ما وراء النهر إلى أقطار خراسان[٥].

الماشية :

حيث كانت تربي قطعان الماشية في مناطق خوارزم ، وبالقرب من بحر آرال وبجانب تربيتها يحمل منها أصناف من الجبن واللبن إلى أسواق الجرجانية[٦]. وتلت خوارزم في تربية الماشية مدينتا : سمرقند[٧].

---

(١) ابن الفقيه : مختصر تاريخ البلدان ، ص٥٠ ، ٥٤ ؛ الجاحظ : المصدر السابق ، ص٢٠.

(٢) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص٥٠٠ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص٥٠٥.

(٣) فامبرى : تاريخ بخارى ، ص٣٣.

(٤) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص٤٩٩.

(٥) الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص٣٢٤ ؛ ابن حوقل : صورة الأرض ، ص٥٠٢ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص٥٠٥.

(٦) القلقشندى : المصدر السابق ، ج٤ ، ص٤٧١ ؛ محمد علي حيدر : المرجع السابق ، ص١٨٥.

(٧) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص٤٩٩.

وكش[١]. وكذلك مدينتا : وذارو[٢]. وباركث[٣]. هذا وقد انفردت مدينه بخارا بتربية الضأن التي ليس لها مثيل في العالم كله[٤].

ب- الطيور وتربيتها :

وهي الدجاج الكراكى[٥]. وأفراخ الحمام[٦]. والسمان في خوارزم والصغانيان «وإن كان لم يذكر صراحة نوع الطيور في مدينه الصغانيان ، بل ذكر بها مواضع كثيرة لصيد أجناس مخالفة من الطيور»[٧].

---

(١) الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص٣٢٤ ؛ ابن حوقل : صورة الأرض ، ص٥٠٢ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص٥٠٥.

(٢) الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص٣٢٢ ؛ المقدسى : المصدر السابق ، ص٢٧٩ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص٦٦.

(٣) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص٣٢٢ ؛ ابن حوقل : صورة الأرض ، ص٤٩٩.

(٤) فامبرى : تاريخ بخارى ، ص٣٣.

(٥) **الكراكي : يقال أنه الغرنيق أو أن الغرنيق صنف منه ، وهو طائر أخضر طويل المنقار والرجلين ، قريب من الإوز أبتر الذنب ، رمادي اللون في خده لمعان ، سريع وهو في سرعته مثل العصفور ، له مشات ومصايف ، وهو في طيرانه أثناء هجراته يكون صفا واحداً يتقدمه واحد منهم يكون رئيسهم ، ويذكر أن من عادات الكراكى أنه إذا كبر والده عالهما ؛ النويرى : نهاية الأرب في فنون الأدب ، المجلد العاشر ، ص٢٣٤-٢٣٥.**

(٦) **ابن رستة : الأعلاق النفيسة ، ص٩٢ ؛ المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص٢٨٦ ، ٣٢٥.**

(٧) **الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص٢٨٣.**

جـ – الحيوانات ذات الوبر الثقيل :

ومنها : السمور ، والغنق ، والقاقم[١]. والوشق ، والثعالب[٢]. والسنجاب[٣]. حيث توجد تلك الحيوانات بكثرة في كل من خوارزم ومدينة الصغانيان[٤].

د– النشاط الرعوى :

أما بالنسبة لحرفة الرعى فمن المرجح أن يكون قد اشتغل بها الإيرانيون بجانب حرفة الزراعة ، وذلك لكونهما مكملين لبعضهما البعض ، فبجانب الزراعة ترعى الأغنام والإبل والأبقار والماشية ،

---

(١) **القاقم** : وهو حيوان يشبه السنجاب ، إلا أنه أبرد منه وأرطب ، له شعر أبيض ناعم ، يجلب من بحر الخزر وجلده يشبه جلد الفنك ، ومنه يتخذ الفراء ، وهو أعز قيمة من السنجاب ؛ الجاحظ : المصدر السابق ، ص٢٠ ، حاشية٢ ؛ النويرى : المصدر السابق ، المجلد العاشر ، ص٣١٩.

(٢) **الثعالب** : يعتبر فروه من أجود الأوبار وأفضلها ومنها الأسود والأبيض والخلنجى ، وأقله الأعرابي لقلة وبره ، وهناك نوع آخر منه في بلاد الترك يسمى البرطاس ، ويمتاز بكثافة وبره وحسن لونه ووبره أنواع منها : السارسينا والبرطاس والقيب والنبغق ؛ النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ، المجلد العاشر ، ص٢٨٠.

(٣) **السنجاب** : وهو حيوان معروف ، حسن الوبر ، ظهره لونه أزرق وبطنه بيضاء ، ومنه ما يكون ظهره أحمر ، ردئ الجنس ، سريع الحركة ، وهو كثير ببلاد الصقالبة والخزر ؛ اليعقوبي : البلدان ، ص٢٧٨ ؛ المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص٣٢٥ ؛ الجاحظ : التبصر بالتجارة في وصف ما يستطرف في البلدان من الأمتعة الرفيعة والأعلاق النفيسة والجواهر الثمينة ، (مكتبة الخانجى ، ط٣ ، القاهرة ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م) ، ص٢٥ ؛ النويري : المصدر السابق ، المجلد العاشر ، ص٢٧٨.

(٤) اليعقوبي : البلدان ، ص٢٩٢ ؛ قحطان عبد الستار الحديثي : المرجع السابق ، ص٤٤١.

وبجانب الفرس يوجد عنصر بشرى آخر – وهم الترك – حيث تمثل تلك الحرفة أهمية إلى حد ما عندهم.

ولقد وصفهم الجاحظ «بأنهم أصحاب عمد وسكان فياف وأرباب ومواش وهم أعراب العجم ، لم تشغلهم الصناعات ولا التجارات ولا الطلب والفلاحة والهندسة والأغراس ، ولا بنيان ولا شق أنهار ولا جباية غلات ، ولم يكن همهم غير الغزو والغارة والصيد وركوب الخيل ومقارعة الأبطال وطلب الغنائم ... وصار ذلك صناعتهم وتجارتهم»[١].

ثالثاً : المعادن والثروة المعدنية :

وتمتاز بالتفاوت في تواجدها من مكان لآخر ، فهناك مناطق متعددة المعادن متوافرة ، وأخرى تكاد لا توجد المعادن بها لدرجة استيرادها ما تحتاج إليه ممن يجاورها من المدن الأخرى ، وثالثة نجد فيها ما يكفي ، وتقوم عليه بعض الصناعات البسيطة.

وعلى الرغم من تمتع إقليم خوارزم بوفرة وثراء في الثروة الزراعية ، وكذلك الثروة الحيوانية ، إلا أننا نجد العكس بالنسبة للثروة المعدنية ، فليس ببلدهم معادن ذهب ولا فضة ولا شيء من جواهر الأرض ، على الرغم من قيام العديد من الصناعات المعدنية الخفيفة ، مثل : السكاكين والخناجر المطعمة بالجواهر والسيوف والدروع والأقفال ، حيث يعملون آلاتهم من العاج والأبنوس[٢].

---

(١) الجاحظ : المصدر السابق ، ص٤١.

(٢) الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص٣٠٥ ؛ المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص٣٢٥ ؛ محمد علي حيدر : المرجع السابق ، ص١٨٥ ؛ كي لسترنج : المرجع السابق ، ص٥٠٢.

أما عن المعادن في منطقة ما وراء النهر فنجدها متعددة على النحو التالي :

أ – الذهب :

لقد كان القسم الشرقي من مملكة الإسلام يتمتع بوجود خزائن الذهب به وحده ، ونتيجة الانفصال الذي حدث ما بين القسم الشرقي والقسم الغربي ارتفعت أسعار العملة الذهبية في المشرق ارتفاعاً عظيماً وهائلاً ، وذلك في أواخر القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي[١].

ولقد تواجد معدن الذهب في بعض المناطق القليلة من مناطق ما رواء النهر ، ومنها : مدينة سمرقند[٢]. وكذلك مدينة خشت «إحدى مدن أشروسنة» وخاصة في جبال البتم التي تقع جنوب إقليم الصغد[٣]. وإيلاق[٤]. ومدينه الختل حيث يستخرج معدن الذهب من نهر وخشاب[٥].

ب – النحاس :

يستخرج من بخارا معدن النحاس الأصفر ، ذلك الذي يستعمل في طلاء أعلى مصابيح النور[٦]. وأيضاً مدينه سمرقند[٧].

---

(١) آدم متز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ج٢ ، ص٣١٨.

(٢) ابن الفقيه : المصدر السابق ، ص٢٥١ ؛ الإصطخرى : المصدر السابق ، ص٢٨٨ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص٣٢٥.

(٣) اليعقوبي : البلدان ، ص٣٩٤ ؛ الإصطخرى : المصدر السابق ، ص٣٢٧ ؛ ابن حوقل : صورة الأرض ، ص٥٠٥ ؛ الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، المجلد الثاني ، ص٥٠٦.

(٤) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص٢٧ ، ٢٧٤ ؛ الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص٣٣١-٣٣٢.

(٥) اليعقوبي : البلدان ، ص٢٩٠ ؛ الإصطخرى : المصدر السابق ، ص٢٩٧.

(٦) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص٣١٣-٣١٤ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ، ص٤٩٠ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص٣٢٤ ، ٣٢٦ ؛ النرشخى : تاريخ بخارى ، ص٣٠ ؛ آدم متز : المرجع السابق ، ج٢ ، ص٢٧١.

(٧) ابن الفقيه : المصدر السابق ، ص٢٥١ ؛ الإصطخرى : المصدر السابق ، ص٢٨٨ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص٣٢٥.

جـ- **الفضة :**

يتوافر معدن الفضة في سمرقند[١]. وفي الجزء الشمالي الغربي من مدينه خشت[٢]. وكذلك أشروسنة[٣]. ومن المدن التي اشتهرت بمعدن الفضة وارتبط بها إيلاق حيث أطلق عليها ابن خرداذبة اسم «معدن الفضة»[٤].

د- **الزئبق :**

توافر معدن الزئبق في منطقة واحدة فقط من مناطق إقليم ما وراء النهر وهي مدينة سمرقند[٥].

هـ- **الحديد :**

تواجد في سمرقند[٦]. والصغانيان وإن كان المصدر لم يذكر ذلك صراحة بل تحدث عن تواجد طرائق الحديد بها[٧].

---

(١) ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ، ص٢٥١ ؛ الإصطخرى : المصدر السابق ، ص٢٨٨ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص٣٢٥.

(٢) المقدسي : المصدر السابق ، ص٢٧٨ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص٢٨١.

(٣) اليعقوبي : البلدان ، ص٢٩٤ ؛ الإصطخرى : المصدر السابق ، ص٣٢٧ ؛ ابن حوقل : صورة الأرض ، ص٥٠٥ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الثاني ، ص٥٠٦.

(٤) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص٢٧ ، ٢٧٤ ؛ الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص٣٣١-٣٣٢.

(٥) ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ، ص٢٥١ ؛ الإصطخرى : المصدر السابق ، ص٢٨٨ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص٣٢٥.

(٦) فامبرى : تاريخ بخارى ، ص٣٣.

(٧) اليعقوبي : البلدان ، ص٢٩١.

و – الزاج :

وهو نوع من الملحَ ، يوجد في الأغوار مختلطاً مع الكبريت أو الزئبق ، وهو ثلاثة أنواع : **الأول** : الأبيض «ويطلق عليه القلقدس» وهو متساوي الأجزاء متخلخل غير متماسك ، ويسمي كذلك بزاج الأساكفة والمسمى باليونانية «ماليطريا» ؛ **والثاني** : أبيض دون الأول في النقاء ، يتجه باطنه إلى السواد ، لين ولكن لا يخلو من لزوجه ويسمي «بلميس» ؛ والثالث : أغبر صلب ، وهذا النوع الأخير يتوافر منه الكثير[١]. ولقد توافر في مدينه سمرقند[٢]. وأشروسنة[٣].

ز – الفحم والنفط «القار» :

يوجد في سمرقند ، ولقد كشف الروس وجوده حديثاً في تلك المنطقة «طشقند حالياً»[٤].

ح – الملح :

تواجد بكثرة في مدينة كش ، وذلك تحت مسمي «الملح الزراني» المعدنى وهو يحمل إلى كثير من أفاق خراسان[٥].

---

(١) داود بن عمر الأنطاكى : تذكرة أولى الألباب والجامع للعجب العجاب ، ج١ ، ص١٧٢ ؛ ابن البيطار : الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ، ج٢ ، ص١٤٨ ، وإن كان قد اختلف معه في ذكر الزاج فذكر الأبيض ، الحمر ، الصفر ، الخضر ، وذكر لها مسميات أخرى فنجد القلقدس «الأبيض» ، القلقطار «الأصفر» ، القلقنت «الأخضر والأحمر» وكلها تذاب وتنحل في الماء ما عدا الأحمر.

(٢) فامبرى : المرجع السابق ، ص٣٣.

(٣) اليعقوبي : المصدر السابق ، ص٢٩٤ ؛ الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص٣٢٧ ؛ ابن حوقل : صورة الأرض ، ص٥٠٥ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، ص٥٠٦.

(٤) فامبرى : تاريخ بخارى ، ص٣٣.

(٥) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص٣٢٤ ؛ ابن حوقل : صورة الأرض ، ص٥٠٢ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص٥٠٠.

رابعاً : الصناعة :

مع توافر المادة الخام بكافة أنواعها سواء أكانت ثروة زراعية أم حيوانية أم معدنية قامت عليها العديد من الصناعات، وسوف نعرض تلك الصناعات مع تصنيفها النوعي.

١ – صناعة المنسوجات :

من أشهر تلك الصناعات في تلك المناطق شديدة البرودة مثلما الحال في إقليم خوارزم حيث أقصى الشمال والطبيعة الجغرافية القاسية على سكان تلك المناطق ، لذا فهم في حاجة ماسة إلى تلك الملابس ، إلى جانب احتياج بعض المناطق المجاورة في الشمال ومشاركتها بشكل حاسم في التبادل التجاري.

أ – المنسوجات القطنية «الشتوية» والصوفية :

ولقد اشتهر إقليم خوارزم بصناعة المنسوجات الشتوية والصوفية من أصواف الأغنام ، فكانت تصنع السراويل المبطنة ، واللباد ، والقلانس ، والبرانس ، والقراطق ، والأبراد ، والفرش ، وثياب اللحف ، وغيرها من الأنواع المختلفة من الملابس.

ولقد كانت لتلك المنسوجات أهمية ، منها أولاً : بالنسبة لخوارزم ونظراً لطبيعتها الجغرافية والبرد القارس بها كان أهلها في أشد الحاجة إلى تلك النوعية من الملابس الثقيلة ، ويؤكد ذلك قول ابن فضلان : «وأمرنا من كنا نأنس به من أهل البلد بالاستظهار في الثياب والاستكثار منها ، وهولوا علينا الأمر وعظموا القصة فلما شاهدنا ذلك كان أضعاف ما وصف لنا فكان كل رجل منه عليه قرطق فوقه خفتان وفوقه بوستين وفوقه لباده وبرنس لا يبدو إلا عيناه وسراويل وطاق آخر مبطن وران وخف كيمخت ، وفوق الخف خف آخر ، فكان الواحد منا إذا ركب الجمل لا يقدر أن يتحرك بما عليه من الثياب»[1].

---

(١) الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص٣٠٤ ؛ ابن حوقل : صورة الأرض ، ص٤٨١–٤٨٢ ؛ المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص٣٢٥ ؛ =

ولقد اشتهرت بخارا بالثياب البخارية ، وكذلك مدينـــه «زندنـــه» التي اشتهرت بصناعة المنسوجات القطنية والصوفية ، ونظراً لإنتاجهـا أجود الأقمشة حملت اسم المدينة وهي «الأقمشة الزندنيجية» وكان إنتاجها يكفي ويصدر الفائض إلى بلدان العالم الإسلامي[1]. وكذلك الكرابيس التي يطلق عليها «الزندنيجى» نظرا لظهوره أول مرة في تلك المدينة ، وهـــو يحمل إلى جميع الولايات مثل : العراق وفارس وكرمان ، وتلتها مدينـــة الطواويس ، ومن كثرة تلك المنسوجات كان يحمل منها العديد إلى العراق ، وكذلك المناطق المجاورة[2].

وكذلك مدين سمرقند التي اشتهرت بالثياب الوذارية التي تنتمـــي إلى قرية «وذار» التي تمتعت بسمعة طيبة حيث زاد عليه الطلـــب فـــي العراق[3]. وكذلك الثياب السمرقندية ، والزيارية ، والديباج ، وثياب حُمر تُسمى ممرجل وسينيزي[4]. وأيضاً أشروسنة التي اشتهرت بنوع متميـــز

= الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، المجلـد الثـاني ، ص٦٩٩ ؛ الگرديزى : زين الأخبار ، ص٢٩٦ ؛ ابن فضلان : رســالته ، ص٨٦-٨٧ ؛ علي أكبر دهخدا : لغت نامة ، (دائرة معارف) ، ص٨٠٠.

(١) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص٣١٣-٣١٤ ؛ ابن حوقل : صورة الأرض ، ص٤٩٠ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص٣٢٤ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المحلد الأول ، ص٤٩٥ ؛ النرشـــخى : تـــاريخ بخـــارى ، ص١٠ ، ٢٩ ، حاشية١ ، ص٣١.

(٢) الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص٣١٣ ؛ ابن حوقـــل : صـــورة الأرض ، ص٤٨٩ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص٤٩٥.

(٣) الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص٣١٢ ؛ ابن حوقـــل : صـــورة الأرض ، ص٤٨٩ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص٤٩٥.

(٤) ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ، ص٢٥٤ ؛ المقدسي : المصـــدر الســـابق ، ص٣٢٥ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، ص٥٠١.

من الأقمشة «الآجرزته» الاشروسنية[1]. ثم مدينة الصغانيان التي اشتهرت هي ومدينة «واشجرد» بالأنسجة القطنية ، وكذلك الصوفية حيث تنسج البزاة الرفيعة القرطاسية الشهب ، والدرهمية المقرنقة[2].

ب – صناعة المنسوجات الحريرية :

وتمثلت في الثياب ، والديباج ، والأبرسيم[3]. الذي كان يؤخذ بعضها من دودة القز.

جـ – صناعة التطريز والحياكة :

اقتصرت تلك الصناعة على نساء خوارزم ، حيث يقمن بتلك الأعمال إلى جانب الأعمال الدقيقة الأخرى[4].

٢ – صناعة السجاد والبسط :

اشتهرت مدينة الطواويس ببخارا بصناعة السجاد ، والبسط ، والمصليات ، والفيرديات ، والخيام واحتياجاتها[5].

---

(١) اليعقوبي : البلدان ، ص٢٩٤ ؛ الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص٣٢٧ ؛ ابن حوقل : صورة الأرض ، ص٥٠٥ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص٥٠٦.

(٢) قحطان عبد الستار الحديثي : أرباع خرلسان ، ص٤٤١.

(٣) الإبرسيم : أحسن أنواع الحرير ، وهو بالفارسية «إبرشيم» ، مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، القاهرة ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م ، ج١ ، ص٢ ؛ محمد التونجى : المعجم الفارسي الذهبي ، فرهنگ طلائي ، (دار العلم للملايين ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٠م) ، ص٥٦.

(٤) المقدسي : المصدر السابق ، ص٣٢٥ ؛ محمد علي حيدر : الدويلات الإسلامية في المشرق ، ص١٨٥ ؛ كي لسترنج : المرجع السابق ، ص٤٩٢.

(٥) الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص٣١٤-٣١٥ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ، ص٤٩٠ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص٣٢٤ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص٤٩٥ ؛ طه ندا : بخارى ، مجلد١٩ ، ص٥٤.

٢ – الصناعات القائمة على التعدين «الصناعات المعدنية» :

ترجع أهمية تلك المعادن إلى تصنيفها ، حيث يختلف التصنيع على أساس نوع المعدن ، فهناك معادن دقيقة وثمينة ، ولهذا تقوم عليها الصناعات الدقيقة الجميلة ، وأخرى تقوم عليها الصناعات الثقيلة مثل الدروع والسيوف.

صناعة الأدوات الحربية «آلات الحرب» :

ففي إقليم خوارزم ، وعلى الرغم من قلة المعادن كمًا إلا أنه قامت بها العدد من الصناعات المعدنية والتي تمثلت في : السكاكين والخناجر المطعمة بالجواهر والسيوف والدروع والأقفال ، هذا إلى جانب أنهم كانوا يعملون بعض آلاتهم من الأبنوس والعاج ، ومن الجدير بالذكر انفراد إقليم خوارزم بهذا فقط ، وكذلك توافر العديد من الصناع البارعين في تلك الأعمال ، وخاصة في مدينة الجرجانية حيث يوجد بها الحدادون والنجارون وغيرهم من هؤلاء الذين كانوا في صناعتهم يتميزون بالدقة[١]. وكذلك بخارا حيث اشتهرت بصناعة تلك الأدوات من المعادن المتوافرة لديها وسبق أن تحدثنا عنها[٢].

وكذلك سمرقند التي تركزت صناعاتها في صناعة آلات الحرب والقتال مثل : السيوف والدروع[٣]. أما مدينتا واشجرد والصغانيان فقد اشتهرتا بصناعة الطرائق من الحديد[٤]. وإن كانت المصادر لم توضح أي نوع من الطرائق.

---

(١) المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص٣٢٥ ؛ محمد على حيدر : المرجع السابق ، ص١٨٤-١٨٥ ؛ كى لسترنج : المرجع السابق ، ص٤٩٢.

(٢) ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ، ص٢٥١ ؛ الإصطخرى : المصدر السابق ، ص٢٨٨ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص٣٢٥.

(٣) الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، المجلد الأول ، ص٤٩٥.

(٤) اليعقوبي : البلدان ، ص٢٩٢ ؛ قحطان عبد الستار الحديثي : أرباع خراسان ، ص٤٤١.

٤ – الصناعات الجلدية :

صناعة دبغ الجلود

لقد اشتهر إقليم خوارزم بدبغ الجلود لتلك الحيوانات التي تواجدت فيه من سمور وفنك وقاقم وسنجاب وثعالب ، وكانت تنسج كذلك الجباب من جلود الأغنام[١]. وكذلك مدينة بخارا التي اشتهرت بدباغة الجلود وكذلك الصناعات الأخرى العديدة التي تقوم على دبغ الجلود[٢]. وأيضاً مدينة سمرقند بالإضافة إلى صناعة دبغ الجلود تقوم عليها صناعات أخرى ، منها : الحكمات ، والسيور ، وصناعات أخرى عديدة[٣].

٥ – الصناعات الخشبية :

أ – صناعة السفن :

من أهم تلك الصناعات هي صناعة السفن[٤]. والتي تستخدم كوسيلة للمواصلات ، ولقد كان في إقليم خوارزم تصنع المراكب «السفن» من جلود الجمال والكيمخت[٥]. الموجودة في ذلك الإقليم[٦]. أما سواري السفن فكانت تصنع من الخشب وخاصة خشب البقس ، «وهي شجرة طويلة خضراء الورق طول العام ، ذات خشب قوى».

---

(١) اليعقوبي : المصدر السابق ، ص٢٧٨ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص٣٢٥ ؛ الگرديزى : زين الأخبار ، ص٣٩٦ ؛ ابن فضلان : رسائله ، ص٨٦ ؛ علي أكبر دهخدا : المرجع السابق ، ص٨٠٠.

(٢) المقدسي : المصدر السابق ، ص٣٢٤.

(٣) المقدسي : المصدر السابق ، ص٣٢٥.

(٤) قحطان عبد الستار الحديثي : أرباع خراسان ، ص٤٣٢.

(٥) الكيمخت : لفظ فارسي ، وهو نوع من الجلود المدبوغة ، يأخذ من ظهور الخيل والحمير ؛ النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ، المجلد١١ ، ص٤٤ ، حاشية(٤).

(٦) اليعقوبي : البلدان ، ص٢٧٨ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص٣٢٥ ؛ الگرديزى : زين الأخبار ، ص٣٩٦ ؛ ابن فضلان : رسالته ، ص٨٦ ؛ على أكبر دهخدا : لغت نامة ، ص٨٠٠.

ب – صناعات أخرى قائمة على الخشب :

منها مقابض الآلات الحربية كالفؤوس والسهام والنشاب والقسي الذي كان يصنع على الأخص من لحاء الشجر الذي يسمونه «توز»[1]. كذلك تأسيس المنازل من الخشب ، وخاصة من أشجار التوت المتوافرة لديهم ، وكذلك شجر الخلاف[2].

٦ – صناعة الورق «الكاغد»[3]:

لم يكن الكاغد معروفاً في الشرق في أول عهد الإسلام ، وإنما كانت الكتابة على القراطيس المأخوذة من البردى المصري أو على الرقوق ، وكان أول ظهور الكاغد في الإسلام في سمرقند حيث صنعه هناك أسرى من الصين ، حيث أسرهم الأمير زياد بن صالح في قلعة «أطلخ» عام ١٣٤هـ حيث صنع من خرق الكتاب والقنب ، وهو ما كان موجوداً لديهم ، فقلدهم الناس منذ ذلك الحين ، وكثر صنعه في بقاع متعددة من بلاد الإسلام ومنها دخل أوروبا واشتهر.

---

(١) المقدسي : المصدر السابق ، ص٣٢٥ ؛ ابن فضلان : المصدر السابق ، ص٨٠ ؛ محمد علي حيدر : الدويلات الإسلامية في المشرق ، ص١٥٨ ؛ على أكبر دهخدا : المرجع السابق ، ص٨٠٠.

(٢) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، المجلد الثاني ، ص٤٨٢ ؛ النويري : المصدر السابق ، ص٢١٥ ، ٢١٦ ، حاشية(١) ؛ حيث قال : «إن الخلاف هو الصفصاف بأنواعه المختلفة» ، ولقد اتفق ، داود الانطاكى مع النويرى ، ولكنه ذكر أنواعه المتعددة ، ومنها : وهو الأجود البرى الذي ليس له سنابل ناعم طيب الرائحة ، ثم يليه البهرامج المعروف بالبلخة ثم الصفصاف المر وهو شجر لا يختص بزمن وغالب وجوده عند المياه والأرض البادرة ، ومن المرجح أن يكون هذا النوع موجوداً في إقليم خوارزم ؛ داود الانطاكى : المرجع السابق ، ج١ ، ص١٤٣.

(٣) الجاحظ : المصدر السابق ، ص٢٨ ، حاشية(١) ، ذاكراً «كاغد وكاعذ ، كاغد لفظ صينى معرب دخل العربية بطريق الفارسي».

ولقد قال أبو منصور الثعالبي : كواغد سمرقند هي من خصائصها التي عطلت قراطيس مصر والجلود التي كان الأوائل يكتبون فيها ، لأنها انعم وأحسن وأرفق ، ولا تكون إلا بسمرقند والصين ثم كثرت الصنعة واستمرت العادة حتى صارت متجرا لأهل سمرقند فعم خيرها والارتقاء بها إلى جميع البلدان والآفاق.

ويذكر أن من أشهر الأصناف التي كانت تصنع قديما في العالم الإسلامي : الكاغد الفرعونى تقليداً للقراطيس المصرية المستعملة في ذلك الوقت ، والكاغد السليمانى نسبة إلى سليمان بن رشيد ناظر بيت المال بخراسان على عهد الخليفة هارون الرشيد ، والجعفرى منسوب إلى جعفر البرمكى الوزير العباسي ، والطلحى منسوب إلى طلحة بن طاهر ثاني أمراء بنى طاهر ، والنوحى نسبة إلى الأمير نوح الأول من بنى ساسان وسوى ذلك كثير.

وقد شاعت الوراقة في البلاد العربية ، واختصت بدور صناعة في العراق واليمن وفارس والشام ومصر والمغرب ، ولاسيما القيروان والمهدية ، وفي الأندلس خصوصا مدينه شاطبة «Xativa» وغيرها[1].

---

(١) الجاحظ : التبصر بالتجارة ، ص٢٨-٢٩ ، حاشية(١) ؛ ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ، ص٢٥١ ؛ الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص٢٨٨ ؛ المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص٣٢٥ ؛ زكى محمد حسن : الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي ، (مكتبة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٠م) ، ص٢١ ؛ أحمد أمين : ظهر الإسلام ، (دار الكتاب ، لبنان ، ط٥ ، بيروت ، ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م) ، ج٢ ، ص٢٢٤ ؛ محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية في المشرق منذ عهد نفوذ الأتراك إلى منتصف القرن الخامس ، ص١٣٥ ؛ ناصر خسرو علوى : سفر نامة ، ص٤١٣ ؛ إدوارد بروى : موسوعة تاريخ الحضارات العام ، المجلد الثالث ، ص٢٢٤ ؛ آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ج٢ ، ص٢٦٨-٢٦٩ ، ٣٠٩.

٧ – **صناعات أخرى عديدة :**

أ – **صناعة تجفيف الفاكهة :**

ففي إقليم خوارزم كان يتم تقديد البطيخ وتجفيفه في الشمس ، ويحمل في القواصر من خوارزم إلى الهند والصين ، فيجلب إلى بلاط الخليفة المأمون والواثق في آنية من الرصاص ملفوفة بالثلج فإذا وصل في حالة جيدة بلغ ثمنه سبعمائة درهم وربما تستخرجوا ماءه وصنعوا منه الحلوى ، وكذلك تجفيف العنب وتحويله إلى زبيب(١).

ب – **صناعة الزيوت :**

حيث توافرت في إقليم خوارزم صناعة الزيوت القائمة على السمسم ، حيث وجدت بها العديد من المعاصر التي كان يتم بها ذلك ، وكذلك صناعة السمن ، والشمع ، والملابن ومنتجاتها(٢). وكذلك صناعة الصابون في مدينة ترمذ.

جـ – **صناعة الأواني الفخارية :**

في مدينة بخارا وخاصة من الطين الذي يستخرج من جبل وركه الذي على بعد فرسخ من هذه المدينة(٣). ومن سمرقند حيث جبل يعرف بـ «كوهك» يمتد طرفة إلى سورها فيأخذ سكانها منه الأحجار والطين الذي يستخدم في صناعة الأواني(٤).

---

(١) الگرديزى : زين الأخبار ، ص٣٩٦ ؛ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، المجلد الثاني ، ص٤٨١ ؛ ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة ، ص٣٧٨ ؛ القلقشندى : صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، ج٤ ، ص٤٧٠ ؛ كي لسترنج : المرجع السابق ، ص٥٠٢ ؛ بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص٢١٨.

(٢) اليعقوبي : البلدان ، ص٢٧٨.

(٣) الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الأول ،ص٤٣٢.

(٤) اليعقوبي : المصدر السابق ، ص٢٨٩ ؛ الإصطخرى : المصدر السابق ، ص٣١٨ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص٣٢٥-٣٢٦.

خامساً : التجارة :

توفر في تلك المناطق العديد من العوامل التي ساعدت على ازدهار التجارة بها ، ومنها :

أ – **الموقع الجغرافي** : وخاصة في منطقة آسيا الوسطى فهي منطقة وسطى تمر عليها كافة الطرق ، وهي أقرب ما تكون مركزاً لشبكة العديد من الطرق سواء أكانت رئيسية «مثل طريق بغداد» أم فرعية أم برية أو نهرية أو بحرية.

ب– **توافر المادة الخام** : وصناعتها ووجود فائض منها يساعد على ازدهار التجارة.

ولقد كانت تجارة آسيا الوسطى وخاصة في القرن الأول للهجرة زمامها متمركز في أيدي هؤلاء العرب الذين فتحوا تلك المناطق بغرض نشر الإسلام ، والعمل على توسيع رقعة الدولة الإسلامية إلى جانب كونهم شاغلهم الأول في أماكنهم الأولى[1]. بحكم بيئتهم التي عاشوا فيها ومناسبة حرفة التجارة لهم.

وإن كانت التجارة في عهد الساسانيين قد نهضت إلى حد كبير لدرجة أن الكتاب العرب قد رأوا من حق الدولة أن يدونوا تلك الحركة في كتبهم ، ومن خلال ما كتب يتضح كونها – أي الدولة الساسانية – مركزاً عظيما لتجارة العالم الإسلامي ، حيث ترد إليها البضائع من كل ولاية بعيده أو قريبة ، ومنها تصدر إلى جميع الجهات من أقطار العالم الإسلامي[2].

---

(١) اليعقوبي : البلدان : ص٢٧٨.

(٢) بدر الدين حي الصينى : العلاقات بين العرب والصين ، (القاهرة ، ١٩٥٠م) ، ص١٢٠.

ولقد اختلف الأمر في عهد الخلافة العباسية ، وخاصة بعد عهد كل من هارون الرشيد والمأمون ، حيث بدأت تفقد زمام الأمور في تلك المناطق المترامية الأطراف بآسيا الوسطي ، وكان السبب وراء ذلك هو سياسة الدولة وتخليها شيئا فشيئا عن تعيين الولاة وعزلهم إلى تركز الأمور في يد أسر ارستقراطية تابعة لها ، فبدأت تلك الأسر تستقل شيئا فشيئا عن الدولة ، وبذلك ضعف نفوذ الأسرة العباسية في أمور خراسان وما وراء النهر ، وازداد نفوذ تلك الأسر وسلطانها وتحولت إلى دول ، مثل الطاهريين ، والسامانيين في خراسان وبخارا وسمرقند والغزنويين في أفغانستان(١).

وبجانب التجار المسلمين هناك الرعاة سكان السهوب والبراري حيث التجارة المتبادلة بينهما ، فهم يستوردون عدداً لا حصر له من الماشية للحومها ، وكذلك دواب الجمال إلى جانب الجلود والفراء ، وهذا بالنسبة للترك البدو أما الترك الحضر الذين بحذائهم فيحصلون على حاجاتهم من الملابس وغذائهم من الغلال ، وخاصة في بلاد ما وراء النهر ، فكانوا يسوقون أغنامهم وقطعانهم من الماشية إلى مناطق الحدود التي يسكنها الحضر ، دون انتظار لحضور تلك القوافل إلى مناطقهم ، فكان أكثر من استفاد من التجارة مع هؤلاء الرعاة أهل خوارزم(٢).

١ – الصادرات :

أ – صادرات من الإنتاج الزراعي :

اشتهر إقليم خوارزم – بشكل عام – بتصدير الفائض من احتياجاته ، ومنها : البندق ، والسمسم والبطيخ الذي كان يحمل إلى بلاد

---

(١) بدر الدين حي الصيني : المرجع السابق ، ص١٢٠-١٢١.

(٢) جرجى زيدان : التمدن الإسلامي ، ج٥ ، ص٥٥٩ ؛ بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص٣٦٧.

الهند والصين ، وكذلك الزبيب[١]. أما عاصمتها الجرجانية فكانت تصدر العنب ، والتين ولب الرمان[٢]. ومن بخارا يتم تصدير البطيخ فائق الشهرة والتوزيع[٣]. ويحمل من رساتيق سمرقند البندق والجوز[٤].

ب – صادرات من الثروة الحيوانية :

كان كذلك إقليم خوارزم على رأس قائمة البلاد التي تتزعم تصدير السمور والسنجاب والفنك ، والثعالب ، خربوست ، خركوش (أرنب) ملون ، وأسنان السمك ، والكيمخت السمك[٥]. ومن الجرجانية يصدر منها الجلود والدهون المستخرجة من تلك الحيوانات[٦]. ومن بخارا تصدر جلود الضأن ، والشحوم ، ودهن الرأس[٧]. ومن سمرقند تصدر

---

(١) اليعقوبي : البلدان ، ص٢٧٨ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص٣٢٥ ؛ بدر الدين حي الصينى : المرجع السابق ، ص١٢١ ؛ القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد ، ص٢٤١ ؛ ابن بطوطة : رحلته ، ص٣٧٧-٣٧٨ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص٣٦٥-٣٦٧ ؛ قحطان عبد الستار الحديثي : أرباع خراسان ، ص٣٠٠.

(٢) المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص٣٢٥.

(٣) المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص٣٢٦ ؛ محمد على حيدر : الدويلات الإسلامية في المشرق ، ص١٨٣.

(٤) اليعقوبي : المصدر السابق ، ص٢٧٨ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص٣٢٥ ؛ جرجى زيدان : التمدن الإسلامي ، ج٥ ، ص١٨٣ ؛ عبد العزيز الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري ، (بغداد ، ١٩٤٨م) ، ص١٢٨.

(٥) اليعقوبي : المصدر السابق ، ص٢٧٨ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص٣٢٥ ؛ بدر الدين حي الصينى : المرجع السابق ، ص١٢١ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص٣٦٥-٣٦٧.

(٦) المقدسي : المصدر السابق ، ص٣٢٥.

(٧) بدر الدين حي الصينى : المرجع السابق ، ص٢١ ؛ محمد على حيدر : المرجع السابق ، ص١٨٣ ؛ شيرين عبد النعيم حسنين : مسلمو تركستان والغزو السوفيتي من خلال التاريخ والأدب ، (القاهرة ، ١٩٨٥م) ، ص١١٣.

من الحيوانات حيوان القاقم والجياد[١]. وكذلك الختل التي تصدر الخيل والبغال[٢]. ومن اربنجن الجلود[٣].

جـ – صادرات من المعادن :

يصدر من خوارزم الأدوات المعدنية من سيوف ودروع ، وأقفال وقسي «لا يقوى على استعمالها إلا اشد الرجال»[٤]. ومن الجرجانية الزاج ، الكبريت ، الرصاص ، إسبرك ، والزرنيخ[٥]. ومن بخارا : المصابيح النحاسية والسروج[٦]. ومن سمرقند تصدر القدور التي يصنعها الصفاريون من النحاس[٧]. ومن اربنجن الكبريت[٨]. والطاسات.

---

(١) اليعقوبي : المصدر السابق ، ص٢٧٨ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص٣٢٥ ؛ جرجى زيدان : المرجع السابق ، ج٥ ، ص١٨٣ ؛ محمد على حيدر : المرجع السابق ، ص٣٩ ؛ عبد العزيز الدوري المرجع السابق ، ص١٣٦.

(٢) المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص٣٢٥.

(٣) المقدسي : المصدر السابق ، ص٣٢٤ ؛ محمد على حيدر : المرجع السابق ، ص١٨٣-١٨٤ ؛ كى لسترنج : المرجع السابق ، ص٥١٥.

(٤) اليعقوبي : المصدر السابق ، ص٢٧٨ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص٣٢٥ ؛ بدر الدين حي الصينى : المرجع السابق ، ص١٢١ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص٣٦٥-٣٦٧.

(٥) المقدسي : المصدر السابق ، ص٣٢٥.

(٦) بدر الدين حي الصينى : العلاقات بين العرب والصين ، ص١٢١ ؛ محمد على حيدر : المرجع السابق ، ص١٨٣ ؛ شيرين عبد النعيم حسنين : المرجع السابق ، ص١١٣.

(٧) اليعقوبي : البلدان ، ص٢٧٨ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص٣٢٥ ؛ جرجى زيدان : التمدن الإسلامي ، ج٥ ، ص١٨٣ ؛ محمد على حيدر : المرجع السابق ، ص٣٩ ؛ عبد العزيز الدوري : المرجع السابق ، ص١٣٦.

(٨) المقدسي : المصدر السابق ، ص٣٢٤ ؛ محمد على حيدر : المرجع السابق ، ص١٨٣-١٨٤ ؛ كى لسترنج : المرجع السابق ، ص٥١٥.

د – صادرات الكاغد :

التي انفردت بتصديرها عن بقية مدن خوارزم وما وراء النهــر مدينة سمرقند[1].

هـ – صادرات من المنسوجات والفرش والسجاد :

وقد اشتهر إقليم خوارزم – بشكل عام – بتصدير ديباج بيشكش ، ومقانع ملم ، والعروش ، وثيــاب اللحــف ، وثيــاب آرنــج ، وكــذلك المنسوجات والغطاءات والبطاطين ، والسجاجيد[2].

أما الثياب الرخوة ، وثياب الفرش الفندقية ، وصــفر المنــابر ، وثياب طبر ، وثياب آشمونى ، والمصليات والبسط ، فكانت تصدر مــن بخارا[3].

أما سمرقند فقد اشتهرت بتصدير أنواع متعددة من الثياب ، منها ثياب سيمكون والمسرقندية ، وكذلك الديباج إلى بلاد الترك ، وثياب حُمر ممرجل وسينبزي ، وكذلك قز كثير لتصنيع الحرير[4].

---

(١) اليعقوبي : البلدان ، ص٢٧٨ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص٣٢٥ ؛ جرجى زيدان : التمدن الإسلامي ، ج٥ ، ص١٨٣ ؛ محمد على حيدر : المرجع السابق ، ص٣٩ ؛ عبد العزيز الدوري : المرجع السابق ، ص١٣٦.

(٢) اليعقوبي : البلدان ، ص٢٧٨ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص٣٢٥ ؛ جرجى زيدان : المرجع السابق ، ج٥ ، ص١٨٣ ؛ محمد علــى حيــدر : الــدويلات الإسلامية في المشرق ، ص٣٩ ؛ عبد العزيز الــدوري : المرجــع الســابق ، ص١٢١ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص٣٦٥ ، ٣٦٧.

(٣) بدر الدين حي الصيني : العلاقات بين العرب والصين ، ص١٢١ ؛ محمد علــي حيدر : المرجع السابق ، ص١٨٣ ؛ شيرين عبد النعيم حسنين : المرجع السابق ، ص١١٣.

(٤) اليعقوبي : البلدان ، ص٢٧٨ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص٣٢٥ ؛ جرجى زيدان : التمدن الإسلامي ، ج٥ ، ص١٨٣ ؛ محمد على حيدر : المرجع السابق ، ص٣٩ ؛ عبد العزيز الدوري : المرجع السابق ، ص١٣٦.

واشتهرت كرمينية وانفردت بتصدير المناديل فقط ، أما الدبوسية فصدرت الثياب والديباج ، وخاصة من مدينة «وذار» واشتهارها بالثياب الوذارية «وهي ثياب على لون الصمت ، ويقال : إن سلاطين بغداد كانوا يطلقون عليه ديباج خراسان» ، أما أربنجن فقد اشتهرت باللبود والمصليات[1].

و – صادرات من التحف الخزفية :

لقد ذاع صيت وشهرة بعض المدن في ما وراء النهر ، وأيضاً بلاد تركستان الصينية ، وهما : بخارى وسمرقند في العالم الإسلامي حيث اشتهرت بالتحف الخزفية التي امتازت بالبساطة والاتزان ، وجمال الألوان وإبداع زخارفها ذات المسحة الفنية الممتازة ، وإن كان هذا يعنى أن صناعة الخزف فن قديم ، وأكبر الظن أن مركزها كان مدينة الشاش «طشقند حالياً» وكان من صادراتها[2].

ز – صادرات الرقيق :

لقد كان لتجارة الرقيق – بشكل عام – في العصور الوسطى ثلاث مناطق تجلب منها أعداد لا حصر لها من الرقيق ، وهي :

---

(١) المقدسي : المصدر السابق، ص٣٢٥ ؛ بدر الدين حي الصينى : المرجع السابق ، ص١٢٢ ؛ محمد على حيدر : المرجع السابق ، ص١٨٨ ؛ كى لسترنج : المرجع السابق ، ص٥٣١.

(٢) زكى محمد حسن : الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي ، ص١٦٦-١٦٧ ، ٢٢ حاشية(٦) ؛ يذكر زكى حسن : المنسوجات تلك التي تنسب إلى إيران بين القرنين الثاني والرابع بعد الهجرة ٩٠٨م ، ضرب من الحرير عليه رسوم حيوانات بخطوط منكسرة وزوايا ظاهرة وقد كان العالم الانجليزي السير أوريل شتاين Avrelstein قد عثر على حفائر ببلاد التركستان الصينية على أقمشة تشبه هذا النوع الذي ينسب إلى إيران ، وفي اعتقاده أنها من صناعة بلاد التركستان ، ولاسيما سمرقند وبخارا.

١- التركستان «بلاد الترك» في سهوب آسيا الوسطى.

٢- بلاد الصقالبة «غابات» أوربا الشرقية والوسطى.

٣- بعض المناطق الأفريقية[1].

وإن كان الرقيق الذي يتبع منطقة ما وراء النهر من الأتراك المحيطين هم خير رقيق يحيط بالشرق كله[2].

ويذكر الإدريسي أنه ليس على معمور الأرض أحسن ألواناً ، ولا أرق بشراً ، ولا أجمل خلقاً ، ولا أنعم أبداناً من رقيق الترك ، والترك يسرق بعضهم أبناء بعض ويبيعونهم من التجار حيث يبلغ ثمن الجارية منهم ثلاثمائة دينار فما فوقها[3].

وهم صنفان : الأسود ، والأبيض من الصقالبة أو من الخزر الأتراك من بادية تركستان وكذلك الأرمن واليونان ، أما الصقالبة فيأتي العبيد من عندهم ثم يعبرون بلاد الخزر عند نهر أتل الفولجا ، حيث كانت

---

(١) فريال محمود قحطان : نشأة الرقيق التركى والصقلبي في المجتمع الإسلامي نهاية القرن ٤هـ ، رسالة ماجستير ، (الإسكندرية ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) ، ص٧٣-٧٤ ؛ فوزى حامد عباس المأمونى : علاقة خوارزم بالعالم الإسلامي خلال العهدين البويهى والسلجوقي ، رسالة ماجستير ، سوهاج ، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م ، ص٢٩٧.

(٢) جرجى زيدان : التمدن الإسلامي ، مطبعة الهلال ، (القاهرة ، ١٩٠٣م) ، ج٢ ، ص٢٨٨.

(٣) الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص٥١٣ ؛ كى لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص٥٠٢ ؛ ذاكراً «كانوا يشترون أو يسرقون أولاد وبنات الأتراك من بدو تلك البراري وبعد أن يعلموهم ويؤدبوهم بالآداب الإسلامية يجلبون منها إلى سائر بلاد الإسلام فكانوا يتولون على ما يروى التاريخ أجل مناصب الدولة ووظائفها».

تلك المدينة عاصمة الخزر ، فكانت تتقاضي رسوم مرور علـــى هــؤلاء الرقيق ، ثم يتم توزيعهم بين الطريق البرى تجاه دربنـــد – أرمينيـــة – طبرستان – فالري وأخيراً بغداد.

والثاني ، عن طريق بلاد البلغار إلى الجرجانية فيتجمع عدد كبير من آسيا الوسطي ، ثم ينتقل إلى ما بين النهريين وبقية البلدان الإســلامية الأخرى.

وكان اكبر أسواق الرقيق سوق سمرقند ، فيربون هنـــاك تربيـــة راقية ، ويأتي إليها التجار من تركستان وما وراء النهر والبلغـــار ومـــن شرق أوربا ، وكانت سمرقند بيئة صالحة لتربيتهم ، وكان أهلها يتخذون هذا الرقيق صناعة لهم يعيشون بها وكان الرقيق الأبـــيض أعلـــى ثمنـــا وأيضاً أكثر تعلما للفن والموسيقي(١).

ولقد أكد المقدسي ذلك ذاكراً أنه من واردات خوارزم الرقيق من الصقالبة ، الذين يجلبون من طريق خوارزم ، وأيضاً من صادرات مدينة البلغار الذين يؤخذون إلى خوارزم ، وإلى جهات جيحون ويجلبون مـــن خراسان رقيقاً أبيض غالى الثمن ، فيصل ســـعر الواحـــد خمســـة آلاف دينار(٢).

---

(١) المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص٢٦١ ؛ جرجى زيدان : التمدن الإسلامي ، ج٥ ، ص٥٥٨ ؛ أحمد أمين : ظهـــر الإســـلام ، ج١ ، ص١٣٠ ؛ حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي ، الطبعة الثالثة ، د.م ، د.ت ، ج٢ ، ص٣٣٧ ؛ محمد جمال الدين سرور : المرجع الســـابق ، ص١٧١ ؛ فريـــال محمود قحطان ، المرجع السابق ، ص٨٥-٨٦.

(٢) المقدسي : المصدر السابق ، ص٣٦٥ ؛ عبد العزيز الدوري : المرجع السابق ، ص٦٤-٦٥.

• **كيفية الحصول على هؤلاء الرقيق :**

أ – عن طريق الحرب ، فان فتحت بلد جاز للمسلمين أن يسترقوا أهلها ، ويجوز أن يسترق الأمير أو الإمام أيضاً ، ولكن في القرن الرابع الهجري تضاءل مجال توسع الإسلام عسكرياً ، وزال بذلك تقريبا مجال الحصول على رقيق عن طريق الفتوحات.

ب- أما الطريقة الثانية ، للحصول على هؤلاء فتتمثل في أن يرسل الولاة هؤلاء الرقيق ضمن الواردات ، أو عن طريق الشراء ، وهي الوسيلة الرئيسية للحصول على الرقيق في القرن الرابع الهجري ، حيث توجد تجارة واسعة المجال ، فهناك أسواق خاصة لبيع الرقيق في أكثر المدن الرئيسية ، وقد اعتاد هؤلاء التجار على تنظيم حملات للحصول عليهم(١).

وكان الرقيق الأبيض هو الرقيق الخاص ، فيعرضه التجار على الأمراء والأغنياء ، وأصناف متعددة من النساء والفتيات والرجال ، ولقد قام هذا الرقيق على اختلافهم بأعمال متنوعة وكثيرة ، حيث وصل الأمر إلى التغلغل في الحياة الاجتماعية ، فمنهم من كان جندياً وقائداً تستعين به الدولة في حروبها ، وإلى جانب هؤلاء وجد كذلك الرقيق الشعبي الذي يعرض في الأسواق(٢).

ويؤكد ما سبق ما ذكر من أيام الخليفة المعتصم بالله أبي إسحاق محمد بن الرشيد ، عندما تحول من بغداد إلى مدينته الجديدة «سرمن رأي» لكونه اعتنى باقتناء الترك ، فكان أول من بعث لها كانت سمرقند

---

(١) اليعقوبي : البلدان ، ص٢٦٠ ؛ عبد العزيز الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري ، ص٦٣-٦٤.

(٢) أحمد أمين : ظهر الإسلام ، ج١ ، ص١٣٠.

وفرغانه والنواحي الأخرى من أجل شرائهم ، حيث بذل فيهم الأموال وألبسهم أنواع الديباج ومناطق الذهب[1]. ولقد ترقوا في المناصب ومنهم من صاروا أصحاب دول.

وكان هذا النوع من التجارة يتم عن طريق القوافل سواء بالطرق البرية أو البحرية ، وتبيعها في الأسواق في بغداد وغيرها من المدن الإسلامية ، وأكثر الناس اشتغالاً بذلك هم التجار اليهود الرذانية ، حيث يتقنون اللغات الرائجة ، وهي : العربية ، والفارسية ، والروسية ، والإفرنجية الأندلسية ، الصقلبية ، ويسافرون بهذه البضائع من إقليم لأخر[2]. وذلك على ما أعتقد ناحية الطرق البرية ، أما التجارة البحرية فكان أشهر أصحابها هم السيرافيون.

وفي القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي اختلف الأمر فكان التجار المسلمون يجوبون الأقطار براً وبحراً ينقلون التجارة من بلد إلى أخر على شواطئ فارس وسواحل الصين والهند وسائر الشرق ، وسواحل افريقية والحبشة ويقطعون صحارى خراسان وتركستان وأرمينيه والهند والشام وأفغانستان في نقل أصناف التجارة ، وكأنه قد صاروا وحدهم تجار الأرض ، فكان مركز تجارة الشرق براً ببغداد وبحراً بالبصرة[3].

---

(١) السيوطى : تاريخ الخلفاء ؛ تحقيق : محمد محى الدين بن عبد الحميد : (مطبعة المدنى ، الطبعة الرابعة ، القاهرة ، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م) ، ص٣٣٣ ، ٣٣٥.

(٢) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص١٥٣ ؛ جرجى زيدان : التمدن الإسلامي ، ج٥ ، ص٤٠.

(٣) جرجى زيدان : التمدن الإسلامي ، ج٥ ، ص٤٠-٤١ ؛ عبد العزيز الدوري : المرجع السابق ، ص١٥١.

٢ – الواردات :

أ – بلاد الترك :

من صادراتهم لتلك المناطق السمور والفنك[1]. وكذلك المصنوعات الجلدية التي تصنع من جلود تلك الحيوانات إلى جانب العبيد والإماء من صادرات الخزر[2]. الدروع البيضاء والغاقر[3]. كل ذلك مقابل احتياجاتهم لما لدى البلاد المستقرة المتحضرة من المنسوجات

---

(١) الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص٣٠٥ ؛ الجاحظ : التبصر بالتجارة ، ص٤٢.

(٢) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص١٥ ؛ ذاكرا أن الخزر : اسم جنس من الناس ، بلدهم صغير ذو جانبين يسمي أحد جانبيها آتل ، والجانب الآخر خزران ، وهذا النهر يجرى من بلد الروس ، وليس بهذا المصر رساتيق كثيرة ، ولا سعة مملكة ، وهو بلد بين بحر الخزر والسرير والروس والغزية والتبت بين أرض الصين والهند وأرض الخرلخية والتغزغز وبحر فارس ، وبعضهم في مملكة الهند ، والبعض الآخر في مملكة الصين ، وهم أحد الشعوب التركية النشطة التي وفقت في تكوين واحدة من ولايات المنطقة مع بداية القرن ٦م ، وذلك عندما بدأوا استقرارهم في المنطقة ما بين بحر قزوين والقوقاز ، وعبر الأراضي الغربية المتطرفة Gökturk ثم صاروا فيما بعد جزءا من الإمبراطورية التركية التي كونها تومين Tumen في الربع الأخير من القرن السادس الميلادي ، وما أن دبّ الضعف فيها حتى اتجهوا بنفوذهم عبر البحر الأسود وبذلك ظهرت دولة خانات الخزر منذ عام ٦٣٠ – ٩٦٥م ، وبحكم موقعهم في الأراضي التي تتحكم في طرق التجارة سواء الطرق السريعة أو الممرات المائية ، حيث التجارة تمر عبر أراضيهم فعاد عليهم بالازدهار وهم ما بين مسلمين ويهود ، وظلت بقوتها حتى ضعفت بسبب ضغط الهجمات الروسية من الشمال وتكوينهم ما يسمى «Okenz» الإمارة حول كييف «Kiev» ؛ سعد زغلول عبد الحميد : الترك والمجتمعات التركية عند الكتاب العرب وغيرهم ، ص٦٠ ؛

Ibrahim Kafesogln : a short history of Turkish, p.10-11, 38.

(٣) الجاحظ : التبصر بالتجارة ، ص٢٨.

وغيرها مما يتوافر لـديهم ، وتقـدر لـدى البيئـات البدويـة ، ونجـد الخوارزميين أثناء اتجاههم إلى الغرب بنشاطهم وخاصة صوب الفولجا والقوقاز ، نشأت بينهم وبين الخزر صلات قوية ، وانتشر الخوارزميون في إقليم القوقاز[1].

ب – البلغار :

ومن صادرات البلغار لتلك المنـاطق – وخاصـة فـي القـرن ٤هـ/١٠م الفراء والجلود المصنوعة صناعة دقيقة ، والعسل ، وشـمعه ، والسمك ، إلا أن الأحذية البلغارية تعد من أحسن صادرات تلك المدينة ، فكان لها شهرة واسعة النطاق في تركستان[2].

جـ – إيران :

ومن صادراتها البسط ، والسجاد ، وثياب القطن ، والطنـافس ، والثياب الرقاق ، والطيالسة من الصوف ، والثياب الموشية ، والأبرسـيم الجيد ، والقلانس ، والفواكه من تفاح وخـوخ وسـفرجل ، وكمثـري ، وزبيب ، وماء الورد ، والمعاجن ، ودهـن الياسـمين ، والزعفـران ، والزمرد ، والسكر ، والكحل[3].

د – خراسان :

ومن صادراتها لتلك المناطق الفواكه الكثيـرة ومنهـا الأعنـاب الطيبة والزبيب الكشهانى ، والكشمش ، وبطيخ يقدد حيث كان ذلك يحمل

---

(١) ف بارتولد : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ترجمة : حمزة طاهر : (دار المعارف ، ط٢ ، القاهرة ، ١٩٥٢م) ، ص٨٦ ؛ عبد العزيز الدورى : المرجع السابق ، ص١٥١.

(٢) الجاحظ : التبصر بالتجارة ، ص٣٠-٣٢ ، ٤٠-٤٢ ؛ ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ، ص٢٥٣ ، ٢٥٥ ؛ الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص١٨٢-١٨٦ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص٤٤٢-٤٤٣.

(٣) الجاحظ : المصدر السابق ، ص٤٢.

إلى الخلفاء في قدور نحاس لشدة حلاوته ، وكذلك معدن الفيروزج ، واللازورد[1].

٣ – الطرق التجارية

أولا : الطرق البرية :

وهي أقدم الطرق بالنسبة للطرق الأخرى ، والتي سوف نتحدث عنها في حينها ، والتى اعتاد عليها التجار ، وخاصة من العرب ، ولقد ربطت تلك الطرق الجناح الشرقي بالجناح الغربي ، والعكس بالنسبة للتجار الغربيين ومقدمهم إلى أسواق المشرق الإسلامي[2].

ومن الطرق البرية طريق يطلق عليه طريق خراسان أو «طريق بغداد الصين»[3]. ولا يهمنا منه سوي الجزء المتعلق بموضوع البحث ، وهو من بدء مروره من مدينة «آمل» على نهر جيحون حيث يسلك طريقة في منطقة ما وراء النهر حتى يصل إلى بخارا ، ثم يواصل الطريق الرئيسي من بخارا إلى سمرقند ، وعند بلدة زامين على حدود

---

(١) الجاحظ : المصدر السابق ، ص٤٢.

(٢) فوزى حافظ عباس المأمونى : علاقة خوارزم بالعالم الإسلامي خلال العهدين البويهى والسلجوقي ، ص٢٣٦.

(٣) يذكر أن السبب وراء تلك التسمية هو مروره بمعظم أراضي خراسان منذ القدم منذ أيام الممالك الفارسية التي كانت تسيطر على تلك المناطق ، أو لكونه أقدم طريق برى عبر تلك الأراضي ويتشعب منه طرق أخرى ، حيث يربط هذا الطريق ما بين عاصمة الخلافة بغداد وعواصم الدول الإسلامية المستقلة بإيران وآسيا الوسطى ، ولقد اهتم به حكام الدولة وأمراؤها ، لكونه يربط ما بين المشرق والمغرب الإسلامي ، فالجزء الأكبر يجرى في الأراضي الإيرانية من بغداد إلى مرو الشاهجان حتى يبلغ مدينه آمل ؛ عبد العزيز الدورى : المرجع السابق ، ص١٥٠-١٥١ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص٣٦٧ ؛ دائرة المعارف الإسلامية : ج١ ، ص٢٥٥ ؛ ذاكراً أن آمل ملتقي الطرق التي تصل خراسان بما وراء النهر وخيوة.

إقليم أشروسنة ، ثم يفترق إلى فرعين ، احدهما : إلى إقليم الشاش[١]. والثاني : إلى إقليم فرغانة وأعالي نهر سيحون حتى يصل إلى اخسكيت ويمتد إلى أوزكند على تخوم صحراء الصين[٢].

الطرق البرية بين خوارزم والبلاد الواقعة في أقصى شمال بحر الخزر :

أ - **الطريق الأول** : والذي يبدأ من بلاد برطاس «برادس» ويمر ببلاد البلغار فيصل إلى كييف ثم يتجه إلى الجنوب عبر بلاد الخزر ، ثم إلى كل من جرجان وطبرستان والرى[٣].

ب- **الطريق الثاني** : يبدأ من بلاد البلغاء ثم إلى خليج مدينة الخزر ، ويعبر بحر الخزر إلى خوارزم فيلتقى مع الطريق البرى الأول[٤]. المتجه إلى بغداد وهي تخوم بلاد الصين[٥].

---

(١) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص٢٠٣ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص٢٩١ ؛ عبد العزيز الدورى : المرجع السابق ، ص١٥١ ؛ فوزى حامد عباس المأموني : المرجع السابق ، ص٢٣٨-٢٣٩.

(٢) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص٢٠٧-٢٠٨.

(٣) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص١٣٢ ؛ ابن رسته : الأعلاق النفيسة ، ص١٣٠-١٣١ ، ١٣٤ ؛ فوزي حامد المأمونى : المرجع السابق ، ص٢٩٤.

(٤) يقصد بذلك الطريق البرى الأول : ذلك الطريق الذي يطلق عليه طريق الحرير ، حيث يخرج بفرعين من الصين والآخر من الهند ، ثم يلتقي الفرعان في وسط آسيا عبر نهر الآتل ، فيلتقي مع تلك القوافل القادمة من الصين ، ثم يسيران معاً حتى بخارا في طريق واحد ثم يتفرعان أحدهما يتجه إلى وادى الفولجا شمالاً عبر بحر الخزر (قزوين) والآخر يتجه غرباً إلى البحر الأسود ؛ نعيم زكى فهمى : طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب في أواخر العصور الوسطى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٣م ، ص٣٦.

(٥) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص١٣٢ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص٢٧٢ ؛ ابن فضلان : رسائله ، ص٩١ ، ١٠٦-١٠٧ ، ١١٣ ، ١١٧ ؛ فيذكر أن رحلته إلى بلغار كانت تلك الطريق ، فبعد مغادرته للأراضي الخوارزمية دخل في مفازة الترك الغزية ثم شمالاً بحر الخزر ماراً بمفاوز البجناك والباشغرد حتى وصلوا إلى عاصمة ملك البلغار ؛ =

وكان بعض التجار يذهبون إلى مدينه البلغار[١]. إما براً عن طريق آتل وإما بحراً في القوارب بصعود الفولجا[٢]. وهذا الطريق الذي يربط ويقوى العلاقات التجارية بين القبائل التركية وخوارزم ، وشيء طبيعي أن يكون لأي طريق اتجاهان ، الأول ذهاب ، والآخر إياب ، فما دام هذا الطريق يتجه من بحر الخزر إلى خوارزم نجد أن القوافل تتجه من الجرجانية إلى خراسان جنوبا[٣]. حتى تبلغ المسافة لخراسان ستة أيام ، والآخر الاتجاه المعاكس إلى الخزر غرباً.

ولقد كان أخر مكان على هذا الطريق هي رباط «أفراوه» أو «فراوه» ذلك الذي يتكون من ثلاثة حصون متصلة ويبعد أربعة فراسخ عن مدينة «نسا».

ويشير الگرديزى إلى وجود طريق أخر ، ويتضح من الوصف كونه طريقاً برياً فيسير محاذياً للساحل الغربي لبحر آرال ثم يخترق المفازة إلى بلاد البجناك[٤].

= عبد العزيز الدورى : المرجع السابق ، ص١٥١ ؛ ذاكراً «كانت القوافل التجارية مدخلة من خوارزم إلى بلغار ومن بلغار إلى خوارزم».

(١) البلغار : وهم أتراك الشمال ، حيث كانت هناك علاقات بينهم وبين خوارزم ، ونقصد بهم بلغار الفولجا ، حيث كان تجار خوارزم يذهبون إلى الشمال عن طريق النهر ، ويعودون بالبضائع مقابل تلك البضائع الجنوبية الخاصة بالخوارزميين ومع بداية القرن العاشر الميلادي «١٠م» نجد أن عدداً كبيراً من رجال خوارزم وفقوا في احتلال العديد من المناصب الإدارية والعسكرية في الدول والولايات البلغارية ، وإن كنت على ما أعتقد أنه قد تم ذلك بعد دخولهم في الإسلام ؛ شيخ الربوة : نخبة الدهر وعصره أهل العصر ، ص٢٦٣ ؛ Ibrahim : op.sit.p.37-38.

(٢) عبد العزيز الدورى : تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع ، ص١٥١.

(٣) الگرديزى : زين الأخبار ، ص٢٦٨.

(٤) البجناك «البشناق» : قبيلة من الأتراك من قبائل فروع الغز ، ولقد كانوا في الأصل من تركستان الصينية ثم هاجروا من وسط آسيا إلى جنوب روسيا في تلك المنطقة ما بين الفولجا ، الفولفا والأورال بين نهرى Dane-Yailk بجوار الخزر فهم إلى الجنوب منهم ، وغربهم السلاف وشرقهم القفجاق «الكومان» وفي بداية القرن ٩م طردوا المجر Magger من أوطانهم بين الدون والدنيير ،=

هذا ويذكر أن معظم التجار بخراسان من أهل خوارزم ، فلم تكن مدينه كبيرة بخراسان إلا وكان بها جمع غفير من أهل خوارزم وتجارهم ، وكانوا يتميزون عن السكان المحليين بارتدائهم القلانس الطويلة.

ويذكر ويؤكد أنه في فترة من الزمن كانت جميع ضياع مدينه نسا ملكاً للخوارزميين ، ومع ذلك لا بد أن الانتعاش الاقتصادي كان مصاحبا له انتعاش فكرى وثقافي ، فيذكر المقدسي أنه قل أن التقي بإمام في الفقه والأدب أو القرآن إلا وله تلميذ خوارزمي[1].

جـ - طريق برى من مرو إلى كرگاج «الجرجانية»[2].

د - طريقة برى أخر يمتد من مدينه الترمذ ببلاد فرغانه مارا بالختل والصغانيان[3].

هـ - طريق برى فرعي يربط بين إقليم الصغانيان وبخارا[4].

و - طريق برى يمتد من بلخ إلى شط وادى جيحون إلى ترمذ ويبلغ طوله يومين[5].

= ولكن تحت ضغط الغز وطردهم حوالى ٨٦٠م ، اتجهوا على أثرها إلى الغرب واحتلوا أرض السلاف في شمال غرب البحر الأسود حيث احتل هؤلاء مناطق شاسعة من البحر الأسود ، ومن تبقي منهم فقد ظل تحت سيطرة الغز ؛ ابن فضلان : رسالة ابن فضلان ، ص١٠٦ ، حاشية١ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الثاني ، ص٩٢٢ ، ٩٦٠ ؛ بارتولد : تاريخ الترك في آسيا الوسطى ، ص١٠١ ؛ سعد زغلول عبد الحميد : الترك والإسلام في العصر الإسلامي الوسيط ، ص١٧٥-١٧٦ ؛ زبيدة عطا : الترك في العصور الوسطي ، ص٨ ، ١٨.

(١) المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص٢٦٧ ؛ الگرديزى : زين الأخبار ، ص٣٦٨ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص٣٦٤ ، ٣٦٧.

(٢) بارتولد : المرجع السابق ، ص٢٦٥.

(٣) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ؛ وللمزيد عن ذلك الطريق انظر : ص٣٣-٣٤.

(٤) المقدسي : المصدر السابق ، لمزيد عنه انظر : ص٢٦٧-٢٦٨.

(٥) الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص١٥٨.

ز – طريق برى ما بين بلخ وأعالى نهر جيحون عند بذخشان ، وتقدر تلك المسافة ١٣ مرحلة[١].

ح – طريق برى من ناحية إقليم جرجان ، الأول إلى شرق أخر مدينة الرباط «وهي على فم المفازة» حيث يدخل تلك الناحية الطريق الذاهب إلى مدينة خوارزم.

ولقد وصف هذا الطريق الواصل من جرجان إلى خوارزم مخترقاً دهستان بان تلك الناحية كانت الحد الفاصل ما بين المسلمين والكفرة من الترك والكرد.

ط- طريق برى أخر من بسطام في قومس إلى عاصمة خوارزم «الجرجانية»[٢].

ثانياً : الطرق النهرية :

سبق أن تناولنا بالتفصيل الحديث عن تلك الطرق عند تناولنا جغرافية خوارزم وما وراء النهر ، وخاصة المجاري المائية[٣].

ولقد لاحظنا على تلك الأنهار وفروعها أنها صالحة للملاحة النهرية طوال العام ما عدا أشهر الشتاء حيث تتجمد وتسير عليه القوافل أيضا[٤]. وإن جاز لنا التعبير نجد أن تلك الأنهار تجمع ما بين الطرق البرية إلى حد ما في فصل الشتاء والطرق النهرية بقية أيام السنة ، وشيء طبيعى أن توجد نقاط مراكز تجارية ، لتوافر الأسواق التي سوف

---

(١) الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص١٥٨ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص٢٦٧.

(٢) كى لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص٤٢٠-٤٢٢.

(٣) انظر الفصل الأول من الرسالة ، ص

(٤) أبو حوقل ، صورة الأرض ، ص٥١١ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الثاني ، ص٧٠٦ ؛ القلقشندى : صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، ج٤ ، ص٤٤٥ ؛ شيخ الربوة : المصدر السابق ، ص٩٤ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص٢٧٠.

نتحدث عنها لاحقاً على تلك الأنهار ، ومن هـذه المراكـز : فرغانـة ، وخجندة ، وبخارا ، وخوارزم ، حيث كان أهلها يقومـون بنقـل السـلع التجارية عبر سيحون على سفن[1].

ثالثاً : الطرق البحرية :

١ – الطريق البحرى بحر الخزر :

الذي يصب فيه نهر أتل «الفولجا»[2]. وهو ذلك الطريق البحري الذي يربط إقليم خوارزم بمن جاوره من العناصر التركية المحيطة مـن الشرق والشمال ، بالرغم من كونه من البحار المغلقة ، وإن كـان نهـر الأتل هو المدخل الوحيد له ، ومنبعه من بلاد الروس شمالاً ويصب فـي بحر الخزر حيث تقع عليه مدينه أتل التي سمى باسمها النهر[3].

ونجد أن سكان تلك المناطق التي يخترقها مجرى نهر الفولجا قد نجحوا أخيراً في وضع تنظيم كامل قضاتهم في الدين ، بمعنى »وجـود جاليات عربية ويهودية ، ومسيحية هناك»[4]. ثم استطاع التجار العـرب توثيق علاقتهم مع مناطق شمال بحر قزوين ، حيث شهدت عاصمة دولة الخزر «أتل Atil-Atel» وصول سفنهم وقوافلهم ، فكانت نقطة الرحيل من عندهم محملة ببضائعهم من ثغر أستراباد ، وبالنسبة للقوافل فقد كانت نقطة الرحيل مدينة الحدود الجرجانية «Djad Janich» على بحر آرال

---

(١) الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص١٨٧ ؛ ياقوت الحموي : معجم البلـدان ، المجلد الأول ، ص١٢١ ، المجلد الثاني ، ص٣٤٧.

(٢) ف هايد : تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصـور الوسـطى ، مراجعـة وتقديم : عز الدين فودة ، عربة عن الفرنسية : أحمد محمـد رضـا : الهيئـة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٥م ، ج١ ، ص٥٣-٥٤.

(٣) الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص٢٥٧ ، ٢٧٦.

(٤) المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج٢ ، ص٣٥٢ ؛ هايد : المرجـع السابق ، ص٦٤.

عاصمة خوارزم[1]. وإن كان هؤلاء لم يكتفوا فقط بالوصول إلى أتل ، بل استطاعوا أن يصعدوا نهر الفولجا حتى قلب روسيا طلباً للفراء والجلود[2].

٢ – الطريق البحري جنوب دولة خوارزم :

ويقصد به مياه الخليج الفارسي «الخليج العربي حالياً» وكذلك بحر الهند حيث يحده من الشرق بناحية التبز ، وهي من مواقع إقليم «مكران» إلى «عبادات» غرباً[3].

وعلى الرغم من تواجد الطرق البرية إلا أن سكان كل من سمرقند وخراسان يفضلون الطريق البحرى على الرغم من طول مسافته عن سابقه ، حيث يركبون السفن في الخليج الفارسي حيث تستمر القوافل في نقل البضائع[4].

وتأكيداً للنقطة السابقة نجد أن انتشار الإسلام في الجانب الشرقي من الخليج الفارسي قد ساعد على تواجد شعب واحد متكامل من كل من الفرس الذين هم سكان الخليج الفارسي والعرب سكان السواحل واشتراكهم في استعمال اللغة العربية كتابة مما يجعل من العسير التمييز بين العنصرين ، حيث كان من أسماء النواخذه الموجود ذكرها في كتاب عجائب الهند لبزرك بن شهريار بأنها كافية لتدل على كون الغلبة للعنصر الفارسي أكثر من العنصر الآخر[5].

---

(١) الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص١٠١ ، ١٢٧.

(٢) ڤ هايد : المرجع السابق ، ص٦٤.

(٣) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، المجلد الأول ، ص٣٣٤.

(٤) هايد : المرجع السابق ، ج١ ، ص٥٣ ؛

Bernard Lewis : the Arabs in history, (London, 1950), p.87.

(٥) السيد محمد يوسف : علاقات العرب التجارية بالهند منذ أقدم العصور حتى القرن ٤هـ ، (مجلة كلية الآداب ، الإسكندرية ، ١٩٥٣م) ، مجلد ١٥ ، ص٢٥.

٤ – الإجراءات الأمنية لتلك الطرق :

يقصد بتلك الإجراءات العمل على توفير الأمن والأمان للطرق التجارية في عمليات تنقل تلك القوافل والسفن ، سواء الذاهبة أو الآتية محملة بالبضائع من الصادرات والواردات سواء عن طريق الطرق البرية أو البحرية ، وسواء كانت تجارة داخلية في مناطق ما وراء النهر مع بعضها البعض ، أو تجارة خارجية مع الصين والهند وخراسان والفولجا ، حيث حمايتها من قطاع الطرق ولصوص القوافل ، فكان لديهم علم ودراية بمواعيد تلك القوافل سواء في الصيف أو الشتاء ، وكذلك القراصنة بالنسبة للطرق البحرية والنهرية ، وهم ما يطلق عليهم «قراصنة البحر».

ولكن الأمر لم يتوقف عند هؤلاء فقط ، بل هناك العناصر التركية غير المسلحة المتوطنة على سواحل الثغور الإسلامية ، والتي كانت من حين لآخر تغير على تلك المناطق وتجارتهم وقوافلهم ، وذلك لقربهم من مراكز تجارة تلك المناطق ، مثل : الجرجانية ، وبخارا ، وسمرقند.

ومن جراء كل ذلك كان لا بد من وجود تلك الإجراءات الأمنية المتمثلة في وضع حاميات مسلحة هدفها الأول والأخير هو حماية تلك الطرق وحراستها ، وكذلك حفظ الأمن والسلام حتى يتمكن التجار من المرور ومزاولة نشاطهم التجاري ، والعودة مرة ثانية دون خوف أو إرهاب[(١)]. وبالإضافة إلى ذلك فإننا نجد بعض المدن قد أعفيت من الخراج المقرر عليها مقابل حفظ الأمن والقيام بالإجراءات التي تقوم بها تلك الحاميات ، ومن تلك المناطق نجد منها «اسبيجاب» بها ما يقارب من سبعمائة رباط للمطوعة ، حيث بعض هذه الرباطات قد شيدها أهل المدن الكبرى ومنها من بناها أهل الخير من الأثرياء[(٢)]. وكذلك هرات فاراب ،

---

(١) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، المجلد٢ ، ص٢٩٦.

(٢) المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص٢٧٢-٢٧٣ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص٢٩١.

وغيرها من المدن التي أعفيت من الخـراج ، بـل وشـحنت بالسـلاح والمعونة من أجل ذلك[1].

٥ – الأسواق وأنواعها :

الأسواق :

اشتهرت مدن خوارزم ، وكذلك مدن ما وراء النهر بكثرة أسواقها الدائمة وكذلك الأسبوعية والموسمية ، وذلك لأنه من الشئ البديهي في أيه مدينة من المدن تتوافر فيها المادة الخام سواء مـن ناحيـة الحاصـلات الزراعية أو الثروة الحيوانية ، أن تعرض في الأسواق من أجل الحصول على سلعة أخرى تحتاج إليها «تبادل السلع» أو الحصول على النقد الذي تحتاج إليه ، لذا تعتبر أي سوق في المدينة مرآة تعكس الحالة الاقتصادية لها ، وكذلك نشاطها التجاري والصناعي بصفة عامة.

أنواعها :

ويمكن تقسيم الأسواق في المدن السابقة الذكر إلى ثلاثة أنواع :

١- الأسواق المدنية التي تتركز في المدن الكبرى.

٢- الأسواق الريفية.

٣- الأسواق المشهورة بسلعة معينة أو الموسمية.

أولاً : الأسواق المدنية :

يذكر عبد العزيز الدورى أن المدن – بصفة عامة – تمثل أسواقاً لما يحيطها من القرى ، أي أنها مخازن لإنتاجها ، وكذلك مراكز تبيع لها ما تحتاج إليه من المواد ، وبالتالي يحرص القرويون على الحضور لتلك الأسواق الكبيرة التي كانت تعقد في أيام معينة من الأسبوع[2].

ومن خلال ما سبق ذكره في الفصل الأول نذكر أنه قلمـا تخلـو قرية من وجود سوق بها ، وخاصة في إقليم خوارزم[3]. وعلى الأخـص

---

(١) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، المجلد الأول ، ص١٧٩.

(٢) اليعقوبي : البلدان ، ص٢٥٨ ، ٢٦٣ ؛ عبد العزيز الدورى : تـاريخ العـراق الاقتصادى في القرن ٤هـ ، ص١٣٣.

(٣) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، المجلد٢ ، ص٤٨٢.

في مدنه الكبرى التي يأتي إليها التجار من إنحاء عدة من خراسان ، وذلك لعدة أسباب ، منها : الموقع الجغرافي الممتاز لتلك المدن والإقليم ، وكذلك أهميتها التجارية ، وسهولة مواصلاتها ، وتوفر الطرق سواء أكانت داخلية أم خارجية.

وعلى رأس الأسواق المدنية : أسواق مدينة الجرجانية التي كانت من العناصر المعمارية الأساسية بها كما سبق وأشرنا من قبل ، ولقد تحدث ابن بطوطة عن تلك الأسواق واستمرارها حتى زمنه مع تعرضها لبعض التطور والتغيير الطبيعي بمرور الوقت ، وذلك أثناء وصفة لمدينة خوارزم في رحلته ذاكراً «أنها أكبر مدن الأتراك ، وأعظمها وأجملها وأضخمها ، وبها أسواق مليحة ، حيث قال : «لقد ركبت بها يوما ودخلت السوق فلما توسطته وبلغت منتهى الزحام في موضع يقال له «الشور» لم استطع أن أجوز ذلك لكثرة الزحام ، وكانت هذه السوق يخف زحامها يوم الجمعة وذلك لأنهم يسدون سوق القيسارية وغيره من الأسواق[1].

وكذلك أسواق «مدينة كاث» التي تميزت بسواد العدل والأمن بها[2]. ومدينة «جكربند» حيث وصف سوقها بكونه كبيراً وعامراً بالخيرات الكثيرة[3]. ومدينة «نوزوار» التي تميزت بوجود عدة أسواق بها[4]. ومدينة «براتكين» التي لها سوق عامر بنى من الطين اللبن الجيد[5].

---

(١) ابن بطوطة : تحفة النظار ، ص٣٧٣ ؛ عبد الهادى التازى : مع ابن بطوطة من البحر الأسود إلى نهر جيحون ، (مجلة المناهل ، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م) ، العدد الثاني ، ص٨١.

(٢) على أكبر دهخدا : لغت نامة ، ص٨٠٠.

(٣) بارتولد : المرجع السابق ، ص٢٤٨ ؛ قحطان عبد الستار الحديثى : أرباع خراسان ، ص٣٠٤.

(٤) المقدسي : المصدر السابق ، ص٢٨٩ ؛ كي لسترنج : المرجع السابق ، ص٤٩٤.

(٥) الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص٣٠٣ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص٢٥٢.

ومن تلك الأسواق : سوق مدينة «بومجكث» من مدن بخارا ، والتي امتازت بالسعة[1]. وكذلك مدينة الطواويس التي يوجد بها سوق ومجمع كبير يأتي إليه الناس والتجار من أقطار مختلفة من أرض خراسان ، ويعقد عدة مرات في العام وتبلغ مدته عشرة أيام[2]. وكذلك مدينة «ورخشة» التي تميزت بكثرة الأسواق بها فهناك سوق يعقد كل خمسة عشر يوماً ، وسوق آخر يعقد آخر العام ويستمر عشرة أيام تقريباً[3].

وكان لتلك الأسواق مكانتها فهي تمتاز بتجارتها الواسعة ، وطول فترتها ومجيء التجار إليها من نواح عديدة ومختلفة من أجل التبادل التجاري ، فمن الملاحظ على تلك الأسواق وقوع معظمها - أن لم يكن أغلبها - في الربض.

ثانياً : **الأسواق الريفية** :

إن جاز لنا التعبير أن نطلق على تلك الأسواق بكونها مجرد تجمع بشري صغير في إحدى القرى لا يفي باحتياجاتها بشكل كامل ، لذا فهي لا تصل في ازدهارها وكذلك نشاطها التجاري إلى ما وصلت إليه الأسواق في المدن ، وكما سبق وأشرنا أثناء الحديث في الفصل الأول عن قرى خوارزم عن عدم خلو أيه قرية من قراها من وجود سوق أو تجمع بشري بها يفي بأغراضهم إلى حد ما.

---

(١) المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص٢٨٠.

(٢) الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص٣١٣ ؛ ابن حوقل : صورة الأرض ، ص٤٨٩ ؛ الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، المجلد الأول ، ص٤٩٥.

(٣) الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص٣١١.

ثالثاً : الأسواق الموسمية :

أو التي تخصصت في تجارة نوع معين من السلع منهـا : تلـك الأسواق التي تركزت في مدينة الجرجانية وتخصصت في تجارة الأغنام ووبرها[1]. وكذلك أسواق أخرى لبيع منتجات الدواب والماشية بها مثل : الجبن واللبن[2]. وكذلك سوق مدينة بخارى التي تحدث عنها النرشخى ، وهو سوق «بازارماخ» أي سوق ماخ ولقد ظل يعقد حتى عهد النرشخى ، وهو أقدم أسواق بخارى يعقد مرتين في العام ، ومدته أكثر من يـوم ، ويقام بالقرب من مسجد ماخ ، ومن المرجح أن اسمه مأخوذ مـن أحـد ملوك بخارى ويدعى ماخ[3]. وكان من سلعة الأصنام حيث عبادة الأصنام ، تلك العادة القديمة التي كان يسير عليها البخاريون ، لذا بنى الناس فـي هذا السوق بيت نار للعبادة ، ولقد ظل هذا المعبد قائماً حتى دخل الإسلام ثم تحول إلى مسجد[4]. وكان موقعة في الحي الجنوبي الشرقي من المدينة حيث سمي باسم السوق ، فكانت تلك التجارة وحدها تدر دخـلاً واسـع النطاق ، ولقد ظل حتى بعد اختفاء الأصنام ، وعرفت المنطقة بحي جامع ماخ[5].

وهناك أيضاً أسواق في مدينة «ورخشة» والتي تخصصت فـي سلع وبضائع معينة[6]. وكذلك «اسبيجاب» حيث وجدت أغلب أسواقها في

---

(١) بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص٢٥٣.

(٢) القلقشندى : صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، ج٤ ، ص٤٧١ ؛ محمـد علـي حيدر : المرجع السابق ، ص١٨٥.

(٣) النرشخى : تاريخ بخارى ، ص٤٠ ، ٤٤ ؛ طه ندا : بخارى ، ص٥٦.

(٤) النرشخى : تاريخ بخارى ، ص٢٥.

(٥) بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص١٠٧.

(٦) عبد العزيز الدورى : تاريخ العراق الاقتصادي في القرن ٤هـ ، ص١٢٨.

الربض ، وهناك بعض الأسواق التي اشتهرت بالأنسجة القطنية وخاصة «سوق الكرابيس»[1].

ولقد كانت كل طائفة من التجار في قسم معين من هذه الأسواق يمكثون إلى ما بعد الظهر ، ثم يأكلون في أحد المطابخ أو يحضرون شيئا من طعامهم إلى دكاكينهم ، ولا يذهبون إلى بيوتهم إلا في المساء ، ولقد استلزم الأمر في المشرق جمع الدكاكين صفوفا في مكان واحداً[2]. وكان يطلق على الفنادق في ما وراء النهر «تيما» والدكان الواحد يطلق عليه مخزناً[3].

---

(١) الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص٣٣٣ ؛ ابن حوقل : صورة الأرض ، ص٥١٠ ؛ الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، المجلد الثاني ، ص٧٠٥.

(٢) المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص٤٣٤ ؛ آدم متز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ج٢ ، ص٣٢٥-٣٢٦ ؛ محمد جمال الدين سرور : المرجع السابق ، ص١٤٢.

(٣) آدم متز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ص٣٢٧ ، حاشية(١).

الباب الثاني

التطور السياسي والتاريخي لإقليم خوارزم

«٢٠٥ ـ ٦١٧هـ / ٨٢٠ ـ ١٢١٩م»

الفصـــل الأول

التاريخ السياسي لإقليم خوارزم
وبداية قيام دولة شاهات خوارزم

«٢٠٥ – ٥٥١هـ / ٨٢٠ – ١١٥٦م»

محتويـــات الفصـــــل

١ – أثر الموقع الجغرافي والمقومات السابقة على تطور إقليم خوارزم

٢ – أوضاع إقليم خوارزم قبل قيام الأسرة المأمونية

«٢٠٦ – ٣٨٥هـ / ٨٢٠ – ٩٩٥م»

٣– الكيانات السياسية شبة المستقلة في إقليم خوارزم.

أ – الأسرة الأولى «المأمونية» في خوارزم

«٣٨٥-٤٠٨هـ/٩٩٥-١٠١٧م».

ب– الأسرة الثانية «الألتونتاشية» في خوارزم

«٤٠٨-٤٢٩هـ/١٠١٧-١٠٢٧م»

٤ – تولية شاه ملك إقليم خوارزم وانتهاء حكم الأسرة الثانية

« ٤٢٩ – ٤٣٤هـ / ١٠٢٧ – ١٠٤٢م»

٥ – خوارزم وتبعيتها للسلاجقة «٤٣٤ – ٥٥١هـ / ١٠٤٢ – ١١٥٦م»

٦ – بداية قيام دولة شاهات خوارزم «٤٧٠ – ٥٥١هـ / ١٠٧٧ – ١١٥٦م»

أ – مؤسس الدولة أنوشتكين غرجة

«٤٧٠-٤٩٠هـ/١٠٧٧-١٠٩٧م»

ب– قطب الدين محمد بن أنوشتكين خوارزمشاه

«٤٩٠-٥١٢هـ/١٠٩٧-١١٢٧م»

جـ– جلال الدين آتسز بن محمد خوارزم شاه

«٥٢١-٥٥١هـ/١١٢٧-١١٥٦م»

د–الأمير أتسز خوارزمشاه وعلاقته بالسلطان سنجر السلجوقي.

الفصــل الأول
التاريخ السياسي لإقليم خوارزم وبداية قيام دولـــة شاهـــات خـــوارزم

١ – أثر الموقع الجغرافي والمقومات السابقة على تطور إقليم خوارزم :

تناولنا في الباب الأول من البحث إقليم خوارزم وما تميز به من موقع جغرافي ممتاز بالرغم من مناخه شديد البرودة ، بالإضـــافة إلـــى عاصمتى الإقليم وهما : كاث والجرجانية ، ومـــدى أهميتهـــا السياســـية والتجارية ، وما أحدثته تلك الطبيعة من رخاء وازدهار اقتصادى أدى إلى أحداث تجانس إلى حد ما بين سكان ذلـــك الإقلـــيم مـــن فـــرس وتـــرك وعرب[1]. على الرغم من أن المصادر لم تعط العرب حقهم من الحديث ، وخاصة في خوارزم ، فانه وكما سبق وأن رجحنا فإن مجيء العرب كان مع القواد الفاتحين الذين يصطحبون معهم عائلتهم ، وخاصة بعد استقرار الأحوال.

ثم تمكن العرب من أقامه حكومة عربية في كاث في الوقت الذي وجدت فيها أسرة فارسية ترجع أصولها إلى كيخسرو الفارســـي ، حيـــث لقب أميرها بلقب خورازمشاه.

وذكرنا ذلك النظام الذي اتبعته الدولة العباسية مع تلك الإمـــارات المترامية الأطراف ، والتي تختلف في نظامها عن نظام الدولة الأموية ، والذي تمثل في تولية أسر ارستقراطية تتولى أمر الإمارات التابعـــة لهـــا إدارياً وسياسياً ويكون حكمها وراثياً بدلاً مـــن الـــولاة المتعـــاقبين وراء بعضهم بعضاً ، وتحول تلك الأسر بتبعيتها من المركزية إلى الاسمية[2].

---

(١) محمد فريد وجدى : دائرة المعـــارف ، القـــرن١٤هـ/٢٠م ، الطبعـــة الثانيـــة ، ١٣٤٣هـ/١٩٢٥م ، ج٣ ، ص٧٩٤ ؛ هند حسين عطية : الأدب العربي في إقليم خوارزم منذ الفتح العربي ٩٣هـ حتى سقوط الدولة الخوارزمية ٦٢٨هـ ، ص٥٤.

(٢) بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص٣٢٠.

٢ – أوضاع إقليم خوارزم قبل قيام الأسرة المأمونية «٢٠٦ – ٣٨٥هـ / ٨٢٠ – ٩٩٥م»

من الأسر التابعة للدولة العباسية ، هي الأسرة الطاهرية[١]. التي حرصت منذ ظهورها على وضع خطة محكمة متمثلة في فرض إدارتها على الأقاليم في المشرق ، وعلى رأسها إقليم خوارزم.

فكان من ولاة الطاهريين عليها «طلحة بن عبدالله بن طاهر» ابن أخي عبدالله ابن طاهر ، والذي ذكر قائلاً : «أن حكم الطاهريـة يتمثـل باجلى بيان في ابن أخيه منصور بن طلحة والى مرو وآمل وخـوارزم ، وذلك عام ٢٤٨هـ/٨٦٢م[٢]. وكذلك «حسين بن طاهر» الوالى الثاني على خوارزم عام ٢٥٩هـ/٨٧٢م[٣]. وأيضاً «أحمد بن محمد بن طاهر» عـام ٢٦٢هـ/٨٧٥م[٤].

---

(١) إقبال عباس الاشتياني : تاريخ إيران بعد الإسلام ، ص١٤ ؛ فيذكر أن الطاهريين ينسبون إلى رجل يدعى مصعب بن رزيق «من سكان فوشنج بهراه» قدم جدهم في ولاية أحد أشراف العرب من قبيلة خزاعة ، لذا سموا بالخزاعيين إلى جانب ادعائهم أنهم من نسل رستم بطل الشاهنامة ، وهى أول أسرة إيرانية بعد الإسلام ، ومن ولاتها طاهر بن الحسين «٢٠٦-٢٠٧هـ/٨٢١-٨٢٢م» ؛ جرجى زيدان : تاريخ التمدن الإسلامي ، ج٤ ، ص١٧٣ ؛ فتحي أبـو يوسـف : خراسـان تاريخها السياسي والحضاري من سقوط الحكم الطـاهرى إلـى بدايـة الحكـم الغزنوى ، (القاهرة ، ١٩٩٤/١٩٩٥م) ، ص١٩٣ ؛

S. Lane - Poole : the Mohammadn Dynastie, «n.p., n.d», p.129.

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج٧ ، ص١١٨ ؛ دائرة المعارف الإسـلامية : ج١٥ ، ص٤٥.

R.N. Frye : the Cambridge history of Aran «the reriad from the Arab in Vasion to the Saljuq»; (n.p., 1976), volum4, p.105.

(٣) النرشخى : تاريخ بخارى ، ص١١٣ ؛ أرمنيوس فـامبرى : تـاريخ بخـارى ، ص٩٤.

(٤) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج٧ ، ص٣٠٢ ؛ زامبـاور : معجـم الأنسـاب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، ص٣١٦.

ولكن ما لبث أن دبّ الضعف في أمراء تلك الأسرة فلم يستطيعوا مقاومة أمراء الدولة الصفارية الذين قضوا على نفوذهم في خراسان عام ٢٥٩هـ/٨٧٢م ، بل تمكنوا كذلك من ضم أقاليم فـــارس ، وسجســـتان ، وكرمان ، وأصفهان ، والهند وامتدت رغبتهم لضم ما وراء النهر وإقليم خوارزم لممتلكاتهم.

وترتب على ذلك أن تولى السامانيون[1]. أمر منطقـــة مـــا وراء النهر بناء على منشور من الخليفة العباسي المعتمد بالله ، وسلمت مقاليـــد الأمور إلى نصر بن أحمد الساماني ، وصارت خوارزم تابعة له ، وكان عليها والٍ تابع لهم ، وهو «محمد بن جنيد» الذي ظل بها بعـــد وفاتـــه ،

---

(١) **السامانيون** : يرجعون إلى سامان خداه بن جثمان بن طمغاث بن نوشـــرد بـــن بهرام جوبين بن بهرام خشنش اعتنق كبيرهم الإسلام على عهد أسد بن عبـــدالله القسري لخراسان ، لذا سمى ابنه أسد ، وظل أبناء سامان وهم نوح ، أحمـــد ، إلياس ، يحيى في أعمالهم حتى بعد تولى الطاهريين لشئونهم ، وكـــان لأحمـــد سبعة منهم نصر الذي أعطيت له ولاية ما وراء النهر ؛ ابن الأثير : المصـــدر السابق ، ج٧ ، ص٢٧٩ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الرابع ، القسم الثالث ، ص٧١٣ ؛ إقبال عباس الاشـــتياني : المرجـــع الســـابق ، ص١٣٣ ؛ جرجي زيدان : المرجع السابق ، ج٤ ، ص١٧٣ ؛ فليب حتى ، ادوارد جرجى ، جبرائيل جبور : تاريخ العرب مطول ، (دار الكشاف للطباعـــة والتوزيـــع ، ١٩٥٠م) ، ج٢ ، ص٥٥٦ ؛ فامبرى : المرجع السابق ، ص٩٥ ؛ محمـــد بـــن خاوندشاه «ميرخواند» : روضة الصفا في سيرة الأنبياء والملـــوك والخلفـــاء ، تاريخ الدولة الطاهرية والصفارية والسامانية وآل بوية والإسماعيلية الملاحدة ؛ ترجمه عن الفارسية وعلق عليه وقد له : أحمد عبد القادر الشـــاذلي ؛ راجعـــة وقدم له : السباعى محمد السباعى : الدار المصرية للكتابة ، الطبعة الأولـــى ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ، ص٨٠ ، ٨٧ ؛ أستاذ خليلي ، ســـلطان عزنويـــال : (د.م ، د.ت) ، ص٢٩ ، ٤٣ ؛

R.N.Frye: the Cambridge History of Aran, p.137

ويليه الوالى الثاني «أبو سعيد الدرغانى» ومقره في مدينه الجرجانية من قبل الأمير إسماعيل السامانى الذي تولى أمر تلك المنـــاطق وعاصـــمته بخارا بالإضافة إلى حصوله على الصفة الشرعية لتلك المناطق بحصوله على تقليد من قبل الخليفة العباسي المعتضد بالله ، وصارت خوارزم تابعة له ، وخاصة بعد هزيمته لعمرو بن الليث(١).

وظل إقليم خوارزم تابعا لهم حتى عهد الأمير نوح بن منصـــور السامانى عام «٣٦٦-٣٨٧هـ/٩٧٦-٩٩٧م»(٢). وأثناء تبعية هؤلاء كانت توجد أسرتان محليتان في خوارزم ، أحداهما في مدينة كـــاث وأميرهـــا الملقب خوارزمشاه وهو «أبو عبدالله محمد بـــن محمـــد بـــن عـــراق» والأخرى في الشمال حيث مدينـــة الجرجانيـــة والأميـــر «مـــأمون بـــن محمد»(٣). والصراع القائم بينهما وأسبابه سواء أكانت أسباباً داخلية تتمثل في : الطمع والرغبة في السيطرة والنفوذ ، ومحاولة كل واحد منهما إقامة وحدة سياسية وتكوين سياسي يشمل الإقليم بشكل عام دون تجزأته ما بين

---

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج٧ ، ص٢٨١ ؛ فامبرى : المرجـــع الســـابق ، ص٩٨ ؛ محمد أحمد الحوفي : الزمخشرى ، (الهيئة المصرية العامة للكتـــاب ، ط٢ ، د.م) ، ص٩ ؛ خواندمير : المرجع السابق ، ص٣١ ، ٨٣ ؛
John Malcolm, K.C.B., K.L.S., " the history of Persia from the most early period to the present time, (London, 1815), vol. I, p.295; R.N. Frye : op.cit., p.138.

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج٨ ، ص٦٧١ ؛ محمد دبير ســـياقي : ســـلطان جلال الدين خوارزمشاه ، ص٧٥.

(٣) أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسرات الحاكمـــة ، (دار المعارف ، القاهرة ، د.ت) ، ج٢ ، ص٣٧٣ ؛ إدوارد جرانفيل براون : تاريخ الأدب في إيران ، نقلة للعربية : إبراهيم أمين الشواربي : (مطبعـــة الســـعادة ، القاهرة ، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م) ، ج١ ، ص٢٠٧ ؛ بارتولد : المرجـــع الســـابق ، ص٣٦٣ ؛ حبيب الله شالموئي : تاريخ إيران ازماد تـــا پهلـــوى ، د.م ، د.ت ، ص٤٣٠ ؛ Ibid, p.138.

الشمال والجنوب ، أم كانت أسباباً خارجية : تتمثل في الظروف المحيطة بهم ، والتي عجلت بالقضاء على تلك الأسرة في الجنوب.

ومن خلال ما تقدم نلاحظ حسن العلاقات بين الأميرين والأمير الساماني وخاصة بعد تقديمهم المساعدة له بعد عبوره لنهر جيحون ، وبعد تغلبه على بغراخان التركي[1]. وكانت مكافأتهما على ذلك هي إقطاع كل واحد منهما بلدة ، فصارت مدينة نسا من نصيب الأمير مأمون بن محمد ، وأبيورد إلى «أبي عبدالله محمد خوارزمشاه» ومن هنا جاء الخلاف ، وعند استلام أبي عبدالله لمدينته اعترض على ذلك «أبو على بن أبي سيمجور» الذي تولى أمر خراسان مكان أبيه في عهد نوح بن منصور الساماني «٣٦٦-٣٨٧هـ/٩٧٦-٩٧٧م» ، وذلك لكون أبيورد تعتبر إقطاعا لأخيه ، ولن يعوضه عنها الديوان الأعلى ، وتلى ذلك عبور أبي علي لنهر جيحون بعد أن أرسل الأمير نوح للأمير مأمون بن محمد ليحسن استقباله ، قائلاً : «أن يكرم أبو علي ، ويعد له ما يحتاج إليه تبعاً لمقتضى رأينا في هذا الشأن» ، فأرسل إليه يعتذر عن استقباله ذاكراً «بأنه سوف يصل لخدمته غداً» ، ولقد انتهز أبو عبدالله خوارزمشاه تلك الفرصة ليرد على أهانة أبي علي لرفضه تسليم مدينه أبيورد له ، لذا قبض عليه وأحضر إليه ، ووضع في قصر من القصور ، ولم ينج من خاصته سوى حاجبة «إيملنكو» الذي فر هارباً إلى الجرجانية[2].

---

(١) **بغراخان** : من المرجح أنه أخو إيلك خان ، وفي عام ٣٨٣هـ/٩٩٣م ، اقبل بغراخان الذي كان له ممالك الترك من أجل الاستيلاء على بخارا ؛ الحسين بن هلال بن المحسن بن إبراهيم الصابي الكاتب : الجزء الثامن من تاريخ أبي الحسين هلال بن المحسن بن إبراهيم الصابي الكاتب ، (القاهرة ، ١٣٣٧هـ/١٩٨٩م) ، ج٨ ، ص٣٧٢.

(٢) أحمد بن علي بن عمر بن صالح بن أحمد بن سليمان بن إدريس المنينى : تاريخ العتبي ، ج١ ، ص١٨٤ ، ٢٢٢-٢٢٤ ؛ محمد دبير سياقي : سيرة السلطان= = جلال الدين منكبرتي ، ص٧٥ ؛ ميرخواند : روضة الصفا ، ص١٠٧ ؛ =

وكانت فعلة أبي عبدالله تلك فرصة أخرى لأمير الجنوب تجعل له الحق في التخلص منه بحجة الطاعة وتنفيذ أوامر الأمير نوح الساماني ، لذا اعد العدة وجعل على رأس فرقته الحاجب إيملنكو ، وهاجم مدينة كاث ووفق في هجومه واسر أبا عبدالله خوارزمشاه ، وتخلص أبو علي من أسره ، واتجهوا بهم إلى الجرجانية ، وتخلص من أبي عبدالله بقطع رأسه في مجلسه ، واستطاع بذلك ضم إمارة الشمال «كاث» إلى إمارة الجنوب وحدث لأول مرة في إقليم خوارزم أول كيان سياسي مستقل فيها[1].

- حمد الله بن أبي بكر بن أحمد بن نصر مستوفي قزويني : تاريخ گزيده ، دار السلطنة ، لندن ، ١٣٢٨هـ/١٩١٠م ، المجلد الأول ، ص٣٨٨-٣٨٩ ؛

Ibrahim Kafeso : A short history of Turkish Islamic state excluding the ottomen state, p.158.

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج٩ ، ص١٠٨ ؛ ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، المجلد الرابع ، القسم الرابع ، ص٧٦٤ ؛ بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص٣٦٩ ؛ أحمد السعيد سليمان ، المرجع السابق ، ج٢ ، ص٣٧٣ ؛ عفاف صبرة : التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية ، (القاهرة ، ١٣٠٨هـ/١٩٨٧م) ، ص٢٧ ؛ فامبرى : المرجع السابق ، ص١٢٢ ؛ إقبال عباس الاشتياني : المرجع السابق ، ص١٧٥ ، ١٧٦ ؛ براون : المرجع السابق ، ج١ ، ص٢٠٨ ؛ نظامى عروضى السمرقندى : جهاز مقالة «المقالات الأربع في الكتابة والشعر والنجوم والطلب» ، نقلة للعربية : عبد الوهاب عزام ، ويحيى الخشاب : (ط١ ، القاهرة ، ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م) ، ص١٦٩ ؛ حبيب الله شالموئي : تاريخ إيران ازماد تا بهلوى ، ص٤٣١ ؛ محمد دبير سياقي : المرجع السابق ، ص٧٥-٧٦ ؛ ميرخواند : المرجع السابق ، ص١٠٧-١٠٨ ؛ الگرديزى : زين الأخبار ، ص٢٧٤-٢٧٥ ؛

.R.F. Frye : op.cit, p.174

٣– الكيانات السياسية شبه المستقلة في إقليم خوارزم :

أ – الأسرة الأولى «المأمونية» في خوارزم «٣٨٥ – ٤٠٨هـ/٩٩٥ – ١٠١٧م»[(١)]:

بقضاء مأمون بن محمد على آخر أمراء الجنوب «أبي عبدالله محمد بن أحمد بن عراق خوارزمشاه» الذي لقبه البيروني بالشهيد ، والذي كان له الفضل في إحكام زمام الأمور في ذلك الإقليم ، وخاصة في القرن الرابع الهجرى في عهد أحد أفراد تلك الأسرة وهو «أبو سعيد أحمد بن محمد بن عراق خوارزمشاه» الذي وفد إليه ابن فضلان على رأس وفد من الخليفة المعتضد بالله إلى ملك الصقالبة عام «٣٠٩هـ/٩٢١م»[(٢)]. قامت الأسرة الأولى في خوارزم وأمرائها على النحو التالي :

١ – مأمون بن محمد خوارزمشاه «٣٨٥ – ٣٨٧هـ/٩٩٥ – ٩٩٧م» :

ويعد مأمون المؤسس الحقيقى لتلك الأسرة الأولى أو الإمارة ، وذلك بعد قضائه على أمير الشمال ، وتملك مدينته ، وكذلك لقبه خوارزمشاه ، واستمرار ذلك اللقب فيما بعد ذلك الإقليم حتى قضى المغول عليهم.

---

(1) Ibrahim : op.cit. p.153; H.A.R. Gibb : Mohammedanisman Historicl Survey, (London, n.d.), p.107.

(٢) براون : المرجع السابق ، ص٢٠٧ ؛ زامباور : المرجع السابق ، ص٣١٦ ، ولقد ادمج أمراء الجنوب خوارزمشاه مع الأسرة المأمونية ، وهما : ١- أبو سعيد أحمد بن محمد ٣٤٠هـ/٩٥١م ، ٢- أبو عبدالله محمد بن أحمد «ولم يذكر أمامه تاريخاً» ؛ حبيب الله شمالوئي : المرجع السابق ، ص٤٣١ ؛ أبو عمر منهاج الدين بن عثمان بن سراج الدين بن عمر «قاضى منهاج سراج» : طبقات ناصري ، (د.م ، ١٣٤٢هـ) ، المجلد الأول ، ص٢٣٢ ؛ ولقد أضاف على زامباور ذكر اسم محمد ووضع أمامه تاريخ ٣٠٠هـ ، ثم ذكر أبا سعيد الذي صك باسمه عملة عام ٣٦٦هـ ؛ الگرديزى : زين الأخبار ، ص٢٩٣ ؛ نظامى عروضي السمرقندى : المرجع السابق ، ص١٦٨-١٦٩.

وهو عظيم الهمة ، استطاع إلى حد ما توحيد تلك الإمارة ، والذي ظل رغم استقلاله الذاتي تابعاً ، ويرجع ذلك إلى طبيعتها الجغرافية ، وخاصة عزلتها ، وكان من أهم الصفات المميزة لهذا الاستقلال هو قصر مدته ، فمجرد التفكير في الاستقلال ما تلبث أن تعود الإمارة للتبعية مرة أخرى ، وهذا ما سوف يحدث مع تلك الأسرة[١]. وصارت الجرجانية عاصمة لهم ، والتي اشتهرت بمسجدها وقصر خوارزمشاه الذي بناه عند باب الحجاج[٢]. وان كان لم يستمر حكمه سوي عامين فقط[٣].

٢ – «أبو الحسن» على بن مأمون بن محمد خوارزمشاه «٣٨٧ – ٣٩٠هـ/٩٩٧ – ٩٩٩م» :

خلف والده في حكم تلك الأسرة ، بعد مبايعته من أصحابه ، وظل بها حتى وفاته[٤]. ومن أهم الأحداث التي تمت في عهده رغبته وطلبه في

---

(١) نظامى عروضي السمرقندى : المرجع السابق ، ص١٦٨ ؛ عفاف صبرة : المرجع السابق ، ص٢٦ ؛ حبيب الله شمالوئي : المرجع السابق ، ص٤٣ ؛ .R.N. Frye : the Cambridge History of Aran, p.124

(٢) المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص٢٨٨ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص٢٥٣ ؛ على الشابي : الأدب الفارسي في العصر الغزنوى ، ص٢٥٧.

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج٩ ، ص١٣٢ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الرابع ، القسم الرابع ، ص٧٧٦ ؛ أحمد السعيد سليمان : المرجع السابق ، ج٢ ، ص٣٧٣ ؛ إقبال عباس الاشتيانى : تاريخ إيران بعد الإسلام ، ص١٧٦ ؛ دائرة المعارف الإسلامية : ج٩ ، ص٩.

(٤) المنينى : تاريخ العتبي ج٢ ، ص٢٥١ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج٢ ، ص١٥٩ ؛ ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص١٧٨ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ص٧٩٥ ؛ نظامى عروضي السمرقندى : جهار مقالة ، ص١٦٩ ؛ بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص٤٠٧ ؛ فنكر أن مدة حكم علي بن مأمون منذ عام ٣٨٧-٣٩٩هـ/٩٩٧-١٠٠٩م ، ونهايته على يد جنده الذين تواطئوا مع السامانيين وقتلوه =

ود ومصاهرة السلطان محمود الغزنوى من احدي أخوته ، فزوجه إياها ، وصاروا يداً واحدة حتى وفاته دون نزاع[1]. ومن وزرائه «أبو الحسين السهلى» وظل في عمله في الوزارة من بعد لأخيه أبي العباس[2].

٣ – أبو العباس مأمون بن مأمون خوارزمشاه « ٣٩٠ – ٤٠٧هـ/٩٩٩ – ١٠١٦م» :

استطاع أبو العباس الحصول على السمة الشرعية في ولاية خوارزم ، وذلك عندما أرسل أمير المؤمنين القادر بالله وفترة حكمه «٣٨١-٤٢٢هـ/٩٩١-١٠٣٠م» إلى أبي العباس مأمون بن مأمون خلعة مع العهد واللواء ، ولقب كذلك بيمين الدولة وزين الملة ، ويدل ذلك على حسن العلاقة بين الإمارة والخلافة العباسية في بغداد ، فكانت تعاملاتهم مثل أمراء الدول المستقلة وسلاطينها في الشرق[3].

ولقد اتصف هذا الأمير بالعديد من الصفات التي ذكرها البيهقي ، فهو رجل فاضل ، وشهم ، نشيط ، يتحلى بالأخلاق الفاضلة وخاصة عفه اللسان ، إلى جانب علاقته الطيبة مع من يجاوره من الملوك والسلاطين وخاصة السلطان محمود الغزنوى ، وقد أكد ذلك البيرونى في كتابه «المسامرة في أخبار خوارزم» ، والذي كان في خدمته ما يقارب من سبع سنوات بأنه لم يسمع منه قط لفظاً نابياً سوى كلمة «كلب» لا يتلفظ بها إلا وهو في شدة غيظه.

= عام ٣٩٩هـ/١٠٠٩م ؛ خليل آدهم : دول إسلامية ، (استانبول ، ١٩٢٧م) ، ص٣٥٧ ؛ R.N. Frye : the Cambridge History of Aran, p.174.

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج٩ ، ص١٣٢ ؛ المنينى : المصدر السابق ، ج٢ ،/ ص٢٥١ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص٤١٥.

(٢) نظامى عروضي السمرقندى : المرجع السابق ، ص١٦٩ ؛ هند حسين عطية : الأدب العربي في إقليم خوارزم ، ص٨١ ، ٣٠٧.

(٣) البيهقي : تاريخ بيهق ، ص٧٣٥.

هذا ومن عاداته في بلاطه ، وفي مجلس شـراب مـع صـفوة الأولياء والحشم ، وكذلك أبناء الأمراء من السامانيين ، وأيضـاً الرسـل الآتية من جهات أخرى ، أن يهب واقفا متناولاً الكاس الثالث شارباً نخب وذكرى السلطان محمود الغزنوى ، ثم يجلس ، ويأتي بعده الدور على كل الحاضرين ، فيشير إليهم واحداً واحـداً ، حيـث يقبلـون الأرض ، ثـم يشربون الكأس ، ويأمرهم بالجلوس ، وبعد تلك المراسيم ، يوزع علـيهم الخلع وهي : (حصان ، وكسوة ، وكيس به عشرة آلاف درهـم) ، إلـى جانب نصيب السلطان محمود الغزنوى خوفاً من بطشة ، وحرصا علـى بقاء الود بينهما[1]. وخاصة بعد أن تمت المصاهرة بينهما ، ففـي عـام ٤٠٦هـ/١٠١٥-١٠١٦م» أرسل أبو العباس رسولاً للسلطان محمود طالباً منه مصاهرته في أخته وتـدعى «كـالجى بنـت سـبكتكين Harra – Yikalji» وتمت الموافقة[2]. وكذلك حرص هذا الأميـر علـى إرسـال البيرونى ورسوله لينتظر رسول الخليفة العباسي المقتدر بالله عند منتصف الطريق إلى الصحراء لاستلام الخلع المرسلة من قبل الخليفة مع الحاجب حسين سالار ، وكذلك لقب محمود الغزنوى كل ذلك يوضح حسن علاقة الود والتعاون بينهما[3].

---

(١) البيهقي : المصدر السـابق ، ص٧٣٤-٧٣٥ ؛ بارتولـد : المرجـع السـابق ، ص٤١٥ ؛ هند حسين عطية : المرجع السابق ، ص٥٧.

(٢) البيهقي : المصدر السابق ، ص٧٣٤ ؛ ابن الأثير : المصـدر السـابق ، ج٩ ، ص١٣٢ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الرابـع ، القسـم الرابـع ، ص٧٩٥ ؛ المنيني : تاريخ العتبي ، ج٢ ، ص٢٥٣ ؛ بارتولد : تركستان مـن الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص٤١٥ ؛ عفاف صبرة : التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية ، ص٢٧ ؛ الگرديزى : زين الأخبار ، ص٢٩٣.

(٣) البيهقى : تاريخ بيهق ، ص٧٣٦ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص٤١٥.

- **ضم إمارة خوارزم للدولة الغزنوية :**

ثم تبدلت علاقات الود التي كانت بينهما إلى صراعات ونزاعات على إثرها فقدت إمارة خوارزم استقلالها ، وصارت تابعة للدولة الغزنوية.

الدوافع والأسباب وراء ذلك :

١- رسالة السلطان محمود الغزنوى للأمير أبي العباس بغرض إرسال رسول ليحضر مع رسوله الاتفاق بينه وبين الخانيين ، ويدل ذلك على ثقة السلطان في صهره ، وإن كنت أرجح أن ذلك من أجل إلقاء الرهبة والرعب في قلب خوارزمشاه ، والتمهيد لطلب أكثر أهمية ، وهو ما سوف نذكره فيما بعد وكان رد فعل خوارزمشاه بالنسبة لذلك هو الرفض قائلاً على لسان رسوله : «ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه» مبرراً أنه من خاصة السلطان ، وليس له صلة بالخانيين ، وإن كان لوزيره رأي آخر وهو الموافقة من أجل توثيق العلاقات الودية والصداقة بين الأمير الخوارزمي وبين خانات تركستان ، وكذلك السلطان الغزنوى لكي يأمن جانب الطرفين إذا ما قامت المعركة ، ولكن برفضه هذا غضب السلطان الغزنوى على صهره أبي العباس.

٢- رسالة من وزير السلطان الغزنوي «أبي القاسم أحمد بن الحسن الميمندى» تطالب بذكر اسم السلطان محمود بجانب اسم الأمير الخوارزمي ، وذلك يعنى تخلى الولاية عن استقلالها وتبعيتها للغزنويين[١].

---

(١) البيهقي : المصدر السابق ، ص٧٣٧-٧٣٨ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الرابع ، القسم الرابع ، ص٧٩٥ ؛ النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج٢٦ ، ص٤٩ ؛ المنينى : المصدر السابق ، ج٢ ، ص٢٥٢ ؛ =

ولقد وافق الأمير الخوارزمي على الفور ، وذلك لخوفه من القوة العسكرية للغزنويين ، التي تفوق قواته بكثير قائلاً : «إن جيشي ماذا يكون فالعدو شديد البأس ، قوى الشكيمة ، عنده الوافر من الآلات والعدد ، وعنده جند من كل صنف ولو أن جيشه هزم مائة مرة لعاد من هزائمه أقوى منى ، ولو هزم منا مرة واحدة – والعياذ بالله – لتغير حالنا» ، لذا تجاهل الأمير الخوارزمي رأي أبي الريحان البيروني الذي نصحه بتجاهل ذلك ، لكونه اقتراحا من وزير السلطان الغزنوى.

وان كان رأي أبي العباس مخالفا لذلك حيث تأكد من أن منبع الفكرة من السلطان الغزنوى ، لذا خاف وخشي من إكراهه على ذلك ، فأرسل يعقوب الجندى رسولاً للسلطان الغزنوي في شان الخطبة ولكنه فشل في إتمام مهمته وتهدئة الأمور ، بل ساعد على إشعال نار الفتنة بإرساله رسالة باللغة الخوارزمية ، عثر عليها السلطان الغزنوي ، ووجد فيها من الغلط والمبالغة ، فاستشاط غضباً وكان جزاء يعقوب هو تعليقه على المشنقة ورجمه بالحجارة.

ولقد زاد من حدة الموفق أخباره لأعيان إمارته ورعاياه بأمر الخطبة للسلطان الغزنوي[1]. فثاروا عليه ، وما أن علم السلطان الغزنوى

= بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولى ، ص٤١٥-٤١٦ ؛ نظامى عروضي السمرقندى : جهار مقالة ، ص١٧٠ ؛ خليل أدهم : المرجع السابق ، ص٢٥٧.

(١) البيهقي : : المصدر السابق ، ص٧٣٨-٧٣٩ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ص٧٩٥ ؛ النويري : المصدر السابق ، ج٢٦ ، ص٤٩ ؛ المنينى : تاريخ العتبى ، ج٢ ، ص٢٥٣ ، ذاكراً رد فعل رعاياه من أعيان أشياعه وأتباعه حيث اظهروا نفاراً وأصروا واستكبروا استكباراً ، وقالوا : «نحن أتباعك وأطواعك فاسلم لك الملك عن الاشتراك ، فأما إذا وضعت خدك للطاعة وضعنا السيوف =

بذلك حتى أرسل رسالة تتضمن عدم رضائه عما بدر من رعايا الأمير في أمر خاص بملكهم واعتراضهم عليه ، وأنه على أهبة الاستعداد للاتجاه بجيشه من بلخ ، وعدته ١٠٠ ألف فارس ، و٥٠٠ فيل للتوجه إلى خوارزم.

ومضمون الرسالة ثلاثة أمور :

أ – أن تقرأ الخطبة باسمه طوعاً أو كرهاً.

ب– أو يرسل الهدايا التي تليق بهم ، مقابل إعادتها إليهم سراً فهم ليسوا في حاجة إليها موضحاً «أن ارض قلاعنا لتميد عن ثقل ما تحمل من القناطير المقنطرة من الذهب والفضة».

جـ – إرسال أعيان البلاد وأئمتها وفقهائها ليقدموا العذر ، ويطلبوا الصلح حتى يعود بالأعداد المهولة المجهزة لهم.

وترتب على ذلك إعلان الخطة باسم السلطان محمود الغزنوي في كل من مدينتى نسا وفراوة ، وكذلك سائر البلاد ما عدا الجرجانية ، وإرسال «٨٣ ألف حصان» مع مشايخ البلاد قضاتها وأعيانها من أجل الاستقرار وعودة الأمور لنصابها الطبيعي[١].

وعلى الرغم من كل ما حدث إلا أن الثورة قامت في خوارزم بقيادة كبير حجابها وهو «البكتين البخارى» وكانت عدة جيشه ألف فارس

= على العواتق خلعا لك ، وتمليكاً عليك وجهاداً فيك» ؛ أحمد السعيد سليمان : المرجع السابق ، ج٢ ، ص٣٧٣ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص٤١٦ ؛ إقبال عباس الاشتيانى : تاريخ إيران بعد الإسلام ، ص١٧٦ ؛ قحطان عبد الستار الحديثي : أرباع خراسان ، ص٦٦ ؛

R.N. Frye : The Cambridge History of Aran, volume4, p.174.

(١) البيهقي : المصدر السابق ، ص٧٤١-٧٤٢ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص٤١٦-٤١٧ ؛ محمد دبير سياقي : سلطان جلال الدين خوارزمشاه ، ص٧٦.

، فقتل فيها الوزير وبعض مشايخ الدولة ، ثم حاصروا قصر خوارزمشاه ، وأشعلوا النار فيه ، وتعقبوه حتى قتلوه ، وذلك يوم الأربعاء منتصف شهر شوال عام ٤٠٧هـ/٢٠ مارس ١٠١٦-١٠١٧م ، وتولى مكانه ابن أخيه الذي يبلغ من العمر سبعة عشر عاماً[١].

٤-أبو الحارث محمد بن علي بن مأمون بن محمد خوارزمشاه «٤٠٧-٤٠٨هـ/١٠١٦-١٠١٧م»

نظراً لحداثة عمره صارت زمام الأمور ولمدة أربعة أشهر في يد حاجب الولاية« البتكين البخارى» ووزيره «احمد طغات» وعاثوا في البلاد الفساد والنهب والسلب باسم أبي الحارث خوارزمشاه ، مما مهد السبيل لاتجاه السلطان الغزنوي لضم ولاية خوارزم والانتقام لصهره المقتول ، لهذا أرسل رسولاً إليه يطالبهم بأنهم إن كانوا لا يرغبون في الأخذ بالثأر للأمير الشهيد فعليهم ترك حكم تلك الأسرة وإرسال الجناة وإعلان الخطبة باسمه ، فإن رضوا بذلك تظاهر الرسول بقبول الصلح ، وطالب بأخذ زوجة الأمير الراحل للسلطان الغزنوي محمود لتتشفع لهم ، وفي الوقت نفسه يعد السلطان الغزنوي العدة لحربهم وضم خوارزم له[٢].

---

(١) البيهقي : تاريخ بيهق ، ص٧٤٢ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج٩ ، ص٢٦٤ ؛ النويري : المصدر السابق ، ج٢٦ ، ص٤٩ «حيث خالفهم ذاكراً أنه قد أجلسوا أولاده مكانه» ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ص٧٩٥ «ولقد ذكر أنه بعد قتلهم لأبي العباس بن مأمون خوارزمشاه قد بايعوا ابنه داود ، وليس ابن أخيه» ؛ النظامي العروضي السمرقندى : جهار مقالة ، ص١٦٩ ؛ أحمد السعيد سليمان : المرجع السابق ، ج٢ ، ص٣٧٣ ؛ بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص٤١٧ ؛ عفاف صبرة : المرجع السابق ، ص٢٧ ؛ محمد دبير سياقي : المرجع السابق ، ص٧٦ ؛ .R.N. Frye : op.cit., p.174

(٢) البيهقي : المصدر السابق ، ص٧٤٣-٧٤٤ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص٤١٧-٤١٨ ؛ حسن أحمد محمود : الإسلام في آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركى ، ص١٠١

حيث أرسل رسولاً إلى ختلان وقباذيان ليعدوا السفن من هناك ، أما أعيان خوارزم فقد أرسلوا ستة أشخاص اتهموهم بإراقة دم الأمير ، راغبين في شفاعة السلطان ، والعفو منه ، وما أن يتم ذلك حتى يعقدوا معه ميثاقاً وعهداً ويقدموا له ٢٠٠ ألف دينار و ٤ آلاف فارس ، وان كانت الأمور قد تطورت للحرب عندما وجد استعدادهم لذلك ، وطلب منهم إرسال التبكين والآخرين رؤوس الأفاعي ، وكانت عدة خوارزم حينذاك ٥٠ ألف فارس وفي الوقت نفسه راسل السلطان الغزنوي كلاً من الخان والأيلك ، وأطلعهم على رغبته في ضم خوارزم ، والثار لصهره ، ولم يكن أمامهم سوى مناصرته ، بالرغم من إيمانهم بكونه سوف يكون شوكة عسرة في طريقهم.

وبدأت المعركة بتحرك السلطان من بلخ حتى وصل إلى مدينة «جكربند» بقائد جيشه «محمد بن إبراهيم الطائى» فخرج عليه قائد الجيش الخوارزمي «خمارتاش» وقتل قوما من أقارب محمد الطائى[1]. وما إن وصل الخبر للسلطان الغزنوى حتى تقابل مع الثوار والقتلة وصارت الغلبة للغزنويين ، وأرسل من يتعقب خمارتاش واهلكوا جميع جيشه وكان عدد القتلى لا يحصى ، وفي اليوم التالى وصلوا إلى مدينه هزاراسب ، فأتي جيش آخر من خوارزم ، ودارت رحى الحرب ، وكانت الغلبة للمرة الثانية للغزنويين ، وأسر البتكين الحاجب قائدهم ، استولى السلطان محمود الغزنوي على خوارزم ، ودخل الجرجانية في «٥ صفر عام ٤٠٨هـ/٣ يوليو ١٠١٧م» وقضى على الثوار ، فمنهم من قتل ومنهم من أدب ، وبعضهم وضع في الأغلال والقيود وسجنهم إلى جانب الأسرى الذين ساروا إلى أطراف الهند ، وبلغ عددهم زهاء ٥ آلاف أسير.

---

(١) البيهقي : المصدر السابق ، ص٧٤٤ ؛ المنينى : تاريخ العتبي ، ج١ ، ص٣٥٦ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص٤١٨-٤١٩.

ولقد قيل في ذلك هذا الرباعى :

هكذا يظهـر السيف الملكـى والآثار وهكذا يفعل العظماء إذ لزم القتال

انظر سيف الملك ولا تقرأ كتب الأولين فإن سيفه أكثر أنباء من الكتب[1].

---

(١) المنينى : تاريخ العتبي ، ج٢ ، ص٢٥٦-٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ذاكراً «الذي أمر بكتابة على جدران تلك المقبرة – مقبرة أبي العباس – إن هذا قبر فلان بن فلان بغـي عليه حشمه واجترأ على دمه خدمه ، فقبض الله عين الدولة وأمين الملة حتـى انتصر له منهم وصلبهم على الجذوع عبرة للناظرين وآيـة للعـالمين» ؛ ابـن خلدون : المصدر السابق ، ص٧٩٦ ، ذاكراً «فبعد أن بعث الباغين إلى غزنـة فأخرجوا في البعوث إلى الهند ، وأنزلوا هناك في حامية الثغور ، وأجريت لهم الأرزاق» ؛ النويري : المصدر السابق ، ج٢٦ ، ص٤٩ ؛ أحمد السعيد سليمان : المرجع السابق ، ج٢ ، ص٣٧٣ ، قائلاً : «إن محمود الغزنوي بعـد ثلاثـة أشهر ونصف على خوارزم عين عليها نائباً» ؛ بارتولد : تركستان مـن الفـتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص٤١٩ ، ذاكراً «أن يرمي زعماء الثورة الثلاثة تحت أرجل الفيلة ، ثم علقت المشانق ، وقد شدت إليها الحبال ، وفصـل بـين رؤوس المشانق ببناء من الآجر والجص ، وكأنها جسور ثلاثة ، وكتبت عليهـا أسماؤهم» ؛ إقبال عباس الاشتيانى : تاريخ إيران بعـد الإسـلام ، ص١٧٦ ؛ عفاف صبرة : التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية ، ص٢٨ ؛ براون : تاريخ الأدب في إيران ، ج١ ، ص٢٠٨ ؛ محمد دبير سـاقي : المرجـع السـابق ، ص٧٦ ؛ حبيب الله شمالوئي : تاريخ إيران ازماد تا بلهوى ، ص٤٣١ ، ذاكراً قصيده العنصري قائلاً :

جنين نمايد شمشير خسروان آثار جنين كنـد بزرگـان جوكـرد بايكار

بنيغ شاه نكرنامه گذشتة فحـوان كه راست گوئي تراز نامه تبغ اوبسيار

ب- الأسرة الثانية «الألتونتاشية»[1] في خوارزم «٤٠٨ - ٤٢٩هـ/١٠١٧ - ١٠٢٧م» :

قضى السلطان محمود الغزنوي على الأسرة الأولى في إقليم خوارزم عام «٤٠٨هـ/١٠١٧م» وولى عليها كبير حجاب أبيه سبكتكين الأمير التونتاش ، الذي كان يشغل وظيفة «سيهسالار كبير» أي الحاجب الكبير لدى كذلك السلطان محمود الغزنوى ، وهو رجل عظيم متصف بالحنكة والكفاءة ، والرأي السليم ، وحسن الإدارة والمشورة ، لذا كان السلطان دائما يستشيره في كل ما يعتريه من الأمور[2]. وخير مثال على ذلك استشارته في اختياره لولى العهد من بعده ، فرشح له الأمير مسعود[3].

---

(١) **التونتاش** : كبير الحجاب على عهد السلطان محمود الغزنوى ، وكنيته أبو سعيد ، وهو مملوك تركي ، وبعدها صار قائداً لجيش السلطان الغزنوى سبكتكين ، قام بالعديد من الأعمال في ظل وجود السلطان محمود الغزنوى ، فكان قائد الجناح الأيمن في جيشه في تلك الواقعة التي كانت بين الغزنويين والقراخانيين في ٢٨ ربيع الثاني ٣٩٨هـ/٤يناير ١٠٠٨م ، وبعدها صار واليا على هراه عام ٤٠١هـ/١٠١٠-١٠١١م ، وعندما فتحت خوارزم على يد السلطان الغزنوى عام ٤٠٨هـ/١٠١٧م ، صار والياً تابعاً للسلطان محمود وظل بها حتى توفي ٤٢٣هـ/١٠٣٢م ، في واقعة الدبوسية متأثرا بجراحة ، عندما أرسله السلطان لتأديب على تكين ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج٩ ، ص٧٦ ؛ المنينى : تاريخ العتبي ، ج٢ ، ص٢٥٩ ؛ دائرة المعارف الإسلامية : ج٤ ، ص١٧٩-١٨٠ ؛ أستاذ خليلي : سلطان غزنويان ، ص٣٠٤.

(٢) البيهقي : تاريخ بيهق ، ص٧٤٦ ؛ نظام الملك الطوسي «سياسات نامة» ؛ ترجمة وتعليق : السيد محمد العزاوى : (دار الرائد العربي ، القاهرة ، ١٩٧٥م) ، ص٢٩٧ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الرابع ، القسم الرابع ، ص٨٢٤ ؛ أستاذ خليلي : المرجع السابق ، ص٥٠ ، ٣٠٤.

(٣) البيهقي : تاريخ بيهق ، ص٩٠ ، حاشية(٥) ، حيث ذكر خطابا في الحاجب التونتاش «بسم الله الرحمن الرحيم بعد الصدور والدعاء أن للعم الفاضل الحاجب التونتاش خوارزمشاه في قلبنا منزله تعادل تلك التي كانت لوالدنا السلطان الراحل ، ذلك لأنه رشحنا لتلك المرتبة وأيدنا وآزرنا حتى وافق الوالد على رأيه ، وتقررت لنا ولاية العهد بحسن مؤازرته وتأييده».

وبعد توليه ولاية خوارزم أنعم عليه السلطان محمود الغزنوى بوراثة لقب الأمراء السابقين ، وهو لقب خوارزمشاه ، وترك معه جزءاً من جيشه ، وغلامه أرسلان جاذب «والى طوس» مدة وجيزة يساعده فيها على عودة الأمور إلى ما كانت عليه من استقرار[1].

- **أوضاع خوارزم بعد تولى التونتاش مباشرة** :

بمجرد تسلم التونتاش ولاية خوارزم وعودة السلطان محمود الغزنوى سائراً أمامه صف من الأسرى «قطار الأسرى» من بلخ حتى لاهور وملتان ووضعهم في القلاع حتى يتم اعتقالهم ، ثم توزيعهم على مناطق استخدامهم ، فما لبث أعوان أبي العباس وأنصاره وعلى رأسهم حماه «أبو إسحق» وكثير من رجال خوارزم من الاتجاه إليهم للاستيلاء عليها ولكنهم فشلوا فشردوا وهزموا ، ولقد نصب أرسلان جاذب مذبحة ذكرت الناس بما حدث أيام الحجاج بن يوسف الثقفي ، ثم عاد الهدوء للإقليم ، ورجع أرسلان بعد أن أنهى مهمته وبقي التونتاش[2].

---

(١) البيهقي : المصدر السابق ، ص٧٤٥-٧٤٦ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج٩ ، ص٩٠ ؛ عماد الدين أبو الفدا إسماعيل : المختصر في أخبار البشر ، ج٢ ، ص١٦٦ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ، ١٣٥١هـ/١٩٣٢م ، ج١٢ ، ص٥ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ص٨١٠ ؛ أحمد حسن محمود : المرجع السابق ، ص٥٠ ؛ السيد الباز العرينى : المغول ، دار النهضة ، بيروت ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ، ص٨٠ ؛ دائرة المعارف : ج٩ ، ص١٥ ؛ ميرخواند : روضة الصفا ، ص١٤٩ ؛ محمد دبير سياقي : المرجع السابق ، ص٧٦ ؛ الكرديزى : زين الأخبار ، ص٢٩٤ ، حيث قال : «عين السلطان محمود حاجبة الكبير التونتاش لحكم خوارزم ، وأعطاه خوارزم وكرگانج ، حيث ظل حاكماً عليها حتى آخر عهده» ؛ أستاذ خليلي : المرجع السابق ، ص٣٠٠ ؛ R.N. Frye : op. cit., p.174.

(٢) البيهقي : تاريخ بيهق ، ص٧٤٥-٧٤٦.

ولم ينته الأمر عند هذا الحد ، ولكون تلك الولاية صارت تابعة للسلطان الغزنوى ومطمعاً له في أي وقت شاء ، لذا ترك من قواته ما يقارب من ألف فارس تحت قيادة «قلباق» ، وغيره إلى جانب غلمانه ، وكان الوالى الجديد ملزماً بتوفير ما يحتاج إليه هؤلاء من أموال وهدايا.

وفي الوقت نفسه ونظرا لفطنته وسياسته الحكيمة بخبرته السابقة لزم الأمر وجود قاعدة حربية تابعه له غرضها حماية تلك الولاية ، وإلا يسمح لهؤلاء بحجة إقامتهم في خوارزم بالقيام بأي ثورة واتخذ «أحمد بن عبد الصمد» وزيراً له وكان وكيل بلاطه رجلا يدعى «تاش»(١).

ولقد كانت العلاقات بين الغزنويين والخوارزميين ودية يسودها التقدير والاستشارة ، ولكن ما لبث أن تبدل الحال ، وذلك بسبب رغبة التونتاش في الاستقلال بهذا الإقليم هو وأبناؤه وأحفاده من بعده ، ولكن لهيبة السلطان محمود وسطوته التي أوقعت الرهبة في قلوب ملوك عصره رأي من الصواب تأجيل ذلك حتى تحين الفرصة له ، تلك التي تمثلت في مشكلة ولاية العهد بعد وفاة السلطان محمود الغزنوي وترك ولاية العهد لابنه محمد دون الأمير مسعود ، وعلى أثرها انقسمت الدولة الغزنوية إلى حزبين الأول حزب مناصر للأمير محمد «المحموديين» ، والحزب الآخر لمسعود «المسعوديين» ، وكانت الغلبة في النهاية للأمير مسعود ، حيث نودى به سلطاناً على البلاد عام «٤٢١-٤٣٢هـ/١٠٣٠-١٠٤٠م»(٢).

---

(١) البيقهي : تاريخ بيهق ، ص٧٤٦.

(٢) البيهقي : المصدر السابق ، ص١-٢ ، ١٧-١٨ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج٩ ، ص٣٩٩ ؛ إقبال عباس الأشتانى : تاريخ إيران بعد الإسلام ، ص١٨١ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الرابع ، القسم الرابع ، ص٨١٠ ؛ حبيب الله شمالوني : تاريخ إيران ازماد تا بلهوى ، ص٤٣٢.

ولقد حصل على لقب شهاب الدولة وجمال الملة في شوال عـــام ٤١٧هـ/١٠٢٦م ، من قبل الخليفة القادر بالله «عندما أرسل العهد ولــواء خراسان والهندوستان والتيمروز وخوارزم» للأمير محمود الغزنـــوى ، فلقب أبناءه معه ومنهم مسعود ، وكذلك الأمير محمد ولقبه جلال الدولـــة وجمال الملة[١].

ولقد كان لألتونتاش دور في هذا النزاع – كما أشار ابن الأثير – فيذكر أن الأمير مسعود راسل أخيه طالباً منه تقديم اسمه على اسم محمد في الخطبة ، ولكنه أبى ، وكذلك فعل التونتاش حيث نصحه بموافقة أخيه وترك مخالفته ، ولكنه لم يستجب لأحد ، حتى انتهى به المطاف في قلعة تكتاباذ[٢].

- **دوافع الأمير التونتاش لترك غزنة والبقاء في إمارته خوارزم :**

بعد وفاة السلطان محمود الغزنوي صارت الأمور غير مطمئنة ، وكثرت المؤامرات نحو التونتاش من أجل القبض عليه من قبـــل وزيـــر السلطان مسعود الغزنوى وهو «أبو سهل محمد بن الحسين الزوزنـــى» لولا فطنة الأمير وإدراكه لذلك[٣].

ولقد ذكر ذلك لرئيس ديوان الرسائل قائلاً «أن السلطان الأعظـــم رجل عظيم ، ولكن الذين أحاطوا به يعد كل واحد منهم نفســـه وزيـــراً ، وهو يسمع ولا يعمل بقولهم ، فيزينون له الباطل ، ويصدونه عن الحق ، وانهم سيهدمون بدسائسهم هذا الصرح المشيد»[٤].

---

(١) على الشابي : الأدب الفارسي في العصر الغزنوى ، ص٣٦ ؛ الگرديزى : زين الأخبار ، ص٣٠٩.

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج٩ ، ص٣٩٩-٤٠٠.

(٣) البيهقي : المصدر السابق ، ص٢٦ ؛ الگرديزى : زين الأخبار ، ص٢٩٤.

(٤) البيهقي : المصدر السابق ، ص٢٦-٢٧.

كذلك تلك الرسالة التي أرسلها وزيره بشأن بعض القبائل التركية من التركمان ، والذي سمح لهم بالإقامة فترة من السنة لحماية حدود إمارته ، وهم «تلك القبائل التركية التي تتجمع حول قائدها ، وهم جند مأجورون يحاربون في جيش من يدفع لهم أجوراً باهظة ، ويتصفون عن باقي الجند بالجرأة في القتال ، واعتزاز النفس ، والكبرياء ، والاستقلال في الفكر ، وان كانت فيهم صفات البدو الرحل ، فهم يميلون إلى السلب والنهب ، ومن الصعب السيطرة عليهم ، لذا أخبره الوزير أن بعضا من تلك القبائل مثل : كجات ، جقراق ، قبجاق[1]. بدؤوا يتحركون أثناء غيابه

---

(١) **القبجاق** Kipchaks : هم فرع من الكيماك ، تتكون من عدة قبائل منهم الذين يعود أصلهم إلى آسيا الوسطي ، وهاجروا منها إلى المنطقة التي تمتد من نهر ايرتيش إلى نهر الفولجا ونهر Kama ولهم مسميات عديدة مرجعها إلى صلتهم بمن حولهم ، فأطلق عليهم الروس اسم بولووتس Polovtsy ، أما الأوروبيون الغربيون والبيزنطيون فأطلقوا اسم كومان «قومان Commans» أو Kumans ، ولدى العرب القفجاق ماعدا الإدريسي الذي ذكرها تحت اسم القومان ، وهم بدو ليس لهم علم بالإسلام ، ولم يكونوا أعداء للمدينة الإسلامية ، وفي بداية القرن ١١م انتشروا وزادت كثافتهم في حوض نهر ايرتيش ، واندفعوا إلى أراضي الغز واتجهوا إلى الجنوب والغرب بدلاً من الشمال ، لذا استولوا على أراضي الغز التي تركوها في حوض نهر سيحون ، وكانوا وراء تدمير البجناك ، وبالرغم من ذلك لم تكن لديهم وحدة سياسية ولا دولة ، بل كانوا وحدات متفرقة يتولى أمرها خان ، وفي القرن ١٢م كونوا أسرة حاكمة ، وكانوا دائما في حالة من الشد والجذب بينهم وبين المسلمين ، وبذلك فقد المسلمون السيطرة على مدينه دربند ، وكذلك منطقة شابه ران شروان ، ولكن بمساعدة الكرج استعادوا تلك المناطق ، فكانوا بخلاف الترك حيث كان خاناتهم يستعينون بأصحاب المدينة العسكرية الإسلامية والشئون العسكرية ، إلى جانب أن لهم إمارات غير مسلحة واقفة على الحدود القريبة من البلاد الإسلامية فشغلوا بعض المدن مثل : سوغان «قوزغان الحالية» ، وصارت عاصمة لهم. =

لذا خشي من حدوث فتنه»[1]. وخاصة أن الأمير التونتاش منذ تولية إمارة خوارزم قد اخذ على عاتقه حماية حدود بلاده من غارات تلــك القبائــل الرحل المجاورة.

ولم ينته الأمر عند هذا الحد بل نجد السلطان مســعود الغزنــوى يبعث برسالة مختومة بإمضائه إلى القائد «منجوق» ومن المرجح كونــه

= **علاقتهم بالخوارزميين** : كانت بينهم صلة قوية بحكــم الجــوار منــذ عــام ٤٢١هـ/١٠٣٠م ، وتأثرهم بالمدينة العسكرية ، كل ذلك كان وراء دخولهم فــي الإسلام بأعداد كبيرة وتم ذلك بالفعل في النصف الثاني من القرن١٢م وبعضهم اعتنق المسيحية ، ولهم دور آخر حيث يقصدهم التجار لأخذ البضــائع ، فهــم يبيعون الثياب وغيرها مقابل شراء الجواري والمماليك منهم كالرقيق وخاصــة رقيق الترك ، إلى جانب القندس والبرطاس ، وأشياء أخرى عديدة ؛ شيخ الربوة : نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، ص٢٦٤ ؛ سعد زغلــول عبدالحميــد : الإسلام والترك في العصر الوسيط ، ص١٧٥ ؛ السيد الباز العريني : المغول ، ص٣١ ؛ بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص١١٢-١١٦ ؛ دائرة المعارف الإسلامية : ج١٢ ، ص٧٢ ؛
Ibrahim Kafeso Glu : Hakkidursum a short history of Turkish Islamic state excluding the ottoman state, p.13-14.

(١) البيهقي : المصدر السابق ، ص٣٤ ، ٨٨ ، ويتضمن كلام البيهقــي معنيــين : الأول : يتمثل في كون تلك القبائل مجاورة ، واتضح من خلال معالجتنا للقبجاق ، لذا كانوا يثيرون الفتن منتهزين غياب حاكم ذلك الإقليم ؛ وهــذا مــا أيــده : بارتولد ؛ وكذلك : R.N. Frye : op. cit. p.191 ؛ ثم ذكر في موقف ثــان : وهو ترجيح ثان يتحدث بكون التونتاش قد تخلص من جيش ضخم وكون جيشــاً أعضاؤه من الكوشك Qipchaq والتركمان كقوات معاونة للدفاع عــن إقليمــه حتى لا يتعرض لهجوم خارجي ، ولقد ترك ذلك رد فعل مخالف لدى الســلطان الغزنوى ، وزود في اعتقاده رغبة التونتاش في الاستقلال ، لذلك أكثر الحيــل لعودته إلى غزنة ، وكذلك فعل مسعود الغزنوى من بعــده مــع هــارون بــن التونتاش.

أمير جيش قبيلة كجات التركية ، وهم من الموالين للسلطان الغزنوى والناقمين على خوارزمشاه يحثه فيها على قتل الوالى ، ولكن نظراً لغروره وتطاوله على خوارزمشاه ، وفطانة وذكاء وزير التونتاش «أبى نصر أحمد بن على بن عبد الصمد» أبعده عن خوارزم شاه ، وقبضوا عليه ، وقد ساعدهم على ذلك تلك الرسالة المعماة «وهو الكلام الذي عمى معناه وخفي» التي أرسلها «أبو سعيد المسعدى» لوزير التونتاش بأمر تلك المؤامرة ، وعليها تصرف الوزير ، وأقصاه وقضى عليه في الحال[1].

ومن الجائر أن يكون السلطان مسعود الغزنوى قد علم بكل تلك المؤامرات التي دبرت من قبل الوزير لواليه ، لذا تعددت الرسائل المرسلة إليه للحصول على رضا ذلك العم كما كان يناديه ، ولقد أذن له بالذهاب إلى خوارزم ، وما أن علم التونتاش بذلك حتى قبل الأرض ، وقال : «وددت لو اعتزل الجندية لأبقي في غزنة بجوار ضريح السلطان الماضي ، وقد بلغت من الكبر عتيا ، ولكن الأمر العالى مطاع ، وسأمتثل لما أمرني به مولاى» وفي اليوم التالي وصل ركب السلطان الغزنوى إلى فارياب وأخلع عليه العديد من الخلع ، فكانت أعظم مما كان أيام السلطان الراحل محمود الغزنوى ، وأبدى التونتاش فروض الطاعة ، وعاد إلى خوارزم[2].

وإن كنت أرجح أن إصرار التونتاش على العودة مرة ثانية إلى خوارزم يرجع إلى رغبته الملحة في إعلان استقلاله منتهزاً ما كانت عليه الدولة من فتن ومؤامرات ودسائس ، وإن كنت استشف ذلك من خلال

---

(١) البيهقي : تاريخ بيهق ، ص٦١ ، ٣٣٥ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج٩ ، ص٤٣٢ ؛ أستاذ جليلي : المرجع السابق ، ص١٨٠.

(٢) البيهقي : المصدر السابق ، ص٨٦ ، ٨٧١.

ذكره لعبارته عندما أراد العودة إلى خوارزم ، «وإن الخير في أن نبادر بالسفر إلى خوارزم حيث نعيش كما يعيش السلطان مسعود نفسه»[1].

- **معركة دبوسي[2]:**

١ – أسبابها :

ذلك الصراع الدائم بين السلطان الغزنوى محمود وبين الأمير الخانى على تكين من اجل الدفاع عن ممتلكاتهم في خراسان ثم تجدد الصراع مرة ثانية على عهد السلطان مسعود الغزنوى ، وخاصة عندما راسل السلطان مسعود الأمير تكين لمساعدته في مشكلة وراثة العرش والوقوف بجانبه ومناصرته ، ومقابل ذلك أن يعطى لأحد أبنائه إقليما كاملاً ، ولكن ما لبثت أن انتهت تلك المشكلة دون أدنى تدخل من قبل الأمير الخانى ، وبالتالي لم ينفذ السلطان الغزنوى ما وعده به ، مما آثار غضب على تكين ، وترتب على ذلك مراسلة السلطان الغزنوى مسعود للتونتاش مع شخص يدعى «عبدوس» في صورة شكوى من على تكين ، ذاكراً «أن عليا قام بما ليس من شأنه القيام به فلم يكن من الأولى به أن يقتدى بخوارزمشاه ، وإن يكون على شاكلته ، وقد كان عليه أن يسير حتى يأتي ، فانه واحد من الموالى والحشم ، فكان الأجدر به أن يفعل مثلما فعل ، وأن يسير كما ساروا ، ثم ما الذى حمله على الوقيعة بأخي بعد أن عمل على تنصيبه ، ولماذا خالف أوامره ، وحنث بتلك الأيمان الغليظة لقد كان ينطق بالخيانة ، وهذا ما دعانا إلى اعتقاله ، لأن المصلحة تدعو إلى ذلك. وكان رد التونتاش عليه بالنصح ، وقال : «لكن ما تفعله الملوك في عبيدها هو عين الحق والصواب ، ومن ذا يستطيع أن

---

(١) البيهقي : تاريخ بيهق ، ص٢٧.

(٢) بلده بين بخارا وسمرقند ؛ ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج٣ ، ص٢٤٥.

يرى ما يراه مولانا»[1]. لذا جهز جيشا بقيادة التونتاش خوارزمشاه من اجل محاربته والقضاء عليه وحماية ممتلكاتهم في خراسان[2].

٢ – الترتيب للمعركة :

أ – الجانب الغزنوى :

خرج السلطان الغزنوى في اليوم التالي من إرساله للأمير التونتاش للصحراء لكى يستعرض قواته التي سوف تلحق بجيش التونتاش معطيا الأوامر بإطاعته ، فخاطب كلا من «بكتكين جوكانى ، وبيرى قائد الاصطبلات المسعودية» ، وغيرهما من القواد قائلا : «كونوا عقلاء يقظين ، وامنعوا الجند من التعدى على الناس سواء في بلادكم أو غيرها من بلاد الأعداء ، حتى لا يقع الظلم على أحد» ، وكانت عدتهم ١٥ ألف جندى تقريباً ، ومعهم كاتب البيهقي ، إلى جانب فرقة أخرى من الجيش قائدها «تاش فراش» سبهسلار ، والكاتب طاهر ، ومعهم ٤ ألاف فارس من الفرسان ليكونوا مدداً للجيش الزاحف[3].

ب – الجانب الخوارزمي :

جمع التونتاش جيشاً من خوارزم ، وعبر جيحون عن طريق بخارا مراقباً للبريد حتى وصلت الأخبار بمعرفة علي تكين بعبور خوارزمشاه للنهر لذا سلم بخارا إلى غزاة ما وراء النهر ، وجمع كل ما يخالف عليه واتجه إلى دبوسي ، لذا أرسل التونتاش عشرة من فرسانه واتجهوا فما إن رأي غزاة ما وراء النهر وبخارا ذلك حتى أعلنوا الطاعة والخضوع للدولة الغزنوية ، قائلين : «إنا كنا نأمل منذ زمن بعيد أن

---

(١) البيهقي : المصدر السابق ، ص٦٠.

(٢) البيهقي : المصدر السابق ، ص٣٢ ، ٢٦٣ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص٤٣٩ ؛ R.N. Frye : the Cambridge History of Aran, p.191.

(٣) البيهقي : المصدر السابق ، ص٢٦٣ ، ٣٥٨-٣٥٩ ؛ خواندمير : حبيب السير في أخبار أفراد البشر ، المجلد الثاني ، الجزء الرابع ، ص٣٩١.

نكون من رعايا السلطان الأعظم ملك الإسلام شهاب الدولة أدام الله سلطانه ، فتلطف معهم خوارزمشاه» وأمر باقتحام القلعة ، وأسر ٧٠ من خيره الغلمان ، وأرسلهم للسلطان مسعود ، ونهبت القلعة واستولوا على ما بها ، ثم استولى على كل الطرق من يمين وشمال ، لكى لا يحدث أي خلل في الكمين المعد لعلى تكين[١]. ثم اتجه إلى دبوسي حيث جيش علي تكين المكون من التركمان والسلاجقة والكشرية ، وهو مكان حصين متصل بالصغانيان[٢].

وتقابل الجيشان واشتد القتال بينهما ، ولقد ذكر خوارزمشاه عن تلك المعركة قائلاً «لا يذكر لها مثيلاً في حياته»[٣]. وكانت الدائرة على جيش على تكين بالرغم من إصابة خوارزمشاه في قدمه وفي الموضع نفسه الذي أصيب فيه من قبل أثناء حروبه في الهند ، والتي مات متأثراً بها[٤]. وترتب على ذلك طلب على تكين للصلح ، وكذلك شفاعة التونتاش عند السلطان له ، حتى تستقيم الأمور ، وتمنع أراقه الدماء ، ومات التونتاش في تلك المعركة عام «٤٢٣هـ/١٠٣١م»[٥].

---

(١) البيهقي : تاريخ بيهق ، ص٢٦٤ ؛ بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص٤٣٩.

(٢) البيهقي : المصدر السابق ، ص٢٦٤.

(٣) البيهقي : المصدر السابق ، ص٣٦٧.

(٤) البيهقي : المصدر السابق ، ص٣٦٨ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج٩ ، ص٥٠٤.

(٥) البيهقي : تاريخ بيهق ، ص٢٦٩-٣٧١ ، ٣٠ ؛ أحمد السعيد سليمان : المرجع السابق ، ج٢ ، ص٣٧٤ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص٤٤٠ ؛ عفاف صبرة : المرجع السابق ، ص٢٧ ؛ إقبال عباس الاشتيانى : تاريخ إيران بعد الإسلام ، ص١٩٤ ؛ نظام الملك الطوسي : سياست نامه ، ص٢٩٣ ، حاشية(٧) ؛ .R. N. Frye : op. cit., p.191

- **نتائج تلك المعركة :**

١- مدى ثقة الغزنويين في الخوارزميين والاعتماد عليهم في توطيد نفوذهم السياسي في آسيا الوسطى.

٢- حرص الغزنويين على الحفاظ على خراسان من هجمات على تكين وفتنته ، ومحاولة حصولهم على الاعتراض بنفوذهم ، وذلك بتبادل الرسل بين مسعود الغزنوى وخانات تركستان.

٣- فقدت الدولة الغزنوية قائداً من أعظم قوادها وهو التونتاش ، وتولى من بعد ابنه الذي احتفظ بلقب خوارزمشاه.

٤- أوضحت تلك المعركة الموقف من آسيا الوسطى في بداية القرن الخامس الهجري وانقسامها إلى مناطق نفوذ ، وتصارع قوى مختلفة من العناصر والدول التركية ، من أهمها : القره خانيين الغربيين في ما وراء النهر وكذلك الشرقيين في تركستان مع تواجد النفوذ الخوارزمي في البلاد الخوارزمية ، حيث نفوذ الغزنويين الاسمي فقط.

٢ – هارون بن التونتاش «٤٢٣ – ٤٢٥هـ / ١٠٣١ – ١٠٣٣م» :

بعد مقتل التونتاش خوارزمشاه أرسلت رسالة من السلطان محمود الغزنوى للوزير هارون الذي كان رئيس ديوان والده من قبل[١]. قائلاً : «إنا مقدرون ما بذله خوارزمشاه هذا الشيخ المخلص في خدمتنا حتى إنه ضحى بنفسه في سبيلنا وإنا حافظون له حقوقه في أبنائه المقيمين عندنا ، وهم أهل خدمتنا وسنرسل رجلاً لتدبير الأمر على إثر هذا حتى يقوم بما يجب» ، ثم تبعه كتاب آخر أرسل إلى خدم خوارزم فيه ثناء على ما فعله وقام به خوارزمشاه[٢].

---

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج٩ ، ص٤٣٢ ؛ الگرديزى : زين الأخبار ، ص٣٢١.

(٢) البيهقي : تاريخ بيهق ، ص٣٧٦.

وبعدها بدأت الإجراءات الخاصة بتولية هذا الوالى مكان والده ، وإن اختلف الأمر عن والده ، فكانت الولاية خالصة لوالده ، أما هو فأصبحت مجرد ولاية نيابة عن الأمير سعيد بن مسعود الذي يذكر أنه حمل لقب خوارزمشاه[1].

ولقد اختلف معهم البيهقي ، فقال : «إنه قد نصبه مكان والده في خوارزم ، وأعطى تلك الولاية لابنه سعيد بدلاً من السلطان مسعود الغزنوى ، وكان هارون نائباً عنه ، ولقب بلقب خوارزمشاه ، وألقاب أخرى مثل خليفة الدار ، وكذلك لقب كان يخاطبه به هو «ولدى ومعتمدى» ، وتناول خلعه وإن كانت أقل من خلع والده بمقدار النصف ، وتم ذلك في ٨ من جمادي الأولى عام ٤٢٣هـ/١٠٣٢م ، وتلي ذلك قسم هارون بن التونتاش على تلك الولاية أمام الشهود والأعيان ، ثم استأذن في العودة لخوارزم ، ولقد كان لهارون أخ أكبر منه ، وأكثر قوة ويقظة ، معتقداً حقه في وراثة عرش خوارزم ، ولكن السلطان وعده بكونه أجدر بما هو أكبر من خوارزم[2].

---

(١) ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الرابع ، القسم الرابع ، ص٨٢٤ ؛ دائرة المعارف الإسلامية ، ج٩ ، ص١٥ ؛ محمد دبير سياقي : المرجع السابق ، ص٧٦ ؛ طه ندا : النصوص الفارسية ، (دار المعارف ، ط٢ ، الإسكندرية ، ١٩٧٨م) ، ص١٢٩.

(٢) البيهقي . تاريخ بيهق ، ص٣٧٦-٣٧٧ ، ولقد ذكر له مسعود أثناء عودته إلى خوارزم بعد الولاية قائلاً : «كن يقظاً واجعلني نصب عينيك لتزداد منزلتك عندى ، وإن أحمد منك كأبيك فأطع أوامره ، وارع خدام أبيك واعرف لهم ماضيهم ، ولا تنس اصطناع عظمائنا» ؛ أحمد السعيد سليمان : المرجع السابق ، ج٢ ، ص٢٧٤ ؛ حسن أحمد محمود : الإسلام في آسيا الوسطي بين الفتحين العربي والتركي ، ص٥٠ ؛ بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص٤٤١ ؛ دائرة المعارف الإسلامية : ج٩ ، ص١٥ ؛ عصام الدين عبد الرءوف : تاريخ الإسلام في جنوب غرب آسيا في العصر التركى ، =

ويتضح من تلك البداية التي بدأت بها الدولة الغزنوية مع الخوارزميين عدم الثقة ، ومحاولة إعادة توثيق العلاقات فيما بينهما ، بل وتبعيتها لها أيضاً ، ولقد أتت تلك المحاولة بنتائج معاكسة تماماً.

ويتضح من الأحداث التي تلت ذلك محاولة هارون الجادة في الاستقلال عن الدولة الغزنوية ، فلم تمر فترة طويلة حتى بدأت الأمور تظهر بصورة جلية ، حيث مهد لذلك طلب السلطان الغزنوى لوزير هارون نظرا لوفاة وزيره الميمندى ، وأسندت الوزارة لابنه من بعده عبد الجبار كوزير لهارون بن التونتاش[1].

- **تدهور العلاقات بين هارون خوارزمشاه والغزنويين :**

أ – أسباب ذلك :

١- ما قام به السلطان الغزنوى من أخذ وزير هارون وتولية ابنه عبد الجبار لوزارته ، وكره هارون لتلك الأسرة المسيطرة على كل أمور خوارزم هو ورجاله من قرناء السوء ، وتدهور الموقف في آسيا الوسطي[2].

= (دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٧٥م) ، ص١٦٤ ؛ خواندمير : دستور الوزراء ؛ تأليف وترجمة وتعليق : حربي أمين سليمان ؛ تقديم : فؤاد عبدالمعطى الصياد : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٠م ، ص٢٣٩ – ٢٤٠ ؛ R.N. Frye : The Cambridge History of Aran, p.192.

(١) خواندمير : دستور الوزراء ، ص٢٣٩ ، فيذكر أن السلطان مسعود قد استدعى أبا نصر أحمد من خوارزم وأسند إليه منصب الوزارة ، فتولى مهام السلطنة ، وكذلك تدبير أمور الجيش والرعية ، ولقد شغل هذا المنصب ما يقارب من عشرين عاماً في عهد السلطان مسعود ، وعامين أثناء حكم ابنه مودود ، وإن كان قد ختم حياته في السجن ، وذلك بتدبير من الأمراء وختموا حياته بأن وضعوا له السم في الشراب ، ص٢٤٠ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الرابع ، القسم الرابع ، ص٨٢٤.

(٢) البيهقي : تاريخ بيهق ، ص٧٤٧ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص٤٤١.

٢- مقتل أخي هارون «حيث كان ثملاً ، فسقط من مكان مرتفع» ، وإن كان قرناء السوء وشوا لهارون بكون السلطان الغزنوى وراء اغتياله ، وإن كان ذلك سبباً ظاهرياً لثورة هارون ورغبته في الاستقلال.

ب – أحداث هذا التدهور :

١ – الجانب الخوارزمي :

بدا هارون في فرض سلطانه على الأمور بأكملها إلى جانب احتقاره لآراء عبد الجبار ونقده له في مجلس المظالم وقامت محاولات عديدة لإقامة الصلح بينهما ، ولقد حاول أحمد بن عبد الصمد وابنه عبد الجبار نقل تلك الصورة غير المطمئنة للسلطان مسعود ، ولكن محاولاتهم باءت بالفشل ، ومرجع ذلك تلك الرسائل التى كان يرسلها صاحب بريد الأمير هارون الذي يكتب ما كان يريده هارون وما يوافق هواه.

ولم ينته الأمر عند هذا الحد بل وصل إلى غرور هارون بسبب الموقف المضطرب في خراسان نتيجة تمكن التركمان من الأمور قبل مجئ السلاجقة ، لذا تراءى له أنه قد صار حاكماً على خراسان ، لذا كانت الخطوة التالية هي الاتحاد مع التركمان ، وكذلك تحالفه مع علي تكين عدو الغزنويين ، وكذلك اتفاقه مع التركمان ليأتوا كل عام من غور بخارا إلى «اندرغار» ويقيموا بها مدة ، كل ذلك مكنه من التفاف العديد من الأعوان حوله ، لذا أعد ١٠٠٠ غلام تقريباً ، وأعد لنفسه المظلة والراية السوداء ، ودبر الأمر للقبض على عبد الجبار ، لكنه تمكن من الهرب[١]. ومعه أبو سعيد السهلى ، ولم يتمكن من الوصول إليه ، وتولى من بعده في الوزارة شخص يدعى «أبا نصر البرغشى».

---

(١) البيهقي : تاريخ بيهق ، ص٧٤٧ ؛ بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص٤٤١ ؛ R.N. Frye : op. cit., p.192.

ثم كانت الخطوة العملية لكل ما سبق ، وذلك في ٢٣ رمضان من عام ٤٢٥هـ/١٠٣٣م حيث أعلن الخطبة باسمه واسم الخليفة العباسي وحذف اسم السلطان الغزنوى ، وكان ذلك أول يوم تعيشه خوارزم في استقلال كامل خاص بها ، ولكنه لم يدم طويلا ، إلى جانب مقدم طغرل داود ، ولينااليون والسلاجقة مع جيش كبير كامل العدد ، وسمح لهم بالإقامة على حدود خوارزم في بعض المناطق الخاصة بهم ، وهي : «رباط ماشه ، وشراه خان» ووفر لهم ما يحتاجون إليه من الهدايا ، وقد مهدهم لمساعدته في حروبه في خراسان ، ليكونوا في مقدمة جيشه[1].

٢ – الجانب الغزنوى :

كان السلطان مسعود الغزنوى مدركاً أن هارون سوف يشق عصا الطاعة وتأكد له ذلك من خلال كتابين وصلا إليه : أحدهما كتاب من أحد الجواسيس عن اختيار وزير جديد بدلاً من الوزير الهارب ، والآخر يخبره بحذف اسم السلطان مسعود الغزنوى من خطبة يوم الجمعة ، فاجتمع بوزيره الذي كان دائماً يتهمه بكون ما حدث من اضطراب في

---

(١) البيهقي : المصدر السابق ، ص٧٤٨-٧٤٩ ، ولقد ذكر السبب وراء الترحيب بدعوة هارون بين التونتاش بالمجيء إليهم ؛ فيذكر ابن الأثير العداء القديم الذي كان بين علي تكين والسلاجقة حيث أرجعه إلى عام ١٠٢٩م عندما أمر بقتل يوسف حفيد السلاجقة على يد قائدة «ألب قرة» على الرغم من أنه من قبل كان على رأس جميع الأتراك الموجودين لديه ولقبه «اينانج يبغو» وكان رد فعل السلاجقة وعلى الأخص أبناء عم يوسف وهما طغرل ، داود هو قتل قائد علي تكين ، وألف من رجاله عام ١٠٣٠م ، لذا هاجمهم علي تكين وأبناؤه واستولوا على ممتلكاتهم فسقط عدد كبير من الأسرى ، عدد منهم من النساء والأطفال ، مما اضطرهم الأمر إلى الانتقال إلى خراسان ؛ كل تلك الأحداث كانت وراء موافقتهم لطلب هارون وسارعوا إلى تلك المناطق ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج٩ ، ص٤٧٦ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص٤٤١-٤٤٢.

خوارزم مرجعه إلى ابنه عبد الجبار ، وكذلك إلى أبي نصر مشكان ، وكان من رأيه توجيه كتاب إلى حاشية خوارزم يحمل توقيع السلطان مسعود ، يحرضهم على خلع الأمير «هارون خوارزمشاه»

وفي النهاية حسم الأمر بإرسال كتاب معمى يحرضهم على خلع هارون إلى أبي سعيد السهلي[1]. لبذل المال لأغراء جماعة لاغتياله ، ووقع الاختيار على ثمانية غلمان ، وهم من أقرب الغلمان إليه : وهم (السلحدار ، وحامل المظلة ، وحامل العلم) وحددوا الاغتيال ، أما هارون بن التونتاش فقد بدأ يتهيأ بجيشه المكون من العناصر المختلفة من القبائل التركية «كجات ، جغراق ، جنجاخ» إلى جانب السلاجقة الذين كانوا قد تعرضوا للإبادة من قبل شاه ملك صاحب جند لذا أخذ على عاتقه قبل أن يتجه إلى خراسان أو يؤمن جيشه من ناحية ، وبلده قبل خروجه ، وخاصة بعد مهاجمة شاه ملك للسلاجقة في المنطقة.

وما لبثت أن بدأت المفاوضات للصلح بين السلاجقة وملك شاه ، ولكنها باءت بالفشل لرفض شاه ملك لهذا الطلب قائلاً : «أن بيني وبينهم ثاراً وسيفاً ، ولسوف أمضي في قتلهم حتى يفعل الله ما يريد» ، وما إن تقابلا ووجد ما كانت عليه قوة هارون الذي بلغت عدته ٣٠ ألف فارس وكثير من الغلمان حتى انسحب ، وعاد إلى ولايته جند[2].

---

(١) **أبو سعيد السهلي** : من حاشية السلطان محمود الغزنوي المخلصين لخوارزم ، تواطأ مع عبد الجبار بن أحمد عبد الصمد ، ووزير هارون خوارزمشاه الذي أخفاه في سرداب خوفا من بطش هارون وعندما كشف هذا الأمر أذي كثيرا ، حيث استولوا على بيته وضياعه وأمواله واستأصلوا شأفه كل من له صله به ؛ البيهقي : تاريخ بيهق ، ص٧٤٨.

(٢) البيهقي : المصدر السابق ، ص٧٤٩-٧٥٠ ، فيذكر أن بخلاف الشقاق الذي كان بين علي تكين والسلاجقة والسبب وراء مجيئهم هنا ، نجد أنه كان هناك عداء=

وبالرغم من كل تلك الأحداث لم يثن ذلك هارون عن هدفه في السير إلى خراسان ، وساعده في ذلك السلاجقة حيث تحركوا في عدد يقارب من ٤٠٠ فارس ، ليكونوا مقدمته في مرو ، ووصل الوالي حتى صار على مسيرة ثلاثة فراسخ من المدينة ، ثم غادر المدينة يوم الأحد ٢ من جمادي الآخرة عام ٤٢٦هـ/١٠٣٤م[١]. وإن كانت أعماله تلك لم تتم ، حيث تم اغتياله في يوم خروجه من المدينة ، وذلك لحذره وشدة حيطة شكر الخادم ، وتمت المؤامرة ، ومات على أثرها بعد ثلاثة أيام ، وثارت الفتنة في البلاد ، وكان هارون كما ذكر البيهقي «رجلاً صالحاً ، ولكن اخطأ خطأ كبيراً حيث جلس على عرش السلطان ، وأنى للعصفور أن يتمنى عش الصقور»[٢].

= قديم بين السلاجقة وشاه ملك صاحب جند ، لذا فقد هاجمهم على غرة منهم في شهر ذي الحجة ٤٢٥هـ/١٠٣٤م ، وقتل منهم مقتله عظيمة قد بلغت من سبعة إلى ثمانية ألاف واستولى على كل ما كان يشتمل عليه معسكرهم من الخيل وسبى جمعاً غفيراً من النساء والأطفال ، وفرد ما بقي منهم من معابر خوارزم ، وعبروا نهر جيحون ، وساروا إلى رباط نمك ، وما إن علم هارون بذلك اغتم غماً شديداً ثم أرسلهم مرة ثانية ، وطالبهم بمدد جديد ، لأنه مازال على وعده ، ثم عادوا إلى موطنهم الذي كان مجهزاً لهم من قبله ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص٤٤٢.

(١) البيهقي : تاريخ بيهق ، ص٧٥١-٧٥١ ؛ بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص٤٢٢.

(٢) البيهقي : المصدر السابق ، ص٤٦٤-٤٦٥ ، ٧٥١-٧٥٢ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج٩ ، ص٥٠٥ ؛ محمد دبير سياقي : سلطان جلال الدين خوارزمشاه ، ص٧٦ ، حاشية٦.

٣ – إسماعيل خندان بن التونتاش خوارزمشاه «٤٢٥ – ٤٢٩هـ / ١٠٣٣ – ١٠٣٧م»

أ – أحوال خوارزم بعد مقتل هارون بن التونتاش :

وجدت الفتنه طريقها في خوارزم بعد تلك الأحداث ، ولكن تمكن شكر الخادم وإسماعيل خندان «أي الضاحك» من تدارك الموقف ، ومعه كذلك زعماء الالونتاشية ، فما أن بعد إسماعيل عن خوارزم بمسافة ثلاث مراحل حتى ظهر الوزير عبد الجبار ، وتوجه لدار الإمارة راغبا في السيطرة على أمور خوارزم ، لذا ازدادت نار الفتنه وانقسمت البلاد إلى فريقين : الأول ، من المناصرين لعبد الجبار ، والفريق الثاني ، من المناصرين للوالى الجديد وشكر الخادم ، وتمكن شكر الخادم من العودة إلى خوارزم ومعه ٥٠٠ غلام مجهزين ، واستطاع بحكمته القضاء على تلك الفتنه بقضائه على عبد الجبار وقتله ، وتخلص من أعوانه ، وبعضهم رحب بالوالى الجديد إسماعيل خندان حاكماً للبلاد ، فقالوا : «عد عوداً حميداً ، وادخل المدينة»[١]. وذلك يوم الأحد ٢٨ جمادى الآخرة ٤٢٥هـ/١٠٣٣م ، واعترفوا به حاكماً مستقلاً ، واستقبل الوفود من الأعيان والجند ليعترفوا له بالإمارة والولاء ووزع المناصب عليهم واستقرت الأمور وعادت إلى ما كانت عليه من قبل[٢].

الجانب الغزنوى :

علم السلطان الغزنوى بما حدث في خوارزم فاجتمع مع وزيره بعد يأسه من أحوال ذلك الإقليم ، وخاصة لما وراءه من أمور جسام في خراسان والرى وهندوستان لذا أمر وزيره بإرسال رسول إلى أعوان الغزنويين هناك ، ومعهم البتكين الحاجب ليقدموا النصح لهذا الطفل ،

---

(١) البيهقي : المصدر السابق ، ص٧٥٣-٧٥٤ ، ٣٧٤ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج٩ ، ص٥٠٥.

(٢) البيهقي : المصدر السابق ، ص٧٥٤.

وكذلك يوجه الكلام إلى أبي سعيد السهلى ، وأبي القاسم الاسكافي يخبرهم بما يلزم ، وإن كانت الرسل قد عادت ذاكره وقوع زمام الأمور في يد شكر الخادم ، أما الطفل فيلهو بالشراب والصيد.

كذلك قام السلطان باعتقال أخي إسماعيل خندان وهو «رشيد» في غزنة مقابل إلا يتعرضوا لأخواته للبناء بسوء[١].

٤ – تولية شاه ملك إقليم خوارزم وانتهاء حكم الأسرة الثانية

«٤٢٩ – ٤٣٤هـ / ١٠٣٧ – ١٠٤٢م»

كانت بداية ذلك بمراسلة شاه ملك بن على تكين إسماعيل خندان في أمر خوارزم ، قال فيها : «إن هارون قد شد من عزائم السلاجقة الذين هم أعدائي ، وقد هزمتهم ، وأفنيت رجالهم ، وتركتهم معدمين مشردين بلا مأوى ، ثم إنه قد كفر بالنعمة وأراد أن يقصد السلطان مسعود وبلاده على أن يكون السلاجقة في مقدمة جيشه فلم يرض بهذا الله وأنزل به ما أنزل واليوم يذهب السلاجقة إلى خراسان ، وإذا كان لنا وهارون عهد فإن هارون قد مات ، والسيف اليوم بيني وبينكم ، وإني لقادم فأعدوا عدتكم ، فسوف أستولى على خوارزم[٢].

---

(١) البيهقي : المصدر السابق ، ص٥٣٩ ، ٧٥٤ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج٩ ، ص٥٠٥.

(٢) البيهقي : تاريخ بيهق ، ص٧٥٥ ، ولقد ذكر أن السلاجقة بعدما حدث لهارون بن التونتاش ، وكذلك ما حدث لعلي بن تكين ، وتولية ولديه من بعده الملك ، اشتد عليهم البأس ولم يستطيعوا العودة إلى بخارا ، ولم يستطيعوا الإقامة في خوارزم خوفا من شاه ملك بعدما شردهم من قبل ، كما ذكرنا سالفا لذا فقد عزموا على الرحيل وعدتهم ٩٠٠ فارس ، وأثناء اتجاههم إلى خراسان انضم إليهم عدد كثير نهبوا في طريقهم مدينه آموى (آمل) ونزلوا إلى جانب مرو حتى مجيئهم إلى خراسان ، وعلا شأنهم هناك.

ويتضح من كلام البيهقي «أن تلك الرسالة قد أرسلت من قبل تفكير السلطان الغزنوى في الاستعانة بشاه ملك وإعطائه ولاية خوارزم ودليلنا على ذلك هو قوله : سأفعل هذا خدمة للسلطان وتلبية لإرادته وإنى على ثقة من أن هذا السلطان لن يبخل عليّ بهذه الولاية بعد أن أكون قد قدمت خدمة كهذه ، واستأصلت شأفة العدو من بلاده»[1].

وما أن وصلت الرسالة إلى إسماعيل خندان حتى أيقن من كون هذا التصرف من قبل وزير السلطان الغزنوى أحمد بن عبد الصمد للانتقام منه في ولده عبد الجبار ، لذا رد عليه قائلاً : «إنا مستعدون للقائك فتقدم إذا شئت ، هذا والذنب ذنب هارون الذي أقام لك وزناً مع عظمة الجيش الذي كان له ، وأنت ضعيف ، ولم يأمر أتباعه السلاجقة بأن يدمروك تدميراً حتى لا تتراءى لك اليوم هذه الأحلام».

ولقد اكتشف إسماعيل خندان تلك العلاقة غير السليمة بين الغزنوى ووزيره وبين الوزير الخوارزمي البرغشى ، لذا عزله ، وعين مكانه «أبا القاسم الإسكافي»[2]. وبعدها أعلن الوالى الخوارزمي اسمه واسم الخليفة العباسي في خطبة يوم الجمعة دون ذكر اسم السلطان مسعود الغزنوى[3].

- **صراع الخوارزميين من أجل استرداد ولايتهم :**

تبادلت الرسائل بين الطرفين ، وكانت مليئة بالتهديد والوعيد ، وطال الحديث بينهما ، ومن المرجح أن يكون «شاه ملك» قد ذكر في إحدى رسائله «أن السلطان مسعود هو السلطان حقا بأمر أمير المؤمنين ،

---

(١) البيهقي : المصدر السابق ، ص٥٧٦.

(٢) البيهقي : المصدر السابق ، ص٧٥٦.

(٣) البيهقي : المصدر السابق ، ص٧٥٦-٧٥٧ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج٩ ، ص٥٠٦.

وقد أعطاني هذه الولاية فعليكم تسليمها» ، وكان رد إسماعيل خندان عليه بكونهم «لا يعترفون بأحد ، وإن الولاية ولايتهم لا يتخلون عنها إلا بالسيف ، فتعالوا إلينا لنرى ماذا قدر الله ، ولمن تكون الغلبة» ، وبذلك حسمت الأمور وبدأت تباشير الحرب بينهما ، وذلك يوم الجمعة ٦ من جمادى الآخرة عام ٤٣٢هـ/١٠٤١م ، واستمرت المعركة ثلاثة أيام ، حيث حسمت في ظهر اليوم الثالث ، فصارت الغلبة لشاه ملك ، وذهب الخوارزميون مدحورين إلى قلعتهم منتظرين ذهاب شاه ملك ، في الوقت الذي كان ماكثا في الرباط الذي هزم فيها الخوارزميين ، ليتولى أمر دفن الموتى ومداواة الجرحى.

ولقد كانت تلك المعركة من أشد المعارك كما وصفها حسن القباني الذي كان ملازماً لشاة ملك ذاكراً «لقد شهدت معارك كثيرة مع السلطان محمود مثل معارك مرو وهراة مع السيميجورية وطغرل في مرو ، والخانيين في دشت گرد وغيرها ، ولكنى لا أذكر معركة أشد هولاً من تلك التي كانت بين شاه ملك والخوارزمية[1].

وبدأت الرسل في المراسلات من أجل عقد الصلح ، واستعداد الخوارزميين لبذل المال من أجل ذلك ، بالرغم من رغبة شاه ملك الأكيده في تلك الولاية التي صارت حقاً شرعياً مخولاً له ، ووصل مدد له ورغبته في استكمال القتال ، بالإضافة إلى تدهور أحوال الإقليم ، وانقسامهم إلى معسكرين المعسكر الأول ويمثله إسماعيل خندان وشكر الخادم والالتونتاشية ، والمعسكر الثاني يمثله الوزير والسلطان الغزنوى محاولين القبض عليهم ، لذا فروا إلى السلاجقة ، وذلك في ٢٢ رجب عام ٤٣٢هـ/١٠٤١م ، وحاول شاه ملك تعقبه عن طريق جنوده ولكنه فشل في

---

(١) البيهقي : تاريخ بيهق ، ص٧٥٧.

نلك ودخل خوارزم ، وعادت الأمور إلى نصابها ، واعتلى العرش يـوم الخميس منتصف شعبان ٤٣٢هـ/١٠٤١م ، وخطب يوم الجمعـة باسـمه واسم الخليفة العباسي ، وكذلك السلطان مسعود الغزنوى الذى اغتيل منذ فترة ، أما إسماعيل خندان وكذلك شكر الخادم فقد اسـتقبلهما السـلاجقة استقبالاً حافلاً[١].

ولقد ذكر ابن الأثير أن تلك المعركة ظلت قائمة بينهما لمدة عـام وانتهت بانتصار شاه ملك[٢].

ونظراً للجوء إسماعيل خندان للسلاجقة ، حتى أعد طغـرل بـك جيشاً لمساندتهم في عودة إقليمهم إليهم ، ولكن أوقع شاه ملك الهزيمة بهم ، لذا ظل الإقليم تابعاً للدولة الغزنوية ، وإن كان قد اختلف الأمر باغتيال السلطان مسعودى الغزنوى ، وتولى السلطنة من بعده ابنه داود ، والـذي دخل شاه ملك في طاعته ، وتبدل اسمه باسم السلطان مسعود الغزنوى في الخطبة في إقليم خوارزم ، ثم تحولت خوارزم إلى تبعية السلاجقة عـام ٤٣٤هـ/١٠٤٣م[٣].

---

(١) البيهقي : المصدر السابق ، ص٧٥٨ ؛ أحمد السعيد سـليمان : تـاريخ الـدول الإسلامية ومعجم الأسرات الحاكمة ، ج٢ ، ص٣٧٤ ؛ حسن أحمـد محمـود : المرجع السابق ، ص٥٢ ؛ ابن الأثير : الكامل في التـاريخ ، ج٩ ، ص٥٠٥- ٥٠٦ ؛ خليل أدهم : دول إسلامية ، ص٢٥٨ ؛ محمد دبير سـياقي : المرجـع السابق ، ص٧٧ ، يذكر أنه قد تلقب بلقب خوارزمشاه لمدة حتى عـام ٤٣٤هـ ؛ دائرة المعارف الإسلامية : ج٤ ، ص١٨٠ ؛

C.E. Bosworth : the Islamic dynasties, press, 1893, V.5, p.108; R.N Frye : op. cit., p.192; William. L-Langer : an Encyclopedia of word history, (Boston, n. d.), p.272.

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج٩ ، ص٥٠٦.

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج٩ ، ص٥٠٦ ؛ محمد بن علـي بـن سـليمان الراوندي : راحة الصدور وآية السرور فـي تـاريخ الدولـة السـلجوقية ، =

وهناك تناقض من المصادر حول موقف السلاجقة من الوالي إسماعيل خندان فنجد البيهقي يذكر مدى أكرام السلاجقة لهذا الوالي ، ثم ما لبثوا أن غدروا به[1].

ولقد خالفه الگرديزى فذكر مدى مساندة السلاجقة ومساعدتهم للخوارزميين ، وجعل الأمير على إقليمه مقابل تبعيته للسلاجقة[2].

وبذلك انتهت الإمارة «الأسرة» الثانية شبة المستقلة في خوارزم بعد استمرارها في خوارزم ما يقارب من ٢٦ عاما ، وكم لاحظنا من محاولات عديدة من قبلهم من اجل الاستقلال ، ومحاولة وضع أول أساس لقيام دولتهم ، ولكن دائما ما كانت تنتهي بالفشل وتعود للتبعية مرة ثانية.

٥ – خوارزم وتبعيتها للسلاجقة «٤٣٤ – ٥٥١هـ / ١٠٤٢ – ١١٥٦م» :

منذ ذلك التاريخ صارت خوارزم – بصفة رسمية – تابعة للسلاجقة ، وذلك عندما تمكن إسماعيل خندان من الهرب مع شكر الخادم والالتونتاشية إليهم لمناصرتهم ضد شاه ملك ، وعلى أثرها ظهر طغرلبك وداود السلجوقيان بجيش واتجها إلى خوارزم ، ووقع صدام عسكري ، صارت نتيجته في صالح السلاجقة ، فصار الإقليم لهم بعد هزيمتهم لشاه ملك وفراره مصطحبا معه أمواله وذخائرة ، ومضى في المفازة إلى

= نقله للعربية : إبراهيم أمين الشواربي ، عبد النعيم محمد حسنين ، فؤاد عبد المعطى الصياد ، مراجعة ونشر : إبراهيم أمين الشواربي : (مؤسسة الثقافة ، ١٣٧٩هـ/١٩٦٧م) ، ص١٥٤ ، ١٥٩ ؛ ابن الوردى : تاريخ ابن الوردى ، ج١ ، ص٣٤٨ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٢ ، ص٥٠ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق : المجلد الرابع ، القسم الرابع ، ص٨١٧ ، ٨٢٤ ؛ أحمد السعيد سليمان : المرجع السابق ، ج٢ ، ص٣٧٤.

(١) البيهقي : تاريخ بيهق ، ص٧٥٨.

(٢) الگرديزى : زين الأخبار ، ص١٣٤.

دهستان ومنها إلى طيش ثم أطراف كرمان ثم إلى أعمال التيز ومكـــران ولقد تمكن منه «ارتاش شقيق إبراهيم ينال» ابن عم طغرلبك ، في جيش عدته ٤ آلاف فارس ، فأسرة وسلمه إلى داود[1]. ومنـــذ ذلـــك التـــاريخ «٤٣٤هـ/١٠٤٣م» لم تقم حكومة مستقلة ولا شبه مستقلة في إقليم خوارزم ، حيث صار الأمر إلى حاكم من قبل السلاجقة يتولى أمرها[2].

---

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج٩ ، ص٥٠٦ ؛ ابن العبري : تاريخ مختصـــر الدول ، ص٩٢ ؛ أبو الفدا : المختصر في أخبـــار البشـــر ، ج٢ ، ص١٦٦ ؛ النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج٢٦ ، ص٢٧٩ ، ٢٩٧ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ص٨٢٤ ، ٨٢٦ ؛ المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج١ ، القسم الأول ، ص٣٢ ؛ ابن كثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص٥٠ ، ذاكراً «استيلاء طغرل على معظم البلاد الشرقية ، والتي من بينها خـــوارزم ، إلى جانب أنه خطب له على تلك النواحي ، لذا عظم شأنه» ؛ ابـــن الـــوردى : المصدر السابق ، ج١ ، ص٣٤٨ ؛ حسن أحمد محمـــود : المرجـــع الســـابق ، ص٧٤ ؛ بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولى ، ص٢٧٩ ، ٢٩٧ ، ٤٤٩ ؛ حسين أمين : تاريخ العراق في العصر الســـلجوقي ، (بغـــداد ، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م) ، ص٥٤ ، ذاكراً «أنه قد اختلف مع بعض المصادر في كون الاستيلاء على خوارزم قد تم عام ٤٣٣هـ/١٠٤١م ؛ إقبال عبـــاس الاشـــتيانى : تاريخ إيران بعد الإسلام ، ص٢٣١ ، حيث اختلف في الشخص الذي قام بأســـر شاه ملك بن على وهو إبراهيم بن ينال ؛ خواندمير : حبيـــب الســـير ، المجلـــد الرابع ، ج٢ ، ص٤٨٥ ؛ فيليب حتى : تاريخ العرب «مطول» ، الجزء الثاني ، ص٥٦٩ ؛ دائـــــــرة المعـــــــارف الإســـــــلامية ، ج١٢ ، ص٢٧ ؛ C.E. Bosworth, op. cit., p.108.

(٢) أحمد السعيد سليمان : المرجع السابق ، ج٢ ، ص٣٧٤ ؛ السيد الباز العرينـــى : المغول ، ص٨٠ ؛ عفا صبرة : المرجع الســـابق ، ص٣٢ ، قائلـــة «وقـــوع خوارزم منذ عام ٤٣٤-٤٤٦هـ ، تحت طاعة السلاجقة» ؛ خواندمير : المرجـــع السابق ، ص٤٨٥ ؛ محمد دبير سياقي : المرجع السابق ، ص٧٧.

ولقد حرص هؤلاء السلاجقة على اكتساب الصفة الشرعية لتلك الولايات التي تولوا أمرها ، وتمثل ذلك في استدعاء الخليفة العباسي القائم بأمر الله الأمير طغرل للعراق للتخلص من فتنه البساسيرى وبعد ذلك قسم الخليفة تلك البلاد والولايات على هؤلاء السلاجقة ، فكان للأمير طغرلبك داود بن ميكائيل المنطقة الممتدة من نيسابور إلى جيحون ، إلى جانب تمكنه من ضم خوارزم وبخارا وبلخ له[١]. ولم تذكر المصادر اسم ذلك الحاكم من قبل السلاطين السلاجقة الذي تولى أمر خوارزم ، وإن كنت أري أن يكون حاكم أو تابع من ابتاع هؤلاء الأتراك ، ولقد ظل الحال على ما هو عله حتى وفاة طغرل بك داود والذي تولى أمرها بصفة شرعية حتى عام «٤٥١هـ/١٠٥٩م».

- **أرسلان أرغون «أرسلان أرغو[٢]. بن عضد الدين ألب أرسلان»** :

وهو ثاني وال على إمارة خوارزم ، وظل بها حتى وفاة والده عام «٤٦٥هـ/١٠٧٢م[٣]». ونظراً لعداء «ركن الدين أبي المظفر» بركيارق «٤٨٥-٤٩٨هـ / ١٠٩٢-١١٠٤م» لعمه أرسلان أرغو ، لذا أعلن الثورة

---

(١) الراوندي : المصدر السابق ، ص١٦٩ ؛ أبو الحسن بن غازى الحلبى : أخبار الدول المنقطعة ، مكتبة الدار ، المدينة المنورة ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ، ص٢٦٧ ؛ محمد محمود إدريس : تاريخ العراق والشرق الإسلامي خلال العصر السلجوقي الأول ، (الطبعة الأولى ، ١٩٨٣م) ، ص٤٥.

(٢) الراوندي : المصدر السابق ، ص٢٢١ ؛ صدر الدين على بن ناصر الحسينى : زبده التواريخ أخبار الأمراء والملوك السلجوقية ، تحقيق : محمود نور الدين ، (دار اقرأ ، ط١ ، بيروت ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) ، ص٨٤ ، وإن كان قد ذكر شيئا مخالفا لما ذكره ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٠ ، ص١٧ ، أن أرسلان أخو سلطان ألب أرسلان ؛ أما الراوندي والحسينى : فذكرا أن أرسلان أرغون هو ابن ألب أرسلان وأخو ملكشاه وعمه بركيارق ، وقد فوض له والده ولاية خوارزم ، ولقد أيده في ذلك خواندمير : المرجع السابق ، ص٤٨٩ ؛ وكذلك إقبال عباس : المرجع السابق ، ص٢٤٥.

(٣) حمزة بن الحسن الاصفهانى : تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء ، ص٤٥ ؛ أحمد السعيد سليمان : المرجع السابق ، ج١ ، ص٣١٩ ؛ إقبال عباس الاشتيانى : المرجع السابق ، ص٢٤٥ ؛ محمد أحمد الحوفي : الزمخشرى ، ص١٠ ؛ .C.E. Bosworth : op. cit., p.273

ضده في خوارزم ولكن مقتل أرسلان أرغو على يد أحد غلمانه ، مكن بركيارق من الاتجاه للاستيلاء على خراسان ، أما خوارزم فكما ذكر ابن الأثير أنه بعد مقتل أرسلان أرغو ولي بركيارق أمر خوارزم إلى «عز الملك أبي عبدالله الحسين بن نظام الملك الطوسي» وزير بركيارق ، وظل واليها ومتولياً كل ما يتعلق بها من الأمور السلطانية(١). ثم جعل عليها كذلك أحد أمرائه وهو «أكنجي شاه» ولقد اتخذ لقب الأمراء المحليين السابقين في خوارزم ، وهو لقب خوارزمشاه ، ومن بعده الأمير «داذ حبشي بن التونتاق»(٢).

ثم تولى السلطان سنجر السلجوقي(٣). على حكومة خراسان وصار خوارزم من ضمن ولاياته(٤).

---

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٠ ، ص٧٦ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الثالث ، القسم الخامس ، ص٩٩٣ ؛ الراوندي : المصدر السابق ، ص٢١٤ ؛ خواندمير : المرجع السابق ، ص٥٠٠ ؛
C.E. Bosworth : the Islamic dynasties, p.273.

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٠ ، ص٩٢ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الخامس ، القسم الأول ، ص١٨٩ ، ولقد ذكر لديه تحت اسم «داود حبشي بن اتياق» ؛ عطا ملك الجويني : جهان گشا ، ص٢٤٣.

(٣) **السلطان سنجر السلجوقي** : هو الحارث سنجر بن ملكشاه بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق ، ولد يوم الجمعة ٢٥ رجب عام ٤٧٩هـ/٢٧ نوفمبر ١٠٧٤م ، بمدينه سنجار ، ومن هنا جاء اسمه ، تولى أمور المملكة نيابة عن أخيه بركيارق عام ٤٩٠هـ ، لمدة أربعين عاما ، وصار بعدها سلطان خراسان وغزنة وما وراء النهر ، وخطب له بالعراقيين وأذربيجان ومناطق أخرى عديدة ، تلقب بلقب السلطان الأعظم معز الدين ، أعظم الملوك همه وأكثرهم عطاء ، توفي ١٤ ربيع الأول عام ٥٥٢هـ/١١٥٧م ، ودفن بمرو ؛ ابن خلكان : المصدر السابق ، ج١ ، ص٤٢٧-٤٢٨ ؛ الفارقي : تاريخ الفارقي ، حققه وقدم له : بدوى عبد اللطيف عوض ، (بيروت ، د.ت) ، ص٢٨٦ ، حاشية(٢).

(٤) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج٨ ، ص١٨٣ ؛ خواندمير : المرجع السابق ، ص٥٠٧.

٦ – بداية قيام دولة شاهات خوارزم «٤٧٠ – ٥٥١هـ/ ١٠٧٧ – ١١٥٦م» :

وهي مرحلة جديدة مكملة للتاريخ السياسي لإقليم خوارزم ، وقد تمثلت في الأسرة الثالثة «أسرة انوشتكين غرجه»[١]. حيث نجدها في فترتها الأولى تابعة للسلاجقة ، وإذ أردنا تحديدها على الوجه الأكمل فهي منذ عام «٤٧٠-٥٥٢هـ/١٠٧٧-١١٥٧م» ، والفترة الثانية وهي المرحلة التي قامت فيها الدولة الخوارزمية ذات الامتداد الشاسع والاستقلال الكامل ، وذلك على وجه التحديد منذ عام «٥٥٢-٦١٧هـ/١١٥٧-١٢١٩م».

أ – مؤسس الدولة انوشتكين غرجه «٤٧٠ – ٤٩٠هـ/١٠٧٧ – ١٠٩٧م» :

كان من مجموعة العبيد الذين اشتراهم أحد أمراء السلاجقة ، حيث يجلبون من بلاد القبجاق ، وتربوا في قصور السلاجقة وترقوا العديد من المناصب الإدارية[٢]. ولقد وفق هذا المملوك وأظهر من الكفاءة ما أهله للترقي في أعلى المناصب الإدارية[٣]. عمل لدى الأمير السلجوقي بلكتاتكين وبعدها خدم لدى السلطان ملكشاه ، فتولى منصب الطشتدار[٤].

---

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٠ ، ص٩٢ ؛ زين الدين عمر بن الوردى : المصدر السابق ، ج٢ ، ص٩ ، ذاكراً أن السبب وراء ذلك اللقب الأخير «غرجة» كان مملوكا لرجل من غرشتان ومن هنا أخذ اللقب ؛ أبو الفدا : المصدر السابق ، ج٢ ، ص٢٠٩ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، القسم الأول ، المجلد الخامس ، ص١٨٩ ؛ محمد دبير سياقي : المرجع السابق ، ص٧٨.

(٢) حسين أمين : تاريخ العراق في العصر السلجوقي ، ص١٠٩ ؛
S. Lane Pool : the Mohammadn dynasties, p.159.

(٣) النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج٢٧ ، ص١٩٧ ؛ حسين أمين : المرجع السابق ، ص٢٦٦ ؛ عبد النعيم حسنين : سلاجقة إيران والعراق ، (الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٣٨٥هـ/١٩٧٠م) ، ص١١٥.

(٤) **الطشتدار** : «جشنة كير بالفارسية» من الموظفين الذين يعملون في الطشتخانه «الطشت خاناه» وهو المكان الذي يحوى الطشت الذي تغسل فيه الأيدي وكذلك الأقمشة ، وكذلك ملابس السلطان والمقاعد والسجاد والستائر والمباخر وأنواع =

ولقد كان كل منصب من تلك المناصب تخصص له إيرادات منطقة بعينها للصرف عليه ، فكان خراج خوارزم مخصصا للصرف على الطشختانه ، ومن هنا جاء اتصال انوشتكين بخوارزم ، وعلت مكانته في بلاط ملكشاه ، فتولى شحنة خوارزم ، وحمل لقب خوارزمشاه[1].

ب- قطب الدين محمد بن أنوشتكين خوارزمشاه «٤٩٠ - ٥٢١هـ/١٠٩٧ - ١١٢٧م» :

يعد عارفاً أديباً ، قضى معظم أوقاته عن معدلة ينشرها أو ملزمة يفعلها ، وهو من الولاة المهتمين بدراسة العلم وتحصيله ، لذا ازداد ذكره ، وظهر اسمه ، وعلا شأنه ، واتخذ لقب خوارزمشاه ، وظل بتلك الولاية منذ عام «٤٩٠-٥٢١هـ/١٠٩٧-١١٢٧»[2].

= البخور والطيب ، ويعرف بعض الصبيان الذين يعملون فيه الطشتدارية ، والبعض الآخر يعرف بالرختوانية ، أما عن هذا اللفظ بالذات وتفسيره فقد تعددت الآراء فنجد أنه يعنى «ساقي الخمر المحبوب» Afovourite-cup bearer ، وفسر كذلك بأنه المسئول عن صب ماء الغسيل للسلطان ، فالسلطان بحاجة دائمة إليه في صب الماء عند قيامه بالغسيل صباحاً ، وكذلك قبل الواجبات وبعدها ، وعند دخول الحمام ؛ النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج٨ ، ص٢٢٥ ؛ القلقشندى : صبح الاعشي ، ج٤ ، ص١٠ ؛ حافظ أحمد حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص١١٢ ؛ حسين أمين : المرجع السابق ، ص٢٠٤ ؛ خواندمير : حبيب السير ، ص٦٢٩ ؛ فامبرى : تاريخ بخارى ، ص١٣٩ ، ١٤٧ ، حاشية١ ؛ محمد دبير سياقي : المرجع السابق ، ص٧٩ ، حاشية١ ؛

Percy Sykes : a history of Persia, London, 1921, vol.11, p.11, 49; C.E Bosworth : the Islamic dynasties : v.5, p.108; Percy Sykes : Persia, (Oxford, 1922), p.53.

(١) أحمد السعيد سليمان : المرجع السابق ، ص٣٤٧ ؛ خواندمير : دستور الوزراء ، ص٣٠٨ ؛ حمدالله بن أبي بكر ابن أحمد بن نصر مستوفي قزوينى : تاريخ گزيدة ، المجلد الأول ، ص٤٨٧.

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج١٠ ، ص٩٢ ؛ النويرى : المصدر السابق ، ج٢٧ ، ص١٩٨ ؛ أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ، ج٢ ، ص٢٠٩ ؛ الذهبي : الغبر في خبر من غبر ، (بيروت ، ١٩٦٤م) ، ج٤ ، ص٣٢٧ ؛ =

• **أهم أعماله وعلاقته بالسلطان سنجر السلجوقي :**

كان حريصاً في بداية حكمه على استتباب الأمور والأحوال الداخلية في إمارته ، فكانت بدايتها تلك الفتنه التي تزعمها «طغرلتكين بن أكنجى» حيث والده أكنجى في خوارزم من قبل أيام «بركيارق» ، والذي فّر هاربا إلى الأتراك ، وتجمعت حوله ، واتجهوا إلى خوارزم ، وعلى إثرها اتجه قطب الدين محمد لخوارزم ، واستعان بالسلطان سنجر الذي كان موجوداً آنذاك في نيسابور ، فصار بعساكره إليه ، ولكن باقتراب قطب الدين محمد من خوارزم فّر ذلك الثائر والأتراك إلى منقشلاغ[1]. وهرب طغرلتكين إلى جند خان ، وعادت الأمور إلى هدوئها المعتاد[2].

أما علاقته بالسلطان سنجر السلجوقي فكانت علاقة التابع بالمتبوع ، فهو تابع مطيع طوال مدة إمارته على خوارزم ، ذا الولاء ودقة في إرسال الخراج المقرر عليهم إلى جانب الهدايا ، وكان حريصا على

= ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٢ ، ص١٥٤ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الخامس ، القسم الأول ، ص٣٩ ؛ أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي القرمانى : أخبار الدول وآثار الأول ، ص٢٧٥ ؛ أحمد السعيد سليمان : المرجع السابق ، ج٢ ، ص٣٧٤ ، ذاكراً أنه نشأ مثل أبيه في النجابة والشجاعة وحسن التدبير ؛ السيد أحمد بن زينى دحلان : الدول الإسلامية بالجداول المرضية ، (القاهرة ، ١٣٠٦هـ) ، ص٦٥-٦٦ ؛ عبد النعيم حسنين : المرجع السابق ، ص١٥١ ؛ محمد أحمد الحوفي الزمخشري : ص١٢ ؛ كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص٣٧٦ ؛ خواندمير : المرجع السابق ، ص٦٢٩ ؛ حمدالله مستوفي : تاريخ گزيدة ، المجلد الأول ، ص٣٦٣.

(١) **منقشلاغ** : قلعة حصينة في آخر حدود خوارزم ؛ النويرى : المصدر السابق ، ج٢٧ ، ص١٩٩ ، حاشية(١).

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٠ ، ص٩٢ ؛ ابن العماد الحنبلي : شذارت الذهب في أخبار من ذهب ، ج٤ ، ص٣٢٧ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، القسم الأول ، المجلد الخامس ، ص١٩٠ ، ٣٩-٤٠.

اصطحاب ابنه آتسز معه ، وفي السنة التالية أرسل معه ، وفي السنة التالية أرسل ابنه أتسز ، وظل هكذا حتى وفاته[1].

جـ- جلال الدين آتسز[2] بن محمد خوارزم شاه «٥٢١ – ٥٥١هـ/١١٢٧ – ١١٥٦م»:

ولقد صار على منهاج والده في اهتمامه بالرعية ، وتحقيق العدل بينهم ، وبذل قصارى جهده في بداية حكمه في تدعيم سلطانه في الإقليم ، وكانت خطواته في سبيل تحقيق ذلك تتمثل في إخضاع الرحل المجاورين لخوارزم ، وبعدها تمكن من بعض المناطق ذات الأهمية بالنسبة لخوارزم وهي مدينة «جند» (الموجودة على المجرى الأسفل لنهر سيحون) ، وشبه جزيرة منقشلاغ[3].

---

(١) إقبال عباس الاشتياني : تاريخ إيران بعد الإسلام ، ص٢٨٣ ؛ خواندمير : حبيب السير ، ص٦٢٩.

(٢) **آتسز :** كلمة تركية معناها «من لا اسم له» آت تعني الاسم ، سيز تساوى أداة تجريد وهي عادة سائدة لدى الترك ، وخاصة لدى من يموت أبناؤه وهم صغار ، فيطلق على كل واحد منهم هذا الاسم لكي يعيش الآخرون ؛ نظام عروضي السمرقندى : جهار مقالة ، ص١٠٦ ؛ محمد دبير سياقي : المرجع السابق ، ص٨٠ ، حاشية(١).

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج١٠ ، ص٩٢ ؛ النويرى : المصدر السابق ، ج٢٦ ، ص٣٧٦ ؛ صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدى : الوافي بالوفيات ، ج٦ ، ص١٩٥ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الخامس ، القسم الأول ، ص٤٠ ، ١٣٦ ، ١٩٨ ؛ ابن الوردى : تاريخ بن الوردى ، ج٢ ، ص١٠ ؛ خواندمير : المرجع السابق ، ص٦٢٩ ؛ محمد دبير ساقي : المرجع السابق ، ص٨٠ ؛ مريم احمدي : نظام حكومت إيران در دوران إسلامي بروسي در تكتلات اداري ، كشوري ولشكري إيران از صدر إسلامي تا عصر مغول ، مؤسسة مطالعات وتحقيقات فرهنگي ، د.م، د.ت ، ص٢٨٠ ؛ قاضي القضاة صدر الدين جهان أبو عمرو منهاج الدين بن عثمان بن سراج الدين بن عمر : طبقات ناصري ، (د.م ، ١٣٤٢هـ) ، المجلد الأول ، ص٤٨٧ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص٤٧٤.

د- الأمير آتسز خوارزمشاه وعلاقته بالسلطان سنجر السلجوقي :

يمكننا تقسيم تلك العلاقة إلى مرحلتين :

- **المرحلة الأولى** : منذ عام ٥٢١-٥٣٠هـ/١١٢٧-١١٣٥م.
- **المرحلة الثانية** : منذ عام ٥٣٣-٥٥١هـ/١١٣٨-١١٥٦م.

- **المرحلة الأولى منذ عام «٥٢١ – ٥٣٠هـ / ١١٢٧ – ١١٣٥م»**

ولقد تميزت المرحلة الأولى بالود والهدوء ، والحرص على تنفيذ أوامر السلطان ، سنجر السلجوقي ، وتأدية فروض الطاعة ، وقيادته لجيوش السلطان السلجوقي ، ومحاربته لأعداء بلاده المجاورين له ، وهي أشبه ما تكون بعلاقة الابن بوالده(١). وهناك العديد من الأمثلة الدالة على الطاعة والولاء وسوف نكتفي بذكر مثالين :

أولهما ، عام «٥٢٦هـ/١١٣٢م» : حيث اشترك آتسز في تلك المعركة التي كانت بين السلاجقة والسلطان مسعود الغزنوى ، وذلك بناء على أوامر السلطان سنجر ، فكان الأمير آتسز خوارزمشاه على ميسرة جيش سنجر ، وتحقق النصر للسلاجقة ، حيث راسل السلطان سنجر السلطان مسعود معاتباً ، وأعيد للسلطنة بواسطة طغرل بن محمد ، وخطب له بجميع البلاد(٢).

والثاني : عام «٥٢٩هـ/١١٣٤م» : نظراً لثقة السلطان السلجوقي في الأمير آتسز جعله على مقدمة جيشه المتجه إلى غزنة لمساعدة «فخر الدولة» بهرام شاه الغزنوى أخو أرسلان شاه الذي تولى أمر غزنة بعد

---

(١) إقبال عباس : الاشتياني : المرجع السابق ، ص٣٢٠ ؛ مستوفي قزويني : تاريخ گزيدة ، المجلد الأول ، ص٤٨٧.

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٠ ، ص٢٤٢.

وفاة علاء الدولة صاحب غزنة[1]. في شوال ٥٠٨هـ/١١١٤م من السلطان سنجر ، ولكنه ساء معاملة أخوته بالحبس ، وقد حاول السلطان سنجر عودة الأمور إلى ما كانت عليه من الود والمحبة ، ولكن باءت محاولته بالفشل ، لذا عزم على الاتجاه إلى غزنة ، ومعهم الأمير آتسز وهزم بهرام شاه في تلك المعركة[2].

وبالإضافة إلى ما سبق وحرصه الشديد على الذهاب لبلاط السلطان سنجر كما عودة والده من قبل وذلك للتقرب إلى السلطان ودفع الجزية المقررة عليهم. ولكن ما لبثت أن تبدلت الأحوال من الود إلى العداء والصراعات والحروب ومفاوضات لصلح ونقضها من آن إلى آخر والسبب وراء ذلك يرجع إلى هؤلاء الأمراء الحاقدين على آتسز لولائه للسلطان سنجر لذا أوغروا صدر السلطان سنجر عليه وذلك بذكرهم رغبة الأمير آتسز في الاستقلال بدولته وإنهاء تبعيته للسلطان ، وبذلك بدأت المرحلة الثانية.

- **المرحلة الثانية** : «٥٣٣ – ٥٥١هـ / ١١٣٨ – ١١٥٦م»

وتنقسم تلك المرحلة إلى ثلاثة صدامات :

- **الصدام الأول عام ٥٣٣هـ/١١٣٨م** :

وبالإضافة إلى ما سبق ذكره حول تبدل العلاقات بينهما ، نذكر كذلك رغبة الأمير آتسز خوارزمشاه في الاستقلال والقيام بكيان دولته ، وكانت أعماله تؤكد رغبته تلك ، ومنها : غضبة من بعض أمراء السلطان سنجر في خوارزم ، وقبضة على عماله بالإضافة إلى إلقائهم في السجن

---

(١) عبد النعيم حسنين : سلاجقة إيران والعراق ، ص١١٦.

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١١ ، ص٢٨-٣٠ ؛ النويري : المصدر السابق ، ج٢٦ ، ص٣٧٦.

وغضب السلطان سنجر من تلك الأعمال ، قائلاً : «قد أراق دماء المسلمين بجند ومنقشلاغ التي عرف أهلها بإخلاصهم في الدفاع عن الثغور في الإسلام ، وجهادهم الدائب ضد الكفار»[1].

ما سبق جعل الطرفين على أهبة الاستعداد لنشوب الحرب بينهما ، لذا قام الأمير آتسز بإغلاق الطرق المؤدية لإقليمه من خراسان ، ثم إغراق المناطق المجاورة له بمياه نهر جيحون « وتلك عادة الخوارزميين في وقت الحرب ، وظلت فيهم حتى قضاء المغول عليهم» ، وخاصة بالقرب من مدينة هزاراسب لإعاقة جيش السلطان الذي كان آنذاك في مدينه بلخ ، لذلك لزم عليهم الاتجاه لخوارزم عن طريق الصحراء ، وذلك في شهر محرم عام ٥٣٣هـ/١١٣٨م[2]. ونشبت المعركة وهزم على أثرها الأمير آتسز وفر إلى الوادي.

- **نتائج ذلك الصدام :**

أ – فقدان الأمير آتسز ما يقارب من ١٠ آلاف جندى ما بين قتيل وجريح وأسير من جيشه الذي يتضمن عدداً كبيراً من الأتراك المجاورين ومن بينهم ابنه «إيل قتلغ» الذي أمر السلطان سنجر بتصنيفه وإرسال رأسه لأبيه ، مما آثار ثائرة آتسز ، وبدا في الاستعانة بمن يجاوره من جيرانه.

ب– ترك السلطان سنجر على خوارزم ابن أخيه «سليمان شاه بن محمد» والياً عليها ، وجعل له وزيراً واتابكاً وحاجباً وعاد بعد بقائه في

---

(١) رشيد الدين الوطواط : حدائق السحر في دقائق الشعر ، نقلة لأول مرة بالعربية : إبراهيم أمين الشواربي ، القاهرة ، ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م ، ص٨ ؛ النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج٢٦ ، ص٣٨٥ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص٤٧٤ ؛ خواندمير : المرجع السابق ، ص١٧١.

(٢) بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص٤٧٤.

أرض المعركة أسبوعا إلى مرو ، ولم تمر فترة طويلة على تلك الأحداث حتى استعان أهل خوارزم بأميرهم آتسز ، فانتهز الفرصة وعاد لخوارزم ، وهزم سليمان شاه الذي فرّ هارباً إلى السلطان تاركاً خوارزم[1]. واستقرت الأمور في خوارزم وأطلق الأمير آتسز على نفسه لقب ملك ، وفي عام «٥٣٥هـ/١١٤٠م» حذف اسم السلاجقة من الخطبة ، وكذلك العملة راغبا في الاستقلال[2].

جـ- تؤكد المصادر أن من أهم نتائج تلك الحرب - وكما سبق وأشرت - استعانة الأمير آتسز بالقراخطاى - الخطا[3]. لانتقامه من السلطان

---

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١١ ، ص٦٧ ؛ النويري : المصدر السابق ، ج٢٦ ، ص٢١٥ ؛ أبو الوردى : المصدر السابق ، ج٢، ص٤٣ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الخامس ، القسم الأول ، ص١٩١ ؛ القرماني : المصدر السابق ، ص٢٧٥ ؛ أحمد السعيد سليمان : المرجع السابق ، ج٢ ، ص٣٧٤ ؛ السيد أحمد بن زيني دحلان : المرجع السابق ، ص٦٦ ؛ عبد النعيم حسنين : المرجع السابق ، ص١١٦ ؛ خواندمير : ص٦٣١ ؛ مستوفي قزويني : تاريخ گزيدة ، المجلد الأول ، ص٤٨٧ ؛ إدوارد جرانفيل براون : تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي للسعدى ، ج٢ ، ص٣٨٤.

(٢) حمدالله مستوفي : تاريخ گزيدة ، المجلد الأول ، ص٤٨٧.

(٣) القخطاى «الخطا» : يذكر أنه «قرة» لفظ تركى معناه أسود ، وهناك احتمال يذكر أن المغول قد أطلقوا هذا اللفظ عليهم لعداوتهم وكرهم الشديد للخطا ، وهم من الشعوب الصينية التي بلغ عددها اثنتين وعشرين قبيلة ، منها قبيلة الخطا وتبلغ عددها مائتي ألف شخص ، وقبائل غيرها خرجوا من موطنهم شمال جبال تيان شان وأودية نهرى ايلي وتاريم ما بين بحيرتى بلخاس وايس كول ، في أوائل القرن ٦هـ/١٢م ، واستقروا غرب إقليم التركستان ، وتكونت دولتهم المعروفة بدولة القراخطانيين ، ويرجع تأسيس تلك الدولة إلى رجل يدعى «يوتاشه» ويقال له الكورخان «ملك الملوك» أو «خان خانات» ، ولقد صار فيما بعد لقب القراخطاي ؛ النويرى : المصدر السابق ، ج٢٧ ، ص٢٠٠ ، =

سنجر[1]. وكانت علاقة آتسز بهم طيبه ، فهو حريص على دفع الجزية ومقدارها ٣٠٠ ألف درهم من الذهب كل عام ، مرفقا معها الجزية العينية ، ومن المرجح أن يكون السبب وراء استعانته بالقراخطاى هي معركة قطوان نسبة إلى صحراء قطوان في شمال سمرقند ، وتمرده وعصيانه على السلطان سنجر ، باعتبارها معركة فاصلة في حياته ، فهي تمثل انتهاء مرحلة القوة للسلطان وبداية مرحلة الضعف والانهيار له أيضاً ، فصارت الكفة راجحة للقراخطاى ، حيث فقد السلطان سنجر فيها عدداً كبيراً من جنوده بلغ عددهم ١٠٠ ألف رجل منهم ١٢ ألف من أصحاب العمائم ، وكذلك ٤ آلاف امرأة وعلى رأسهم زوجته «تركان خاتون» ، بالإضافة إلى أسر السلطان سنجر نفسه ، وحمله إلى الخان وبقائه عاماً كاملا لديهم وعلى الرغم من معاملتهم الطيبة له لم يمنع ذلك من ضياع ملك ما وراء النهر من يديه وتملك القراخطاى لها[2].

= حاشية١ ؛ أبو الفرج جمال الدين ابن العبري : تاريخ الزمان «نصوص - دروس» ، (دار المشرق ، بيروت ، ١٩٤٩-١٩٥٦م) ، ص٧٨ ؛ ابن خلدون المصدر السابق ، المجلد الثالث ، القسم الخامس ، ص١٠٦٩ ، إقبال عباس الاشتياني : المرجع السابق ، ص٢٨٢ ؛ محمد النسوي : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى ، ص٣٦ ، حاشية٣ ، ص٤٣ ، حاشية٤-٥ ، وذكر ملكهم في المراجع الأجنبية تحت «يه-لوتاش».

Ye-Lui tashi or ye – Lu – chai: Sir percy sykes, history of Persia, p.49.

(١) ابن العبري : تاريخ الزمان ، ص١٥٥.

(٢) رشيد الدين الوطواط : المرجع السابق ، ص٨ ؛ النويرى : المصدر السابق ، ج٢٦ ، ص٣٨٥ ؛ ابن الجوزى : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ،(دار صادر ، ط١ ، بيروت ، ١٣٥٨هـ) ، ج١ ، ص٩٦-٩٧ ؛ ابن الوردى : المصدر السابق ، ج٢ ، ص٢٢٢ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الخامس ، =

كل ذلك مهّد الطريق للأمير آتسز إلى القيام بالعديد من الأعمال وهي على النحو التالي :

أ - إغارته على المناطق الشرقية الواقعة بين كاشغر وبخارا وكذلك تأليب الأقطار الإسلامية على السلطان سنجر ، والتي كانت تابعة له من قبل[1].

ب- استحواذه على العديد من المناطق ، ومنها سرخس واتجاهه بجيشه إليها ، ومقابلته للإمام «أبي محمد الزيادى» ثم اتجاهه إلى العاصمة مرو الشاهجان ، وتقابل معه الإمام «أحمد الباخورى» فشفع لأهل مرو واستجاب الأمير آتسز لأوامره ، لذا جعل الجنود على ظاهر المدينة ونظراً لثورة أهل مرو عليه وإخراج أصحابة وقتلهم ، دفعه ذلك إلى قتالهم وملك المدينة عنوة ، وجلس على عرش السلطان سنجر ، ونقل خزائنه وأمواله ، وكذلك غلمانه وفقهاء مرو إلى خوارزم ، وكان من بين الفقهاء «أبو الفضل الكرمانى»[2].

= القسم الأول ، ص١٩٢ ؛ نظام عروضي السمرقندى : جهار مقالة ، ص١٠٧ ، حاشية٢٤ ؛ عطا ملك الجوينى : جهان گشا ، ص١٦٣ ؛ بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولى ، ص٤٧٧ ؛ عبد النعيم حسنين : المرجع السابق ، ص١٤٤ ؛ دائرة المعارف الإسلامية ، ج٢ ، ص٢٢٢ ؛ رشيد الدين فضل الله : جامع التواريخ ذكر تاريخ آل سلجوق ، تصحيح وتحشيه : محمد روشت ، ومصطفي موسوى : تهران ، ١٣٧٣هـ ، المجلد الثاني ، القسم الخامس ، ص٨٧.

(١) عبد النعيم حسنين : سلاجقة إيران والعراق ، ص١١٧.

(٢) رشيد الدين الوطواط : المرجع السابق ، ص٨ ؛ النويري : المصدر السابق ، ج٢٧ ، ص٢٠٠-٢٠١ ؛ ابن الجوزى : المصدر السابق ، ج١٠ ، ص٩٥ ، ذاكرا «أنه قد قبض على أبي الفضل الكرمانى متقدم الحنيفيين ، وعلى جماعة من الفقهاء» ؛ المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج١ ، القسم الأول ،=

وبعدها صار إلى نيسابور وحدث بها ما حدث بمــرو ، وتشــفع علماؤها عنده وقبل ذلك ووافقوا على ذكر اسمه في الخطبــة بــدلاً مــن السلطان سنجر السلجوقي وإن كانوا قد ثاروا عليهم ثم ما لبثوا أن رجعوا لصوابهم خوفا من الأمير[1]. ثم ثار بجيشه إلى أعمــال بيهــق ، وظــل يحارب أهلها خمسة أيام تقريبا ، وبعدها تفشي الجنــود فيهــا ينهبــون ويسلبون[2]. ثم عاد الأمير آتسز إلى خــوارزم ، وخلــع ولاءه وتبعيتــه للسلطان سنجر ، وبذلك أعلن استقلاله المؤقت ، وجعــل رشــيد الــدين الوطواط العمرى رئيس ديوان إنشائه ونظــراً لأن رشــيد الــدين كــان مصاحباً للأمير في كل ما قام به ، فبارك له ما فعله ، وقال :

= ص٣٧ ؛ ابن كثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص٢١٨ ، قائلاً : «إن عــدد الجيش الذي كان لخوارزم ٣٠ ألف مقاتل» ؛ ابن خلدون : المصدر الســابق ، ص١٩٧ ؛ حافظ أحمد حمدي : المرجع السابق ، ص٢١ ؛ براون : المصــدر السابق ، ج٢ ، ص٣٨٤ ؛ رشيد الدين فضل الله : المرجع السابق ، ص٨٧.

(١) رشيد الدين الوطواط : المرجع السابق ، ص٨٧ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ص١٩٣ ؛ محمد بن العظيمى الحلبي : تاريخ العظيمي ، (باريس ، ١٩٣٨م) ، ص٤٤٢ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص٧٧ ، ذاكراً أن نهب آتسز لمرو تم في ٩ نوفمبر ٥٣٦هـ ، وإن كان لم يبلغ نيسابور إلا في مايو من العــام نفســه ٥٣٦هـ/١١٤٢م ، ويعنى تأخره احتمالية تعرضه للهجوم من قبل القراخطاى مما اضطره إلى المصالحة ودفع الجزية ، وذلك يتنافي مــع اســتعانته بهــم ضــد السلطان سنجر ، وهناك منشور قد وجهة لأهل نيسابور قــال : (إن مــا حــاق بسنجر كان جزءا وفاقا على نكرانه الجميل الذي قابل به إخلاص خوارزمشــاه في خدمته ولا ندرى أن كان ينفعه الندم فهو لن يجد عضدا أو صــديقا لدولتــه مثلنا) ، وقرأت الخطبة له في ٢٩ مايو ٥٣٨هـ/١١٤٣م ؛ عطا ملك الجــويني : المرجع السابق ، ص١٦٧.

(٢) النويرى : المصدر السابق ، ج٢٧ ، ص٢٠١ ؛ المقريزي : المصدر الســابق ، ج١ ، ص٣٧ ؛ عبد النعيم حسنين : المرجع السابق ، ص١١٧.

عندما اقبل الملك إلى عاصمته وعرشه انتهى أمر السلاجقة وآل لهم[1].

ولكن ما لبث الأمير أن فقد ذلك الاستقلال المؤقت ، وذلك برجوع السلطان سنجر السلجوقي واستعادته لسلطانه على خوارزم ، وتوجه للعاصمة الخوارزمية ، وبذلك بدا الصدام الثاني بينهما.

- **الصدام الثاني «٥٣٨هـ/١١٤٣م»** :

حيث ظل الصدام قائماً بينهما وراء أسوار العاصمة الخوارزمية هزاراسب «وتعنى ألف جواد» حتى أوشكت على السقوط في أيدي السلاجقة ، لولا لجوء الأمير آتسز إلى الاعتذار ، وإرسال الهدايا مع أمراء جيشه ، وطلبه للصلح معتذرا عما بدر منه ، فترك السلطان الحرب ، وترك خوارزم وعاد إلى دار ملكه[2]. وبعدها أعاد الأمير آتسز كل ما أخذه من كنوز السلطان لعاصمته مرو ، وبقي على ولايته[3].

---

(١) جون ملك آتسز تنجت ملك برآمد دولت سلجوق وآل وى سر آمد
رشيد الدين الوطواط : المرجع السابق ، ص١٨١ ، مستوفي قزوينى : تاريخ گزيدة ، المجلد الأول ، ص٤٨٧ ، (وإن كان قد اختلف معه في ميعاد ذكر ذلك البيت محدداً ذلك بعد الصدام الأول بينهما).

(٢) رشيد الدين الوطواط : المرجع السابق ، ص٨٠ ؛ النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج٢٧ ، ص٢٠١ ، ج٢٦ ، ص٣٨٦ ؛ ابن الوردى : المصدر السابق ، ج٢ ، ص٤٤ ، ذاكراً أن عام ٥٣٧هـ (هو العام الذي حصر فيه السلطان سنجر آتسز وأعلن الطاعة له) ؛ المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج١ ، القسم الأول ، ص٣٧ ؛ بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولى ، ص٤٧٨ ؛ حسين أمين : المرجع السابق ، ص٨٦ ؛ حمد الله مستوفي قزوين : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص٤٨٨ ؛ خواندمير : المرجع السابق ، ص٦٣١ ؛ محمد دبير سياقي : المرجع السابق ، ص٨٠ ؛ ميراخوند : روضة الصفا ، ج٤ ، ص٣٥٩.

(٣) النويرى : المصدر السابق ، ج٢٧ ، ص٢٠١ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص١٧٨.

- **الصدام الثالث للأمير آتسز مع السلطان سنجر «٥٤٢هـ/١١٤٧م» :**

يرجع هذا الصدام إلى تلك الرسالة التي أرسلها الأمير آتسز بعد قبول السلطان سنجر لاعتذاره ، وكان مضمونها تلك القصيدة ، وهي :

أنـــه لا طاقـــة لـــه بالحرب   ولا يرغب حتى في الصلح مع الملك

والمـــلك ملك الدنيا والعالـــم   وهزيمتـــي ليست عـــارا بل فتنه[1].

وندرك من البيتين السابقين عدم مبالاة الأمير آتسز بـــالحرب ولا الصلح إلى جانب أثارته لغضب السلطان سنجر ، لذا فقـــد رد الســـلطان برسالة أرسلها مع الأديب صابر ذمّ فيها الأمير بكونه عاجزاً عن الصلح ، وكونه في حالة من الأمن والأمان ، وأن تحول السلطان ســـنجر عـــن العهد ليس من شيمه ، إلى جانب أنه لا يخشي عداوته ، بل يخاف الله في أراقه دماء المسلمين ، ووقوع القتل بينهم.

وترتب على ذلك قرار الأمير بالتخلص من السلطان عن طريـــق توكيل شخصين من الفداوية الإسماعيلية لقتله ، ولسوء حظه علم أديـــب صابر الترمذي بتلك المؤامرة ، فأرسل إلى السلطان رسالة مخبئـــة فـــي حذاء امرأة عجوز ، موضحا فيها أوصاف هؤلاء ، وتم التعرف علـــيهم وقتلهم ، وكان جزاء أديب صابر على وفائه لسيده هو قتله بإلقائه في نهر جيحون.

---

(١) **مرا با مـــلك طاقت جنـــگ نيست   بصلـــح ملك نيز آهنـــك نيست**

ملك شهيد يا رست وشاه جهان   هزيمت شذن زوُ مرات كنيست

حمدالله أبي بكر بن أحمد بن نصر مستوفي قزويني : تاريخ گزيـــدة ، المجلـــد الأول ، ص٤٨٨.

وبعد تلك المناوشات عزم السلطان سنجر على محاربة آتسز والاتجاه إلى خوارزم[1]. فكانت الحملة الثالثة على خوارزم عام ٥٤٢هـ/١١٤٧م ، فاتجه السلطان إلى العاصمة هزاراسب ، وحوصرت شهرين تقريباً وأثناء الحصار تم العديد من المراسلات الأدبية بين كل من الشاعر أنوري «كان في خدمة السلطان سنجر» وبين رئيس ديوان الأمير آتسز «رشيد الدين الوطواط».

وكانت البداية للشاعر أنورى الذي قال هذا الرباعى ووضعه على سهم وألقاه على مدينه هزاراسب ، وقال :

أيها المليك إن ملك العالمين رهن لإشارتك

وبدولتك وإقبالك قد كسبت العالم

فاليوم أقدم بحملة واحدة وخذ هزاراسب فغداً

ستأخذ خوارزم ومائة شبيه بهزاراسب

---

(١) رشيد الدين الوطواط : المرجع السابق ، ص٨ ؛ بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص٤٧٨ ؛ إقبال عباس الاشتيانى : تاريخ إيران بعد الإسلام ، ص٢٨٦ ، قائلاً : عن أديب صابر بكونه من ترمذ ، كان مادحاً للسلطان ، ثم بعث برسالة إلى الأمير آتسز ، ومكث في خوارزم فترة حتى تمت تلك المؤامرة التي دفع حياته ثمن اكتشافها ، ص٢٨٧ ، حاشية٢ ؛ حمدالله مستوفي القزوينى : المصدر السابق ، ص٤٨٨ ؛ خواندمير : حبيب السير في أخبار البشر ، ص٦٣١ ، حيث اختلف معهم في كونه قد أرسل أديب صابر لكى يوقف عمليات التمرد ، وخاصة عندما علم بنيه آتسز في إرسال رجلين لاغتيال السلطان ولم يشر إلى رسالة آتسز ؛ ميرخواند : المرجع السابق ، ص٣٥٩ ؛ براون : المرجع السابق ، ج٢ ، ص٣٨٥-٣٨٦.

فرد عليه رشيد الدين الوطواط قائلاً :

لو قدر وكان خصمك هو البطل المعروف رستم

فانه لن يستطيع أن يأخذ حماراً واحداً من جيادك الألف «هزاراسب»[(١)].

وفي النهاية تمكن السلطان سنجر من الاستيلاء على مدينة هزاراسب ، إلى جانب رغبته الأكيدة في التوجه لعاصمة الأمير آتسز لولا تدخل الوسطاء من العلماء والمشايخ للشفاعة له عند الأمير سنجر ، ومن بينهم زاهد يدعى «آهو بوش» وتم الصلح مشروطاً بذهاب الأمير آتسز إلى ضفاف نهر جيحون لتقديم مراسم الولاء والطاعة ، وتم ذلك رغم أنه في مقابلته للسلطان سنجر لم يترجل عن جواده ، ولم يقبل الأرض تحت أقدام السلطان ، بل اكتفي بانحناء رأسه ، ولم يشأ السلطان نشوب حرب أخرى بسبب قصوره في تقديم واجب الاحترام من قبل أحد أتباعه وعاد إلى مرو[(٢)].

---

(١) اى شاه إهمه ملك زمين حسب تراست   واز دولت واقبال جهان كسب تراست

امروز بيك حمله هزاراسب بگير   فردا خوارزم وصد هزارسب تراست!

بيت رشيد الدين الوطواط :

گر خصم تواى شاه بود رستم گرد   يك خرز هزاراسب تو نتو نديرد

رشيد الدين الوطواط : المرجع السابق ، ص٩ ، ذاكراً أن السلطان سنجر بمجرد سماعة بما قاله حتى أقسم على تمزيقه إلى سبعة أقسام ، وجد في البحث عنه ، فاخذ الوطواط على عاتقة التنقل والترحال من مكان إلى آخر حتى أدرك في النهاية أنه لا راحة ولا استقرار إلا بعودته لوطنه خوارزم ، لذا جد في البحث عما يتشفع له عنده فكان «منتخب الدين بديع الكاتب» الذي يجمع بين الإنشاء والمنادمة ، وانتهز الفرصة وحصل على العفو لرشيد الدين ؛ حمدالله مستوفي القزويني : المرجع السابق ، ص٤٨٨-٤٨٩ ؛ خواندمير : حبيب السير في أخبار البشر ، ص٦٣١ ؛ ميرخواند : روضة الصفا ، الجزء الرابع ، ص٣٦٠.

(٢) أحمد السعيد سليمان : المرجع السابق ، ج٢ ، ص٢٢٢ ؛ إقبال عباس الاشتياني : المرجع السابق ، ص٢٨٧-٣٠٢ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص٤٧٨ ؛=

وبذلك فقد الأمير آتسز الأمل في فرض سيطرته على خراسان ، لذا وجه اهتمامه إلى حوض نهر سيحون لاسترداد ما ضاع منه[1]. ومنها مدينة «جند» التي حرص على استرجاعها مرة ثانية ، وكان حاكمها في ذلك الوقت «كمال الدين بن أرسلان خان محمود» فأرسل له الأمير آتسز من أجل التعاون معه للقيام بحملة في ربيع عام ٥٤٧هـ/١١٥٢م ، على أراضي القبجاق الذين جعلوا من مدينه «سقناق» أو «سغناق» مركزاً لهم ، لذا أعّد الجيش بذلك.

وإن كنت أرجح كونه فعل ذلك لإرهاب ذلك الحاكم ، بدليل أنه ما إن علم بذلك حتى فّر هارباً من المدينة ، فأرسل إليه مبعوثيه ووعدوه بالعودة سالماً ، ولكن لم يف الأمير آتسز بذلك وقضى ذلك الحاكم بقية حياته في السجن ، ولم تتم تلك الحملة التي زعمها ، ونظراً لانشغال جنده في استتباب الأمن في مواضع أخرى تمكن الثوار من المدينة فقام الأمير آتسز بمحاولة أخرى خارج المدينة ، وتمكن قواده في أسبوع واحد من اجتياز المفازة بين خوارزم وجند ، ووصلوا إلى ضفاف نهر سيحون عند «صاغ دره» أي على مسافة عشرين فرسخا «٢٠ فرسخاً» من مدينة

= دائرة المعارف الإسلامية : ج٢ ، ص٢٢٢ ؛ حمدالله مستوفي القزويني : تاريخ گزيدة ، المجلد الأول ، ص٤٨٩ ؛ خواندمير : حبيب السير ، ج٤ ، ص٦٣٢ ، والذي خالف المصادر حول الذي ذكرته في مقابلة الأمير آتسز للسلطان السلجوقي سنجر عند ضفاف نهر جيحون فيذكر أنه قد أتى بجانب جيحون ، وسار في مواجهة السلطان ونزل من على جوداه ، ومرغ وجهه في التراب ، واعترف بغلطته وجرمه ، ثم صار بجانب السلطان وتأدب بآداب السلطان ، وكذلك أرسل هدية وهي منحه مالية من الصغير إلى الكبير ؛ ميرخواند : روضة الصفا ، ج٤ ، ص٣٦٠ ؛ رشيد الدين فضل الله : المصدر السابق ، المجلد الثاني ، الجزء الخامس ، ص٨٧.

(١) بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص٤٧٨-٤٧٩.

جند ، وفي ٩ من شهر ربيع الأول عام ٥٤٧هـ/١١٥٢م ، شارف على أبواب المدينة حيث كانت الظروف مهيأة لصالحهم ، ولقد فرّ الثوار هرباً عندما سمع بقرب مقدم الجيش ، أما بقية الثوار فقد اقسموا يمين الطاعة وتم العفو عنهم واستعاد مدينة جند مرة ثانية ، وولى عليها ابنه أبا الفتح إيل أرسلان[١].

- **الوضع في خراسان :**

لقد كان الوضع مختلفا تماماً ويسير في صالح الأمير آتسز ، حيث نشبت الحرب بين السلطان سنجر وقبائل الغز التركية عام ٥٤٨هـ/١١٥٣م ، نظرا لرغبة السلطان في إخضاع هؤلاء الرعاة لولاة دولته وإداراتها وجباية ضرائبها من الإيرانيين ، ولكنه هُزم شر هزيمة ، وظل لديهم ما يقرب من ثلاث سنوات[٢].

وعلى إثرها دب الهرج والمرج في خراسان ، واستولى الغز على مرو عاصمة السلطان سنجر إلى جانب نيسابور ، لذا سنحت الفرصة لآتسز من أجل تحقيق حلمه ومحاولته ثانياً في الاستقلال ، وفرض سيطرته على خراسان ، إلا أنه أخذته الحمية فظهر بمظهر المدافع عن السلطة الشرعية[٣]. فاخذ على عاتقة تأمين حدود إمارته ، بطلبة ضم مدينة آمل إليه من حاكم آمل ولكنه لم يوفق ، وكذلك حملاته إلى جند ،

---

(١) حمدالله مستوفي القزويني : المصدر السابق ، ص٤٨٩ ؛ خواندمير : المرجع السابق ، ص٦٣٢-٦٣٣ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص٤٧٨-٤٧٩.

(٢) بدر الدين العيني : السيف المهند في سيرة الملك المؤيد ، ص١٧٨ ، (ولقد ذكر كونه قد أسر لديهم ما يقارب من خمس سنوات ، وإن كان ذلك يتناقض مع تاريخ وفاته) ؛ خواندمير : حبيب السير ، ص٦٣٢.

(٣) ابن خلدون : المصدر السابق ، ص١٩٣ ؛ إقبال عباس الاشتياني : تاريخ إيران بعد الإسلام ، ص٢٨٨ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص٤٨٠ ؛ حسين أمين : المرجع السابق ، ص٨٦ ؛ دائرة المعارف الإسلامية : ج٢ ، ص٢٢٢.

وشبة جزيرة منقشلاغ ، وكذلك ضد القبجاق ، وأخيه «ينال تكين» الـذي قام بالتحريض في نواحي بيهق ، وذلك من أواخر ديسمبر عـام ١١٥٣م إلى آخر خريف عام ١١٥٤م ، وبعدها اتجه إلـى ضـرورة تخلـيص السلطان سنجر من أيدي الغز ، بحضوره بما تبقي من جيش السلطان إلى ما وراء النهر حيث حاكمها «ركن الدين محمود خان» وعقدوا اتفاقا على إنقاذه ، وترك الأمير آتسز على خوارزم ابنه «خطاى خان»نائبـاً عـن أبيه[١].

ولقد ظل الأمير آتسز وابن أخت السلطان سـنجر ركـن الـدين محمود خان ثلاثة أشهر في بعض نواحي نسا يتشـاوران فـي تنظـيم المملكة[٢].

وفي عام ٥٥١هـ/أكتوبر-نوفمبر ١١٥٦م ، تمكن السلطان سنجر بمساعدة أحد قواده من الخلاص من أيدي الغز ، ووصل إلى مدينه ترمذ بسلام ، وما أن علم الأمير آتسز بذلك حتى أرسل رسالة يهنئه بسـلامة الوصول والنجاة من هؤلاء الغز[٣]. وبذلك عاد لتبعيته للسـلطان سـنجر طالباً منه السماح بالعودة إلى خوارزم ، أو الذهاب إلى مدينة ترمذ بعـد عودة السلطان إلى عاصمته مرو ، ويضم إلـى جيشـه أو يبقـي فـي خراسان.

---

(١) بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص٤٨٠.

(٢) خواندمير : المرجع السابق ، ص٦٣٢.

(٣) النويرى : نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج٢٦ ، ص٢٨٨ ؛ دائـرة المعـارف الإسلامية : ج٢ ، ص٢٢٢ ؛ إقبال عبـاس الاشـتيانى : المرجـع السـابق ، ص٢٨٨ ، ذاكرا أن الأمير آتسز بعد أن تلاقي في خراسان مع الخاقان محمود راسل وكتب لكل من الشاه الغازى اسبهيد طبرستان ، علاء الدين حسين الغورى ، تاج الدين أبو الفضل ملك تيمروز ، من أجل الدعوة إلى معاونـة السـلطان سنجر وتخليصه من حبسه.

ولم ينته الأمر عند هذا الحد بل أرسلت رسائل على نفس وتيرة رسالة الأمير آتسز من أجل المصالحة والمسالمة من كل من «محمود خان حاكم ما وراء النهر ، وحاكم سجستان حاكم ولاية الغور الجبلية» وتمت المصالحة عندما تقابل السلطان مع رسول حاكم سجستان في مدينة شهرستان ، وكذلك محمود خان في إحدى مدن خراسان وهي خبوشان»[1].

وظل الأمير آتسز على تبعيته تلك حتى إصابته بمرض مات على إثره في جمادى الأولى ٥٥١هـ/٣٠ يوليو ١١٥٦م ، وكان عمره في ذلك الوقت ٥٩ عاماً ، ويذكر أنه في أيام مرضه وصله صوت شخص يقرأ القرآن وعندما أنصت لهذا الصوت سمع تلك الآية ﴿وما تدرى نفس بأي أرض تموت﴾.

ولقد بكاه رشيد الدين الوطواط قائلاً :

أيها الملك لقد كان الفلك يرتعد لشدة قهرك

وكان ينقاد لك طواعية ويستجيب لأمرك

فأين واحد من أصحاب النظر لينظر في خبرك

وهل كان كل هذا الملك ليساوى هذه النهاية عندما غيبوك في قبرك[2].

---

(١) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، المجلد الخامس ، القسم الأول ، ص١٩٤ ؛ إقبال عباس الاشتيانى : المرجع السابق ، ص٢٨٨ ؛ بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولى ، ص٤٨١.

(٢) رشيد الدين الوطواط : حدائق السحر في دقائق الشعر ، ص١٥ ؛ خليل بن أيبك بن عبدالله الأديب صلاح الدين الصفدى : الوافي بالوفيات ، ج٦ ، ص١٩٥ ، حيث قال آتسز عند الموت : «ما أتمنى بالية ، هلك عنى سلطانيه» ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ص١٩٤ ، ذاكرا أنه توفي بعد أن تولى حكم ولايته ستين عاماً تقريبا ؛ إقبال عباس الاشتيانى : المرجع السابق ، ص٣٠٢ ؛ خواندمير : المرجع السابق ، ص٦٣٢.

وبذلك وضع الأمير آتسز الأساس الذي سوف يسير عليه خلفاءه من بعده وذلك بعد أن انتهت تبعية إمارة خوارزم للسلاجقة بوفاة السلطان سنجر في ربيع الأول عام ٥٥٢هـ/١١٥٧م[١].

ومنذ عهد السلطان إيل أرسلان خوارزمشاه قامت دولة شـــاهات خوارزم بعد محاولات عديدة من أمرائها في الاستقلال من تبعية الـــدول المجاورة.

---

(١) النويرى : المصدر السابق ، ج٢٦ ، ص٣٨٩ ؛ بارتولد : المرجـــع الســـابق ، ص٤٨٢ ؛ دائرة المعارف الإسلامية : ج١٢ ، ص٣٤٩ ؛ عطا ملك الجوينى : جهان گشا ، ص١٦٧.

الفصل الثاني
دولة شاهات خوارزم

«٥٥٢ - ٦١٧هـ/١١٥٦ - ١٢١٩م»

محتويـــات الفصـــــل

مقدمة تمهيدية.

أولاً : السلطان إيل أرسلان بن آتسز خوارزمشاه

«٥٥٢ – ٥٦٨هـ / ١١٥٧ – ١١٧٢م»

أ – توسعات إيل أرسلان خوارزمشاه.

ب- إيل أرسلان ومحاولته السيطرة على بعض مـدن إقلـيم بـلاد الجبل.

جـ – إيل أرسلان خوارزمشاه وعلاقته بالقراخطاى.

ثانياً : أبو المظفر علاء الدين تكش خوارزمشاه

«٥٦٨ – ٥٩٦هـ / ١١٧٢– ١١٩٩م»

أ – الصراع على العرش بينه وبين ابن أخيه سـلطان شـاه أبـو القاسم محمود بن إيل أرسلان.

ب- السلطان الخوارزمي تكش وسيطرته على إقليم الجبل.

جـ- الثورات ضد الخوارزميين في إقليم بلاد الجبل.

د- حملته على مدينة بخارا واستيلاؤه عليها عام ٥٩٤هـ/١١٩٧م.

هـ- محاولة السلطان تكش الاستيلاء على مدينة سرخس.

و- السلطان تكش خوارزمشاه وصراعه مع الغوريين والقراخطاى عام «٥٩٤هـ/١١٩٧م».

ز- السلطان تكش ومحاربته للإسماعيلية الحشيشية.

ثالثاً : علاء الدين محمد بن تكش خوارزمشاه

« ٥٩٦ – ٦١٧هـ / ١١٩٩ – ١٢١٩م»

أ – توليته لعرش خوارزم وصراعه مع ابن أخيه هندوخان.

ب- الغوريون واستيلاؤهم على بعض أملاك الدولــة الخوارزميــة وموقف السلطان الخوارزمي من ذلك.

جـ- محاصرة السلطان علاء الدين خوارزمشاه لمدينة هراة وأسباب ذلك.

د- استيلاء السلطان علاء الدين محمد على كل من بلخ ، والترمــذ والبلدان المجاورة لها.

هـ- العــودة إلــى هــراة والســيطرة عليهــا نهائيــاً عــام «٦٠٥هـ/١٢٠٨م».

و- استيلاء علاء الدين محمد خوارزمشاه على غزنة وأعمالها.

ز- القراخطاى وقضاء السلطان علاء الدين محمد على دولتهم.

حـ- الأوضاع العامة لإقليم بلاد الجبل واســتعادته لــه منــذ عــام «٥٩٥ – ٦١٤هـ/١١٩٨ – ١٢١٧م».

ط- السلطان علاء الدين محمد خوارزمشــاه والخلافــة العباســية وحملته على بغداد.

الفصـل الأول
دولـة شاهـات خـوارزم

مقدمة تمهيدية :

تناولنا في الفصل السابق الكيانات السياسية شبه المستقلة التي قامت في إقليم خوارزم ومحاولات أمراء تلك الأسر للحصول على استقلالهم وتركهم لتبعية كل من الغزنويين والسلاجقة ، ونجاحهم في بعض الأحيان في تحقيق ذلك ، ولو لفترات قليلة تكاد لا تذكر ، ثم يعودون لتبعية تلك الدول مرة ثانية ، واستمر ذلك حتى البدايات الأولى المبشرة لتكوين دولة شاهات خوارزم المستقلة والتي تمثلت في مؤسس تلك الدولة انوشتكين وابنه قطب الدين محمد ، وحفيده الأمير آتسز والذي جاهد محاولاً أكثر من مرة الحصول على استقلال تلك الدولة ، وذلك كما وضحنا من خلال حروبه المستمرة مع أعظم سلاطين الدولة السلجوقية السلطان سنجر السلجوقي والذي بوفاتهما حصلت الدولة على استقلالها بعد جهاد طال أمده ، وبدأ كيان تلك الدولة القوية منذ عهد السلطان إيل أرسلان بن آتسز والذي يعتبره المؤرخين أعظم وأول السلاطين العظام في تلك الدولة.

أولاً : السلطان إيل أرسلان بن آتسز خوارزمشاه[1] «٥٥٢ – ٥٦٨هـ / ١١٥٧ – ١١٧٢م» :

كان حاكماً على ولايتى جند وسقناق في حياة والده[2]. وما أن ذاع خبر وفاة الأمير آتسز بن قطب الدين محمد بنحو أربعة أيام ، توجه إلى خوارزم فبايعه الأمراء وأركان الدولة في الوقت الذي كان فيه فريق

---

(١) إيل أرسلان : إيل لفظ تركى معناه ولاية ، أرسلان لفظ تركى أيضاً يعنى الأسد ؛ محمد النسوي : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى ، ص٣٤ ، حاشية١.

(٢) حبيب الله شالموئي : تاريخ إيران از ماد تا بهلوى ، ص٤٣٦ ؛ خواندمير : حبيب السير في أخبار البشر ، ص٦٣٣.

يتزعمه الأتابك «أغلبيك» وعدد من الأعيان ينادون بتولية سليمان شاه بن آتسز على عرشى خوارزم ، وتمكن إيل أرسلان من القضاء على مثيرى الفتنه وجلس على العرش في الثالث من رجب عـــام ٥٥٢هـ/١١٥٦م[١]. يؤكد ذلك ما ذكره بارتولد قائلاً : «قتل نفراً من أعمامه وسمل أخاه فمات بعد ثلاثة أيام وقيل : بل قتل نفسه»[٢]. وبذلك تولى ايل أرســـلان ملـــك خوارزم بعد وفاة والده مباشرة[٣]. وبعـــث بطاعتـــه للســـلطان ســـنجر السلجوقي الذي كتب له ولاية خوارزم ، وظل على تلك الطاعـــة حتـــى وفاتـــه ، وبعـــدها صـــار ايـــل أرســـلان أو ســـلاطين الخـــوارزميين المستقلين[٤].

أ – توسعات إيل أرسلان خوارزمشاه :

أخذ إيل أرسلان على عاتقة تنفيذ الخطة التي رسمها والـــده مـــن قبل في السيطرة وفرض سلطانه على خراسان ، وخاصـــة بعـــد وفـــاة السلطان سنجر أكبر مانع لتقدم الخوارزميين في خراسان ، بوفاته انتهت القوة السلجوقية قي بلاد فارس وخراسان ، وانتشر الهرج والمـــرج فـــي خراسان وما وراء النهر ، لذا اتجه لعقد اتفاق مع ركن الدين محمود خان (خليفة السلطان سنجر) والذي لم يكن في مهارة السلطان الســـابق وذلـــك يتضح من خلال تلك الرسائل المرسلة من إيل أرسلان له ، والتي كانـــت

---

(١) ميرخواند : روضة الصفا ، المجلد الرابع ، ص٣٦٤.

(٢) بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص٤٨٢.

(٣) أرمنيوس فامبرى : تاريخ بخارى ، ص١٤٩.

(٤) حافظ أحمد حمدى : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص٢٢ ؛ حبيب الله شمالوئي : المرجع السابق ، ص٤٣٦ ؛

Ibrahim Kafeso Glu : Hakki du Rsum. Yildizerdo Gan Mere, Iland Mehmet Saray, A short history of Turkish Islamic State Excluding the Ottomen State, p.154.

تذّيل بعبارة «صديقك الأمين» في حين أن الأمير آتسز كان يذّيل رسائله للسلطان سنجر بعبارة «عبدك» وذلك يدل على رجحان كفة الخوارزميين الذين تهيأت لهم الظروف لتحقيق أطماعهم الاستقلالية(١).

وكذلك مراسلة إيل أرسلان لخليفة السلطان سنجر وحثه على ضرورة الاستيلاء على خراسان ، لم يتمكن من ذلك بسبب الخلاف بين الخليفة العباسي والسلطان محمد السلجوقي ملك سلاجقة الغرب(٢).

وبجانب تلك السياسة السلمية ، هناك دوافع دعت السلطان إيل أرسلان خوارزمشاه إلى الاشتباك والحرب لتحقيق أهدافه التوسعية في خراسان ، ومنها :

١- الأمير «مؤيد أي أبه» (أحد الأمراء التابعين للحكام القراخاتيين) والذي كان يحكم جزءاً من خراسان ، ثم بدأ في توسيع نفوذ القراخاتيين مما هدد ممتلكات إيل أرسلان ، لذا طلب المساعدة من التركمان (القرلق) فقاموا بمساعدتهم في الإغارة على سمرقند وبخارا ، وصدهم حاكم سمرقند وهو «جلال الدين» وقتل عدد كبير من حملة الترك هذه(٣).

٢- استعانة أبناء بيغوخان ولاجين (تكين) وجمع آخر من زعماء القزلقان بايل أرسلان ، ومجيئهم إلى خوارزم بسبب تعسف خان سمرقند وقضائه على بيغوجان ، ولقد توافق ذلك مع أهداف خوارزمشاه ، لذا اتجه بهم إلى ما وراء النهر ، وبمجرد سماع حاكم سمرقند حتى استدعى قاطنى الصحراء من التركمان «من قراقول

---

(١) حافظ أحمد حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص٢٢.

(٢) حبيب الله شمالوئي : تاريخ إيران از ماد تا بهلوى ، ص٤٣٦.

(٣) حبيب الله شمالوئي : المرجع السابق ، ص٤٣٧.

حتى نجد» واستعانته أيضاً بالقراخطاى حيث أمدوه بـــ ١٠ آلاف فارس ، وما أن وصل خوارزمشاه إلى بخارا حتى امتنع عنه أهلهـا فتوجه إلى سمرقند ، فاستعان خـان سـمرقند «بايلـك» وأقـاموا معسكرهم على ضفاف نهر سعد وتمت المواجهة ولكن حاكم سمرقند أرسل العلماء والفقهاء طالبين الصلح ومن المحتمل تمـام الصـلح ، وأرسـل أمـراء قزلقـان إلـى بلادهـم بـاحترام وذلـك عـام «٥٥٣هـ/١١٥٨م»[١].

- **عام** «٥٥٥هـ/١١٦٠م» :

ثم تكررت المحاولة مرة ثانية من قبل خوارزمشـاه ، فصـارت طائفة من عساكره إلى «أحجة» وهاجموا «يغمرخان بن أودك» ومن معه من الأتراك البرزية ، وقتلوا منهم الكثير وهزمـوهم ، وبعـدها قصـد السلطان السلجوقي محمود بن محمد الغز لنجدته ، وخاصة بعد أن فطـن أن «اختيار الدين ايتاق» وراء تحرك الخوارزميين لمهاجمته[٢].

ولكن لم يسفر ذلك عن نتائج حاسمة سوي أنها قد أوضحت تبدل حال السلاجقة من القوة إلى الضعف ، وظهور قوة جديدة علـى مسـرح الأحداث ، وهي الدولة الخوارزمية المستقلة.

---

(١) فامبرى : المرجع السابق ، ص١٤٩ ، حيث قال «إن ايل أرسلان قد تمكن مـن بخارى سلماً ، ثم عجز عن مواجهة جيش سمرقند ، والذي كـان أغلبـه مـن التركمان ، لذا عاد إلى خوارزم دون الوصول إلى نتيجة حاسمة معه ، وبقـي الاويغور في حوزتهم الجزء الأكبر من بلاد ما وراء النهر وكذلك فرغانه ، أما الخوارزميون فقد قنعوا بالإقليم الواقع عند حدود بخارى الغربية ويقصـد بهـا بلدان آموى ، قراقول ، جند من ناحية الشمال الغربي ؛ ميرخوانـد : روضـة الصفا ، ص٣٦٤ ؛

M.A. Czaplicks : the Turkes of central Asia in history and at the present day, p.82.

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج١١ ، ص٢٥٨-٢٥٩.

ب– إيل أرسلان ومحاولته السيطرة على بعض مدن إقليم بلاد الجبل :

إقليم بلاد الجبل – أو الجبال ، أو مقاطعة بلاد الجبل ، أو العراق العجمي – ويقصد به تلك الأراضي الواقعة على وجه التقريب بين تلك المدن الآتية وتوابعها زنجان إلى الشمال ، وأصفهان إلى الجنوب ، والري وقزوين إلى الشرق وهمدان إلى الغرب[1].

أوضاع إقليم الجبل بصفة عامة :

كانت الصفة الغالبة على أوضاع إقليم الجبل هي القلاقل السياسية ، عدم الاستقرار الإداري ، وتفشي الحروب الأهلية مما ترتب عليه انعدام الأمن ولقد استمرت تلك الاضطرابات ما يقارب نصف قرن من الزمان ، ومرجع ذلك ضعف الأتابكة[2]. المحليين في ذلك الإقليم من سلالة

---

(١) محمد النسوي : المرجع السابق ، ص٥٣ ؛ سعد بن محمد حذيفة مسفر الغامدى : أوضاع الدول الإسلامية في الشرق الإسلامي «دراسة جديدة لمرحلة حاسمة من تاريخ المسلمين من ٥٧٥-٦٢٩هـ» ، (مؤسسة الرسالة ، ط١ ، الرياض ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م) ، ص٨١.

(٢) **الأتابك** : وهو يتألف من لفظين مركبين ، وهما : اطا بمعنى أب ، بك بمعنى أمير ، والمراد أبو الأمراء ، وترجع الأتابكية إلى كونها من بقايا عادات التركمان القديمة التي أحياها السلاجقة ، فعرف هذا اللقب ومنصبه منذ عهد سلاطينهم الأوائل ، وإن كانت لم تصبح نظاماً سائداً لديهم إلا بعد وفاة السلطان ملكشاه فكان يعين لأولاده أوصياء من أمراء المماليك ، وكانت تتركز مهامه في بداية الأمر في الوصاية على الأمير والتعهد بتربيته ، وتعليمه ، ولكن على مر السنين شملت مهاماً عديدة ترتب عليها انقسام الدول إلى ولايات يستقل بحكمها الأتابكة ومن مهامه في كثير من الأحيان كونه عينا للسلطان على الأمير ليحول بينه وبين الاستقلال ، واستمراره في تبعيته للسلطة المركزية ، وبذلك اتسعت سلطاته حتى انقسمت الدولة إلى وحدات إقليمية تسيطر عليها الأسرات ؛ حسن إبراهيم حسن ، على إبراهيم حسن : النظم الإسلامية ، (مكتبة النهضة المصرية ، ط١ ، القاهرة ، ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م) ، ص١٠٢ ، حاشية١ ؛ حسن الباشا : الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار ، (القاهرة ، ١٩٥٧م) ، ص١٢٢-١٢٣.

«إيلدكز» ، فترتب عليه طمع أمرائهم الذين كانوا في الأصل مماليكهم يطمحون في تأسيس حكم مستقل في تلك الولايات التي كلفوا بالإشراف عليها ، لذا صار الصراع الدائم بين هؤلاء الأتابكة والأمراء الطامعين في الاستقلال من ناحية أخرى وذلك بدوره قادهم إلى الاستعانة بأطراف أخرى من أجل المساعدة والاعتراف بتبعيتها لهم ، وخير مثال على ذلك : لجوءهم إلى الخليفة العباسي طالبين المساعدة ، ومنشورا يجعلهم حكاماً على ولاياتهم(١).

- **أحداث ذلك الإقليم في عهد إيل أرسلان :**

أولاً : عام «٥٦٠هـ/١١٦٤م»

وفيه قام الملك المؤيد(٢). بإعداد الجيش واتجه إلى مدينة «نسا» ومحاصرتها في جمادى الأولى من العام نفسه لذلك أرسل إلى إيل أرسلان جيشا لتلك المدينة ، وما إن قاربوها حتى تركها عساكر الملك المؤيد وعادوا إلى مدينة نيسابور أواخر جمادى الأولى ، فتبعها إلى نيسابور وتقابل العسكران وعندما سمعوا بتقدمهم تراجع عنهم الخوارزميون ، وصار صاحب نسا في طاعة السلطان الخوارزمي ، وخطب باسمه وذلك يعنى تبعيتها للدولة الخوارزمية المستقلة ثم توجه الجيش إلى «دهستان» وصاحبهما الأمير «إيثاق» أو (ايتاق ، إيناق) ، والذي لجا إلى الملك المؤيد رغم الوحشة التي كانت بينهما ، فتعاون معه

---

(١) سعد بن محمد حذيفة مسفر الغامدى : المرجع السابق ، ص٨٧-٨٨.

(٢) الملك المؤيد : قائد لدى السلطان سنجر السلجوقي ، (الذي أسر ركن الدين محمود رئيسهم) ، وهو ابن أخت السلطان سنجر وقائم مقام في نيسابور ، ولقد اعتبره ميرخواند نائبا للسلطان في نيسابور ، وسملوا عينيه لذا صمم إيل أرسلان على الانتقام منهم ، وحدث اللقاء فيما بينهم وذلك بذهابه إليهم لتأديبهم ومحاصرتهم ، وفي النهاية تمت المصالحة ، وعاد إيل أرسلان مرة ثانية إلى خوارزم ؛ خواندمير: حبيب السير ، ص٦٣٣ ؛ ميرخواند : المرجع السابق ، ص٣٦٤.

وسير إليه جيشا حتى تمكنوا من دفع الضرر عنه وعن بلده من جهة طبرستان ، وايادهستان ، وبالرغم من ذلك غلبهم الخوارزميون ، وجعل عليهم والياً تابعاً لهم يعمل بوظيفة الشحنة[1].

ثانياً : عام «٥٦١هـ/١١٦٥م» :

بدأت أحداث هذا العام عندما أعطت والده السلطان السلجوقي ، وكذلك «مظفر الدين قزل أرسلان» أوامر بالتحرك نحو «نخجوان» ، ووصلوا إلى أعالي طهران وفي منتصف شهر رجب ذهب الأتابك والأمراء بجانب قلعة فيروزكوه ومازندران ، وكان السلطان قد غضب من قتلغ إينانج الذي ذهب طالباً المدد من السلطان إيل أرسلان خوارزمشاه ، وفي الوقت نفسه اتجه السلطان السلجوقي إلى همذان ، لذا اتجه الأتابك مسرعا إلى أذربيجان ، وأعطى أوامره بتعمير حصن وقلعة طبرك وتجهيزها بالعديد من الآلات.

وفي عام ٥٦٢هـ/١١٦٦م ، حضر السلطان السلجوقي إلى «مزغار شويار» في زنجان في الوقت الذي ذهب فيه السلطان الخوارزمي إيل أرسلان ومعه الأتابك قتلغ إينانج إلى العراق ، ووصل مدينة الري وحاصرها لعده أيام ، ولكن أيقن من عدم فتحه لها بسهولة أما قتلغ إينانج فقد حاصر قلعة طبرك وتوجه نحو أبهروزنجان ، ونظراً لرغبة الخوارزميين في القتال لم يتوقفوا عنه ، واتجه إينانج إلى زنجان بعد وصول اتابك إيلدكز في أذربيجان الذي استعان به إلى تبريز ، وذهب السلطان السلجوقي إليه ثانية ، وما أن أدرك إينانج ذلك حتى فكر في العودة ، وإن كان لم يبعد عن مدينة أبهر كثيراً.

---

(١) حافظ أحمد حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص٣١٥-٣١٦.

كل تلك الأحداث قد أعطت الخوارزميين الفرصة للقيام بأبشع الأفعال من نهب وأسر المسلمين في كل من أبهر وزنجان ، وإخراجهم من قزوين ما يقارب من ألفي من الجمال (٢٠٠٠) ونتيجة ذلك مقدم السلطان والأمراء والأتابك إلى هناك لتعقبهم أما قتلغ إينانج فقد ذهب إلى جرجان ، وأحرق مرغزاى ونزل على حدود أستراباد ، وبعد كل تلك الأحداث التي لم تسفر عن شيء للخوارزميين عاد جيشهم إلى خوارزم عن طريق دهستان(١).

جـ – إيل أرسلان خوارزمشاه وعلاقته بالقراخطاى(٢):

سبق وذكرنا العلاقة الودية التي كانت بين الأمير آتسز خوارزمشاه والقراخطاى وحرصه على دفع الجزية المقررة عليه بانتظام(٣).وبقائها مستمرة في عهد ابنه السلطان إيل أرسلان ، ليكون في مأمن من شرهم(٤). وعلى الرغم من عدم تحرره من تلك الجزية ، فقد حاول أن يضمن مساعدة سلاجقة العراق ليتخلص منها ، ولكن باءت جهوده بالفشل ولكن ما لبث إيل أرسلان أن امتنع عن إرسال تلك الجزية النقدية إلى جانب الهدايا والتحف (الهدايا العينية) مما ترتب عليه مهاجمة القراخطاى لمدينة خوارزم ، ومنعهم الخوارزميون من اقتحام عاصمتهم ، وذلك بفتح بوابات السدود وإغراق البلاد بمياه نهر جيحون(٥).

---

(١) الراوندي : راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية ، ص٤٢٠-٤٢١ ؛ رشيد الدين فضل الله : جامع التواريخ ذكر تاريخ آل سلجوق ، مجلد٢ ، ج٥ ، ص١٦٨-١٧٠.

(٢) انظر الفصل الأول من الباب الثاني من الكتاب ، ص ، حاشية

(٣) انظر : الفصل الأول من الباب الثاني من الكتاب ، ص ، حاشية

(٤) منهاج الدين بن عثمان بن سراج الدين محمد قاضي : طبقات ناصرى ، مجلد١ ، ص٣٠٠.

(5) Ibrahim Kasfeso Glu : Hakkidu Rsum, op. cit., p.154.

ولم يكتف إيل أرسلان بذلك بل أعد حملة تحت قيادة قائده «عياربك» وذلك عام «٥٦٧هـ/١١٧٢م» الذي تعّجل مواجهة هؤلاء الكفار ، وذلك قبل مقدم خوارزمشاه ، وهُزِمَ الخوارزميين وأسر قائدهم ، وعاد به القراخطاى إلى ما وراء النهر ولقد تصادف أن مرض إيل أرسلان في أثناء المعركة التي تعجلها قائده ، لذا رجع صوب دار الملك خوارزم ، وهناك اشتد عليه المرض ومات في «١٩ رجب عام ٥٦٧هـ/١٩ مارس عام ١١٧٢م»[١].

---

(١) ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج٤ ، ص٢٢٦ ، ذاكراً أن وفاة ايل أرسلان عام ٥٦٨هـ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج١١ ، ص٣٧٥ ؛ ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص٢١٥ ؛ الذهبي : العبر في خبر من غبر ، تحقيق : صلاح الدين المنجد : (الكويت ، ١٩٦٣) ، ج٤ ، ص٢٠٢ ؛ ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، المجلد الخامس ، القسم الأول ، ص١٩٤ ؛ بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولى ، ص٤٨٨ ؛ حبيب الله شمالوني : المرجع السابق ، ص٤٣٧ ؛ خواندمير : المرجع السابق ، ص٦٣٣ ؛ ميرخواند : المرجع السابق ، ص٤٦٥ ؛
John Malcolm, K.C.B., K.L.S., : the history of Persia from the most early period the present time, vol.1, p.53.

ثانياً : أبو المظفر علاء الدين تكش بن إيل أرسلان خوارزمشاه «٥٦٨ – ٥٩٦هـ / ١١٧٢ – ١١٩٩م»[(١)]:

أ – الصراع على العرش بينه وبين ابن أخيه سلطان شاه أبو القاسم محمود بن إيل أرسلان :

لقد استمر هذا الصراع ما يقارب من عشر سنوات[(٢)]. فكانت بدايته عندما تولى سلطان شاه محمود بعهد من والده عرش خوارزم ، وساندته في ذلك أمه «تركان خاتون» والتى أمدته بما يحتاج إليه من الجنود الذين أيدوه وتكاتلوا حوله ضد منافسه في عرش خوارزم – وهو أخوه الأكبر علاء الدين تكش – الذي اعتبر نفسه صاحب الحق في العرش ، حيث كان مقيما في إحدى الإقطاعات الحربية ، وهي مدينة «جند»[(٣)]. والذي كان رافضا التنازل عن حقه الشرعى في وراثة العرش ، لذا بدأ كل من الطرفين في الاستعانة بإحدى القوى الكبرى المجاورة لمساندتهم فاستعان علاء الدين تكش بالقراخطاى ، وكان وقتها متولياً

---

(١) طه ندا : فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية ، (بيروت ، ١٩٧٥م) ، ص١٣٠ ؛ خواندمير : المرجع السابق ، ص٦٣٤ ، ذاكرا تاريخ توليته للعرش في ٢٢ ربيع الأول عام ٥٦٨هـ/١١٧٣م ؛

Ibrahim : op. cit., p.155; H.A.R. Gibb : Mahammedanisman Historical survey, p.107.

حيث اختلف معهم ذاكرا تاريخ توليته في ٥٦٧هـ/١١٧٢م.

(٢) فامبرى : تاريخ بخارى ، ص١٥٠ ، (وإن كان عاد وناقض نفسه مرة ثانية بأنها استمرت ثماني سنوات) ، ص١٥١.

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١١ ، ص٣٧٧ ؛ أبو الفدا : تاريخ أبي الفدا ، ج٣ ، ص٥٢ ؛ الذهبي : المصدر السابق ، ج٤ ، ص٢٩٧ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق : ص١٩٤ ؛ حافظ أحمد حمدي : المرجع السابق ، ص٢٣ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص٤٨٨ ؛ ميرخواند : المصدر السابق ، ص١٩٤ ؛ Ibrahim : op. cit., p.154.

تقاليد أمور الحكم ابنه الكورخان الأول وزوجها «فوما» وتعهد لهم بـدفع الجزية المقررة عليهم في مواعيدها دون تأخير ، وتمت الموافقة بينهم بإرسال الجيش[1]. واتجهوا صوب خوارزم ، وفي الوقت نفسه استعان سلطان شاه محمود «بمؤيد الدولة» صاحب نيسابور الذي صار معه في جيش ضخم حتى صار على بعد فرسخين من خوارزم عند مدينة «سوبرلى» والتى تم إغراقها ولم يتمكن جيش مؤيد الدولة من المفازة إلا في أفواج صغيرة ، فكان مصير الفوج الأول هو السحق ، ووقوعه في الأسر على أيدي تكش الذي كان مرابطاً بالقرب من المكان ، وأُعدم عام «٥٦٩هـ/١١ يوليو ١١٧٤م» ، وتمكن سلطان شاه من الهرب إلى دهستان ، فتعقبهم تكش واستولي على المدينة عنوة ، وقُتلتْ تركان خاتون وعاد سلطان شاه مرة ثانية إلى نيسابور حيث حاكمها «طغانشاه» أبو بكر بن المؤيد. وتمكن تكش من العودة إلى خوارزم ، وجلس على عرش الدولة الخوارزمية[2].

---

(١) أبو الفدا : تاريخ أبي الفدا ، ج٣ ، ص٥٢ ؛ الذهبي : المصدر السابق ، ج٤ ، ص٢٢٦ ؛ حافظ أحمد حمدي : المرجع السابق ، ص٢٣ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، حيث ذكر أن كلمة «فوما» يعنى بالصينية صهر الملك ، ص٤٨٨ ، حاشية٩٢ ؛

Henry H. Haworth : F.S.A, : History of the Mongols the 9th the 19th century, (London, 1876), p.7; Brigadier-General sir Percy Sykes : history of Persia, (London, 1912), vol. 11, p.53; Ibrahim : a short history of Turkish Islamic states excluding the ottoman state, p. 175.

(٢) ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الخامس ، القسم الأول ، ص١٩٥ ؛ محمد توفيق صادق : ثغر خراسان من الفتح العربي حتى قيام الدولة المستقلة ، ص٢١٥ ؛ Ibrahim : op. cit., p. 100.

وقد كان لميرخواند رأي آخر في تلك الأحداث ، فهو يتفق مع المصادر العربية في استعانة تكش بالقراخطاى ووصل ذلك الجيش قرب خوارزم ، ولكن الاختلاف في أن سلطان شاه ووالدته بمجرد أن وصل إلى مسامعهما وصول هذا الجيش حتى ترك هو ووالدته العاصمة ولحقا بالملك المؤيد وبذلك دخل تكش الجرجانية دون قتال واعتلى العرش في ٢٢ جمادى الأولى ٥٦٨هـ/العاشر من يناير ١١٧٣م.

ولقد نظم رشيد الدين الوطواط شعرا يهنئه فيه بجلوسه على العرش ، فقال :

لقد قضى جدك على الظلم في زمانه   وعدل والدك قضى على الاغراخات

ولقد أصبح الملك بك لائقاً   فماذا ستفعل والحكم بين يديك

ثم يستكمل رأيه عند استنجاد سلطان شاه بالملك المؤيد ، وانتظار تكش لهم قرب المفازة عند قرية «سبارلى» ثم يتفق ميرخواند مع المراجع العربية في بقية أحداث هذا الصدام ، والتي انتهت بمقتل «الملك المؤيد»[1].

---

(١) جدت ورق زمانه از ظلم بشست   عدل بدرت شكستها كرد درست

أي بر توقباى سلطنت آمده جست   هان قاجة كتى كه نوبت دولت تست

ميرخواند : حبيب السير في أخبار البشر ، ص٦٦٦-٦٦٧ ؛ بارتولد : تركستان من الفتح العرب حتى الغزو المغولي ، ص٤٨٩ ؛

Ibrahim : op. cit.,. p.155

ومع تطور تلك الأحداث اتجه السلطان شاه إلى الاستعانة بالغوريين(١). وبعد أن استقبلوه بحفاوة أعلنوا عدم استعدادهم لمعاونته في صراعه مع أخيه(٢).

وبدا تحكم القراخطاى في علاء الدين تكش بسب تأخره في دفع الجزية ونقضه للعهد المبرم بينهم ، وما أن سمع سلطان شاه بذلك حتى اتجه صوب الخطا طالباً العون ، زاعماً أن كل خوارزم تؤيده ، فاستجاب له ملك الخطا ، وراسلوا معه جيشاً كثيفاً ، واتجهوا إلى خوارزم وما إن علم تكش بذلك حتى أمر بإغراق الطرق بمياه نهر جيحون ، لذلك فشلوا في خطتهم ، فألقوا باللوم على سلطان شاه الذي طلب منهم مدداً للاتجاه به إلى مرو ، وتمت الموافقة.

---

(١) **الغوريون** : الغور وهي في الأصل الغوز ، جبال وولاية بين مدينتي هراه وغزنة ، وأكبر ما في تلك المنطقة قلعة وهي فيروزكوه ، والتى كانت مقراً لملوكهم.

أما عن أصل هؤلاء ونسبهم : فليس معروفاً على وجه الدقة ، وإنما المعروف أنهم شعوب جبلية مستقلة نظرا لصعوبة الوصول إليهم ، ولقد ادعى هؤلاء أنهم من أصل فارسي ، فهم من أبناء الضحاك بطل الشاهنامة لدى الفرس ، كان أحد أجدادهم الأعلين الذين ينتمون إليهم وهو شنسب الذي اعتنق الإسلام على يد الأمير علي بن أبي طالب ، لذا يطلق على هؤلاء في بعض الأحيان آل شنسب.

وهم طائفتان : **الأولى** ، ملوك الغور الذين حكموا في غور نفسها وعاصمتهم فيروزكوه ، (ويطلق عليهم آل شنسب) ، **والثانية** ، ملوك طخارستان وعاصمتهم باميان ، ومن أشهر سلاطينهم السلطان الغورى ، علاء الدين حسين ، الذي هزم بهرام شاه الغزنى ، وعلى إثرها تمكن من الدخول لمدينة غزنة ، وتلقب بلقب «جهانسوزر» محرق الدنيا ؛ النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج٢٧ ، ص٢٨ ، حاشية١ ؛ النظامي العروضي السمرقندى : جهار مقالة ، ص٩٥ ، حاشية١ ؛ إقبال محمد الأشتيانى : تاريخ إيران بعد الإسلام ، ص٢١٠ ؛ طه ندا : دراسات في الشاهنامة ، ص٩٣ ، حاشية١.

(٢) ميرخواند : روضة الصفا ، ص٣٦٧.

واتجهوا إلى مدينة سرخس التي اقتحموها على الغز الذين بها ، وقاتلوهم شر قتال وحاصروا قلعتها ، وما أن وصلت تلك الأنباء إلى طغانشاه ، حتى تقدم بجيش من نيسابور وتوجه إلى سرخس من أجل مواجهته ، ولكنه فشل في الصمود أمامه ، لذا عاد إلى بلاده ، وأخلى «قراقوش» القلعة ، وعاد إلى بلاده ، وتمكن من المدينة واستولى بعدها على طوس ، ولقد أيد بارتولد ذلك ، بل وحدد تاريخ هزيمة طغانشاه وذلك في ١٣ من شهر مايو ١١٨١م ، ثم توجه إلى مرو بعد أن أمر الفرقة التي معه من القراخطاى بالعودة إلى بلادهم ، وكان حاكم مرو هو «دينار الغزى» الذي تحصن بالقلعة في الوقت الذي استولى فيها سلطان شاه محمود على مرو(١).

وفي عام ٥٨٢هـ/١١٨٦م ، خرج السلطان تكش من خوارزم متجهاً صوب خراسان ، وفي الوقت نفسه كان سلطان شاه متوجهاً بطريق آخر على رأس جيش جرار صوب خوارزم ، فقام الخوارزميون بغلق البوابات ، وما أن علم تكش بذلك حتى أمر بإعداد معسكر خارج مرو ، ثم عاد مسرعاً ، وما إن وصل إلى ساحل آموية كان سلطان شاه قد سيطر على مرو ، فتوجه تكش صوب شاه باج وظل معسكراً خارج المدينة ما يقارب من شهرين ثم عاد إلى خوارزم وأرسل في طلب أعيان الدولة وهم «شهاب الدين مسعود ، سيف الدين مردانشاه ، خوانسالار ، بهاء الدين البغدادى الكاتب» ، من أجل إتمام الصلح ، وتيسير سبل التفاهم مع سنجرشاه بن طغانشاه بن مؤيد حاكم نيسابور ومنكلى بيك ، ولكن قبض هذان الحاكمان عليهم وأرسلوهم إلى سلطان شاه ، وظلوا في الحبس طوال مدة الصلح بين الأخوين.

---

(١) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ص١٩٦ ؛ محمد النسوي : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى ، ص٦١-٦٣ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص٤٩١ ، حاشية١٠ ؛ ميرخواند : روضة الصفا ، ص٣٦٧.

وخلال هذا الصراع أعد سلطان شاه جيشاً جراراً وتوجه صوب شادياخ وبعد عدة أيام أدرك أن فتح تلك المدينة ليس سهلاً فتركها واتجه صوب «سبزوار» فضيق عليهم الحصار ، ونصب المجانيق لذا سبوه ، ولكن لجأ إليه الشيخ «أحمد بديلى» (زعيم رجال الدين وهو من أهل المتصوفة) ، لكى يشفع لهم عند سلطان شاه محمود ، ولقد تلقاه بالترحاب ، ودخل المدينة وعفا عنهم.

وفي عام ٥٨٣هـ/١١٨٧م ، نزل السلطان تكش مرة ثانية خارج مدينة شاديا ونصب المجانيق وبدأ بمعركة حامية ، أجبر على أثرها منكلى إلى اللجوء لشفاعة الشفعاء من أجل الأمان ، وقبل تكش ذلك وخرج منكلى منها في ٧ ربيع الأول ، بعد أن أعاد كل ما كان قد سلبه من الناس ، ثم سلم إلى الإمام «فخر الدين عبد العيز الكوفي» الذي حكم عليه بالقتل ، وما أن تم استخلاص مملكة نسابور ووضعها تحت تصرف ابنه الأكبر «ناصر الدين ملكشاه» عاد إلى خوارزم ، وما أن علم سلطان شاه بذلك حتى أعد حملة واتجه إلى شادياخ ، فضاق ملكشاه من محاصرته ، لذا أرسل رسلاً إلى والده ، وعلى أثرها اتجه تكش صوب تلك المدينة ، وما أن وصل إلى نسا وعلم سلطان شاه بذلك حتى أحرق المجانيق واتجه إلى مرو ، ونزل تكش بتلك الولاية واعتنى بالرعية وعمر ما حدث من خراب ، وذهب إلى مازندران ليقضى الشتاء هناك ، والتف الأمراء حوله ونالوا عطفه ، ثم اتجه صوب خراسان ووصل إلى رادقان وأقام في قصر السلطنة وأجزل العطاء وحقق آمال الناس ، وإن كانت آثار الفتنة بين الأخوين ظلت موجودة وعندما هزم سلطان شاه في معركة مروالروذ وتحطمت قوته قام بأفعال تدل على نقض العهد الذي عقده بينه وبين أخيه منذ زمن ، لذا تحرك تكش من خوارزم إلى تلك الولاية المتواجد بها ونزل عند سرخس التي بها خزائن وأموال سلطان شاه واستولى على المدينة والقلعة وخرب برجها وحصونها ، ثم توجه

صوب رادكان واستولى على كل أراضيها ، ثم تم الصلح مرة ثانية بينهما فأعاد إصلاح قلعة سرخس وعمرها بالرجال والأسلحة وعاد تكش إلى مقر حكمه وجلس على عرشه موفقاً[1].

ومن الجدير بالذكر في ختام الصراع بين سلطان شاه محمود علاء الدين تكش وجود تضارب بين ابن الأثير وابن خلدون ، ويتضح هذا الخلاف في قول **ابن الأثير** ذاكراً أنه في الوقت الذي فكر فيه سلطان شاه محمود في الاتجاه إلى خوارزم بعد كل التوسعات التي قام بها كان ذلك يزامن نفس توقيت صراع علاء الدين تكش مع طغرل الثالث السلجوقي ، ولقد قاومه ومنعه أهل خوارزم لدرجة عدم استطاعتة الاقتراب من خوارزم ، لذا انسحب منها ، وعلى أثرها عاد تكش إلى مرو عام «٥٨٩هـ/١١٩٢م» طالباً أخيه وترددت بينهما الرسل للصلح وأثناء تقرير الصلح ورد رسول من متحفظ قلعة سرخس التي سبق واستولى عليها سلطان شاه محمود يدعوه ليسلم له القلعة لكونه استوحش من أخيه سلطان شاه ، لذا صار من خوارزم وتسلم القلعة وبعدها آتت المنية لسلطان شاه محمود في رمضان ٥٨٩هـ/١١٩٢م[2].

أما ابن خلدون فذكر تمكن سلطان شاه من خوارزم ومجيء أعيانها إليه وكان معه «أبو غازى بن أخت غياث الدين الغوري» وقدموا له فروض الطاعة والولاء وجعلوه الملك عليهم حتى وفاته عام ٥٨٩هـ/١١٩٢م ، في الوقت نفسه الذي عاد فيه علاء الدين تكش إلى خوارزم ليأخذ أمواله وذخائره ويعبر جيحون ويتجه إلى الخطا تاركاً خوارزم بكل سهوله لأخيه[3]. وإن كان هذا أمراً صعب التصديق.

---

(١) ميرخواند : روضة الصفا ، ص٣٦٩-٣٧٢.

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج١٢ ، ص١٠٤ ؛

Ibrahim, op. cit., p.100.

(٣) ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الخامس ، القسم الأول ، ص١٩٩.

ب – السلطان الخوارزمي تكش وسيطرته على إقليم الجبل :

علاء الدين تكش وقضاؤه على طغرل «الثالث» السلجوقي[1].

وهو أحد أفراد أسرة خوارزمشاه ، ولقد بلغت الدولة الخوارزمية قوتها على أيامه واتسعت في الغرب حتى شملت ما يعرف بالعراق العجمي ، وخاصة بعد مقتل آخر سلاطين سلاجقة الغرب وهو «طغرل الثالث» ، وهم الذين خلفوا سلاجقة فارس وبسطوا سطوتهم ونفوذهم على بغداد[2].

الدوافع وراء اتجاهه للقضاء على سلاجقة الغرب وطمعه في ملك العراق العجمي :

١- كون السلطان طغرل حاكماً تحت سلطة البيت السلجوقي وسطوته ، وبدأت قوته تزداد لتصبح خطراً يهدد السلطان الشاه الخوارزمي كحاكم مستقل قوى تضم بلاده أراضي شاسعة تفوق في اتساعها ما كان يملكه السلطان السلجوقي ، وتأكده من أن السلطان طغرل الثالث لو تمكن من تثبيت حكمه في كل من العراق وكردستان ، سوف يتجه بعدها إلى خراسان ثم خوارزم في الشمال الشرقي ، ويعود الشاه الخوارزمي للتبعية السلجوقية كما كانوا من قبل.

---

(١) **طغرل السلجوقي** : هو طغرل بك شاه بن أرسلان شاه بن طغرلبك بن محمد شاه السلجوقي ، صاحب أذربيجان آخر سلاطين سلاجقة العراق منذ عام «٥٧١-٥٩٠هـ/١١٧٥-١١٩٤م» ، مكنته الظروف من العودة إلى همذان ، وتزوجه من أرمله بهلوان الذي ولاه على أذربيجان ، وهدفه من ذلك قتلها والاستيلاء على أصفهان والرى ونهب حصن طبرك إلى جانب طلبه للسلطنة من الخليفة العباسي ، ويأتي بغداد ، ويكون على قمة الملوك السلجوقية ؛ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج٤ ، ص٣٠١ ؛ دائرة المعارف الإسلامية : ج١٥ ، ص٢٢٩-٢٣٠.

(٢) أبو الفدا : المصدر السابق ، ج٣ ، ص٨٩ ؛ فيليب حتى : تاريخ العرب «مطول» ، ج٢ ، ص٥٧٧.

٢- وصول رسول من الخليفة العباسي الناصر لدين الله ، والذي تولى منصب الخلافة منذ عـام «٥٧٥-٦٢٢هـ/١١٢١-١٢٢٥م» إلـى تكش خوارزمشاه يشكو إليه من طغرل الثالث ، طالبا قصده بلاده ، مقابل أن يحمل له منشورا بإقطاعه البلاد التي يملكها طغرل الثالث من قبل(١).

وليس من شك في أن الخليفة الناصر قد ارتكب خطأً سياسياً فادحاً باستدعائه لتكش للقضاء على طغرل الثالث ، وذلك لأنه بعد تمكنه من قتله ، أعطى لنفسه الحق الشرعي في ملـك السـلاجقة فـي الأراضي الإسلامية ، فكانت البداية في ذكر اسمه على السكة ، ثم تطلعه إلى فرض نفوذه على بغداد العاصمة العباسـية وأدي ذلـك بدوره إلى تعارض بين سياسة العباسيين والخوارزميين(٢).

٣- كذلك كان قدومه إلى بلاد الجبل «منطقة غرب إيران» أمراً حتمياً تمشياً مع سياسته التوسعية ، ويتضح ذلك من اتجاهه أول الأمر إلى

---

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص١٠٧ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الخامس ، القسـم الأول ، ص٢٠١ ؛ حـافظ أحمـد حمـدي : الدولـة الخوارزمية والمغول ، ص٣٠-٣١ ؛ حافظ أحمد حمدي : الشـرق الإسـلامي قبيل الغزو المغولي ، (دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٥٠م) ، ص٤٧ ، ٦٤ ؛ حسين أمين : تاريخ العراق في العصر السلجوقي ، ص١٧٠ ، ٢٦٩ ؛ أحمـد شلبي ، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، (الطبعـة الثانيـة ، القاهرة ، ١٩٨٥م) ، ج٣ ، ص٤٠٣-٤٠٤ ، حيث تحدث عن استعانة الأتابـك قزل أرسلان بالسلطان الناصر ضد السلطان طغرل الثالث ، وبالتالي فقد تحقـق النصر عليهم ، ثم كانت المرحلة الثانية باستعانة الخليفة العباسي بـالخوارزميين ضد السلاجقة في معركة أطلق عليها «معركة الرى» التي قتـل فيهـا طغـرل الثالث.

(٢) حافظ أحمد حمدي : المرجع السابق ، ص٤٧.

تلك المناطق ، وتمكنه من عقد الصلح مع السلطان السلجوقي طغرل مقابل تسليمه مدينة الرى ، وكان لتكش ذلك ، وعاد بعدها إلى عاصمته الجرجانية بعد أن رتب عساكره بها لكي يحفظها ويدافع عنها إذا ما تعرضت لأي هجوم(١). وعين عليها كذلك واحداً من أرفع عماله في البلاط الخوارزمي وهو «طمغاج الخوارزمي»(٢).

ويذكر ميرخواند أنه بمجرد وصول السلطان الخوارزمي تكش لمدينة الري ، وبناء على مشورة بعض مسئولي الدولة رشحوا الجد الأعلى لعطا ملك الجوينى ليشرف بتقبيل يد السلطان الخوارزمي ، ومدحه ، ولقد سعد السلطان الخوارزمي بهذا المديح ، فانعم على منشد هذا المديح وأعاده مرفوع الرأس ، وبمجرد شروق الشمس توجه صوب العراق ، ووصل إلى الحدود التي وقع فيها الصلح بينهما(٣).

ولكن ما لبث طغرل الثالث بعد فترة وجيزة من الاتجاه لمدينة الري ، ومحاصرة قلعة طبرك ، فضربها واستولى عليها وقضى على جذور الفتنة في مدينة الري ، وقتل الحاكم الخوارزمي عليها وهو طمغاج الخوارزمي الذي حملت جثته إلى خوارزم ،واعتقل كبار الأمراء الخوارزميين ، وأرسلوا أسرى إلى قلعة «فرزين» ورجع السلطان السلجوقي بعدها همدان ، وترك على الري رجلاً يدعى «خواجة معين» فهجم جماعة من الخوارزميين على نواحى جرجان وبسطام ودامغان ، لذا

---

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص١٠٦ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الخامس ، القسم الأول ، ص٢٠١ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص٥٠٠ ؛ مستوفي قزويني : تاريخ گزيدة : المجلد الأول ، ص٤٧٦.

(٢) ميرخواند : روضة الصفا ، ص٣٧٤ ؛ حسين أمين : المرجع السابق ، ص١٧٠.

(٣) ميرخواند : المرجع السابق ، ص٣٧٣.

انضم «خواجة معين» للسلطان السلجوقي ، وهاجموا الخوارزميين في خوار الري ، وأسر على أثرها خمسة وعشرين شخصاً من أمراء خوارزم منهم : «مياجق ، صوتاشي ، محمد خان وغيرهم» لذا استنجد الأتابك قتلغ إينانج[1]. للمرة الثالثة بالسلطان الخوارزمي تكش معتذراً عما بدر منه من قبل[2]. وبسماع السلطان الخوارزمي ذلك حتى توجه للعراق.

وكان السلطان السلجوقي معتزاً بقوته على الرغم من تفرق بعض أمرائه عنه بدليل مراسلاتهم للاتابك قتلغ إينانج ، وكذلك من كانوا في خدمته من العظماء قائلين لهم «متى تقابلنا على باب الري سلمناكم السلطان وتكون هذه المسالة مفاحتاً لباب همذان[3].

ولقد زامن استنجاد الأتابك قتلغ إينانج بالسلطان الخوارزمي وصول رسول من قبل الخليفة يشكو إليه السلطان السلجوقي ، ويعده بإقطاعه أعمال السلطان فيما بعد[4].

---

(١) قتلغ اينانج : هو المؤمن السيد بن عطابك ايلدركوز الذي تنكر للسلطان طغرل الثالث ذى العقل الراجح برغم سوء حظه ، ولقد سجن هذا الثائر من قبل لمحاولته الاعتداء على شخص السلطان ، ولكن عفا عنه بعد ذلك وقابل ذلك بذهابه لخراسان وكاتب السلطان الخوارزمي تكش ليمده بقوة يحارب بها سيده ؛ فامبرى : تاريخ بخارى ، ص١٥١ ، حاشية١.

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج١٢ ، ص١٠٧ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ص٢٠١ ؛ الراوندي : راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية ، ص٥٠٦ ؛ حسين أمين : المرجع السابق ، ص١٠٧ ؛ دائرة المعارف الإسلامية : ج١٥ ، ص٢٣٠ ؛ ميرخواند : روضة الصفا ، ص٣٧٤.

(٣) الراوندي : المصدر السابق ، ص٥١٢.

(٤) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص١٠٨ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ص٢٠١ ؛ حسين أمين : المرجع السابق ، ص١٧٠.

وما إن علم السلطان السلجوقي بوصول تكش إلى سمنان حتى توجه لزيارة الأئمة وتجميع جيشه ، وإن كان يتضح مما سبق عساكره عنه ، ولم ينتظر لإتمام جمعها وإعدادها مرة ثانية وسار بمن معه لمقابلة تكش ، وكان وقتها قد تحرك السلطان تكش وجيشه من نيسابور إلى الري ، والتقوا بالقرب من الري وذلك في ٢٤ جمادى الآخرة لعام ٥٩٠هـ/١١٩٣م ونشبت المعركة.

وفي الجولة الثانية هجم السلطان طغرل الثالث بنفسه في وسط عسكر خوارزمشاه في الوقت الذي تراجع فيه الجيش عن سلطانه السلجوقي ، وظل وحيداً مع صاحب المظلة ، لذا أحاط به عساكر الخوارزمية ، وألقوه من فوق فرسه واحتذوا رأسه دون مراعاة لحرمة سلطنته ، وحملت رأسه للسلطان تكش ، وبعثها من يومه إلى بغداد ، حيث ظل مصلوباً على باب النوبي عدة أيام(١).

---

(١) ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ، ج٤ ، ص٣٠١ ، ذاكراً عن مصير السلطان طغرل الثالث «أنه عندما التقيا عند الري جاءته نشابة في عينه ، فضربه مملوك له بالسيف فقتله وقطع رأسه وحملة إلى تكش» ، وإن كان قد ذكر في أغلب المصادر أن الذي حز رأسه هم أعداؤه من الخوارزميين ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص١٠٨ ؛ أبو الفدا : المصدر السابق ، ج٣ ، ص٨٩ ؛ ابن العبري : تاريخ الأزمان ، ص٢٢٨ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ص٢٠١ ؛ الراوندي : المصدر السابق ، ص٥١٢ ، ٥١٤ ؛ المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك ، الجزء الأول ، القسم الأول ، ص٤٠ ؛ حافظ أحمد حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص٣٢ ؛ حافظ أحمد حمدي : الشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي ، ص٦٤ ؛ بدرى محمد فهد : تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير ، (مطبعة الإرشاد ، بغداد ، ١٩٧٣م) ، ص٦٠ ؛ حسين أمين : المرجع السابق ، ص٢٦٩ ؛ دائرة المعارف الإسلامية : ج١٥ ، ص٢٣٠ ؛ محمد محمود إدريس : تاريخ العراق والشرق الإسلامي خلال العصر السلجوقي الأول ، (ط١ ، ١٩٨٣م) ، ص٣٤ ؛ خواندمير : =

بذلك قضى السلطان تكش على السلطان طغرل الثالث على حدود الري ، وسيطر على كل أملاكه ، وصار بين الرعية سيرة العدل والإنصاف[1]. ثم صك النقود باسمه ، وتطور الأمر لتكون له السلطة الفعلية في بغداد[2].

وتلى ذلك إرسال الخليفة العباسي عسكراً لنجدته ومساعدته في مهمته ، ولكى يفي بوعده أيضاً ، وذلك عندما أرسل مع وزيره «مؤيد الدين أبي الفضل محمد بن علي البغدادي المنشئ» (مؤيد الدين القصاب) ، الخلع السلطانية[3]. تلك كانت وجهة نظر المصادر العربية ، ولقد تعارضت معها المراجع الفارسية في أن الخليفة العباسي الماكر قد أرسل جيشاً مع وزيره الداهية عدده ثمانية ألاف فارس (٨٠٠٠) لطمعه في الاستيلاء على بعض مناطق العراق التي كانت تربطه بديوانه العلى في بغداد ، كذلك أرسل الخلع والتشريفات الغالية لكى يكون الوزير ملازماً لتكش ومراقباً لتصرفاته[4].

= المرجع السابق ، ص٦٣٨ ؛ رشيد الدين فضل الله : جامع التواريخ ، ص١٩٣ ؛ منهاج الدين سراج : طبقات ناصري ، المجلد الأول ، ص٣٠١ ؛

- Brigadier : General Sir Percy Sykes, history of Persia, vol.11, p.53.
- States excluding the ottoman state, 155.

قائلاً : إنه قد هزم طغرل الثالث آخر سلجوق حاكم فارس ، وأضاف الجزء الأعظم فارس الشرقية لإمبراطوريته.

Ibrahim : A Short History of Turkish Islamic

(١) خواندمير : حبيب السير ، ص٦٣٨.

(٢) فيليب حتى : تاريخ العرب «مطول» ، ج٢ ، ص٥٧٨.

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص١٠٨ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ص٢٠٢ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص٥٠١.

(٤) خواندمير : المرجع السابق ، ص٦٣٨ ؛ حبيب الله شمالوئي : تاريخ إيران ازماد تا بلهوى ، ص٤٣٩-٤٤٠.

وما إن وصل الوزير على بعد فرسخ من مدينة همذان عند منطقة «آسدأباد» حتى انتابه الغرور ، وذلك بسبب تجمع العديد من الأكراد وجنود العرب حول خيمته ، وما إن علم تكش بذلك حتى راسله في الحضور ، ولكنه فيما يبدو أن الوزير أرسل رسالة أوضح فيها موقف الخلافة ومنشور الحكومة وخلعة السلطنة وتسليمها إلى كفيل مصالح الأمم وأعظم بنى البشر «صاحب الوزارة» المكلف بإيصالها موضحاً المعاناة والتعب الذي تحمله في هذا السبيل ، وتقديرا لذلك تحتم حضور السلطان تكش في عدد قليل من أعوانه لتستقبله في تواضع ، وتسير في ركاب الوزير[1].

ولقد أضاف مرجع فارسي آخر أن الوزير قد أمر تكش بالحضور بدون سلاح إليه[2]. ونتيجة لذلك ترددت الرسل بينهما ، مما فتح المجال لظهور المكائد التي تؤكد للسلطان تكش أن تلك مجرد حيلة لإحضاره عنده ، ليلقى القبض عليه ، وبالرغم من ذلك ذهب إليه تكش ، وما إن علم الوزير بذلك حتى فر هارباً إلى الجبال الغربية وامتنع بها[3].

---

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص١٠٨ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ٢٠٢ ، ذاكرا فقال له مؤيد الدين «ينبغي أن تحضر أنت وتلبس الخلعة من خيمتى» ؛ خواندمير : المرجع السابق ، ص٦٣٨.

(٢) حبيب الله شمالوئي : المرجع السابق ، ص٤٣٩.

(٣) ابن الأثير المصدر السابق ، ج١٢ ، ص١٠٨ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ص٢٠٢ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص٥٠١ ؛ خواندمير : المرجع السابق ، ص٦٣٩ ، ولقد اختلف معهم ذاكرا أن السلطان تكش الخوارزمي قد أرسل فوجاً من الرجال الأبطال لكى يؤدبوه ، حيث توجهت صوب أسد أباد ، ومع أول صدام انهزم ابن القصاب ، وتراجع دينور ورفع راية الانسحاب ؛ حبيب الله شمالوئي : المرجع السابق ، ص٤٣٩.

ومن المرجح أن يكون هذا التصرف الأهوج من قبل الوزير ، والذي ينم عن كبريائه المتمثل في إصراره على مجئ السلطان الخوارزمي إليه مما جعل الشكوك والوساوس تسيطر على السلطان من كون تلك مكيدة للتخلص منه ، وقد تأكد ذلك الشعور لدية بفرار الوزير ومن معه من الجنود خوفا من البطش به ، ومن المؤكد أن يكون لبطانة ابن القصاب ، وكذلك السلطان تكش دور رئيسي في أحداث سوء التصرف الذي بدر من الوزير ، وإثارة الحاكم الخوارزمي على الخليفة ووزيره[١]. وعندما وجد تكش ذلك ترك الوزير واتجه إلى همذان ، وبوصوله انهارت سلطة السلاجقة في العراق وكردستان ، واستولى على العراق العجمى ، وصبغ ذلك بالصبغة الشرعية ، وذلك بمجرد حصوله على التقليد الخلافي واعترافه بالخوارزميين في تلك المناطق[٢].

وترتب على ذلك إقطاعه الكثير من المدن لأمرائه فجعل على الرى ابنه «يونس خان» الحاكم العام للمنطقة عن والده ، والذي جعل من مدينة الري مقراً لإدارة شئون المقاطعة الجديدة ، وجعل عليها أحد ثقاته وهو الأتابك مياجق ، وجعل قتلغ إينانج على أصفهان ، أما السلطان تكش فقد رجع إلى أطراف سيحون من أجل محاربة الأتراك وسحقهم[٣].

---

(١) سعد بن محمد حذيفة مسفر الغامدى : سقوط الدولة العباسية ، (ط١ ، ١٩٨١م) ، ص٨٤-٨٥.

(٢) حبيب الله شمالوئي : تاريخ إيران از ماد تا بلهوى ، ص٤٣٩ ، قائلا «أن أصبحت همذان ، الري ، أصفهان وأجزاء أخرى من مراكز إيران كلها تحت سيطرة خوارزمشاة»

(٣) حبيب الله شمالوئي : المرجع السابق ، ص٤٣٩ ؛ خواندمير : المرجع السابق ، ص٦٣٩ ؛ سعد بن محمد حذيفة : المرجع السابق ، ص٨٩.

ولقد اختلفت المصادر العربية في المنطقة التي أقطعها السلطان الخوارزمي تكش لقتلغ إينانج الذي سلم له مدينة همذان وبعدها عاد إلى خوارزم[1].

- **تحركات الوزير ابن القصاب وصراعه على ملك العراق العجمى مع تكش خوارزمشاه**

تمكن ابن القصاب من الاستيلاء على بلاد خوزستان وملكها ، وعلى كثير من بلاد فارس ، وقبض على بنى شمله وأمرائها ،وبعث بهم إلى بغداد ، ثم سار إلى ميسان من أعمال خوزستان ، ولحق به قتلغ إينانج بن البهلوان صاحب البلاد ، وذلك بعد أن غلبه خوارزمشاه هو ومن معه من الأمراء ،بعد إظهارها للعصيان ، لذا توجه إليهم من الري ابن السلطان تكش «يونس خان» في عده كاملة ، وما إن رأوا حتى فروا هاربين إلى بغداد ، وتتبعهم وقابلهم ما بين قريتى «محمدى وسامين» واستعدوا للمعركة ، واشتركوا فيها في شهور عام ٥٩١هـ/١١٩٤م ، وبفرارهم إلى بغداد تحقق النصر للخوارزميين ، وبالرغم من ذلك فقد أحدث العراقيون العديد من صور الخراب والدمار ونهب الأموال من ولاية العراق.

وعلى هذا فقد انضموا إلى ملك «الايوه» وحضروا عنده واتفقوا على ذهاب الحاجب الكبير «شمس الدين محمد بن محمود الكنجرى» إلى الخلافة ببغداد ، ومعه بعض من أعيان العراق ، وتعاهدوا مع وزير

---

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص١٠٨ ؛ أبو الفدا : المرجع السابق ، ج٣ ، ص٥٢ ؛ ابن العبرى : المرجع السابق ، ص٢٢٨ ، وإن اختلف في ذكره لاسم الأتابك وهو «قوتولغ اينابغ بن البهلوان سلطان همذان سابقا» ؛ ابن خلدون : المصر السابق ، ص٢٠٢.

الخلافة[1]. الذي أمدهم بما يحتاجون إليه من الخيل والخيام ، ثم ساروا إلى كرماشاهان ، وانطلقوا في جيش عدده خمسه ألاف جندي (٥٠٠٠) إلى دار الملك همدان ، وأغاروا على ما بقي من العراق ، وكان بالمدينة أن خوارزمشاه وأتابكه ، وما أن قاربها الوزير حتى تركها الخوارزميون ، وتمكن منها الوزير عام ٥٩١هـ/١١٩٤م ، ثم قصدوا مدينة الري ولم يواجههم «يونس خان» بل اتجه إلى مدينة جرجان عارضاً الأمر على والده ، ولقد تعقبهم قتلغ إينانج ، واستولى على المدن التي جاوزها ، مثل : خرقان ، ومزدغان ، وساوة ، وآواة[2]. لذا ترك الخوارزميون مدينة الري واتجهوا إلى مدينة «خوار الري» ثم تركوها إلى دامغان وبسطام وجرجان ، ولحقوهم ثم رجعوا عنهم بذلك تمكن الوزير من مدينة الري[3].

ومع توالي تلك الأحداث ، وإخلاء أغلب بلدان العراق من الخوارزميين ، دب الخلاف بينهم «العراقيين وابن القصاب» وأعلن قتلغ العصيان على الوزير وحاصروا الري ودارت الحرب ، ولكن فتح الروافض وعليهم «عز الدين النقيب» حوانيتهم «محلاتهم» ، وتمكن جيش بغداد من دخول المدينة حيث انتشر النهب والسلب ، وإن كان الوزير وجه إليهم نداء بالكف عن تلك التصرفات المشينة.

---

(١) الراوندي : المصدر السابق ، ص٥٢١-٥٢٢ ؛ بدرى محمد فهد : المرجع السابق ، ص٦١.

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج١٢ ، ص١١١ ؛ الراوندي : المصدر السابق ، ص٥٢٢-٥٢٣.

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص١١١-١١٢ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الخامس ، القسم الأول ، ص٢٠٢.

وبعدها فر قتلغ إلى مدينة «آوة» أو كما ذكرها الراوندى «آيـــة» ومنعه من دخولها شحنتها «خلجى قشطة» ومن معه من الأكـــراد ، لـــذا اتجه قتلغ وجمال الدين من آية إلى همذان ، وما إن علم بمقـــدم الـــوزير حتى اتجه إلى مدينة الكرج ، واتخذوا بعدها طريق الري ، فـــي الوقـــت الذي وزع فيه الوزير الأسلحة على السادة والقضاة والأمراء قائلاً لهـــم : «كل شخص يريد أن يكون إنساناً يجب عليه أن يقوم على قهر خصمه ، وإلا يضن بروحه إذا ضاقت الأمور وتأزمت ، وكان ينشد هذا البيت :

تأخـــرت عن سبق الحياة فلم أجد لنفســـي حيـــاة غـــير أن أتقـــدم

ولقد تقابلوا ووقع القتال بينهم ، وهزم قتلغ إينانج ، وتمكـــن مـــن النجاة بنفسه[1].

وعلى الرغم مما حدث لقتلغ إينانج فقد ذهب إلى الـــري رافضـــاً نصيحة أخيه جمال الدين الذي قال له : «إن هذه الآونة هي وقت النكبـــة ولا يجدى فيها اضطراب ، ويجب أن تلجا إلى مكان منعزل حتـــى تمـــر أيام البؤس والنحس» ولكنه لم يمتثل لرأيه وذهب واستولى علـــى مائـــة وستين ألف دينار من مخلفات «سراج الدين قيماز» وأخـــذ يعـــد العـــدة والعتاد طمعاً في الملك.

وكان محمد خان ومياجق ومعهم مجموعة من الخوارزميين فـــي سمنان ودامغان ، قد أعدوا خطة للقضاء على قتله لينتهوا مـــن ثوراتـــه المتكررة ، وكانت تتمثل في أن يطلبوا منه الانضمام إليهم ، ويعهدوا لـــه بالإخلاص لخوفهم من بطش خوارزمشاه.

---

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص١١٢ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ص٢٠٢ ؛ الراوندي : المرجع السابق ، ص٥٢٤-٥٢٥ ؛ بدرى محمد فهـــد : تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير ، ص٦١.

ويذكر الراوندى أن تلك المكيدة قد دبرتها بنت السلطان طغرل وزوجة يونس خان ، لذا طلبوا منه إرسال طليعة جيشه إلى ساوة ، وخرج منهم جماعة من الفرسان ، وتخلصوا منه وذبحوه ذبح الشاه ، ويذكر أن رجلا يدعى «فخر الدين سرور» أخذ رأسه وجثمانه وأرسلهما إلى همذان ، حيث دفن في جمادى الآخرة عام ٥٩٢هـ/١١٩٥م[1].

- **مقتل ابن القصاب واسترجاع تكش لأملاكه في العراق العجمي** :

نزل الوزير ابن القصاب قصراً يضاهي قصر خوارزمشاه في همذان ، وعين واليا يدعى «عماد الدين طغلو» وعندما كان ابن القصاب في قصر خوارزمشاه لفت نظره ألقاب خوارزمشاه ، ومنها لقب «كهف الثقلين» فأمر بإزالته قائلاً : «من يكون هو حتى يكتب هذا»[2].

واستمر الوضع كما سبق وذكرنا لمدة ثلاثة أشهر ، راسله فيها السلطان تكش ينكر عليه ما فعله من قصده لبلاده وأخذها من عساكره ، طالباً منه إعادة تلك المدن ، عارضاً عليه الصلح ولكنه لم يلق أي استجابة من وزير الخليفة العباسي. وعندما أقبل الوزير من مدينة الري اشتد عليه المرض ، وتوفي خارج همذان ، وذلك في غره شعبان عام ٥٩٢هـ/١١٩٦م ، ودفن ليلاً في بوابة شورين ، وأخفوا قبره خوفاً من انتقام الناس منه لأعماله الجائرة[3]. وما إن علم أتابك السلطان

---

(١) الراوندي : راحة الصدور وآية السزور في ذكر الدولة السلجوقية ، ص٥٢٦-٥٢٨ ؛ سعد بن محمد حذيفة مسفر الغامدى : المرجع السابق ، ص٩٢.

(٢) الراوندي : راحة الصدور وآية السرور ، ص٥٢٨-٥٢٩.

(٣) ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج٤ ، ص٣١١ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص١١٢ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ص٢٠٢-٢٠٣ ؛ بارتولد : تركستان من الفتح العرب حتى الغزو المغولى ، ص٥٠١.

الخوارزمي بذلك حتى راسله طالباً إرسال ٢٠٠٠ أو ٣٠٠٠ فارس إلى مدينة الري ، وتوجه إلى همذان حتى أصر البغداديون على أخفاء قبر وزير الخليفة وأصروا على القتال لمدة شهر ، رافضين ترك قصر خوارزمشاه ، وقاتلهم مياجق أكثر من مرة هزم فيها ، ولكن بعد ضعف البغداديين تحقق النصر له ، ونبش قبر الوزير وقطع رأسه وأرسلت إلى تكش خوارزمشاه[١]. ثم راسل مياجق أهالي مدينة همذان ، قائلاً لهم : «لا تعصوا السلطان واحذروا أن يحرق المدينة والولاية» ولكنهم لم يسمحوا له بدخول المدينة ماداموا لم يروا السلطان الخوارزمي ، لذا حاصر المدينة وأكثر من السلب والنهب ، وبعدها بثلاثة أيام وصل تكش إلى مشارف همذان في ١٩ شعبان عام ٥٩٢هـ/١١٩٦م ، وأرسل إليهم الرسل قائلاً «إن لم تصدقوا أنى وصلت فأرسلوا رسلكم إلى حتى يرونى ويسلمونى المدينة ، وإلا سوف استولى عليها بالقوة ، وأزيل جميع معالمها ولا استثنى حتى ترابها».

ولم يتحقق الناس من ذلك إلا بعد صعود «ركن الدين حافظ» المنبر وقسمه بكون خوارزمشاه تكش في القصر ، لذا توافد عليه فقهاء المدينة وأئمتها ، وقدموا له الولاء والطاعة وبعدها أمر خوارزمشاه بقتل كل عراقي يلبس قلنسوة خوارزمي التي اشتهر بها الخوارزمية عن غيرهم ، وذلك لانتحالهم شخصية الخوارزميين ، فيغيرون على البلاد. وبعدها قدم عليه «مجير الدين البغدادى» برسالة من دار الخلافة ، وما إن

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص١١٢ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ص٢٠٣ ؛ الراوندي : المرجع السابق ، ص٥٣٠ ، والذي اختلف معه كل من ابن الأثير وابن خلدون في أن الذي القائد الأعلى للمعركة كان السلطان تكش خوارزمشاه ، وهو الذي قام بقطع رأس الوزير متظاهرا بكونه قتل في المعركة ؛ خواندمير : المرجع السابق ، ص٦٣٩-٦٤٠.

علم خوارزمشاه بذلك حتى قام تعظيما واحتراما للخليفة العباسي ، وابلغه برسالة الخليفة التي قال فيها : «أن ملك أبيك وجدك كان منحة منا ونحن الآن نسلمه إليك فاقنع به كما كان فيما سبق ، ولا تطمع في أكثر منه وإلا فسأكتب إلى الأمصار انك خارج علي فينهض الناس في سائر البلاد لغزوك وتراق الدماء».

ورد عليه خوارزمشاه قائلاً : «وما أنا إلا شحنة من قبله ، ولكن أعدائي كثيرون ، ولا أستطيع أن أبقي دون جيش ، وقد عرض صاحب الديوان أن مائه وسبعين ألف فارس من أتباعنا لا يقوون على العمل باليسير من الخبر ، فليتعطف الخليفة عليّ بمنحى ولاية خوزستان حتى يكون في ذلك كفاية لأتباعنا».

وحمل مجير الدين الرسالة ، ولكن وافته المنية في اليوم التالي ، وكان معه رجل فصيح اللسان ، وهو شهاب الخوارزمي الذي أرسله للخليفة.

وبعد ذلك نظم السلطان الخوارزمي الوضع في تلك المناطق بعد استعادتها فكان لابنه يونس خان دار الملك بهمذان ، وألحق ابنه الآخر جقر بخدمته ، ثم قلّد «صدر الوزان» رئيس الشافعية بالري منصب القضاء ، وتحرك بعدها لتفقد أحوال مملكة أصفهان ، ثم كانت الضرورة تحتم عليه العودة إلى خوارزم(١).

---

(١) الراوندي : المصدر السابق ، ص٥٣٣-٥٣٦ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ص٢٠٣ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص٥٠١ ؛ خواندمير : حبيب السير ، ص٦٤٠.

- **أوضاع إقليم بلاد الجبل «العراق العجمى» بعد مقتل الوزير ابن القصاب وعودة خوارزمشاه تكش إلى خوارزم :**

هناك أكثر من سبب حال دون توطيد السلطان تكش لدعائم حكمه الراسخ في إقليم الجبل ، منها :

١- المعاملة القاسية والفظة من قبل الحكام والموظفين الإداريين المدنيين والعسكريين والخوارزميين للأهالي مما جعل حكمهم غير مرغوب فيه[١].

٢- تصرفات الوزير ابن القصاب التعسفية التي تمثلت في مصادرة أراضي الناس وأملاكهم وإعلانها ملكاً للخلافة العباسية في بغداد ، ولم تذكر المصادر المعاصرة موقف الخليفة العباسي من ذلك التصرف بالذات وذلك نظرا لكثرة الأحداث وتتابعها في وقت قصير[٢].

كان ذلك وراء حدوث العديد من القلاقل والنزاعات التي بدأت تظهر في ذلك الإقليم من آن لآخر ، مما ترتب عليه عيشه الناس حياة مملوءة بالبؤس والشقاء من جراء تلك الحروب المتواصلة والثورات التي سنتحدث عنها فيما بعد ، والتي عرضت ممتلكات هؤلاء للنهب والسلب والابتزاز أيضاً[٣].

---

(١) الراوندي : المصدر السابق ، ص٥٤٧ ذاكرا أن الغز لم يرتكبوا في خراسان مثل تلك المظالم ، ومثل تلك القسوة التي ارتكبها الخوارزميون مع العراقيين من قتل بغير حق ، ومن ظلم ونهب وتخريب بحيث أنه لو فصل كل ذلك لملأ عشرة كتب من حجم هذا الكتاب «يقصد كتابه» ؛ سعد بن محمد حذيفة مسفر الغامدى : المرجع السابق ، ص٩٦.

(٢) سعد بن محمد حذيفة مسفر الغامدى : أوضاع الدولة الإسلامية في الشرق الإسلامي ، ص٩٤.

(٣) الراوندي : المصدر السابق ، ص٣٧٧-٣٧٨ ، ٣٨٠-٣٨٣ ؛ سعد بن محمد حذيفة الغامدى : المرجع السابق ، ص٩٦.

ج – الثورات ضد الخوارزميين في إقليم بلاد الجبل :

- الثورة التي قام بها الثائر قتلغ إينانج محمود ، والتي أخمـدت قبـل استفحالها في معركة بالقرب من مدينة زنجان بين قتلـغ والأتابـك مياجق حسب رواية ابن الأثير(١). أو بين قتلغ إينانج ويونس خـان حسب رواية الراوندى(٢).
- ثورة أهالي أصفهان ، فقبل انتهاء عام ٥٩٢هـ/١١٩٦م استنجد أهالي أصفهان «في شخص صدر الدين محمود بن عبد اللطيف بن محمـد بن ثابت بن محمد الخجندى العميد الأسبق للمدرسة النظاميـة فـي بغداد» بان وصلت دعوة من كبار رجال مدينـة أصـفهان يحثـون الخليفة العباسي على إرسال جيش لضم تلك البلدة إلى ممتلكات بلاده ببغداد ، وقد شجعهم على ذلك قلة الوجود العسكري في تلك البلدة ، وخاصة بعد رجوع السلطان تكش إلى خوارزم وعودة الإقليم إلـى حوزته ، وتركه لحاميات عسكرية على أمهات مدن ذلـك الإقلـيم ، وكانت منها أصفهان. فيذكر ابن الأثير أن الخجندى كـان السـاعد الأيمن للوزير ابن المؤيد في تلك الحملة التي أرسلها الخليفة العباسي إلى إقليم البلد لخبرته بمداخلها ، ولكونه من أهل البلـد الأصـليين ، فهو يتمتع بمكانه كبيرة بين أهالي أصفهان «أي يعتبر الحاكم الفعلى لأصفهان ، نافذ الكلمة عندهم» ، ولقد شعر الخجندى بعـدم قدرتـه وحده على طرد الحامية الخوارزمية المتعسفة ، رغم قلة عددها من أصفهان ، لذا راسل الخليفة العباسي بأنه على أتم الاستعداد لتسـليم البلد إلى من يصل إليه من ديوان الخليفة من العسـكر ، فاسـتجاب الخليفة العباسي لذلك وأرسل أحد مماليكه الأتراك وهو «سيف الدين

---

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج١٢ ، ص١١١.

(٢) الراوندي : المصدر السابق ، ص٥١٩.

طغرل» على رأس جيش عدده ألف رجل (٢٠٠٠ رجل) وصـــارت الحملة نحو أصفهان[١].

- ولقد زامن استنجاد الأصفهانيين بالخلافة العباسية قيام ثورة أخـــرى ضد الخوارزميين في مدينة الري بزعامة شخص يدعى «نور الدين على كوكجه» وهو أحد مماليك الأتابك محمد البهلوان والذي اتفـــق المماليك والأمراء على أن يتزعمهم كوكجة هذا ، فاســتولوا علـــى الري وما جاورها من البلاد ، ونجح كذلك في أخـــراج الحاميـــات العسكرية الخوارزمية من الري.

ثم رأي أن يسير بجيشه نحو مدينـــة أصـــفهان طالبـــاً العســـاكر الخوارزمية ، وعندما قاربوها سمعوا بمقدم عسكر الخليفة العباسي عندها ، لذا فقد أرسل إلى مملوك الخليفة يعرض نفسه وخدمته فـــي الـــديوان ، ولقد تقدم كوكجة وتتبع الخوارزمية إلى طبس (وهي من بلاد الإسماعيلية) ثم عاد وقصد أصفهان وملكها ، وبعدها أرسل إلى بغداد طالباً من الخليفة العباسي منشوراً بكل من : الري ، وخوار الري ، وساوه ، وقم ، وقاجان ، وما ينضم إليها إلى حد مزدغان في الوقت الذي تكون فيـــه أصـــفهان وزنجان وقزوين لديوان الخليفة العباسي ، ووافقه الخليفة علـــى ذلـــك ، وأرسلت له الخلع ، فعظم شأنه وقويت شوكته[٢].

ومن المرجح أن يكون السبب وراء موافقة الخليفة على ذلك هـــو وعد المملوك كوكجه بأن يحكم البلاد باسم الخليفة العباسي ، ولقد وافقـــه

---

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج١٢ ، ص١٢٤ ؛ سعد بـــن محمـــد حذيفـــة الغامدى : المرجع السابق ، ص٩٦-٩٧ ؛ بدرى محمد فهد : المرجع السابق ، ص٦٢.

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص١١٧ ؛ بدري محمـــد فهـــد : تـــاريخ العراق في العصر العباسي الأخير ، ص٦٢.

أيضاً على السماح له بإبقاء قوى عسكرية في أصفهان تحت قيادة أحد مماليكه الأتراك وهو «فخر الدين سنقر الطويل» ولكن لم يستمر هذا الوضع طويلا حتى استقل بجميع السلطات ، واكتفي بذكر اسم الخليفة والدعاء له في خطب أيام الجمع في إقليم بلاد الجبل(١).

- ثورة الأتابك أزبك بن محمد البهلوان «أتابك أذربيجان» : لقد أقام الأتابك ازبك هو ومن معه من الأمراء وكبار رجال الدولة بإعلان طاعتهم وولائهم للخليفة العباسي ملتمسين منه العون والنجدة وذلك بان يرسل لهم من يقوم بتنفيذ سلطته في بلادهم وكان السبب وراء هذا التصرف هو تصرف القائد العسكري لحاميات الخوارزمية «ميجانق» الذي كان يحكم المنطقة بشدة وتعسف نيابة عن السلطان تكش الخوارزمي ، من أجل استعادة نفوذ الخوارزميين على ذلك الإقليم وفرض سلطتهم(٢).

ولقد استجاب الخليفة العباسي لطلبهم فأرسل إليهم «أبا الهيجاء السمين»(٣). ليكون القائد العسكري للقوات العباسية ، والذي فشل في المهمة التي كلف بها لسوء معاملته تجاه أزبك وأتباعه ، وغضب الخليفة العباسي من فعلته تلك ، لذا خاف أبو الهيجاء من سيده فترك الخدمة عنده

---

(١) سعد بن محمد حذيفة مسفر الغامدى : أوضاع الدولة الإسلامية في الشرق الإسلامي ، ص٩٨.

(٢) الراوندي : راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية ، ص٣٩٠.

(٣) أبو الهيجاء السمين : لقبة حسام الدين ، وهو رجل كردى من بلد أربل ، حيث كان في خدمة بنى أيوب في مصر وهو من كبار الأمراء العسكريين في الجيش الأيوبي ، وكان قبل ذلك يشغل منصب إقطاع بيت المقدس والمناطق المجاورة ؛ سعد بن محمد بن حذيفة الغامدى : المرجع السابق ، ص٩٨ ؛ بدرى محمد فهد : المرجع السابق ، ص٦٤.

وهرب إلى مدينة أربل ولكنه مات قبل أن يصل إليها ، وترتب على فشل ذلك القائد استطاعة القائد ميانجق فرض سلطانه على إقليم بلاد الجبل ، وبعد تمكنه من ذلك خرج على السلطان تكش الخوارزمي وأعلن عصيانه وادعى استقلاله بحكم جميع الأراضي التي كانت تحت سيطرته[١]. ثم أرسل ميجانق إلى الخليفة العباسي الناصر في بغداد يعبر عن ولائه ذاكرا أنه مجرد نائب من قبله.

وإن كنت أرجح أن غرضه من ذلك هو كسب الصفة الشرعية من قبل الخليفة العباسي[٢].

ونتيجة تلك الاضطرابات السياسية والثورات المتعددة ، وكذلك خيانة وتمرد قائد تكش ميانجق أن خرجت جميع إقليم بلاد الجبل من سلطه الخوارزميين ، لذا قررتكش عام ٥٩٥هـ/١١٩م ، الاتجاه إلى إقليم بلاد الجبل لاستعادتها مرة ثانية ، والقبض على قائده الخائن وقتله[٣]. واستطاع تكش استرداد جميع أراضي إقليم بلاد الجبل حتى همذان غرباً ، وبعدها سيرت الخلع من الخليفة العباسي لتكش خوارزمشاه ، وولده علاء الدين محمد ، وتقليده بما في يده من البلاد[٤].

د – حملته على مدينة بخارا واستيلاؤه عليها عام ٥٩٤هـ/١١٩٧م :

سار السلطان تكش إلى مدينة بخارى لانتزاعها من الخطا (القراخطاى) حيث كان سكانها من العرب البخاريين يفضلون حكم القراخطاى المخالفين لهم في العقيدة ، لذا وبمجرد وصول السلطان

---

(١) الراوندي : المصدر السابق ، ص٣٩٦ ؛ سعد بن محمد حذيفة الغامدى : المرجع السابق ، ص١٠٠ ؛ بدرى محمد فهد : المرجع السابق ، ص٦٤.

(٢) سعد بن محمد حذيفة مسفر الغامدى : المرجع السابق ، ص١٠٠.

(٣) الراوندي : راحة الصدور وآية السرور ، ص٥٥٤.

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج١٢ ، ص١٥٢-١٥٣.

الخوارزمي تكش فرض الحصار عليهم ، فامتنع عنه الأهالي وقاتلوه مع القراخطاى حتى هزموه ، ولقد وصل بهم التحدى أن احضروا كلباً أعور والبسوه ثوب خوارزمشاه ، وطافوا به علــى الســور وأطلقــوا عليــه خوارزمشاه (وخاصة أن خوارزمشاه كان أعور) ، ثم قذفوه بالمنجنيق في معسكر عدوهم ، وصاحوا هذا سلطانكم.

لذا كان الخوارزميين يسبون هؤلاء ويدعونهم بــ «جنود الكفــار والمرتدين» وتمكن الخوارزميون في النهاية من اقتحام المدينـــة عنــوة ، وعلى الرغم مما فعله هؤلاء «أهل بخارى» مع السلطان تكش إلا أنه قد عفا عنهم ، وأحسن إليهم ، ودفع لهم ذهباً ومالاً كثيراً ، ثــم عــاد إلــى خوارزم بعدها[1].

---

(١) ابن العماد الحنبلي : شذارت الذهب في أخبار من ذهب ، ج٤ ، ص٣١٦ ؛ ابــن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص١٣٧-١٣٨ ؛ ابن العبــرى : مختصــر تاريخ الدول ، ص٢٢٥ ؛ أبو الفرج جمال الدين بن العبري : تاريخ الزمــان ، ص٢٣٠ ؛ أبو الفدا : المصدر السابق ، ج٣ ، ص٩٣ ؛ عماد الدين أبي الفــدا إسماعيل «ابن كثير» : البداية والنهاية فــي التــاريخ ، ج١٣ ، ص١٦ ؛ ابــن خلدون : المصدر السابق ، ص٢٠٥ ؛ حافظ أحمد حمدي : الدولة الخوارزميــة والمغول ، ص٥٩ ؛ أحمد عطية الله : القاموس الإسلامي «موسوعة للتعريــف بمصطلحات الفكر الإسلامي» ، المجلد الأول ، ص٤٨٩ ؛ بارتولد : تركســتان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص٤٩٨ ، يضيف بارتولد عند ذهــاب تكش إلى مدينه بخارى ، وذلك قبل الحملة التي نحن بصدد الحديث عنها ، وهي عبارة عن رسالة وجهت من تكش إلى بخارا ، وجاء بها أن خوارزمشاه قد عبر نهر آمودريا وأرسل قوة إلى بخارا ، واصدر أوامره العســكرية هنــاك بعــدم التعرض للأهالي الآمنين بسوء ، ولكن نجد مجموعة من الطغاة قد وقعوا فــي شباك الكفر في تلك الولاية ، واعتصموا بالمدينة على الرغم من أن خوارزمشاه كان حليماً مع هؤلاء الطغاة ولكنهم لم يستجيبوا له لــذا بــدأ يــوم الثلاثــاء =

هـ- محاولة السلطان تكش الاستيلاء على مدين سرخس :

اتضح ذلك من خلال تلك الرسائل التي كانت متبادلة بين السلطان تكش الخوارزمي والغوريين والتي انفرد بذكرها بارتولد دون أي مرجع أو مصدر آخر ، وإن كان ذلك المرجع قد افتقر إلى التحديد الزمنى لتلك الرسائل سواء الهجرى أو الميلادي حيث اكتفي بذكر الشهور فقط ، وكذلك إلى تحديد الطرف الأول من الغوريين ، وأي من سلاطينهم كان يراسل السلطان تكش ، فذكر أن هناك رسالتين قد تمتا في خراسان في آخر شهر مايو في الوقت الذي كان السلطان تكش مشغولاً بمحاصرة مدينة سرخس[١]. وقد ذكر كما ذكر خواندمير عام ٥٨٩هـ/١١٩٣م[٢]. ففي الرسالة الأولى يتحدث عن ثقته في سقوط مدينة سرخس في خلال أيام ، وبعدها سوف تتم المقابلة بينهما ولكن اتضح من الرسالة الثانية أنه لم يتمكن من تحقيق هدفه ، ويتضح ذلك من كون الرسالة قد كتبت عند باب مدينة سرخس[٣].

= عام ٥٧٨هـ ، الهجوم على المدينة واقتحموا الأسوار دون أن يتعرضوا للسكان الآمنين ، ولقد انتظر حتى صباح اليوم التالي من أجل الصلح والتسليم ، وفي ساعة متأخرة حاول قائد العدو الهرب ، ولكن جند تكش تمكنوا منه وأسروه هو وقواته ، وكانوا أكثر من (١٠٠٠ رجل) ووصلوا إلى خوارزمشاه لكنه عفا عنهم استولى على المدينة. وهناك عهدان قد وقعا في تلك الواقعة : الأول ، يشكر فيه تكش أحد الأئمة وذلك على ما أبداه من أخلاص في خدمة تكش أكثر من مرة ، والعهد الثاني : خاص بتثبيت الأمير «نور الدين» في مناصب كان سبق وعينه فيها الصدر برهان الدين ، وهي مناصب دينية خاصة بالتدريس والإقامة والخطبة والإفتاء وشرطه في ذلك ذكر اسم السلطان عقب اسم الخليفة العباسي ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص٤٩٣-٤٩٤.

(١) بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولى ، ص٤٩٢.

(٢) خواندمير : حبيب السير ، ص٦٣٧.

(٣) بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولى ، ص٤٩٢.

و – السلطان تكش خوارزمشاه وصراعه مع الغوريين والقراخطاى عام «٥٩٤هـ/١١٩٧م»:

وسبب ذلك فتوحات السلطان تكش التي قام بها ، وخاصة في منطقة العراق العجمى «إقليم بلاد الجبل» ، وعلى أثرها اتجه الخليفة العباسي الناصر لدين الله إلى الاستعانة بالغوريين طالباً عونهم ضد السلطان الخوارزمي وجيشه ، والذي تعرض بالأذى لجيش الخليفة العباسي وقائده الوزير ابن القصاب ، وطلباً للخطبة باسمه في بغداد ليحل محل ملوك الدولة السلجوقية بعد انتهاء عهد سلاجقة إيران.

وكان ذلك في صورة شكوى للسلطان الغورى الذي قبح ما فعله تكش ، ونهاه عن عدم الاتجاه إلى بغداد وهدده بأخيه سلطان شاه محمود ومساندته في اخذ بلاده منه[1]. وكان رد فعل السلطان تكش هو الاتجاه إلى القراخطاى طالباً العون منه «وتلك كانت المرة الثانية التي طلب فيها العون منهم كما سبق ووضحناه» ، يشكو إليهم السلطان الغوري قائلاً : «إنهم إن لم يدركوه فسوف يقصد بلاده ، ثم يقصد بعد ذلك بلادهم ، وبالتالي لم يتمكنوا من منعه ولا السيطرة عليه ، وخاصة في منطقة ما وراء النهر. وتمت الموافقة بينهما ، وأعد جيشاً تحت قيادة أعظم قواده وهو «تانيكو» الذي كان بمثابة الوزير لديه ، وعبر نهر جيحون في جمادي الآخرة من العام نفسه ، وكان وقتها وقت شتاء[2].

---

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص١٣٥ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الرابع ، القسم الأول ، ص٨٦٢ ، المجلد الخامس ، القسم الأول ، ص٢٠٤ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص٤٩٧ ؛ بدرى محمد فهد : المصدر السابق ، ص٦٣.

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص١٣٥ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الرابع ، القسم الأول ، ص٨٦٢ ، المجلد الخامس ، القسم الأول ، ص٢٠٤ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص٤٩٧.

- **الجانب الغوري :**

وكان وقتها السلطان الغورى شهاب الدين في بلاد الهند ، أما السلطان غياث الدين ونظرا لإصابته بمرض النقرس الذي منعه من الحركة ، فكان يحمل من مكان لآخر على محفة ، وذلك يعنى عدم استطاعته واستعداده لتلك الحرب لغياب شهاب الدين القائد الأعلى للجيش ، ومعه أغلب جنوده.

ولقد تحرك القراخطاى وعبروا نهر جيحون حتى وصلوا إلى بلاد الغور[1]. مثل : كرزبان وسرقان ، وغيرها من المناطق الأخرى ، وقتلوا ونهبوا وأسروا خلقاً كثيراً لا يمكن إحصائهم[2].

ونظراً لفظاعة أفعال هؤلاء اتصل الأهالي بالغوريين ، ولقد راسل الخطا حاكم ملك باميان ، وهو «بهاء الدين سام بن محمد» ، وخيروه ما بين تسليم مدينة بلخ ، أو دفع الجزية المقرة على المدينة من قبل.

---

(١) **بلاد الغور** : هي المنطقة الجبلية الواقعة إلى الشرق والجنوب الشرقي من همذان ، والى الجنوب من غرجستان وجوزجان أي المنطقة الجبلية الواسعة الواقعة بين كل من ولايتي هراه وغزنة ، وهي عبارة عن وديان المنطقة الجبلية التي يطلق عليها الآن «كوه بابا» أي جبل بابا وسفيد كوه «الجبل الأبيض» ، وعن طريقها تتصل جبال خراسان بسلسلة جبال هندوكوش ، إلى جانب أنها منبع للأنهار ومنها : الهيرميذ ، الهريرود ، المرغاب الذي جاور القسم الغربي منها ولاية هراه وكانت تسمي الغرجستان والجبال ، لهم مدن وقرى كثيرة يؤتي منها الرقيق والجواشن «الدروع» والأسلحة الجيدة ؛ مؤلف مجهول : حدود العالم من الشرق إلى الغرب ، ص٨٠ ؛ النويرى : المصدر السابق ، ج٢٧ ، ص٨٧ ، حاشية١ ؛ فوزي حافظ عباس المأمونى : علاقة خوارزم بالعالم الإسلامي خلال العهدين البويهي والسلجوقي ، ص١٩٨ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص٤٨٩ ؛ إقبال عباس الاشتيانى : تاريخ إيران بعد الإسلام ، ص٢٠٩.

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج١٢ ، ص١٣٥ ؛ بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص٤٩٧.

وما إن عظمت الأمور حتى انتدب عن السلطان الغورى غياث الدين الأمير «محمد بن جربك» والى الطالقان الذي كاتب بدوره «الحسين بن خرميل» متولي أمر قلعة كرزيان ، واجتمع معهما كذلك الأمير «حروس الغورى» وتوجهوا إلى عساكر الخطا ، وتمكنوا منهم ، وذلك لأن من عادة القراخطاى عدم مغادرة مخيماتهم ليلا وتركها دون حراسة ، لذا تمكنوا منهم وهزموهم ، ومات منهم الكثير منهم من كان متأثراً بجراحة ، ومنهم من ألقي بنفسه في مياه نهر جيحون خوفاً من وقوعه في الأسر ، وقد بلغ عدد قتلاهم ما يقارب اثني عشر ألفاً من الجنود (١٢٠٠٠ جندى)[١].

وبعد هزيمة القراخطاى قامت المفاوضات بين الغوريين والخوارزميين مقابل أن يعلن السلطان تكش طاعته للخليفة العباسي ، وأن يعوض ما نهبه القراخطاى من الأهالي ، وتمت تلك المفاوضات بنجاح. وبذلك دخل السلطان تكش في طاعتهم قائلاً : «وأما أنا فقد أصلحت الغورية ودخلت في طاعتهم ولا طاعة لكم عندى»[٢].

وما إن علم السلطان الغورى بوفاة السلطان تكش حتى أمر بعدم ضرب نوبته لمدة ثلاثة أيام ، وجلس للعزاء[٣]. ويدل ذلك على استمرار علاقات الورد والصداقة بين الخوارزميين والغوريين ، وكذلك احترام السلطان الغوري وتقديره.

---

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص١٣٦ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الرابع ، القسم الأول ، ص٨٦٢ ؛ فوزى حافظ عباس المأموني : المرجع السابق ، ص٢٠٠.

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، ص١٣٧ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الخامس ، القسم الأول ، ص٢٠٥ ، المجلد الرابع ، القسم الأول ، ص٨٦٢ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص٤٩٨ ؛ فوزى حافظ عباس المأمونى : المرجع السابق ، ص٢٠٠ ؛ بدرى محمد فهد : المصدر السابق ، ص٦٣.

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص١٥٦.

ز – السلطان تكش ومحاربته للإسماعيلية الحشيشية[1] :

ازداد نفوذ هؤلاء في العهد السامانى ، وخاصة في عهد الوالي نصر بن أحمد ، وكذلك أثناء حكم الديالمة من آل زيار ، وتعرضوا للضعف دون انتهائهم في العصر الغزنوى ، ثم تلاشي هؤلاء في عهد السلاجقة ، لكونهم على مذهب أهل السنة ، فاخذوا على عاتقهم محاربة الإسماعيلية ، ولكن ما لبثوا أن عادوا للظهور ثانية في عهد ملكشاه على يد زعيمهم الحسن الصباح «أحد أنصار المذهب النزاري ، وهو واحد من أفرع المذهب الإسماعيلي» وينسب إلى نزار بن المستنصر بالله الفاطمى «٤٢٧-٤٨٧هـ/١٠٣٥-١٠٩٤م» حيث حدث نزاع بين أبنائه على ولاية العهد ، وهما : نزار والمستعلى لذا أخذ أعوانه وأنصاره على عاتقهم نشر هذا المذهب بين الناس[2]. وكان زعيمهم الحسن الصباح الذي رحل من

---

(١) الإسماعيلية الحشيشية : أطلق على هؤلاء العديد من المسميات منها الإسماعيلية لكونهم تابعين لإسماعيل جعفر الصادق ، وأطلق عليهم كذلك الباطنية لكونهم يبطنون ما يظهرون بداخلهم ، والملاحدة لان مذهبهم واعتقادهم قائم أولاً وأخيراً على الإلحاد ، وأخيراً لقب الحشاشين نظراً لاستخدامهم مادة حشيش المخدرة في التضليل بعقول من يدخلون الدعوة ؛ القلقشندى : صبح الأعشي في صناعة الإنشا ، ج١٣ ، ص٢٤٥ ؛ شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي «الشافعى المعروف بأبي شامة» : الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، نشر وتحقيق : محمد حلمى محمد أحمد : (القاهرة ، ١٢٨٧م) ، ج١ ، ص٥٢ ، ١٩٨ ؛ حافظ أحمد حمدي : الشرق الإسلامي قبل الغزو المغولى ، ص٧١ ؛ إقبال عباس الاشتيانى : المرجع السابق ، ص٢٥٤ ؛ أحمد عطية الله : القاموس الإسلامي ، المجلد ، ص١٠٨.

(٢) عبد النعيم حسنين : سلاجقة إيران والعراق ، ص٧١ ؛ عبد الحميد البجيلى : رسائل إسماعيلية قديمة نادرة ، (مجلة المجمع العلمى العراقي ، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م) ، المجلد الثالث ، ج٢ ، ص٤٠٥ ؛ إقبال عباس الاشتيانى : تاريخ إيران بعد الإسلام ، ص٢٥٤.

الري عام ٤٦٩هـ/١٠٧٦م ، إلى أصفهان ، وطاف العديد من البلاد حتى اتجه إلى إيران عام ٤٧٣هـ/١٠٨٠م ، وبدأ في الدعوة إلى المذهب الاسماعيلي واتخذ من قلعة «آلموت»[١]. مقرا لدعوته وكثر مريدوه ، وتمكنوا من تأسيس العديد من المعاقل الكثيرة «القلاع» في أماكن جبلية في شمال إيران وشرقيها في المنطقة الممتدة من حدود أذربيجان إلى كرمان خصوصا في كل من ديلم وقومس وقهستان ، وكلها قلاع حصينة.

وكان جيش الإسماعيلية يمتاز بالحماس والاستعداد بالتضحية بالنفس في سبيل حماية الدعوة ، ومن بينهم – وهي أهم الطبقات لدى تلك الطائفة – الفداوية الذين استعانوا بهم في دعوتهم[٢].

- **مجاورتهم للدولة الخوارزمية ودوافعهم للقضاء عليها** :

تقع دولة هؤلاء إلى الشمال الغربي من دولة خوارزم ، وذلك يدخل ضمن الأسباب التي كانت وراء وقوع الصدام بينهما. وكذلك رغبتهم في القضاء على هؤلاء الذين طالما أحدثوا العديد من الفتن والمكائد التي كان لها دور في التأثير على علاقاتهم السياسية ما بين العباسيين ، وخاصة في عهد الخليفة العباسي الناصر لدين الله وابن تكش ، فكانت من الأسباب التي دفعته لإعداد حملته على بغداد[٣]. وبعد أن تمكن السلطان تكش من الاستيلاء على إقليم بلاد الجبل وجد من الضرورة الاتجاه إلى قلاع هؤلاء الملاحدة الذين كانوا في ذلك الوقت في قمة مجدهم.

---

(١) قلعة آلموت : آلموت كلمة ديلمية معناها «المكان الذي أرشد عليه العقاب» ؛ إقبال عباس الاشتيانى : المرجع السابق ، ص٢٥٦ ، حاشية٣.

(٢) فوزى حافظ عباس المأمونى : المرجع السابق ، ص١٩٦.

(٣) حافظ أحمد حمدي : المرجع السابق ، ص٧٢ ؛ عبد النعيم حسنين : المرجع السابق ، ص٧٢.

لذا وبعد أن رجع السلطان تكش وابنه قطب الدين محمد من محاربتهم للقبجاق وهزيمتهم بالقرب من مدينة «جند»[1]. توجه الاثنان ومعهم بعض الأشخاص الذين عاونوهم في معرفة بعض أسرار هؤلاء وبعدها قام بالإغارة على قلعتهم «وهي قلعة آلموت» وهى التي فتحها السلطان أرسلان بن طغرل ، وأطلق عليها «قلعة أرسلان كشاى» بالقرب من قزوين فقتل عدداً كبيراً منهم ، وسيطر على مدينة قزوين ، وتولى أمرها أحد أبنائه وشهرته «تاج الدين»[2].

وتكررت مهاجمتهم من قبل الخوارزميين مرة ثانية بعد اغتيالهم لوزيره «نظام الملك شمس الدين الشافعي» قاصداً قلاعهم[3].

وكان نائبه في البداية ابنه علاء الدين محمد من أجل تدمير قلاع هؤلاء الملاحدة ، لذا أعد الجنود لذلك ، وقام بمحاصره مدينة «ترشيز» وكاد يفتحها لولا وصول نبأ وفاة والده تكش الذي كان مصـبا بمرض الاختناق فعالجه الأطباء ونصحوه بعدم الإرهاق ولكنه خالف ذلك ، وتوجه للملاحدة ، وكان وقتها حاراً ، فما أن وصل إلى منطقة تدعى «جاب عرب»[4]. وأغار على كل من قهستان وترشيز من أجل الانتقام لوزيره الذي اغتيل على أيديهم ، وذلك ليقينهم بأنه المحرض الأول لاتجاه السلطان تكش إليهم ومحاصرتهم ، ولكنه مرض ومات عام

---

(١) بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص٥٢٨.

(٢) حبيب الله شمالوئي : تاريخ إيران از ماتا بهلوى ، ص٤٤٠ ، ذاكرا تلك الأحداث في عام ٥٩٤هـ/١١٩٧م ، واختلف معهم ميرخواند : روضة الصفا ، ص٣٨٠ ، تحدث عن محاصرته لقلعة قزوين أربعة أشهر تقريباً ، وبعدها تم الصلح بينهما مقابل نزولهم عن تلك المناطق المرتفعة ، وتوجهوا صوب آلموت.

(٣) حمدالله بن أبي بكر بن أحمد بن نصر المستوفي القزوينى : تاريخ گزيدة ، المجلد الأول ، ص٤٩٣.

(٤) ميرخواند : المرجع السابق ، ص٣٨٠-٣٨١.

٥٩٦هـ/١١١٩م ، وترك الجهاد من بعده لابنه علاء الدين محمد[١]. الذي ما إن علم بوفاته حتى ترك الحصار ، وتمت المصالحة ورفع الحصار عن مدينة ترشيز[٢]. وعاد وذلك بعد أن صار صاحب خوارزم وبعض خراسان كالري وبعض إقليم بلاد الجبل[٣].

ثالثاً : علاء الدين محمد بن تكش خوارزمشاه « ٥٩٦ – ٦١٧هـ / ١١٩٩ – ١٢١٩م» :

أ – توليته لعرش خوارزم وصراعه مع ابن أخيه «هندوخان» :

كان من أبناء علاء الدين تكش «علي شاه» الذي كان متولياً أمر أصفهان وأضاف إليها خراسان ، وكان يونس خان متولياً أمر الري ، وتاج الدين عليشاه ، نصير الدين ملكشاه «الذي توفي في حياة والده وترك ابنه هندوخان» ، علاء الدين محمد الذي استدعاه والده علاء الدين تكش عندما اشتد عليه المرض ، ولكنه حضر بعد وفاته فبايعه أعوان الدولة ، وتولى أمر خوارزم ، وتلقب بلقب علاء الدين محمد ، وذلك في ١٣ أغسطس عام ١٢٠٠م ، ومرجع هذا التأخير تلك المنافسة التي كانت بينه وبين ابن أخيه هندوخان ، والتي ترجع جذورها إلى الخلاف الذي كان بين عمه ووالده نصير الدين ملكشاه.

ونظراً لنهب هندوخان لخزائن جده وأمواله وذلك لوجوده بجانبه وقت وفاته لذا أعد علاء الدين محمد جيشاً تحت قيادة «جُقر التركى» وعلى إثرها هرب هندوخان إلى خراسان طالباً النجدة من السلطان الغورى غياث الدين الذي أكرمه ووعده بالمساندة والنصر.

---

(١) ابن العبري : تاريخ الزمان ، ص٢٣٢ ؛ حبيب الله شمالوئي : المرجع السابق ، ص٤٤٠.

(٢) ابن العبري : المصدر السابق ، ص٣٨١ ؛ ميرخواند : المرجع السابق ، ص٣٨١.

(٣) ابن العبري : تاريخ الزمان ، ص٢٣٢.

وبوصول «جقر التركى» إلى مروا أخذه والده هندوخان وأبناءه مكرمين إلى خوارزم ، أما السلطان الغوري غياث الدين فقد راسل نائبه في الطالقان ، وهو «محمد بن جربك» طالباً تهديد القائد الخوارزمي ، وبعد تمكنه من مدينة مرو الروذ والخمس القرى (بنج ده) طلب من القائد الخوارزمي إقامة الخطبة باسم السلطان الغوري في مرو أو ترك البلاد.

ولقد راسل القائد الخوارزمي السلطان الغورى سراً طالباً الأمان ، وكذلك تسليم تلك المناطق التابعة للدولة الخوارزمية مقابل أن يكون حالكماً لديهم ولقد شجعت خيانته الغوريين على التقدم وطمعهم في أملاك الدولة الخوارزمية معتقدين فى ضعف السلطان الخوارزمي الذي تخلى عنه قائده لذا راسل أخاه شهاب الدين للاتجاه إلى خراسان للاستيلاء على أملاك السلطان الخوارزمي علاء الدين محمد[1].

ولقد ترتب على النزاع على العرش والتجاء هندوخان إلى الغوريين ضياع بعض أملاك الدولة الخوارزمية.

ب – الغوريون واستيلاؤهم على بعض أملاك الدوله الخوارزمية وموقف السلطان الخوارزمي من ذلك :

بناءً على طلب غياث الدين الغوري لأخيه شهاب الدين ، والذي أمره فيه بالاتجاه إلى خراسان وترك مدينة غزنة إلى خراسان مصاحباً

---

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج١٢ ، ص١٥٧-١٥٨ ، ١٦٤ ؛ أبو الفدا : المصدر السابق ، ج٣ ، ص١٠٠ ؛ النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج٢٦ ، ص٩٨ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الرابع ، القسم الأول ، ص٨٦٣ ، المجلد الخامس ، القسم الأول ، ص٢٠٦-٢٠٧ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص٥٠٢ ؛ عفاف صبرة : التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية ، ص٩٨-٩٩ ؛ سعد بن محمد حذيفة مسفر الغامدى : أوضاع الدول الإسلامية في الشرق الإسلامي ، ص١٦٢-١٦٣ ؛ حبيب الله شمالوئي : المرجع السابق ، ص٤٤١.

معه جنوده ولقد كان الأمير «عمر بن محمد المرغنى» نائبهم في مدينة هراة من المعترضين على ذهابه لخراسان ، فلم يشجعه على ذلك ، وعلى الرغم من ذلك اتجه شهاب الدين بعساكره ، وكذلك عساكر من مدينة «سيستان» إلى قرية بين الطالقان وكرزبان وهي قرية (ميمنة) وذلك في جمادي الأولى عام ٥٩٧هـ/١٢٠٠م.

وتقابل مع القائد الخوارزمي «جقر التركى» الذي سبق وراسلهم من أجل تسليم البلاد ، واشتد القتال بينهم ، وحملوا عليه ودخلوا البلد وزحفوا بفيلهم حتى قاربوا سور المدينة ، وما أن رأس الناس ذلك حتى طلبوا الأمان ، وتم لهم ذلك ، وخرج إليهم «جقر التركى» الذي وعدوه بالوعود الجميلة ، وتم تسليم المدينة وأعطيت إلى هندوخان ، واتجه جقر التركى مكرهاً إلى هراة.

ثم اتجه السلطان الغوري شهاب الدين إلى مدينة «سرخس» وتمكن منها وترك عليها الأمير «زنگى بن مسعود» وذلك بعد محاصرتها بثلاثة أيام تقريبا[1]. وكذلك مدينتي نسا وأبيورد ، وذلك لكونه من أولاد عمومته ، وتوجه شهاب الدين إلى طوس التي امتنع حاكمها عن تسليمها ، وظل مغلقا بابها ما يقارب من ثلاثة أيام حتى ضاق أهلها فراسلوا غياث الدين الغورى طالبين الأمان ، وتمكن منها ، وخلع أميرها وسيره إلى هراة[2].

---

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج١٢ ، ص١٦٤-١٦٥ ؛ النويري : المصدر السابق ، ج٢٦ ، ص٩٩ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الرابع ، القسم الأول ، ص٨٦٤ ، المجلد الخامس ، القسم الأول ، ص٢٠٧-٢٠٨ ؛ عفاف صبرة : التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية ، ص٩٩.

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص١٦٥ ؛ النويري : المصدر السابق ، ج٢٦ ، ص٩٩.

ولم يكتف السلطان الغورى بذلك بل راسل أخا السلطان الخوارزمي «علي شاه» في نيسابور طالباً الطاعة أو الحرب والحصار ، وبالرغم من هذا التهديد ، فقد اتفق «علي شاه» ومن معه من عساكر الخوارزمية على الامتناع عن تسليم تلك المدينة ، وقاموا بتحصينها ، وتخريب ما حولها من مظاهر العمارة وما أن رأي السلطان الغوري ذلك حتى ترك أمرها لابنه محمود ، والذي ظل بها حتى تم رفع علم الغوريين على سورها.

ومن ناحية أخرى هاجم السلطان غياث الدين المدينة من ناحية السور ، حتى تهدم وفجأة فوجئ الخوارزميون بتكبير هؤلاء ودخولهم المدينة وملكوها عنوة ، ونهبت المدينة ، ثم وبناء على أوامر السلطان الغورى توقف النهب والسلب حتى قال لجنوده : «من نهب مالاً أو أذى أحد فدمه حلال» ونفذ الجنود أوامره ، وتحصن الخوارزميون في جامع المدينة ولكن أخرجهم غياث الدين منه[1]. وبعدها أخذ «علي شاه» وأحضروه عند غياث الدين راجلاً ، ولكنه أنكر على من احضروه ذلك وقال علي شاه لغياث الدين «أهكذا يفعل بأولاد الملوك؟ فقال : لا بل هكذا وأخذ بيده وأقعده معه على العرش وطيب نفسه وسير جماعة الأمراء الخوارزمية إلى هراة»[2]. وبذلك تمكن السلطان غياث الدين الغوري من الاستحواذ على أغلب ما كان لخوارزم شاه بخراسان ، وكذلك مرو ونيسابور وغيرهما كما سبق ووضحنا ثم اتجه إلى بلاد الهند[3].

---

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص١٦٦ ؛ أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ، ج٣ ، ص١٠٠ ؛ النويري : المصدر السابق ، ج٢٦ ، ص١٠٠ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الرابع ، القسم الأول ، ص٨٦٤-٨٦٥ ، المجلد الخامس ، القسم الأول ، ص٢٠٨-٢٠٩.

(٢) النويرى : نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج٢٦ ، ص١٠٠ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص١٦٦.

(٣) حبيب الله شمالوئي : تاريخ إيران از ماد تا بهلوى ، ص٤٤١ ؛
Ibrahim : A short history of Turkish Islamic States Excluding the Ottomen State, p.156.

- **الموقف الخوارزمي من أعمال السلطان الغوري :**

راسل السلطان علاء الدين محمد السلطان غياث الدين الغوري معاتبا له : «كنت اعتقد أن تخلف علي بعد أبي وإن تنصرني على الخطا وتردهم عن بلادى فحيث لم تفعل فلا أقل من أن لا تؤذيني وتأخذ بلادى ، والذي أريده أن تعيد ما أخذته منى إليّ ، وإلا استنصرت عليك بالخطا وغيرهم من الأتراك أن عجزت عن اخذ بلادي فأنني إنما يشغلني عن منعكم عنها الاشتغال بعزاء والدي ، وتقرير أمر بلادي ، وإلا فما أنا بعاجر عنكم وعن أخذ بلادكم بخراسان وغيرها».

ولقد غالطه السلطان الغورى في الجواب ، واستمرت المراسلات بينهما وما أن علم السلطان الخوارزمي بحال غياث الدين وعجزه عن الحركة وانشغال السلطان شهاب الدين بحروبه في الهند ، حتى راسل نائبه «غياث الدين» في خراسان وهو «علاء الدين الغوري» يأمره بترك نيسابور ، وهو بدوره راسل السلطان الغورى ، وأخبره بميل أهل نيسابور إلى الخوارزميين ، وعلى الرغم من ذلك طلب منه المدد من أجل الحرب.

وفي منتصف ذى الحجة عام «٥٩٧هـ/١٢٠٠م» اتجه علاء الدين محمد وعساكره إلى نيسابور ، وما أن اقترب من مدينتي نسا وأبيورد ، وما إن علم ابن أخيه هندوخان بذلك حتى فر هاربا إلى غياث الدين بفيروزكوه ، وتمكن السلطان الخوارزمي من مدينة مروالروذ ، وسار بعدها إلى نيسابور ، وتم الاشباك بينهما وظل الحال على ذلك ما يقارب من شهرين ، وبعدها طلب علاء الدين الغورى الأمان ، ووافقهم الشاه الخوارزمي على ذلك وسمح لهم بالخروج وأحسن إليهم وخرج هو ومن معه محملا بالهدايا وطلب منه ضرورة السعي في إحداث الصلح فيما بينهم وبين الغوريين فاستجاب لهم ، وصار إلى هراة ومنها إلى إقطاعه.

وتمكن بذلك من نيسابور ، وعقد ما يشبه الصلح بين الشاه الخوارزمي و «الحسين بن خرميل» في أن يكون خلفا وحليفا له بدلاً من تعاونه مع الغوريين ، ثم استكمل سيره إلى مدينة سرخس فحاصرها ما يقارب ٤٠ يوماً ، وبعد مناورات طلب أميرها الأمان والصلح ، وحقق له ما أراد ، ولكن السلطان الخوارزمي عاد وندم على إعطائه الأمان ورحل عنها ، وجهز عسكراً فحاصرها ، ثم وقعت وتمت المراسلة بين «محمد بن جربك» من الطالقان «وهو من الأمراء الغوريين» وبين زنگى من أجل القضاء على الخوارزميين الذين تركهم الشاه الخوارزمي.

وما أن ادرك الخوارزميون ذلك حتى تركوا سرخس ، وبقي الاثنان في مروالروذ ، واخذ إخراجها مما اضطر علاء الدين محمد خوارزمشاه إلى إرسال عسكر تحت قيادة خاله ، وتمت المواجهة وهزم على الرغم من تفوق جيشهم عن جيش محمد بن جربك.

وترتب على ذلك مراسلة السلطان الخوارزمي للسلطان الغوري راغباً في الصلح ولقد أجابه السلطان الغوري على ذلك برسالة أرسلها مع أمير من الغورية يدعى «الحسين بن محمد المرغنى» فقبض عليه خوارزمشاه[1].

جـ- محاصرة السلطان علاء الدين خوارزمشاه لمدينة هراة وأسباب ذلك :

إن السبب الرئيسي وراء محاصرته تلك المدينة هو رغبته في الاستيلاء على عليها ، وخاصة أنه كان هناك أخوان تابعان يعملان في خدمة سلطان شاه ابن أخي علاء الدين محمد ، وقد اتصلا بغياث الدين

---

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج١٢ ، ص١٧٣-١٧٥ ؛ ابن العبرى : تاريخ الزمان ، ص٢٣٤ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الرابع ، القسم الأول ، ص٨٦٦ ، المجلد الخامس ، القسم الأول ، ص٢٠٩-٢١١ ؛ حافظ أحمد حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص٢٥-٢٦.

الغورى ، وذهبا إليه ، وأكرمهما ، وفي الوقت نفسه راسلوا السلطان الخوارزمي وضمنوا له تسليم مدينة هراة.

وما إن علم أمير هراة بذلك وهو «عمر بن محمد المرغنى» بمراسلتهم للسلطان الغوري حتى وثق فيهما ، وسلمهم مفاتيح المدينة ، وشجعهم على قتال السلطان الخوارزمي ، ولكن في الوقت نفسه وصلت رسالة من «الحسين بن محمد المرغنى» إلى أخيه «عمر المرغنى» باتفاق هذان الشخصان مع السلطان الخوارزمي فاعتقلهما على الفور[1].

ثم ما لبث أن وصل عسكر الغورية بقيادة «ألب غازى» أو «أليوغانى» ونزل على بعد خمسة فراسخ من هراة ومنع الميرة عنها وظل الحصار قائما أربعين يوما وكان معه السلطان غياث الدين في قلة من عدده ، ولكن وما إن علم بوصول السلطان شهاب الدين من الهند إلى غزنة حتى راسل غياث الدين أمير هراة طالباً الصلح ، وتم ذلك على مال أرسله إليه ، ورحل عن البلد في منتصف عام ٥٩٨هـ/١٢٠١م ، أما الجيش الخوارزمي فقد انتقل إلى الطالقان للإغارة عليها ، وتمكن منهم الحسين بن خرميل ، وهزمهم ، وعندما علم السلطان الغورى بما فعله السلطان الخوارزمي في خراسان حتى اتجه من غزنة إلى بلخ ومنها إلى باميان ثم مرو ، وهدفه من وراء ذلك هو محاربة خوارزمشاه ووقع القتال بينهما وهزم خوارزمشاه وإن كان قد تمكن من قتل الأمير سنجر صاحب نيسابور لخيانته له.

ثم توجه السلطان الغورى إلى طوس لقضاء الشتاء بها ، ويستكمل بعدها حملته ضد السلطان الخوارزمي ويتجه إلى خوارزم ،

---

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص١٧٦-١٧٧ ، ١٨٠-١٨١ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ص٢١١-٢١٣ ؛ عفاف صبرة : المرجع السابق ، ص١٠٣-١٠٤.

ولكن نظراً لوفاة أخيه اتجه إلى هراة ، تاركاً على مرو نائبه «الأمير محمد بن جربك» الذي اشتبك معه بعض الخوارزميين ليلاً ، ولم ينج منهم الكثير ، وأرسل الأسرى ورؤوس القتلى إلى هراة.

وفي عام ٥٩٩هـ/١٢٠٢م - وبعد أن تلقي السلطان شهاب الدين العزاء - توجه إلى خوارزم عن طريق الرمل ، وفي الوقت نفسه سير السلطان الخوارزمي جيشاً قائده «برفور التركى» الذي ذكر عند ابن خلدون تحت اسم «منصور التركى» وخرج إليهم على بعد عشرة فراسخ من مرو ودارت بينهم المعركة ، وفقد الجانبان العديد من الجنود وهزمت الغورية ، ودخل محمد بن جربك في شرذمة من الجنود مرو وحاصره الخوارزميون ما يقارب من خمسة عشر يوماً ، ثم راسلهم طالباً الأمان ووافقوا على ذلك ، ولكن بمجرد خروجه تمكنوا منه وقتلوه ، ولقد غضب السلطان الغورى من ذلك ، ثم ترددت رسل بينهما ، ورجع إلى غزنة وترك على هراة ابن أخته «ألب غازى».

- **محاصرة السلطان علاء الدين محمد لهراة للمرة الثانية عام «٦٠٠هـ/١٢٠٣م» :**

ولقد ظل محاصراً لها من أوائل شهر رجب حتى بداية شهر شعبان مع استمرار القتال واشتداده بين الطرفين ، في الوقت الذي سار فيه السلطان الغورى إلى لهاوور متجهاً إلى الهند ، أما الحسين بن خرميل الذي كان في إقطاعه في «كرزبان» والذي راسل السلطان الخوارزمي طالباً إرسال العسكر من أجل استلام الفيلة وخزانة السلطان الغوري ، فأرسل له ما يقارب من ألف فارس ، ولكنها كانت مكيدة منه وكذلك الحسن بن محمد المرغنى وهزم جنود الشاه الخوارزمي ولم ينج منهم إلا القليل ، لذا ندم الشاه على تصديق هذا الخائن.

وفي الوقت نفسه راسل السلطان الخوارزمي ألب غازى ليكون في خدمته بدلاً من السلطان الغورى ، وكان هذا في ذلك الوقت مريضاً

فخشى الموت فتمكن السلطان الخوارزمي من المدينة لذا خـــرج إليــه ، ولكنه سقط ميتا أمامه ، وترك خوارزمشاه البلد ، واتجه إلـــى ســرخس وأقام بها[١].

- **الموقف الغورى والمعركة الفاصلة بينهما** :

وما إن علم السلطان الغورى ما حدث لنائبه في هراة ترك الهنـــد واتجه إلى خوارزم في الوقت الذي كان فيه السلطان تكش – بعد مروره على سرخس – في مدينة مروالروذ وما إن أدرك ذلك حتى خشى عواقب الموقف واتجه إلى خوارزم ، وكعادة ملوك الدولـــة الخوارزميـــة فـــتح السلطان السدود لكي يغرق المنطقة بالمياه فيعوق تقدم الغوريين.

وجاء السلطان الغورى إلى الجانب الشرقي من النهر ، ثم أمـــر بالبحث عن معبر لنهر جيحون بعد أن ظـــل الجـــيش الغـــورى يقطـــع المسافات والطرق ما يقارب من أربعين يوماً.

وتذكر المصادر العربية أنه قد حدث الاشتباك ما بين الدولتين عند «صوقرار» (الماء الأسود) وقتل من الفريقين الكثير ، وأســـر الســـلطان شهاب الدين جماعة من الخوارزميين ، وقام بقتلهم صبراً ، وما أن رأي السلطان الخوارزمي ذلك حتى طلب العون من القراخطاى ، ومعهم حاكم سمرقند ، والذين ما لبثوا أن استجابوا وصاروا إلى بلاد الغور[٢].

ولقد اختلفت معهـــم المراجـــع الفارســـية فتـــذكر أن الســـلطان الخوارزمي قد طلب عونهم ومساعدتهم قبل حدوث أي اشتباك بينه وبين الغوريين[٣].

---

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص١٨٥ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الخامس ، القسم الأول ، ص٢١٣-٢١٤.

(٢) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، المجلـــد الخـــامس ، القســـم الأول ، ص٢١٤-٢١٥.

(٣) خواندمير : حبيب السير ، المجلد الرابع ، ص٦٤٣ ؛ ميرخواند : روضة الصفا ، ص٣٨٥.

وإن كان الأرجح هو الرأي الأول فهو تطور طبيعى لسير أحداث المعركة. وتم اللقاء الثاني بينهما ، وهُـزمَ الغـوريين ، وحاصـرهم القراخطاى فـي منطقـة «أيـدحوى» وذلـك فـي أول صـفر عـام ٦٠١هـ/١٢٠٤م ، وتعقبهم السلطان الخوارزمي علاء الدين محمد حتـى عاصمته هزاراسب ، وتمت هزيمتهم وفّر السلطان الغورى[١]. ولقد أقام السلطان الخوارزمي حفلا لنصره هذا وتمت المصالحة بـين السـلطان الغورى والسلطان الخوارزمي[٢]. على فيل ثالث لكي يعطيه لهم ، ولقـد انتهى من ذلك ثم عاد إلى الطالقان ، وبعدها شاع خبر مقتله في المعركة ، فاضطربت البلاد وقتل أكثر عساكره ونهبت خزائنه ، ولقد صار معـه الحسين بن خرميل الذي جعله أمير حاجب خوفاً من تحيـزه وانضـمامه للسلطان الخوارزمي ، وسار إلى غزنة بعد أن جمع إليه كل ما يحتاج إليه بعد ما فقد كل شيء في تلك المعركة السابقة[٣].

- **تجدد الصراع بين الخوارزميين والغوريين في عهد غياث الدين بن محمود الغوري**

لقد ازدادت الفرصة لدى السلطان الخوارزمي علاء الدين محمـد للفوز على الغوريين وذلك لانقلاب ميزان القوى فـي الدولـة الغوريـة وقربها من النهاية نتيجة الصراع الأسري الذي سوف يظهر ما بين غياث الدين محمود بن غياث الدين الغوري ، وصاحب باميان «بهاء الدين سام» «ابن أخت شهاب الدين» حيث تدخل المماليك ، وكذلك الوزراء في هـذا

---

(١) أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ، ج٣ ، ص١٠٥ ؛ ابن خلدون : المصـدر السابق ، المجلد الخامس ، القسم الأول ، ص٢١٤-٢١٥ ؛ بارتولد : تركسـتان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص٥٠٣-٥٠٤ ؛ حبيب الله شمالوئي : تاريخ إيران از ماد تا بهلوى ، ص٤٤٢.

(٢) خواندمير : حبيب السير ، ص٦٤٣ ؛ ميرخواند : روضة الصفا ، ص٣٨٦.

(٣) بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولى ، ص٥٠٥.

الصراع وكان على رأسهم «ألدز» ولكن بعد وفاة بهاء الدين اشترك أبنائه من بعده في هذا الصراع وهما علاء الدين وكذلك جمال الدين ، الذي عهد بالملك لعلاء الدين الغوري ، ولقد استمر هذا الصراع بينهما طويلاً حتى استتب الأمر في النهاية للسلطان غياث الدين محمود في الوقت الذي لم تستقر فيه الأمور بينهما وبين الدولة الخوارزمية(١).

الموقف في مدينة هراة :

ما إن علم الأمير «الحسين بن خرميل» بخبر مقتل شهاب الدين الغورى حتى اجتمع بأعيان الناس في هراة ومنهم قاضي هراة «صاعد بن الفضل السيارى» و «عبد الخلاف بن زياد» مدرس في المدرسة النظامية في هراة وشيخ الإسلام رئيس هراة ، ونقيب العلويين وأخبرهم بوفاة السلطان وخوفه من السلطان الخوارزمي ، طالباً منهم المشورة والمساندة.

ولقد أجابه القاضي وكذلك ابن زياد فذكروا «أننا نخلف على كل الناس إلا ولد غياث الدين» وكاتب بن خرميل للسلطان الخوارزمي طالباً ، إرسال عسكر كى يكون في طاعته ، ويتحصن به على الدولة الغورية والغوريين وكما سبق وذكرنا تعرض السلطان الخوارزمي لنفس هذا الموقف من قبل هذا الأمير وفقدانه للعديد من جنوده ، لذا طلب منه إرسال ابنه إليه رهينة ، وتمت الموافقة على ذلك ، وأرسل عسكراً في كل من نيسابور وغيرها من بلاد خراسان ، ليتجهوا إلى ابن خرميل في هراة ليكونوا تحت طاعته.

---

(١) ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الخامس ، القسم الأول ، ص٢١٥ ؛ النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج٢٦ ، ص١٠٧ ؛ ولمزيد من المعلومات انظر الصفحات التالية من ١٠٨ إلى ١١١ ؛ عفاف صبرة : المرجع السابق ، ص١١١.

وكان رد فعل السلطان الغوري ، أن راسل ابن خرميل طالباً الطاعة له ومن ناحية أخرى شرع في الاستعداد لمهاجمة السلطان الخوارزمي ، واجتمع ابن خرميل مرة ثانية مع أعيان هراة ومنهم «ابن زياد» الذي نصحه بضرورة طاعة السلطان الغورى ، وذكر الخطبة باسمه ورد عليه ابن خرميل قائلاً :

إنى أخافه على نفسي   فامضي أنت وتوثق منه

فاتجه لغياث الدين وأخبره بخفايا ابن خرميل مع السلطان الخوارزمي ، وحثه على قصد هراة ، وذكر أنه سوف يسلمها إليه في فترة زمنية ، ولقد وافقه بعض الأمراء وخالفه غيرهم ، وقال له أيضاً : ينبغي إلا تترك حجة فترسل له تقليد ولاية هراة ، وقد تم له ذلك كله.

ولقد كاتب السلطان غياث الين «أميران بن قيصر» صاحب الطالقان ، وكذلك صاحب مرو ليسيروا إليه وقد ذكروا له أهل البلد «إن لم تسلم البلد إلى غياث الدين وتتوجه إليه سلمانك وقيدناك وأرسلناك إليه» ، لذا اضطر إلى التوجه إليه فاخلع عليه الخلع وأقطعه إقطاعا وأعطى الطالقان «لسونج» مملوك أبيه المعروف «بأمير أشكار»(١).

أما الحسين بن خرميل الذي نقض عهده مع السلطان الخوارزمي للمرة الثانية ، وذلك بذكر اسم السلطان الغوري في هراة بعد وصول الخلع له ، ولكنه على الرغم من ذلك استقبل الأمراء الذين أرسلوا من قبل الشاه الخوارزمي أحسن استقبال ، ووزع عليهم الوظائف الكبيرة ، وبعدها علم بوصول السلطان الخوارزمي إلى مدينة بلخ ومحاصرتها ، ووقوع

---

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج١٢ ، ص١٢٤ ، ٢٢٥-٢٢٦ ؛ النويرى : المصدر السابق ، ج٢٦ ، ص١١٣ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الخامس ، القسم الأول ، ص٢١٦.

القتال بينه وبين صاحبها بظاهر المدينة ، حيث ندم ابن خرميل على استدعائه للخوارزمي.

ولقد راسل السلطان الخوارزمي السلطان الغورى قائلاً : «إنني على العهد الذي بيننا وأنا اترك ما كان لأبيك بخراسان والمصلحة أن تراجعوا حتى تنظر ما يكون فعادوا وأرسل إليهم الهدايا الكثيرة» ، وكان رد فعل السلطان الغورى من ذلك أن أخذ إقطاع بن خرميل وأرسل إلى كرزبان وأخذ كل ما بها من مال ودواب ، وأخرج أصحابه من سجونه ، لذا كتب الأمراء به بالطاعة.

ولقد أظهر ابن خرميل الطاعة للسلطان الغوري وأجبر أهل البلد على ذلك ، ثم أمر أن يرحل بالعسكر الخوارزمي ولقيهم ابن خرميل وأدخلهم البلد وتخلص من الأعوان المخلصين للسلطان الغوري ومنهم ابن زياد الذي سمل عينيه واخرج صاعد القاضي ، ولحق بالسلطان الغوري ، ثم سلم المدينة لعسكر السلطان الخوارزمي.

ولقد أرسل السلطان الغوري نتيجة تلك الأعمال جيشا بقيادة «علي بن أبي علي» ومعه صاحب الطالقان الذي كان جانب ابن خرميل ، ووقعت الواقعة وهزم الجيش الغورى ، وتم أسر كثير من أمرائه وبعدها أغار ابن خرميل على بلاد باذغنس وغيرها من البلاد ، وعلى الرغم من كل تلك الاضطرابات ، إلا أنه كان من الضروري عودة السلطان الغوري إلى هراة ، ولكنه انشغل بأمور في غزنة.

د- استيلاء السلطان علاء الدين محمد على كل من بلخ ، والترمذ والبلدان المجاورة لها

ما إن علم السلطان الخوارزمي بمقتل السلطان شهاب الدين حتى أطلق سراح الغوريين الذين أسروا من قبل في خوارزم ، وخيرهم بين البقاء لديه ، أو الرجوع إلى قومهم ، ولقد أبقي منهم «محمد بن بشير» وأقطعه إقطاعا له ، وقصد بعدها مدينة بلخ ، وتقدم إليه أخوه «علي شاه»

ومعه عساكره ، فدافع عنها أميرها «عمر بن الحسن»[1]. ونزل على بعد أربعة فراسخ ، وأرسل إلى أخيه يخبره بما حدث ، فسار إليه في شهر ذي القعدة ، ونزل على بلخ وقام بمحاصرتها لمدة ٤٠ يوماً ، واستولى عليها ، ودخل في طاعة السلطان الخوارزمي أميرها ، وخطب له في مساجد مدينة بلخ.

استيلاء السلطان الخوارزمي على الترمذ والبلدان المجاورة لها :

ثم اتجه إلى مدينة الترمذ حيث حاصرها من ناحية والأتراك القراخطاى من ناحية أخرى ، وتمكن منها ، ثم سلمها للخطا ؛ لكى يتمكن من ملك خراسان ، ثم يعود للاستيلاء عليها مرة ثانية[2].

ثم سار إلى مدينة «ميهمنة واندخوى» ، وكاتب كذلك سونج نائب السلطان الغورى في الطالقان ، وحاول استمالته إليه ، ولكنه فشل وقام بمحاربة القوات الخوارزمية ومقاومتها فالتقوا بالقرب من الطالقان ، وتمكن السلطان من الاستيلاء على الطالقان ، وترك عليها بعض أصحابه.

وتوجه بعد ذلك إلى قلاع كالوين وبيوار ، فخرج إليه «حسام الدين علي بن أبي علي» صاحب كالوين ، وقاتله على رؤوس الجبال ، وهدده السلطان الخوارزمي بضرورة تسليم تلك المدينة ، فرد عليه قائلاً :

---

(١) قاضي القضاة منهاج الدين سراج : طبقات ناصرى ، المجلد الأول ، ص٣٠٧ ، حيث ذكره تحت اسم «الملك عماد الدين عمر الاهوازى حاكم بلخ من قبل سلاطين باميان».

(٢) ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الرابع ، القسم الأول ، ص٨٨١-٨٨٢ ، المجلد الخامس ، القسم الأول ، ص٢١٧-٢١٨ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص٥٠٧ ؛ عفاف صبرة : المرجع السابق ، ص١١١-١١٢ ؛ منهاج الدين سراج : طبقات ناصرى ، ص٣٠٧ ، حث خالفهم في مصير حاكم بلخ الذي أرسل إلى خوارزم.

«أما هذا أنا مملوك ، وأما هذه الحصون فهي أمانه بيدي ولا أسلمها إلا صاحبها» ولقد استحسن السلطان كلامه ورجع إلى هراة ونزل بظاهرها.

ولقد توجه الحسين بن خرميل إلى سجستان حيث واليها «جرب بن محمد» ودعاه إلى طاعة السلطان الخوارزمي وذكر اسمه في الخطبة ، ووفق في وضعها تحت راية الخوارزميين ، وتمكن السلطان الخوارزمي من السيطرة على مازندران بمساعده أخيه «علي شاه» الذي ساعده في استرداد ملكه ، وضمها إليه عام ٦٠٣هـ/١٢٠٦م ، وخطب فيها لخوارزمشاه(١).

ويذكر أنه في فترة احتدام الخلاف بين غياث الدين الغورى ومملوكه ألدز ، انتهز السلطان الغورى الفرصة لإحداث مصالحة بينه وبين السلطان الخوارزمي بل أن السلطان الخوارزمي نفسه رغب في إحداث مصاهرة فيما بينهما ، مقابل أن يمده غياث الدين بقوة ليغزو بها غزنة ، ويقضى على خصمه ألدز ، وإن يقسم الأموال فيما بينهما إلى جانب العسكر ، وتم الاتفاق ، وبقي دور التنفيذ.

ولقد جزع المملوك ألدز من هذا الصلح ، واتصل بالسلطان الغورى سائلاً عن السبب وراء هذا الصلح ، فذكر أن السبب الرئيسي وراء ذلك هو عصيانه للسلطان الغورى ، لذا بدا يستولى على بعض المناطق التابعة للغوريين ، مثل : «تكباياز بست» ، وقطع عنهما الخطة للسلطان الغورى ، وإلى جانب ذلك حاول تحريض حاكمى سجستان وهراة من أجل تركهما لطاعة السلطان الخوارزمي وتحريض بعض الشخصيات من البيت الغورى نفسه.

---

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص٢٥١ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الخامس ، القسم الأول ، ص٢٢٠ ؛ النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج٢٦ ، ص١١٧-١١٨ ؛ عفاف صبرة : المرجع السابق ، ص١١٢-١١٣.

٨- العودة إلى هراة والسيطرة عليها نهائيا عام «٦٠٥هـ/١٢٠٨م» :

سبق وتحدثنا عن الاستقبال الحسن من قبل الحسين بن خرميل لأمراء السلطان الخوارزمي في هراة ، ولكنهم أساءوا إلى الناس وكثر عبثهم في البلاد ، فحبسهم ابن خرميل ، وراسل السلطان الخوارزمي وأعلمه بأمرهم ، وكان في ذلك الوقت مشغولاً بحربه مع القراخطاى في منطقة ما وراء النهر فرد عليه موفقاً عمله ، طالباً بعثهم إليه ، وفي الوقت نفسه أرسل إلى «عز الدين خلدك» (والى هراة أيام السلطان سنجر) ، ليذهب إلى هناك ويحاول استدراج ابن خرميل والقبض عليه ، ومعه من العسكر ٢٠٠٠ فارس ، وما أن خرج إليهم حتى ألقوا القبض عليه. في الوقت الذي تحصن وزيره بالمدينة وأغلق الأبواب ، ونادى بشعار السلطان غياث الدين الغوري ولقد هدده نائب السلطان الخوارزمي بقتل ابن خرميل أن لم يسلم المدينة وخاطبه ابن خرميل نفسه ، وأخبروا السلطان الخوارزمي بذلك ، والذي بدوره راسل ولاة خراسان وأمرهم بحصار هراة لذا ساروا في ١٠٠٠٠ فارس ، وبالرغم من ذلك امتنعت هراة.

وفي تلك الفترة كان علاء الدين محمد خوارزمشاه قد أسر على يد الخطا وسقطت تلك المدينة بعد فراره من الأسر ، واتجه بنفسه إلى خراسان ، ودخل نيسابور ، ثم اتجه إلى هراة ، واتصل بالوزير الذي كان قد وعده من قبل بتسليم تلك المدينة للسلطان الخوارزمي نفسه. ولكنه تخلى عن وعده ، ورغب في تسليمها للسلطان الغوري ، لذا اشتد غضب السلطان الخوارزمي ، واستاء أهلها من شدة الحصار ، وحدثت فتنه داخلية فانتهز السلطان تلك الفرصة ، واقتحم المدينة وسلمت له وذلك عام ٦٠٥هـ/١٢٠٨م ، وترك عليها خاله «أمير ملك»[١].

---

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص٢٦٥ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ص٨٨٧-٨٨٩ ؛ عفاف صبرة : المرجع السابق ، ص١١٤.

وتمكن السلطان من مدينة الري ، ثم طلب منه خاله ضرورة الاتجاه إلى مدينة فيروزكوه ، ليلقي القبض على صاحبها غياث الدين محمود غياث الدين الغوري ، وكذلك أخيه على شاه الخوارزمي ، فصار إليها ، وعلى الرغم من طلب غياث الدين الأمان ، فأمنه ولكن ما إن خرج إليه حتى ألقى القبض عليه ، وكذلك على «علي شاه» وقتلهما ، ودخل فيروزكوه عام ٦٠٥هـ/١٢٠٨م ، وصارت خراسان كلها للسلطان الخوارزمي علاء الدين محمد[١].

و– استيلاء علاء الدين محمد خوارزمشاه على غزنة وأعمالها :

بعد مقتل غياث الدين محمود استغل تاج الدين ألدز ملك غزنة وأحسن السيرة في الرعية ، ودام ملكه ، وخاصة بعد أن خلعوا طاعة الغوريين واستقلوا عنهم.

ولكن لم تطل مدة تمتعه بهذا الاستقلال ، فما إن فرغ علاء الدين محمد من عامة خراسان ، وملك باميان وغيرها ، راسل ألدز طالباً الطاعة والخطبة ، وكذلك السكة باسمه في غزنة ، وتقرير الصلح عليها ، ولقد شاور ألدز أهل بلدته بما فيهم «قتلغ تكين» (من موالى السلطان شهاب الدين الغورى ، ونائبه في غزنة) ، فأشاروا عليه بطاعته ، وتم ذلك وخطب له.

وأثناء ذهاب ألدز في رحلة صيد راسل قتلغ تكين السلطان الخوارزمي سراً ليرسل إليه من سلمه المدينة سراً ، فجاء بنفسه وتسلم

---

(١) أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ، ج٣ ، ص١١٠ ؛ النويرى : المصدر السابق ، ج٢٦ ، ص١٢٠ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ص٨٨٦ ؛ خواندمير : حبيب السير ، ص٦٤٣ ؛ محمد موسي هنداوى : سعدى الشيرازى شاعر الإنسانية «عصره ، حياته ، ديوانه البوستان» ، (مكتبة الخانجى ، القاهرة ، ١٩٥١م) ، ص٢.

المدينة ، وفر ألدز هاربا إلى لهاوور فأحضره خوارزمشاه وقتله ، وقتل كذلك قتلغ تكين ، وحصل على أموال عديدة قد حملتها ثلاثـون دابـة ، وكـذلك (٤٠٠ مملـوك) وتـرك علـى غزنـة ابنـه جـلال الـدين ٦١٣هـ/١٢١٦م(١).

- **سيطرته على كرمان ومكران والسند** :

وفي عام ٦١٢هـ/١٢١٥م ، تمكن السلطان علاء الدين محمد من الاستيلاء على كرمان والسند ومكران ، حيث طلب السلطان الخوارزمي من «تاج الدين أبو بكر» متـولي أمـر قلعـة «زوزن» ضـم كرمـان لمجاورتها لوطنه ، وأرسل إليه عسكراً ، وساروا إليهـا حيـث واليهـا «محمد بن حرب أبي الفضل» (صاحب سجستان أيام السـلطان سـنجر السلجوقي) ، وتمكن من بلاده ، ثم سار إلى مكران وملكها كلهـا حتـى

---

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص٣٠٩-٣١٠ ؛ ابن خلدون : المصـدر السابق ، ص٨٨٩-٨٩٠ ؛ عطا ملك الجويني : جهان كشا ، ص١٦٨ ، ١٨١ ؛ حافظ أحمد حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص٢٦-٢٧ ؛ طـه نـدا : فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص١٣٠ ؛

S. lane Poole : the Mohammadn Dynasties, p.17.

ذاكرا «دخوله أفغانستان وأخذه غزنة عام ٦١١هـ/١٢١٤م» قائلاً : ولقد أخضع إمارة الغور Gur وبعد ثلاث سنوات أخضع غزنة Ghazni ؛ Percy Sykes : History of Persia, p.45 ؛ فيليب حتى : تاريخ العرب «مطـول» ، ج٢ ، ص٥٧٨ ؛ أحمد شـلبي : المرجـع السـابق ، ج٣ ، ص٤٠٦ ؛ طـه نـدا : التورانيون والإيرانيون ، ص٣٩ ؛ فوزي حامد عبـاس المـأموني : المرجـع السابق ، ص٢٠٢ ؛

Henry H. Howorth, F.S.A : History of the Mangols from the 9th to the 19th century, p.7.

خواندمير : المرجع السابق ، ص٦٤٣ ؛ حبيب الله شمالوئي : المرجع السابق ، ص٢٤٢ ؛ قاضي سراج الدين : طبقات ناصري ، المجلد الأول ، ص٣٠٩.

السند من نواحي كابل ، ثم سار إلى هرمز من مدن فارس على ساحل البحر ، حيث صاحبها «قلبك» فأطاع خوارزمشاه ، وخطب له على مساجدها ، وإرسال الجزية إليه كل عام ، وكذلك خطب له بقلعات ، وبعض عمان من وراء النهر ، لكونهم يتقربون إلى صاحب هرمز بالطاعة نظرا لسير سفنهم بالتجار إلى مدينة هرمز لكونها مرسى للتجار الذين يسافرون إلى الصين من الهند[1]. وبذلك انضمت مملكة الغور وغزنة للسلطان الخوارزمي علاء الدين محمد.

ز- القرخطاى وقضاء السلطان علاء الدين محمد على دولتهم :

أولاً : السياسة السلمية التي اتبعها السلطان الخوارزمي مع القراخطاى وقد تمثلت في صور متعددة ، وكان أول صورها هذا التعاون عام ٦٠٠هـ/١٢٠٣م ، وذلك عندما قام السلطان الخوارزمي بمحاصرة مدينة هراة لانتزاعها من الغوريين ، خاصة وأنها لم تكن قد خضعت من قبل للسلطان تكش الخوارزمي[٢].

لكن وما إن علم السلطان الغوري شهاب الدين بمحاصرته حتى عاد مسرعا من بلاد الهند إلى خراسان ، لذا استنجد السلطان الخوارزمي بالقراخطاى ، الذين كانوا يمثلون في ذلك الوقت أكبر قوة في بلاد ما وراء النهر ، وأعد رئيسهم كورخان جيشاً ، ولكن هزم القراخطاى

---

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص٣٠٣-٣٠٤ ، حيث ذكر اسم صاحب هرمز وهو «ملنك» ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الخامس ، القسم الأول ، ص٢٢٩ ؛ عطا ملك الجويني : المرجع السابق ، ص١٨١ ؛ حافظ أحمد حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص٢٧ ؛ حبيب الله شمالوئي : المرجع السابق ، ص٤٤٢ ؛ ميرخواند : المرجع السابق ، ص٣٨٩.

(٢) بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص٥٠٣ ؛ فامبرى : تاريخ بخارى ، ص١٥٣.

وانتهت الحرب بعد مفاوضات ، وتم الصلح بشرط ألا يقدم الخطا مـــرة ثانية على عبور نهر جيحون إلى بلاده ولا يعبر هو إلى بلادهم[١].

عام ٦٠٢هـ/١٢٠٥م :

وذلك عندما استولى السلطان الخوارزمي على مدينة بلخ وسلمها إلى الخطا ، وكان تفسير ابن الأثير لذلك أنه قد أقدم على ذلك الأمر حتى يتمكن بعد ذلك من فرض سيطرته على ملك خراسان ، ثم يعود مرة ثانية ويستردها منهم وكأنها حق له ، ولقد حدث ذلك بالفعل حيث تم إخضـــاع كل خراسان له[٢].

ولكن ما لبثت أن تبدلت الأحوال من التعاون إلى إعداد الجيــوش واسترداد كل الأقاليم التي تمكن منها الخطا وملكوها في خراســان ومــا وراء النهر ، وخاصة أن علاء الدين خوارزمشاه ظل مواظباً على دفـــع الجزية المقررة عليهم منذ أيام جــدة الأول الأميــر آتســز حتــى عــام ٦٠٧هـ/١٢١٠م ، حيث وجد بعدها أنه من العار عليه بعد أن اتسعت بلاده كل هذا الاتساع إلى الاستمرار على تلك التبعية ، لذا بدأ في التفكير فــي الاستحواذ على كل الأراضي الواقعة تحت سيطرة هــؤلاء ، وبــدأ فــي التخطيط لتحقيق ذلك بإعداد جيشه وتقويته في كل الأقاليم منتهزاً الفرصة لاستغلال ذلك والقضاء عليهم تماماً.

- **الأسباب والظروف التي هيأت للسلطان الخوارزمي القضاء على القراخطاى :**

١- كونه قد ضاق ذرعاً من الجزية التي يدفعها لهؤلاء ، وظل متحينــاً الفرصة حتى سنحت عام ٦٠٦هـ/١٢٠٥م ، عندما وصــل رســول الكورخان إلى بلاطه لأخذ الجزية السنوية وتجرأ الرسول وجلوســه

---

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج١٢ ، ص١٨٥.

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج١٢ ، ص٢٣١.

إلى جانب السلطان الخوارزمي على العرش ، لذا أمر أن يرمي هذا الرسول في مياه نهر جيحون(١).

ولقد اختلفت الآراء في مصير هذا الرسول ، فهناك من ذكر أن السلطان قد قتله شر قتلة ، وذلك بشطره نصفين(٢). أما فامبرى فقد ذكر أن السلطان قد حرص على ألا يظهر بمظهر المخالف لوصية والدة تجاه هؤلاء ، لذا غادر عاصمة ملكه فور وصول هذا الرسول ، وترك الأمر لوالدته التي رحبت بالرسول ، وعادوا مكرمين إلى بلادهم ، ولكن ما لاحظه هذا الرسول من تغيرات قد آثار ثورة الكورخان ، وبدأ يستعد لمهاجمة السلطان الخوارزمي ، وإن كان لم ينتظر طويلا حتى اشتبك السلاطين مع بعضهم البعض(٣).

٢- مراسلة نصر الدين عثمان بن إبراهيم(٤). للسلطان الخوارزمي من أجل التعاون ضد الكورخان القراخطاى ، وكان السبب وراء ذلك هو رفضه للمصاهرة بينه وبين السلطان عثمان ، ورغبة السلطان عثمان في التخلص من تبعية الكورخان ، ويكون حليفاً أميناً وتابعاً مخلصاً للسلطان الخوارزمي ، ويكون مكلفاً بدفع الجزية للشاه الخوارزمي بدلاً من القراخطاى ، وبسك السكة باسمه ، ويخطب له على منابر سمرقند وبخارا.

---

(١) بارتولد : المرجع السابق ، ص٥١٠.

(٢) حافظ أحمد حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص٥١.

(٣) فامبرى : تاريخ بخارى ، ص١٥٣.

(٤) آخر من حكم في الدولة القراخطائية ، تولى حكم كل من بخارا وسمرقند منذ عام «٦٠٠-٦٠٩هـ/١٢٠٣-١٢١٢م» ، دائرة المعارف الإسلامية ، ج٥ ، ص٤٠٤-٤٠٥.

واتضح ذلك من تلك الرسالة التي أرسلت إلى السلطان الخـوارزمي قائلاً : «إن الله عز وجل قد أوجب عليك بما أعطاك من سعة الملك وكثرة الجنود أن تستنقذ المسلمين وبلادهم من أيدي الكفار وتخلصهم مما يجرى عليهم من التحكم في الأمور والأبشار ونحن نتفق معـك على محاربة الخطا ونحمل إليك ما نحمله إليهم ، ونذكر اسمك فـي الخطبة والسكة» ولكى تزداد ثقة الخوارزميين في حـاكم سـمرقند وبخارا ،أرسل إليهم بعض أعيان بخارا وسمرقند بمثابة الرهينـة ، ودليل حي وملموس على صدق كلامهم[1].

- **تنظيم السلطان الخوارزمي لولاياته :**

بعد أن تهيأت الأسباب للسلطان الخوارزمي من أجـل مهاجمـة القراخطاى ، شرع في تثبيت أقدامه في الدولة الخوارزمية ، وذلك بتولية بعض النواب في بعض الأقاليم لحمايتها من أي هجوم قد تتعرض له من قبل القراخطاى في الفترة القادمة ، فولى «علي شاه» علـى طبرسـتان وكذلك جرجان ، والأمير «كَزلك خان» (وهو من أقارب أخواله وأعيـان دولته) ، على نيسابور ، وأمده بالعساكر اللازمة له ، و«الأمير جلـدك» على مدينة الخام ، والأمير «أمين الدين أبي بكر» علـى مدينـة زوزن ، والأمير "الحسين بن خرميل" على هـراة ومعـه ١٠٠٠ مـن الجنـود الخورازمية ، ثم والأمير «غياث الدين محمود» الذي صالحه على بـلاد الغور وكرمين ، ثم ولى «برتنسه» (أحد أقرباء والدته تركان خـاتون) ، نائبا له في بلاط الحاكم الخانى عثمان ، إلى جانب نواب آخـرين علـى مرو وسرخس ، وغيرها من خراسان ولقد أمـرهم بحسـن التصـرف والسياسة والحفظ ، إلى جانب الانصياع لأوامره ، ثم عاد إلى خـوارزم من أجل الاستعداد لخوض المعركة ضد القراخطاى[2].

---

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص٢٥٩ ؛ حافظ أحمد حمـدي : الدولـة الخوارزمية والمغول ، ص٦٠-٦١ ؛ فامبرى : المرجع السابق ، ص١٥٣.

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص٢٦٠ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الخامس ، القسم الأول ، ص٢٢١ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص٥١٣.

- **حروبه المتعددة مع القراخطاى عام «٦٠٤هـ/١٢٠٧م» :**

اشتبك الفريقان ، وحدثت بينهم وقفات عديدة قد أسفرت عن هزيمة المسلمين وإن كانت الخسائر متوازنة ، وعلى أثر تلك المعركة أسر السلطان الخوارزمي ومجموعة من أمرائه ، ولقد استطاع بحيله أن ينقذ نفسه ويغادر معسكر القراخطاى ، وعاد سالماً ، ورجع إلى جيشه على ضفاف نهر سيردريا ، فأدخل الفرحة في قلوب جنوده ، الذين اعتقدوا بمقتله في المعركة وخاصة بعد انتشار العديد من الشائعات حول ذلك[1].

ولم ينته الأمر لدى السلطان الخوارزمي بانكساره في تلك المعركة وإنما جمع جيوشه واتجه إلى مقاتلة القراخطاى وذلك عام ٦٠٥هـ/١٢٠٨م.

«٦٠٦هـ/١٢٠٩م» والتقي الجمعان تحت قيادة القائد القراخطائي «طانيكو» الذي لم يحالفه الحظ في تلك المعركة وهزم وسير أسيراً إلى خوارزم وأثناء عودة السلطان الخوارزمي تمكن من السيطرة على مدينة أترار حيث لاقي مقاومة عنيفة من صاحبها ، ثم رجع إلى سمرقند ومنها إلى خوارزم ، حيث أمر بإعدام طانيكو «تانيكو» بإلقائه في مياه نهر جيحون[2].

---

(١) ابن العماد الحنبلي : شذارت الذهب في أخبار من ذهب ، ج٥ ، ص١٢ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص٢٦٣ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ص٢٢١-٢٢٢ ؛ حسين بن محمد بن الحسن الديار البكرى : تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس ، ط٢ ، القاهرة ، ١٢٨٣هـ ، ج٢ ، ٣٦٧ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص٥١٤ ؛ حافظ أحمد حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص٦٣-٦٤ ؛ فامبرى : المرجع السابق ، ص١٥٥ ؛ عفاف صبرة : المرجع السابق ، ص١١٩.

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص٢٦٠ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ص٢٢٥ ، وإن كان قد اختلف معهم في مصير قائد الخطا «تانيكو» الذي أسر=

أما جيش القراخطاى المنهزم والذي انسحب ، وأثناء عودة هؤلاء نهبوا العديد من المناطق التابعة للخوارزميين ، ومنها مدينة «بلاساغون» تلك التي كان يراودها الأمل في مجيء السلطان محمـد الخـوارزمي ، وتخليص جميع بلاد «يدي صو» الأنهار السبعة ، من أيدي هؤلاء الكفار ، وظلوا على هذا الأمل ، على الرغم من طول الحصار عليهم من قبـل الأمير «محمود باى» وأمراء الگورخان الذين معه ، ومحاولتهم إخضاع تلك المدينة ، ولكن وبعد حصار دام ستة عشر يوماً سـقطت المدينـة ، واستمر نهبها ما يقارب من ثلاثة أيام ، وهلك من أهلها ما يقـارب مـن سبعة وأربعين ألف شخص.

ولقد كان لتلك العمليات العسكرية العديد من الأضرار على خزانة الگورخان مما ترتب عليه اندلاع العصيان في صفوف الجيش ، فـانتهز كوجلك خان بن تارنيغ «أمير قبيلة النايمان التركية» هذه الفرصة لضـم الثوار إليه ، وما إن علم گورخان بذلك حتى سـارع بإظهـار فـروض الطاعة والولاء لكوچلك.

وعلى الرغم من رفض كوچلك لذلك إلا أنه استقبله استقبال الابن لوالده ، إلا أن السلطة آلت إليه ، وهذا ما سوف نوضحه فيما بعد[1].

وعلى إثر هذا النصر ازداد السلطان الخوارزمي فخراً ، لذا فقـد لقب نفسه بالعديد من الألقاب ، منها : «الإسكندر الثـاني» ، و«ظـل الله على الأرض» وهو اللقب المفضل له[2].

= في المعركة ، فأكرمه خوارزمشاه وأجلسه معه على سرير الملك ، ثم بعث به إلى خوارزم ، ولم يوضح مصيره ؛ الديار البكرى : المصدر السـابق ، ج٢ ، ص٣٦٧ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص٥١٣ ، ٥٢٢ ؛ حافظ أحمد حمدي : المرجع السابق ، ص٣٩ ، ٦١ ؛ فامبرى : المرجع السابق ، ص١٥٤ ؛ قاضي سراج : طبقات ناصري : المجلد الأول ، ص٣٠٨.

(١) بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص٥١٦.

(٢) بارتولد : المرجع السابق ، ص٥٠٢ ؛ فامبرى : تاريخ بخارى ، ص١٥٤.

ولكن بعد عودته لخوارزم ومعه حاكم سمرقند وبخارا الذي احتفل هناك بزواجه من كريمة خوارزمشاه ، ما لبثت أن اضطربت الأمور ، وانتهبت جماعة من جماعات قدرخان نواحي جند ، إلى جانب معاودة القراخطاى لمحاصرة سمرقند ، لذا سارع السلطان الخوارزمي إلى بلاد ما وراء النهر.

ولقد نجح سكان سمرقند في صد ما يقارب من سبعين هجمة من هجمات القراخطاى ، ولقد وفقوا فيها كلها ما عدا واحدة تمكن العدو منهم وأجبرهم على التقهقر داخل مدينتهم ، وما إن وصلهم قدوم السلطان الخوارزمي ، وكذلك ثورة أمير الناميان في الجانب الشرقي من المملكة ، حتى اضطر القراخطاى إلى الانسحاب والعودة إلى بلادهم ، وذلك بعد عقدهم هدنة مع أهالي سمرقند.

وفي الوقت نفسه رفض حاكم مدينة «أغناق» على الرغم من كونه مسلماً الخضوع والطاعة للسلطان الخوارزمي ، وعلى أثرها أرسل فصيلة للاستيلاء على المدينة وقد وفق في ذلك ، وجاء إليه مكبلاً بالسلاسل والقيود.

ومن الظاهر أن الخوارزميين قد أساءوا الحكم في ما وراء النهر ، فلم يحترموا شعور المواطنين ، ولم يضعوا أي اعتبار لحكام البلاد الأصليين بها ، مما ترتب عليه العديد من الثورات التي أنهكت قوى الدولة الخوارزمية.

- **الثورة في سمرقند** :

بمجرد أن عاد حاكم سمرقند وبخارا إلى بلاده حتى عاود تعاونه مرة ثانية مع القراخطاى ، وخاصة بعد شعوره بأنه لم يجد أي فارق ما بين حكم الكفرة القراخطاى ، وحكم الخوارزميين ونائبهم في سمرقند ، ولقد تم هذا التعاون في عام ٦٠٧هـ/١٢١١م.

ولم يكن هذا العام على وجه التحديد في صالح دولة القراخطاى ، وخاصة أنه في الجزء الشمالي من «يدى صو» حيث أمير الناحية والنائب عن گورخان القراخطائي والذي تنحى عن تبعيته لهم ، بسبب وصول كتيبه من المغول بقيادة «قوبيلاي نوين» إلى هناك وقتلهم لهذا النائب الخائن.

وكان حاكم سمرقند وبخارا قد خلع تلك التبعية بعد أن وافقته الرعية على ذلك ، ولم ينته الأمر عند هذا الحد بل تطرق إلى معاملته السيئة لزوجته كريمة الشاه الخوارزمي ، تلك التي اقتصر عملها في سمرقند على خدمة الأميرة القراخطائية فقط ، كذلك أمره بقتل كل الخوارزميين الموجودين في المدينة ، ثم أمر بعدها بقتل زوجته لولا تشفعها عنده ذاكرة «أنا امرأة وقتل مثلي قبيح ، ولم يكن منى إليك ما استوجب به هذا منك ، ولعل تركى أحمد عاقبة ، فاتق الله في ، فتركها ووكل بها من يمنعها التصرف في نفسها».

وكما يذكر ابن الأثير أن أجسام الخوارزميين قد شطرت إلى نصفين وعلقت في الأسواق كما يعلق القصابون اللحم ويدل ذلك على الكره الشديد من قبل السمرقنديين للخوارزمية ، وما إن علم السلطان محمد بذلك حتى وبخه على ما بدر منه ، قائلاً : «قد فعلت ما لم يفعل مسلم ، واستحللت دماء المسلمين ما لا يفعله عامل لا مسلم ولا كافر ، وقد عفا الله عما سلف فاخرج من البلاد وامض حيث شئت» ، فامتنع عثمان عن الخضوع لتلك التهديدات له من قبل السلطان الخوارزمي ، مما اضطره إلى محاصرته.

ونظرا لرواية ابن الأثير من كونه كان يريد أن يقتل كل من في خوارزم من الغرباء ، ثم اقتصر هذا الحكم بعد ذلك على السمرقنديين ، حيث حالت أمه بينه وبين حدوث ذلك ، ولم تطل مدة مقاومة أهالي

سمرقند لذلك ، وظهر عثمان حاملاً سيفاً وقطعة من ثوبه عنوناً ودليلاً على رغبته في السلام ، وإن كان قد اختلف ابن الأثير من أنه أغلق بابه بعد استيلاء الخوارزميين عليها ، ورفض رجاءه بالعفو ، ثم احضروه ، وبعدها أمر عسكره بالنهب ، واستمر ذلك ثلاثة أيام تقريباً ، ولقد بلغ عدد القتلى ٢٠٠ ألف قتيل ، وإن كان هذا العدد مبالغا فيه وبعدها تدخل الأئمة لدى السلطان الخوارزمي لوقف القتال وتم ذلك لهم.

ولقد أراد السلطان الخوارزمي البقاء على حياة السلطان عثمان لولا تدخل ابنته التي أصرت على قتله ، فاعدم في الليلة التالية ، وذلك عام ٦٠٩هـ/١١١٢-١١١٣م ، وبعدها صارت سمرقند العاصمة الفعلية للسلطان الخوارزمي ، فبنى بها مسجداً جامعاً ، وبدأت في بناء صرح عال ، وكان في الغالب يريد أن يبنى قصراً هناك[1]. ثم أرسل السلطان الخوارزمي إلى أمراء فرغانه وتركستان يدعوهم إلى الخضوع والطاعة التامة ، ثم أرسل فصيلة من جيشه لاحتلال مدينة اسفيجاب من أجل مناوشة القراخطاى ومنعهم من استعادة قواهم ، ومرجع ذلك هو وصول الأخبار بتوغل كوچلك وتمكنه من السلطة ببلاد القراخطاى[2].

---

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج١٢ ، ص٢٦٨-٢٦٩ ؛ ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ص٢٢٦ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص٥٢٤ ؛ حافظ أحمد حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص٦٢-٦٣ ؛ دائرة المعارف الإسلامية ، ج٥ ، ص٤٠٥ ؛

M.A. Czaplicka : the Turkes of central Asia in history at the present day, p.110; Henry H. Haworth, F.S.A: op. cit., p.7; Ibrahim Kafesoylu : op. cit., p.157.

هارولدلامب : جنكيزخان إمبراطور الناس كلهم ، ترجمة : بهاء الدين الغورى ، (بغداد ، د.ت) ، ص١٧٧-١٧٨ ، حاشية١٠.

(٢) بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولى ، ص٥٢٥.

• **الثورة في هراة :**

ويرجع سبب نشوبها إلى سوء معاملة عسكر خوارزمشاه للرعية ، وتعديهم على الأموال ، وبالتالى فقد قبض عليهم حسين بن خميل وحبسهم ثم بعث رسولاً إلى السلطان الخوارزمي يعرفه بما قام به هؤلاء من أفعال وأضرار ، وفي ذلك الحين كان السلطان الخوارزمي منشغلا بقتاله مع الخطا ، وإن كان بعدها قد أرسل إليه يستحسن ما فعله ، وأمره بإرسالهم إليه ، وكونه سوف يرسل إليه رجلا ذا عقل راجح ، وحسن التصرف ليسانده في حكم هراة ، وهو «جلدك بن طغرل صاحب الخام» والذي أمره بالقبض على الحسين ابن خرميل.

وصار جلدك في ٢٠٠٠ جندى وكان للحسين وزير محنك يُعرف بـ «خواجة» تدارك الموقف ، وعرف ما ينوي عليه السلطان الخوارزمي ، لذا حذر الحسين بن خرميل من عدم الخروج إليهم ، ولم يوافقه على ذلك خوفا من الخروج عن طاعة السلطان الخوارزمي ، وتحقق ما توقعه الوزير وقبض على ابن خرميل ، وطالبوا الوزير بفتح أبواب المدينة وتسليمها ، ولكنه امتنع ، وذلك لولائه للسلطان الغورى ، واستمرت المناورات فيما بينهما ، ونتج عنها مقتل ابن خرميل ، ثم أرسل السلطان الخوارزمي في طل «جلدك» وأرسل مكانه كلاً من «كزلك خان» والى نيسابور ، و«أمين الدين أبي بكر» صاحب زوزن ، حيث راسلوا الوزير من أجل تسليم المدينة ولكنه أبى وظلوا على هذا الحال ، ولم يقدروا عليه[1].

وإن كان لبارتولد رأي آخر ذكراً حدوث تعاون بين ابن خرميل والسلطان غياث الدين الغورى ، وما إن وصل السلطان الخوارزمي إليها

---

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج١٢ ، ص٢٦٠-٢٦٢.

حتى انضم إليه وندم على ما بدر منه ، فسامحه خوارزمشـــاه لـــولا أن مستشاريه قالوا له إنه ليس من الحكمة أن يعهد إلى شخص قد خان العهد أكثر من مرة ، فاعدم ابن خرميل ، أما المدينة فقد تحصن بها وزيره ولم تقع المدينة في أيدي الخوارزميين إلا بعد مدة طويلة من الحصار[1].

- **ثورة كزلى «كزلك» حاكم نيسابور**:

وعلى إثرها دخل السلطان الخوارزمي نيســـابور ، وذلـــك فـــي ٣٠ مارس عام ١٢٠٨م ، وهرب ابن كزلى إلى ما وراء النهـــر طالبـــاً العون من القراخطاى ، ولكن تمكن منه أعوان خوارزمشاه وقتـــل هـــو وجميع أصحابه. أما كزلي فقد فر هاربا إلى خوارزم ، وقتل بأمر والـــده السلطان الخوارزمي ، وأرسلت رأسه لابنه[2]. ذلك كان الوضع في تلـــك الأقاليم بعد تمكن خوارزمشاه محمد من القراخطاى.

ثم وصل السفراء من قبل كوجلك إلى السلطان الخوارزمي لعقـــد تحالف ضد القراخطاى مقابل تركستان التي سوف تكـــون نصـــيب مـــن يحرز النصر على القرخطاى ، فإذا كان النصر حليف للنيمـــانى يكـــون أميراً معترفاً به على جميع المناطق الواقعة شرقي نهر سيردريا ، أما إذا كان في صالح السلطان الخوارزمي صار أميراً معترفاً به علـــى جميـــع الولايات إلى كاشغر ومدينة ختن[3]. ولقد تظاهر الســـلطان الخـــوارزمي بالموافقة على ذلك.

---

(١) بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولى ، ص٥١٨.

(٢) بارتولد : المرجع السابق ، ص٥١٨-٢١٩.

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص٢٦٣ ؛ بارتولد : المرجـــع الســـابق ، ص٥١٤ ؛ حافظ أحمد حمدى : المرجـــع الســـابق ، ص٦٣-٦٤ ؛ فـــامبرى : المرجع السابق ، ص١٥٥.

في الوقت نفسه طلب الگورخان تناسي الخلافات والاتحاد معاً ضد كوجلك ، وتظاهر كذلك بالموافقة على ذلك ، وظل متفرجاً في ساحة القتال حتى ظهرت نتيجة المعركة بهزيمة الگورخان وأسره ، وما إن رأي السلطان محمد الخوارزمي ذلك حتى أوهم كوچلك بمشاركته في المعركة ، ولكن كوجلك لم يقنع بذلك وخاصة بعد أن طلب السلطان الخوارزمي منه أن يتنازل عن قسم من أراضي الگورخان(١).

ولقد خالف النسوي ذلك ، وهو الذي سنحت له الفرصة للتحدث مع آخر سفير من سفراء السلطان الخوارزمي وهو «محمد بن قراقاسم النسوي» إلى كوجلك ، ذكر أنه بعد أن حرمه كوجلك من ثمرة العمل الذي قام به تظاهر بأن الگورخان بعد هزيمته على يد خوارزمشاه عرض عليه الصلح وأن يزوجه من كريمته «طفغاج خاتون» وتزف إليه بما تحويه من خزائن ذلك السلطان من جواهر ثمينة مقابل أن يتركه في أخريات بلاده.

وفي الوقت نفسه استغل كوجلك الضعف الذي انتاب الگورخان ، فاتجه إلى أسلوب المهادنة ، فأرسل الهدايا إلى السلطان الخوارزمي ، وفقي الوقت نفسه رفض تسليم الگورخان الذي سبق وأرسل إليه السلطان الخوارزمي في طلب تسليمه وابنته وأتباعه وخزائنه ، والسبب في ذلك هو الگورخان نفسه الذي خشي من المصير المؤلم له في خوارزم.

وعندما وجد السلطان الخوارزمي تلك المماطلة طلب من سفيره إغلاظ القول لـ «كوجلك» الذي أراد القبض عليه ، لكنه تمكن من الهرب أثناء الاشتباكات التي وقعت بين قوات كوجلك وقوات السلطان الخوارزمي في كاشغر ومواضع أخرى(٢).

---

(١) بارتولد : المرجع السابق ، ص٥٢٦.

(٢) بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص٥٢٦.

وكان من نتائج ما سبق الآتي :

١- اعتلاء كوجلك لعرش الخطا ، وبذلك صارت أملاكه مجاورة لأملاك الخوارزميين.

٢- ترتب على عداوة كوجلك لجنكيزخان أن لفت الأنظار إلى تلك الأقاليم الغربية من آسيا رغبة في الانتقام من عدوهم.

٣- بعد تمكن كوجلك من العرش بدأ يقوى نفوذه على حساب القوى الموجودة هناك ، فأخضع عدداً كبيراً منهم ، والتي كان بعضها تابعاً للمغول لذا اتسعت أملاكه حتى شملت الأقاليم الممتدة من بلاد التبت حتى حدود الدولة الخوارزمية[١].

٤- إرسال السلطان الخوارزمي العديد من الوحدات الصغيرة فيما يعرف بـ «حرب العصابات» ، وذلك لأنه لم يجد في جيشه المقدرة على الخوض في معركة كبيرة مع كوجلك ، ولقد عاتبه كوجلك على أفعاله تلك قائلاً : «ليس هذا فعل الملوك ، هذا فعل اللصوص ، وإن كنت سلطاناً كما تقول فيجب أن نلتقي ، فإما أن تهزمنى وتملك البلاد التي بيدى ، وأما أن أفعل أنا بك ذلك» ، على الرغم من أنه نفسه كان يتبع هذا الأسلوب مع السلطان الخوارزمي ، والذي ترتب عليه اندلاع المجاعات في اغلب المناطق فاضطر الأهالي إلى طاعتهم وفي الوقت نفسه وقف السلطان الخوارزمي عاجزاً عن تقديم العون لهم ، وكذلك حماية الأطراف الشمالية في منطقة ما وراء النهر ، وإنما اقتصر عمله على البقاء صيفاً في سمرقند ونواحيها ليمنع حدوث أي هجوم من قبل كوجلك. كذلك أصدر أوامره بتخريب تلك المناطق تخريباً نهائياً خوفاً من هجوم كوجلك الذي انتهت حياته على يد قائد من قواد الجيش المغولي عام ٦١٥هـ/١٢١٨م[٢].

---

(١) حافظ أحمد حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص٦٤.

(٢) بارتولد : المرجع السابق ، ص٥٢٨ ؛ حافظ أحمد حمدي : المرجع السابق ، ص٦٥.

د – الأوضاع العامة لإقليم بلاد الجبل واستعادته له منذ عام «٥٩٥ – ٦١٤هـ/١١٩٨ – ١٢١٧م» :

من خلال تناولنا لهذا الإقليم نلاحظ أن تبعيته لشاهات خوارزم تتواجد بتواجد الشاهات أنفسهم ، أو نوابهم فيه ، وبمجرد تركهم له تنتهي تلك التبعية ، وذلك ما حدث في عهد علاء الدين تكش ، فبعد تمكنه منه ورجوعه إلى خوارزم ، ما لبثت أن نشبت الثورات فيه ، وهكذا حتى بدأ مرحلة جديدة في عهد السلطان الخوارزمي علاء الدين محمد ، فكانت السمة الغالبة على تلك المرحلة هي الثورات والحروب بين ولاته ، والتي وقعت أعباؤها على سكان ذلك الإقليم.

وكان متولي أمر هذا الإقليم بعد مغادرة السلطان الخوارزمي تكش «نور الدين على كوكجة» (أحد مماليك الأتابك محمد البهلوان) ، وظل به حتى عام ٦٠٠هـ/١٢٠٣م ، بصفته تابعاً لسيده الأتابك الأعظم البهلوان ، ولكنه قتل على يد «شمس الدين ايتغمش» (أحد مماليك أتابك أذربيجان) ، وبذلك سيطر على ذلك الإقليم ، وامتدت سلطته إلى أذربيجان ، الرآن الفعلى ، وصار الحاكم الفعلى ، ونشر نفوذه على أراضي أخرى ، وذلك كما يقول : «... من باب خراسان إلى أخلاط» ووضع تحت سيطرته كلا من الأتابك أزبك وكذلك أبي بكر ، وحمى منطقته من أعدائه ، وهم : «مظفر الدين كوكبرى – حاكم أربل» و«سنقر – حاكم مراغة» و «بدر الدين لؤلؤ – حاكم الموصل» ، وهزم قوة خوارزمية عددها (١٠) آلاف شخص لرغبتها في غزو أراضيهم ، وصادر ممتلكاتهم وهاجم أراضي الإسماعيلية واستولى على خمس قلاع ودمر لهم أراضي بالقرب من منطقة قزوين ، ولكن لم يدم حكمه سوى ثماني سنوات ، أي حتى عام ٦٠٨هـ/١٢١٢م ، نظراً لتغلب «ناصر الدين منجلي – (أحد مماليك الأتابك محمد البلهوان) عليه ، وصار بعدها الحاكم الفعلى لتلك

المناطق ، وفر اينغمش هاربا إلى الخليفة العباسي طالبا المساعدة ، ولقد استجاب له ورحب به واحتفل أهل بغداد به[1]. والسبب وراء ذلك إلى رغبة الخليفة في عدم التدخل في شئون إقليم بلاد الجبل ، وتهديد أمنه طوال السنوات التي حكمها هذا الوالي المخلوع ، ونظراً كذلك لعدم تدخل هذا الوالي في شئون الخلافة العباسية وتهديد أمنها ، لذا نال احترام الخليفة العباسي وتقديره[2].

في الوقت نفسه سارع «منجلى» بإرسال وفد دبلوماسي يرأسه ابنه ، في المحرم عام ٦٠٩هـ/١٢١٢م إلى الخليفة العباسي خوفاً من تصرف اينغمش اعتقاداً منه كونه يطلب التدخل العسكري في شئون هذا الإقليم ، وخاصة أنه لم يكن قد تمكن من حكم هذا الإقليم ، ولقد احترم الخليفة هذا الوفد ، وحسب رواية ابن الأثير أنهم بقوا في بغداد ما يقارب من عامين[3]. ولكن لم يذكر السبب وراء بقائهم في بغداد طوال تلك المدة.

وإن كان من المرجح أن يكون الخليفة قد أرغمهم على البقاء خوفا مما قد تسفر عنه الأحداث ، وخاصة كونه يفتقد إلى وجود قوات عسكرية لدية تسمح له بمناصرة هذا الحاكم ، والخوض في معركة ، كما أنه لم يكن يبغي إثارة الحاكم منجلى ، لذا أرسل ايتغمش إلى همذان ووعده بالمساعدة والانتظار حتى مقدم جيش الخليفة العباسي ، كذلك من المرجح أن يكون الخليفة العباسي قد اتصل ببعض جيرانه من الحكام مثل : أتابك أذربيجان ، وكذلك الموصل ، لمعرفة موقفهم من الوضع

---

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج١٢ ، ص٢٣٨.

(٢) سعد بن محمد حذيفة مسفر الغامدى : أوضاع الدول الإسلامية في الشرق الإسلامي ، ص١١٧.

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج١٢ ، ص٢٩٦.

الراهن في ذلك الإقليم ، ولكن لم يجد استجابة ، وذلك لخطورة الحاكم منجلى.

هذا ولقد اتصل الحاكم ايتغمش أثناء ذهابه لهمذان بالقبيلة التركمانية الإيوائية من أجل المناصرة ، ولكنهم ونظراً لظروفهم الداخلية التي اضطرت رئيسهم سليمان الإيوائي إلى أخبار منجلى بمكان ايتغمش ، والذي من المرجح أن يكون منجلى قد أغراهم بالمال ، ونتج عن ذلك مقتل ايتغمش وأرسلت رأسه إلى الحاكم منجلى ، وربما يكون الخليفة العباسي أحد الخيوط التي ساهمت في نجاح تلك المؤامرة ، وبذلك صار منجلى قوة عسكرية وخطراً يهدد الحكام المجاورين وكذلك الخليفة العباسي ، وأتابك أذربيجان.

وبعد مرور عامين تقريباً من تلك الأحداث السابقة الذكر ، تكون وفد من الأتابك أزبك ، وحسن الثالث «رئيس الطائفة الإسماعيلية»طالبين العون من الخليفة العباسي ضد الحاكم منجلى والتدخل في شئون إقليم بلاد الجبل[١]. وانضم إليهم كذلك حاكم أربل «مظفر الدين كوكبرى» وكان القائد العام للقوات التي وجهت ضد منجلى وأحرزت النصر عليه ، وذلك عام ٦١٢هـ/١٢١٥م ، ومعهم في الحلف قوات الخليفة العباسي تحت قيادة «مظفر الدين وجه السبع» الذي كان تحت قيادته بعض القوات المرتزقة من رجال الموصل والجزيرة وكذلك من أراضي بلاد الشام[٢].

ولقد ترتب على ذلك العديد من المكاسب لأطراف هذا الوفد وكان أولهم «حسن الثالث» الذي منح مدينتي أبهر «الواقعة إلى القرب من مدينة قزوين» ، وزنجان «الواقعة إلى الشمال من أبهر» مع جميع القرى والأرياف نظرا لما لاقاه من مشكلات في حربه ضد منجلى.

---

(١) سعد بن محمد حذيفة مسفر الغامدى : المرجع السابق ، ص١١٨-١١٩.

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص٣٠٦.

كذلك استرد الأتابك أزبك بن محمد البهلوان جميع الأراضي التي كانت في حوزة الحاكم منجلي ، وهي : همذان ، والري ، وأصفهان وتوابعها ،وولى نائبه أغلميش «أحد المماليك التابعين لأخيه» ، مكافأة للدور العظيم الذي قام به في الحرب ضد منجلي[1]. في الوقت الذي لم يتحقق للخليفة العباسي أي مكاسب في ذلك الإقليم. فيذكر بارتولد أنه لم يطالب حتى بنصيبه في أراضي ناصر الدين منجلي ، والتي يبدو أن الحلفاء قد اتفقوا على هذا التقسيم قبل بدء تلك الحرب[2].

- **أغلميش الحاكم الجديد لإقليم بلاد الجبل ، والتمهيد لمقدم علاء الدين محمد خوارزمشاه**

كان أغلميش نائب أتابك أذربيجان يعمل في بلاط السلطان الخوارزمي علاء الدين محمد ، وظل في خدمته فترة قبل مقدمة واشتراكه في الحرب ضد منجلي ، ولم تذكر الفترة التي قضاها هناك ، ولا السبب وراء ذهابه ، ثم رجوعه إلى أتابك أذربيجان[3].

ولقد أوضح الجويني أن السبب وراء ذهابه لإقليم بلاد الجبل ، أن السلطان محمد قد أرسله في مهمة رسمية ، ولكن لم يفصح عن سببها ، ولا الهدف منها[4].

ومن المرجح أن يكون أتابك أذربيجان قد طلب منه البقاء ليتولى منصب النائب في إقليم بلاد الجبل لما أبداه من مهارة وقدرة عسكرية في الحرب السابقة ، ووافق على ذلك ، وظل على ولائه لسيده فترة ثم أعلن عصيانه ، وانضم بكل الأراضي التي تحت سيطرته إلى سيده الأول ،

---

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج١٢ ، ص٣٠٧.

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص٣٠٧ ؛ بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص٣٤٦.

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص٣٠٧.

(٤) الجويني : المرجع السابق ، ص١٢١.

وهو السلطان الخوارزمي ، وأعلن نفسه نائبا له ، وخطب له على منابر المساجد أيام الجمع ، وظل هذا الوضع قائما لمدة عام حتى اغتيل عند استقباله لوفد الحجاج في أوائل عام ٦١٤هـ/١٢١٧م ، ولقد وجه الاتهام في أغلب المصادر والمراجع إلى الخليفة العباسي الذي كلف مجموعة من الإسماعيلية الحشيشية لتنفيذ تلك المؤامرة ، والتي بنجاحها انتهت سلطة الخوارزميين الصورية على هذا الإقليم[١].

ويذكر ابن الأثير وكذلك النسوي[٢]. أن تلك الحادثة كانت من الأسباب وراء قدوم السلطان الخوارزمي علاء الدين محمد لإقليم بلاد الجبل ، واتجاهه بعد ذلك إلى بغداد حيث الخليفة العباسي.

أسباب قدوم السلطان علاء الدين محمد إلى إقليم بلاد الجبل :

١- لقد صار السلطان الخوارزمي ذا قوة جبارة وسلطات واسعة ، وخاصة بعد أن استولى على منطقة ما وراء النهر – على حد تعبيره – بالقراخطاى «...أطاعة القريب والبعيد»[٣]. لذا صمم على استرجاع سيطرتهم السابقة على إقليم الجبل.

٢- رغبته في الوصول إلى مرتبة السلطنة في العاصمة العباسية بغداد بقراءة الخطبة باسمه أيام الجمع والمناسبات ، بالإضافة إلى عدائه الشديد للخليفة نظراً لتصرفاته الغريبة معه[٤].

٣- مقتل نائبه في هذا الإقليم أغلميش على يد الفداوية الاسماعيلية[٥].

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية : ج٥ ، ص٢١٠ ؛ سعد بن حذيفة مسفر الغامدى : المرجع السابق ، ص١٣٢.

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص٣١٦ ؛ محمد النسوي : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى ، ص٥٢.

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص٣١٦.

(٤) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص٣١٦.

(٥) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص٣١٦.

ولقد أضاف الجويني أسباباً أخرى ، ونلاحظ على تلك الأسباب التي أوردها أنها كلها مركزة على العداء الذي كان بين السلطان الخوارزمي والخليفة العباسي ، وإن معظم المؤرخين قد رجحوا تلك الأسباب ، والتي تتمثل في :

١- يذكر أن عوامل هذا النزاع ترجع إلى والده علاء الدين تكش وهزيمته لجيش الخليفة العباسي في شخص وزيره ابن القصاب ، وأن السلطان محمد عند استيلائه على غزنة قد عثر على رسائل من قبل الخليفة العباسي إلى الغوريين ، وكذلك القراخطاى ، طالباً القضاء على الخوارزميين بالهجوم على أراضيهم[١].

٢- مقتل أغلميش الذي اتهم فيها الخليفة العباسي ، وإن كان الخليفة قد اتهم بها جوراً ، حيث أن كل من الأتابك أزبك ، وجلال الدين حسن الثالث ، من المحتمل أن يكونا وراء هذا التصرف ومبرراتهم في ذلك واضحة ، فبالنسبة للأتابك أزبك والذي كان أغلميش نائبه ، ثم نقض ولاءه ، وتحول لتبعية السلطان الخوارزمي ، وبالتالي فقد خلق قوى قد أخلت بميزان القوى في المنطقة ، وترتب عليه تهديد أمن أتابك أذربيجان ومنع استقلاله ، أما جلال الدين حسن الثالث فهو صديق حميم لأتابك أذربيجان ، وخاصة بعد نبذه لعقيدة أسلافه المتطرفة من الإسماعيلية ، واعتناقه للمذهب السني وكانت أسبابه في ذلك هي :

أ – كون أراضيه هدفاً لهجوم جيرانه من الحكام من أهل السنة طوال أيام أسلافه من شيوخ الإسماعيلية.

---

(١) الجويني : المرجع السابق ، ص١٨٢.

ب- سياسة أسلافه المتطرفة تجاه المذاهب الأخرى ، ومـا ترتـب عليها من عيشتهم في عزله تامة عن بقية المناطق والمجتمعات المجاورة ، وكانت نتيجتها كراهية هؤلاء لهم.

لكل تلك الأسباب ،ولكي يكون في مأمن مـن جيرانـه السـنيين اعتنق هذا المذهب ، ولتتيح له فرصة التعامل مع العالم الخارجي ، ولـم يكتف باعتناقه لهذا المذهب ، ولكنه تبرأ من أفعال أسلافه ولعنهم علـى منابر المساجد ، وأحرق جميع كتبهم ، وأرسل والدته إلى الحج ، وحملها أموالاً وصدقات لتنفقها على فقراء المسلمين[١].

وباعتناقه للمذهب صار صديقاً حميماً لذلك الأتابك أزبك ، ومكث عنده ما يقرب من عام ونصف ، لذا من المؤكد أن يكونـا قـد خططـا للإطاحة بنائب السلطان الخوارزمي ، وكان لكل منهما مكاسب من وراء ذلك حيث استعاد أزبك إقليم بلاد الجبل[٢].

ومن الأسباب الأخرى : سفارة الشيخ شهاب الدين السـهروردى الذي أرسله الخليفة مع قاض بعد تلك المراسلات التي أرسلها السـلطان الخوارزمي علاء الدين محمد ، لذا فقد أرسل الخليفة ذلك الشيخ ليكـون رادعاً للسلطان عما يفكر فيه ويرجوه ، وكذلك تهدئة الجو بـين الخليفـة العباسي والسلطان الخوارزمي ، ولكنه لم يوفق في تلك المهمة[٣].

ولقد ذكر النسوى أن تلك السفارة قد بعثت قبل مقتل أغلميش عام ٦١٤هـ/١٢١٧م[٤]. لذا فقد سارع السلطان الخوارزمي من منطقة ما وراء

---

(١) الجوينى : المرجع السابق ، ص١٨٢ ؛ ابن العبري : تاريخ الزمان ، ص٢٤٩.

(٢) سعد بن محمد حذيفة مسفر الغامدى : المرجع السابق ، ص١٢٨-١٢٩.

(٣) سعد بن محمد حذيفة مسفر الغامدى : المرجع السابق ،ص١٣٥.

(٤) محمد النسوى : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى ، ص٥٢.

النهر بجيشه إلى إقليم بلاد الجبل من أجل استعادته ، وذلك لكثرة منافسيه الذين لديهم الرغبة في امتداد سيطرتهم على ذلك الإقليم ، وهم : أتابك أذربيجان والرآن وحاكم إقليم فارس وهو «سعد بن دكلا السلفرى» ويقول النسوي : أن أزبك تمكن من السيطرة على ذلك الإقليم ، وذلك باتجاهه من أذربيجان إلى أصفهان في الجنوب ، وسيطر على المدينة وذلك باتفاق من أهلها والذين وافقوا على تبعيتهم لهذا الأتابك كما كانوا من قبل تحت حكم ايلدكز وابنه محمد البلهوان(١).

ولقد اختلف معه ابن الأثير وذلك باستيلاء سعد بن دكلا على تلك المدينة ، وذلك لكون أصفهان اقرب من حدود أراضية من الأتابك أزبك(٢).

وإن كانت رواية النسوي أقرب إلى المنطقية ، وذلك لعدة أسباب

أ – تبعيتها لأتابك أذربيجان ، وكون سكانها يفضلون حكم أسرة إيلدكز.

ب– أن النسوي قد تناول تلك المعلومات من قبل وزير أتابك أذربيجان ، وهو «الصدر ربيب الدين أبو القاسم بن علي» حيث كان يصحب سيده أثناء سيطرته على تلك المدينة(٣).

وفي الوقت الذي استولى فيه لتابك أذربيجان على تلك المدينة أسرع كذلك «سعد بن دكلا» بالاستيلاء على الري ، وقزوين ، وخوار ، وسمنان ، إلى جانب الأراضي المحيطة بهذه المدن.

وما إن رأي السلطان الخوارزمي ذلك التصارع حتى ترك أمور أراضية في إقليم ، ما وراء النهر إلى بعض كبار رجال دولته ، واتجه

---

(١) محمد النسوى : المرجع السابق ، ص٥٣.

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج١٢ ، ص٣١٦.

(٣) محمد النسوي : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى ، ص٥٣–٥٤.

بجيشه إلى ذلك الإقليم ، وتمكن منه بسهوله ، وأسر سعد بن دكلا الذي ظل طوال الوقت على جواده بجانب السلطان في كل مكان يذهب إليه ، أما أتابك أذربيجان فقد هرب ، ولكنهما في النهاية خضعا لشروط السلطان الخوارزمي علاء الدين محمد وزيادة على ذلك فقد فرض ضريبة على أتابك أذربيجان أزبك(١).

ط – السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه والخلافة العباسية وحملته على بغداد :

لقد سار علاء الدين محمد على النهج نفسه الذي سار عليه آباؤه وأجداده من قبل مع الخلافة العباسية في بغداد وذلك من أجل تحقيق آمالهم التوسعية.

وكعهد السلاطين الخوارزميين اتسمت العلاقات بينهم وبين الخلافة في بدايتها بالود والولاء ، يتضح ذلك من خلال تلك الرسائل المتبادلة بين السلطان الخوارزمي والخليفة العباسي الناصر لدين الله.

وكانت بدايتها ذلك الرسول الذي أرسله السلطان الخوارزمي إلى الخليفة العباسي وهو وزيره «ابن الاصباغى» الذي توفي عام ٦٠٠هـ/١٢٠٣م ، وكانت الخلافة تبالغ في احترامه والإنعام عليه ، لما كانت تعلمه عنه من فضله وموالاته للدولة العباسية(٢).

---

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج١٢ ، ص٣١٧ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الخامس ، القسم الأول ، ص٢٣٢ ؛ حافظ أحمد حمدى : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص٣٧ ؛ محمد النسوي : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى ، ص٥٤ ، ٥٩ ؛ بدرى محمد فهد : تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير ، ص٦٨ ؛ دائرة المعارف الإسلامية : ج٥ ، ص٢١٠ ؛ حيث قال : «أرغمه السلطان علاء الدين محمد على ذكر الخطبة باسمه ، وكذلك ضربت السكة باسم خوارزمشاه».

(٢) ابن الساعى الخازن : الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير ، (الطبعة السريانية الكاثوليكية ، بغداد ، ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م) ، ج٩ ، ص١٣٩ ؛ سعد بن محمد حذيفة مسفر الغامدى : سقوط الدولة العباسية ، ص١٣٥ ، نقلا عن العبود : الدولة الخوارزمية ، ص٩١.

كذلك أنفذ الخليفة العباسي إلى السلطان الخوارزمي ، وذلك عام ٦٠١هـ/١٢٠٣م ، «فخر الدين بن الشيخ مجد الدين يحيى بن الربيع» مدرس المدرسة النظامية ، من المرجح أن يكون ذلك الرسول رداً على الرسول الذي أرسله السلطان الخوارزمي ، وذلك دليل واضح على صفاء العلاقة فيما بينهما وفي العام نفسه أرسل السلطان الخوارزمي رسولا آخر ، وهو «نصر بن أسعد الخراقي» ذلك الذي يعرف بـ «ابن الأصيل» توفي عام ٦٠٣هـ/١٢٠٦م[١].

وفي عام ٦٠٢هـ/١٢٠٥م ، وصل إلى بغداد من البلاط الخوارزمي رسول من السلطان ، وهو نظام الدين محمد عبد الكريم السمعاني» وما أن نزل عند باب النوبي حتى استقبلوه بموكب الديوان العزيز ، وفي ٢٠ من ذي القعدة من العام نفسه طالب بالسماح له بالجلوس عند باب «بدر الشريف» من أجل الوعظ والإرشاد وسمح له بذلك ، والتف حوله الناس ، ولقد بالغ في الثناء على البيت العباسي وأكثر من الدعاء لهم[٢].

وفي عام ٦٠٥هـ/١٢٠٨م ، أرسل الخليفة العباسي «العماد جبريل المصري» إلى السلطان الخوارزمي ، وذلك من أجل انجاز بعض المهام ، وأثناء عودته إلى بغداد أرسل معه السلطان الخوارزمي العديد من الهدايا[٣].

---

(١) ابن الساعي : المصدر السابق ، ص١٤٣ ؛ سعد بن محمد بن حذيفة مسفر الغامدي : المرجع السابق ، ص١٣٥.

(٢) ابن الساعي : المصدر السابق ، ج٩ ، ص١٦٧-١٦٨ ؛ سعد بن محمد بن حذيفة مسفر الغامدي : المرجع السابق ، ص١٣٥ ؛ فوزي حامد عباس المأموني : المرجع السابق ، ص١٨٢.

(٣) سعد بن محمد بن حذيفة مسفر الغامدي : المرجع السابق ، ص١٣٥-١٣٦ ؛ فوزي حامد عباس المأموني : المرجع السابق ، ص١٨٢.

وفي العام نفسه وصل رسول – أيضاً – من السلطان الخوارزمي إلى الخلافة العباسية حيث تلقاه الموكب الديواني الشريف ، وذلك في ٢ جمادي الأولى حيث جلس نائب الوزارة وهو «ابن أمسينا» وبعدها احضر الرسول الذي أفصح عما أتي من أجله ، وقبل منه ذلك ، ثم انزلوه بالمدرسة الثقبية بباب الازج ، ثم خلع عليه وأذن له بعد ذلك بالعودة إلى خوارزم حيث السلطان الخوارزمي(١).

تلك كانت الرسائل والرسل المتبادلة ما بين الخوارزميين والعباسيين والتي تدل دلاله واضحة على الود والتفاهم السائد بينهما ، وإن كان ذلك لم يدم طويلاً ، وذلك لأسباب سوف نوضحها فيما بعد.

أسباب تبدل علاقات الود بين الخوارزميين والعباسيين إلى صراع وحروب :

في البداية وقبل أن نتحدث عن تلك الأسباب الظاهرية وراء اتجاه السلطان الخوارزمي إلى طلب الخلافة في بغداد ، نذكر أن تلك الرسائل التي سبق ذكرها والمتبادلة بينهما كان هدف السلطان الخوارزمي منها هو كسب ود الخلافة ، وإن كان من الممكن أن نطلق عليها أنها تمهيد حتى يتمكن السلطان من القضاء على أعدائه المجاورين ، والذين كانوا بمثابة العقبة التي تقف في طريقه ، وكذلك طريق أجداده وآبائه من قبل.

فبعد أن تمكن من القراخطاى والغوريين ، وبعد سيطرته على إقليم بلاد الجبل (العراق العجمى) لم يبق أمامه سوي تحقيق أمل أسلافه في ذكر اسمهم محل أسلافهم من السلاجقة في خطبة الجمعة ، وكذلك بجانب اسم الخليفة العباسي على السكة ، ولقد طالب بذلك من قبل السلطان الخوارزمي تكش ، ولم تسنح الفرصة له ، فسار على منواله ابنه

---

(١) ابن الساعى : المصدر السابق ، ج٩ ، ص٢٦٢ ؛ سعد بن محمد بن حذيفة مسفر الغامدي : سقوط الدولة العباسية ، ص١٣٦ ؛ عفاف صبرة : التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية ؛ عن كل تلك الرسائل انظر : ص١٣٤-١٣٦.

من بعده ، وذلك كان هدفه الأساسي والذي حان الوقت لتنفيذه ، واتخذ من تلك الأسباب التي سوف نذكرها سنداً له لتحقيق هذا الهدف.

أولاً : رغبة السلطان الخوارزمي في تحقيق السياسة التي كان يرغب فيها أجداده وآباؤه من قبل ، وهي أن يكون لهم ما كان للسلاجقة من نفوذ ومكانه عظيمة في جوف الدولة العباسية ، هذا ويذكر أن السلطان الخوارزمي قد أرسل أحد رجاله ويدعى «القاضي مجير الدين عمر بن سيد الخوارزمي» إلى بغداد أكثر من مرة يطالب العباسيين بذلك الحق الشرعى من وجهة نظره ، وكان رد فعل العباسيين على ذلك الرفض والنكران لهذا التصرف ذاكراً أن الظروف هي التي أدت إلى تحكم السلاجقة في بغداد وفي الوقت نفسه كانت الدولة في حاجة إلى مساعدة السلاجقة».

ولقد رد الخليفة العباسي ذاكرا «كن معي كما كانت الخلفاء من قبلك مع سلاطين السلاجقة كـ «ألب أرسلان» و«ملكشاه»[1]. وأقربهم لنا عهداً السلطان سنجر فيكون أمر بغداد والعراق ، ولا يكون لك إلا الخطبة».

وكما سبق وذكرنا أن الخليفة قد أنكر ذلك متعللاً بأن الظروف هي التي هيأت ذلك للأتراك السلاجقة من قبل ، وأعلن أن الخلافة لن تقبل من يتحكم فيها من المتحكمين ذاكراً لمجير الدين «أوليس فيما أنعم عليه به من الممالك الواسعة والأقاليم الشاسعة بغنيه عن الطمع في دار ملك أمير المؤمنين ومشاهد آبائه الراشدين». هذا إلى جانب علمه بانشغاله بما وراء النهر وبلاد الترك[2].

---

(١) السبكى : طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق : عبد الفتاح محمد الحلو ، ومحمد محمود الطناحى ، (ط١ ، القاهرة ، ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م) ، ج١ ، ص٣٣٠.

(٢) حافظ أحمد حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص٣٥ ؛ محمد النسوي : الرجع السابق ، ص١١-١٢ ، ٤٩ ؛ الجوينى : تاريخ جهان گشا ، ص١٨١ ؛ سعد بن محمد حذيفة مسفر الغامدى : سقوط الدولة العباسية ، ص١٣٧-١٣٨.

وبعد تلك المداولات عاد رسول خوارزمشاه مصطحباً معه رسولاً من قبل الخليفة العباسي وهو «شهاب الدين السهروردى» ذلك الذي حاول جاهداً أن يثنى السلطان الخوارزمي عن قصد بغـــداد ، ولكنـــه فشـــل ، وخاصة أن الخليفة العباسي كان قد استعان من قبل بالسبيل الـــذي كـــان لحسن الثالث شيخ الجبل الباطنى[1].

ولقد ذكر السلطان الخوارزمي لرسول الخليفة أنه لن يـــؤذى أي شخص من بنى العباس ، على الرغم من أنه قد علم أنه أودع عدداً كبيراً من الأتراك من بنى جنسه في السجن وهذا في حد ذاته أساءه إليه ، ولقد أبلغه أنه من الضروري توصيل ذلك للخليفة العباسي ، لأنه أولى وأنفع له ، ولقد بذل الرسول قصارى جهده في الدفاع عن الخليفة ، وتبرير ساحته من كل ما نسب إليه[2].

ولقد وصف رسول الخليفة مقابلته للسلطان الخـــوارزمي ذاكـــراً «استدعاني فأتيت إلى خيمة عظيمة لها دهليز لم أر في الدنيا مثله وفـــي دهليز ملوك العجم على اختلاف طبقاتهن صاحب همذان ، وأصـــبهان ، والرى وغيرهم ، فدخلنا إلى خمسة أخرى ، وفي دهليز ملوك خراســـان مرو دهليزها كذلك ثلاث خيام» ، ثم استطرد شهاب الدين فـــي وصـــف

---

(١) سعد بن محمد حذيفة مسفر الغامدى : المرجع السابق ، ص١٢٤ ؛ خوانـــدمير : حبيب السير ، ص٦٤٦ ، ذاكراً أن من الأسباب وراء مقدم السلطان الخوارزمي هو أن الخليفة العباسي كما قد قدم راية جلال الدين حسن الصباح المسلم الجديد والذي تبرأ من عقيدته ، وأرسل لواءه على حسب مراسيم السلاطين ، على راية السلاطين الخوارزمي ؛ ميرخواند : روضة الصفا ، ص٢٥٤.

(٢) صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى : الوافي بالوفيات ، ج٢ ، ص٢٧٦-٢٧٧ ؛ بدري محمد فهد : المرجع السابق ، ص٧١ ؛ سعد بن محمـــد حذيفـــة مســـفر الغامدي : المرجع السابق ، ص١٣٨.

علاء الدين محمد ، فقال : «هو صبي له شعرات ، قاعد على تخت ساذج وعليه قباء بخارا يساوي خمسة دراهم ، وعلى رأسه قطعة من جلد تساوي درهماً ، فسلمت عليه فلم يرد ، ولا أمرني بالجلوس فشرعت وخطبت خطبة بليغة ذكر فيها فضل بن العباس ، ووصف الخليفة بالزهد والورع والتقوى والدين ، والترجمان يعيد عليه قولي ، فلما فرغت قال للترجمان : قل له هذا الذي وصفته ما هو في بغداد ، قلت : نعم ، قال : أنا أجيء وأقيم خليفة بهذه الأوصاف ، ثم ردنا بغير جواب»[1].

ثانياً : عثوره في دار المحفوظات لدى الغوريين – وذلك عندما تمكن من مدينة غزنة عام ٦١٢هـ/١٢١٥م – على العديد من الكتب التي أرسلها إليهم هذا الخليفة ، يحرضهم فيها على إيقاف توسع الخوارزميين ، وذلك بمهاجمتهم من الخلف ، وترتب عليها مهاجمتهم لأملاك السلطان الخوارزمي في بداية حكمه ، بالإضافة إلى استيلائهم على بعض الأقاليم الخراسانية[2].

ولم يقتصر التحريض فقط على الغوريين بل تطرق الأمر كذلك إلى القراخطاى أنفسهم مقابل تأييدهم في سلطانهم ، وكذلك إقطاعهم من

---

(١) حافظ أحمد حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص٤٤-٤٥ ؛ سعد بن محمد حذيفة مسفر الغامدي : سقوط الدولة العباسية ، ص١٣٨-١٣٩.

(٢) عطا ملك الجويني : المرجع السابق ، ص١٨٢ ؛ حافظ أحمد حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص٣٦ ؛ بدرى محمد فهد : المرجع السابق ، ص٧٠ ؛ فامبرى : تاريخ بخارى ، ص١٥٧ ؛ سعد بن محمد حذيفة مسفر الغامدي : سقوط الدولة العباسية ، ص١٤٠ ؛ وأوضاع الدول الإسلامية في الشرق الإسلامي ، ص١٢٥ ؛ حبيب الله شمالوئي : تاريخ إيران ازمداد تا بلهوى ، ص٤٤٤ ؛ خواندمير : المرجع السابق ، ص٦٤٦ ؛ ميرخواند : روضة الصفا ، ص٣٩٨ ؛ Henry H. Howorth : op. cit., p.8.

أملاك الخوارزميين في حالة إحراز النصر عليهم وأرسل إليهم الهدايا والخلع من أجل ذلك.

ثالثاً : قام السلطان الخوارزمي بتأييد بعض حركات التمرد والعصيان التي كانت تتم ضد الخلافة العباسية ، وخير مثال على ذلك : عندما عصي مماليك الديوان «ديوان الخلافة» وذلك عام ٦٠٨هـ/١٢١٢م ، حيث استجاروا به فأعانهم على عصيانهم ، ولقد أرسل الناصر لدين الله إلى «مظفر الدين بن زين الدين» صاحب أربل يعرفه بذلك ، واستنجد كذلك بعسكر الملك الأشرف وغيره ، وتمكن من قمع التمرد[(١)].

رابعاً : ويدخل هذا السبب الرابع ضمن الأسباب التي اختلقها السلطان الخوارزمي وهي أن الخليفة الناصر لدين الله كان قد عهد لابنه من بعده وهو «الظاهر بأمر الله» بولاية العهد ، وذلك في شهر صفر عام ٥٨٥هـ/١١٨٩م ، وإن كان عام ٦٠١هـ/١٢٠٣م ، عاد عن رأيه وأسقط عنه الخطبة ، وكانت حجته في ذلك هي عجزه عن القيام بولاية العهد ولقد اعترض السلطان الخوارزمي على ذلك ذاكرا «قد صح عندى توليته ولم يثبت عندى موجب عزله» وجعل ذلك حجة لكى يتطرق إلى العراق بالعساكر ليرد خطبته[(٢)].

كل تلك الأسباب كانت مجتمعة ، وذلك لكي يواصل سيره إلى الخليفة العباسي في بغداد وذلك عام ٦١٤هـ/١٢١٧م ليحقق هدفه الأول ، وذلك من أجل السيطرة على حاضرة الخلافة العباسية انتقاماً من الخليفة إلي جانب أنه قرر عزل الخليفة ، وذلك من وجهة نظر السلطان

---

(١) سعد بن محمد حذيفة مسفر الغامدى : أوضاع الدول الإسلامية في الشرق الإسلامي ، ص١٤٠.

(٢) سعد بن محمد حذيفة مسفر الغامدى : سقوط الدولة العباسية ، ص١٤٠.

الخوارزمي أن العباسيين ليس لهم الحق في تولية منصب الخلافة هـذا لأنهم مغتصبون للخلافة من سلاله الحسين بن علي بن الخطاب ، لذا فقد حصل على فتوى من رجال الدين في مملكته ، بان الناصـر لا يسـتحق المنصب الذي هو عليه ، وكذلك أسرة بنى العباس كلها ليست آهلة لذلك ، لكونهم قد تقاعسوا عن واجباتهم الدينية ، ولقد اخذ على عاتقه إصلاح تلك الأوضاع التي تمثلت في تعيين شخص آخر من سلالة علي بن أبي طالب ، وهو «علاء الملك الترمذي»[1]. وهو رجل من ترمذ خطب لـه علـى منابر الدولة الخوارزمية ، وقد سك اسمه على العملة وذلك بعد أن قطـع الخطبة باسم الخليفة العباسي في خوارزم ، ولقد سر الشيعة في فارس من ذلك التحول بعد جهاد دام أكثر من ستة قرون – منذ وفـاه الرسـول – ونجحوا في أقامه خلافة شرعية علوية[2].

ولكن على الرغم من عزل الخليفة العباسي ، وقطع خطبته مـن خوارزم ، وتعيين هذا الشخص إلا أن الجويني والمصادر التي تناولـت ذلك لم تمدنا بأيه معلومات عن ذلك الشخص لا عن تعيينه ، ولا مكانته ، ولا مكان وجوده فيما بعد كخليفة ، حيث لا بد أن يكون له مقـر الملـك وسلطان الخلافة[3].

---

(1) الجويني : تاريخ جهان كشا ، ص١٨٢ ؛ سعد بن محمد حذيفة مسفر الغامـدي : سقوط الدولة العباسية ، ص١٤٢-١٤٣ ، وأوضاع الدول الإسلامية في الشرق الإسلامي ، ص١٣٠.

(2) عطا ملك الجويني : المرجع السابق ، ص١٨٢ ؛ حافظ أحمد حمـدي : الدولـة الخوارزمية والمغول ، ص٣٨ ؛ أحمد شلبي : المرجع السابق ، ج٣ ، ص٤٠٦ ؛ سعد بن محمد حذيفة مسفر الغامدي : سقوط الـدول العباسـية ، ص١٤٣ ، وأوضاع الدول الإسلامية في الشرق الإسلامي ، ص١٣٢ ؛
Percy Sykes : op. cit., p.54

(3) سعد بن محمد حذيفة مسفر الغامدي : سقوط الدولة العباسية ، ص١٤٣.

خامساً : وهو السبب الأخير الذي يعتبر نتيجة طبيعية لكل الأسباب السالفة الذكر والتي تؤيد ضرورة اتجاه السلطان الخوارزمي إلى بغداد وهي الظروف الطبيعية ، وكذلك التاريخية التي صارت عليها الدولة الخوارزمية في ذلك الوقت ، وخاصة بعد وصولها إلى ذلك الاتساع حيث امتدت حدودها من حدود بغداد من بحر آرال إلى الخليج الفارسي ، وبالتالي صار سلطانه لا يعلوه سلطان آخر في العالم الإسلامي ، وذلك بعد قضائه على ملوك العالم في ذلك الوقت ، وهم القراخطاى وكذلك الغوريون ، إلى جانب حجبه لنفوذ الطائفة الإسماعيلية وسيطرته على أتابكة فارس وأذربيجان ، وبالتالي صار محاصراً للخلافة العباسية من ناحية الشمال وكذلك الشرق ، لذا لم يبق أمامه سوي بغداد[1].

ترتيبات السلطان علاء الدين الخوارزمي للهجوم على العاصمة العباسية بغداد :

١- فقد أمر في بداية الأمر أن تضرب على بابه نوبة ذى القرنين تعظيما له ، ووقتها وقتا الشروق والغروب ، وذلك يدل من تلك النوبات الخمس التي كانت تضرب له في أوقات الصلوات الخمس ، والتي فوضها لأولاده من بعده ليضربوها في الأقاليم ، وكان أول يوم ضربها فيه علاء الدين خوارزمشاه قد اختار لضربها ٢٧ ملكاً من أكابر الملوك وأولادهم ، ولقد كانت آلات النوبة من الذهب ، ورصعت مضاربها بأنواع الجواهر[2].

---

(١) حافظ أحمد حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص٣٨-٣٩.

(٢) محمد النسوي : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، ص٦٥ ؛ المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج١ ، القسم الأول ، ص٤٦ ، حاشية١ ، ذاكراً المكان الذي تحفظ فيه طبول الفرق الموسيقية وأبواقها وتوابعها ، وهي الطلبخانه : وهي كلمة فارسية معناها فرقة موسيقية تابعه لموسيقي السلطان ، حيث من العادة أن تدق نوبة في كل ليلة بعد صلاة المغرب ، وتكون كذلك في صحبة السلطان في الأسفار والحروب.

٢- قام بتنظيم أحوال بلاد ما رواء النهر فأمر الملك فيها إلى «تاج الدين بلكاخان» صاحب أترار في مدينة نسا لكي يقيم بها ويصبح المسئول عنها[١].

٣- أما فيما يتعلق بأمر خوارزم فقد عين الخطيب «برهان الدين محمد بن أحمد ابن عبد العزيز البخارى» المعروف بـ صدرجهان رئيس الحنيفية ببخارى وخطيباً عليها[٢]. ووزع بعدها ملك خوارزم بين أولاده ، وذلك قبل خروجه إلى بغداد فكانت (خراسان ، خوارزم ، مازندان) إلى ولى عهده «قطب الدين أزلاغ شاه» حيث فضله عن بقية أخوته والذي كان على رأسهم السلطان جلال الدين منكبرتى وأيضاً ركن الدين غورشايجى ، نظراً لأتباعه لأوامر والدته «تركان خاتون» ورأيها وتحريه مرضاتها[٣].

ثم عين ابنه جلال الدين منكبرتى على ملك (غزنة ، باميان ، الغور ، بست ، تكياباذ ، زمين داور وما يليها) وعين ابنه غياث الدين بيرشاه على (كرمان ، كيش ، مكران) وجعل له وزيراً وهو الصدر «تاج الدين بن كريم الشرف النيسابورى».

أما العراق العجمى فقد ترك عليها ركن الدين غورشايجى وكان وزيره على ذلك هو «الملك محمد بن الشديد الساوى»[٤].

---

(١) محمد النسوي : المرجع السابق ، ص٦٦.

(٢) محمد النسوي : المرجع السابق ، ص٨.

(٣) محمد النسوي : المرجع السابق ، ص٧١-٧٢ ، حاشية١ ، وكذلك ص١٢٦ ، حاشية٢ ، حيث ذكر أن السلطان الخوارزمي وهو على فراس الموت عام ٦١٨هـ/١٢٢٠م ، قد غير تلك الوصية وأوصى بولاية العهد لابنه جلال الدين منكبرتى ، وذلك لثقته في شجاعته ، ولأن أمه تركان خاتون قد وقعت في أسر المغول.

(٤) حافظ أحمد حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص٢٩ ؛ محمد النسوي : المرجع السابق ، ص٧٢-٧٣ ؛

Henry H. Howorth : History of the Mongols, p.8.

واستكمالا لتلك الترتيبات فقد وجه إلى شيوخ الإسلام بمدينة سمرقند ، وهو «جلال الدين» وكذلك ابنه «شمس الدين» وأخيه «أوحد الدين» إلى نسا وذلك تخوفا من ثورتهم(١).

خط سير السلطان الخوارزمي إلى بغداد :

توجه السلطان الخوارزمي علاء الدين محمد على رأس حملة إلى بغداد ، مسيراً أمامه العساكر والتي غطت البيداء من كثرتها ، وبالتالي فقد أدخل الرعب في كل من مر بهم هذا الجيش.

ويذكر أنه قد التقي في العراق بالأتابك «سعد بن زنگی» والذي توجه إليها من أجل الاستيلاء عليها ، بعد أن حرضه على ذلك الخليفة العباسي كما ذكرنا من قبل ، ولقد انتصر عليه وهزمه ، وبعدها قبل الدخول في طاعته ، وتعهد بان يتنازل عن ثلث خراج فارس ويرسله إليه سنويا ، إلى جانب إعطائه العديد من الامتيازات ، ولقد أوقع الهزيمة كذلك بـ «أزبك بن البهلون» (أتابك أذربيجان) والذي حرضه كذلك الخليفة العباسي ، وقد أمنه السلطان على حياته ، وضرب السكة في تلك الولاية باسمه ، وبعدها توجه إلى بغداد(٢).

ولقد وصف النسوى الجيش حتى وصل إلى قلعة «أسد أباذ» إلى أن حدثت المفاجأة فهبت عليهم الأمطار والثلوج تلك التي فرقت وشلت حركتهم ، ولقد استمر ذلك ثلاثة أيام دون توقف ،ولقد جاء تعليق على لسان الشاعر الشاشي قائلاً :

نثر السحاب من المساء دراهما وكسا الجبال من الحواصل ملبساً
والريح باردة الهبوب كأنها أنفاس من عسق الحسان وأفلسا

---

(١) محمد النسوي : المرجع السابق، ص٧٠.

(٢) الجويني : المرجع السابق : ص١٨٢ ؛ محمد النسوي : المرجع السابق ، ص٥٣ ؛ S. lane Poole : The Mohammadn dynasties, p.172.

ولقد كانت الأمطار وراء هلاك العديد من رجاله ، وأيضاً دوابــه «وصارت الأرض كأنها ببياضها سوداء ، وشمل الهلاك خلقا كثيراً مــن الرجال ، ولم ينج شيء من الجمال[1]».

ولقد وصف كمال الدين إسماعيل ذلك قائلاً :

مثل حبة القطن قد اختبأت في قطن بحيث اختفت في الجبال الثلج[2].

وبعد تلك الهزيمة التي منى بها السلطان عاد أدرجه إلــى بــلاده مرة ثانية ، نادماً عما بدر منه في حق الخلافة العباسية ، ولقد اضطر إلى مقابلة «الشيخ السهروردى» راسلاً معه إلى دار الخلافة ، مستشفعاً بــالله منذراً ، وعن البغي محذراً.

---

(١) محمد النسوي : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتــي ، ص٦٤ ؛ عطــا ملــك الجويني : المرجع السابق ، ص١٨٣ ؛ أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ، ج٣ ، ص١١٨ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الخامس ، القسم الأول ، ص٢٣٣ ؛ السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص٤٤٩ ؛ فامبرى : تاريخ بخارى ؛ ص١٥٧ ؛ حافظ أحمد حمدي : الدولة الخوارزمية والمغــول ، ص٤٤ ، ٤٦ ؛ أحمد شلبي : المرجع السابق ، ج٣ ، ص٤٠٦ ؛ هارولد لامب : المرجع السابق ، ص١٧٦ ؛ Brigadier : general sir percy sykes, Persia, p.53 ؛ خواندمير : حبيب السير ، ص٦٤٦ ، ذاكراً «أن البرد كان شديداً لذا فقد أصيب أطراف الجند بالتجمد ، وعدم الحركة فهلك معظم جنده ، وكذلك هلكت الماشية ، كل ذلك اضطره إلى العودة إلى خوارزم» ؛ حبيب الله شــمالوني : المرجــع السابق ، ص٤٤٥ ، ذاكراً «أن بعض المؤرخين قد كتبوا أن الســلطان عــلاء الدين محمد رجل يؤمن بالخرافات ، وأنه ما أن رأي الثلوج نازله من تلك الجهة اعتقد أن السبب في ذلك هو رغبته في القضاء على الخلافة العباســية ، وفــي الحقيقة أن المغول كانوا قد تعرضوا في ذلك الوقت لحدوده الشمالية ، لــذا رأي من الأرجح العودة إلى بلاده ، لذا جــاء إلــى مــرو عــام ٦١٥هـ/١٢١٨» ؛ H. Howorth : History of the Mongoles, p.8.

(٢) محمد النسوي : المرجع الســابق ، ص٢٠ ؛ حــافظ أحمــد حمــدي : الدولــة الخوارزمية والمغول ، ص٤٦ ؛ الجــويني : المرجــع الســابق ، ص١٨٣ ؛ الصفدى : الوافي بالوفيات ، ج١ ، ص٢٧٦-٢٧٧ ؛ سعد بن محمد بن مســفر الغامدي : سقوط الدولة العباسية ، ص١٤٧.

هذا ولقد ذكر له بعض أعوانه أن ذلك غضب من الله حين قصد بيت الخلافة[1].

ولقد توافق رأي النسوي مع ابن الأثير ، وكذلك الجويني بأن من يتجرأ على الخلافة يخسر الدنيا والآخرة ، وذلك لأن بيت الخلافة بيت يؤيده الله بملائكة سمائه ، وله سر في بقائه ،وإن في عناده خسراناً للدنيا والآخرة ،وهذا هو الخسران المبين[2].

ونتيجة لذلك قام بتعيين ابنه غياث الدين بيرشاه – كما سبق وذكرنا – على كرمان ، كيش ، مكران ، ونظراً لفناء معظم ما كان للسلطان الخوارزمي من الجمال ، لذا فقد أحضر من نيسابور ٤٠٠٠ من البخاتى التركيات[3].

ثم ما لبث أن تبدلت الأحوال في الدولة الخوارزمية ، وذلك بظهور الخطر المغولى الذي هدد تلك الإمبراطورية المترامية الأطراف إلى الزوال ، وذلك عام ٦١٧هـ/١٢١٩م[4].

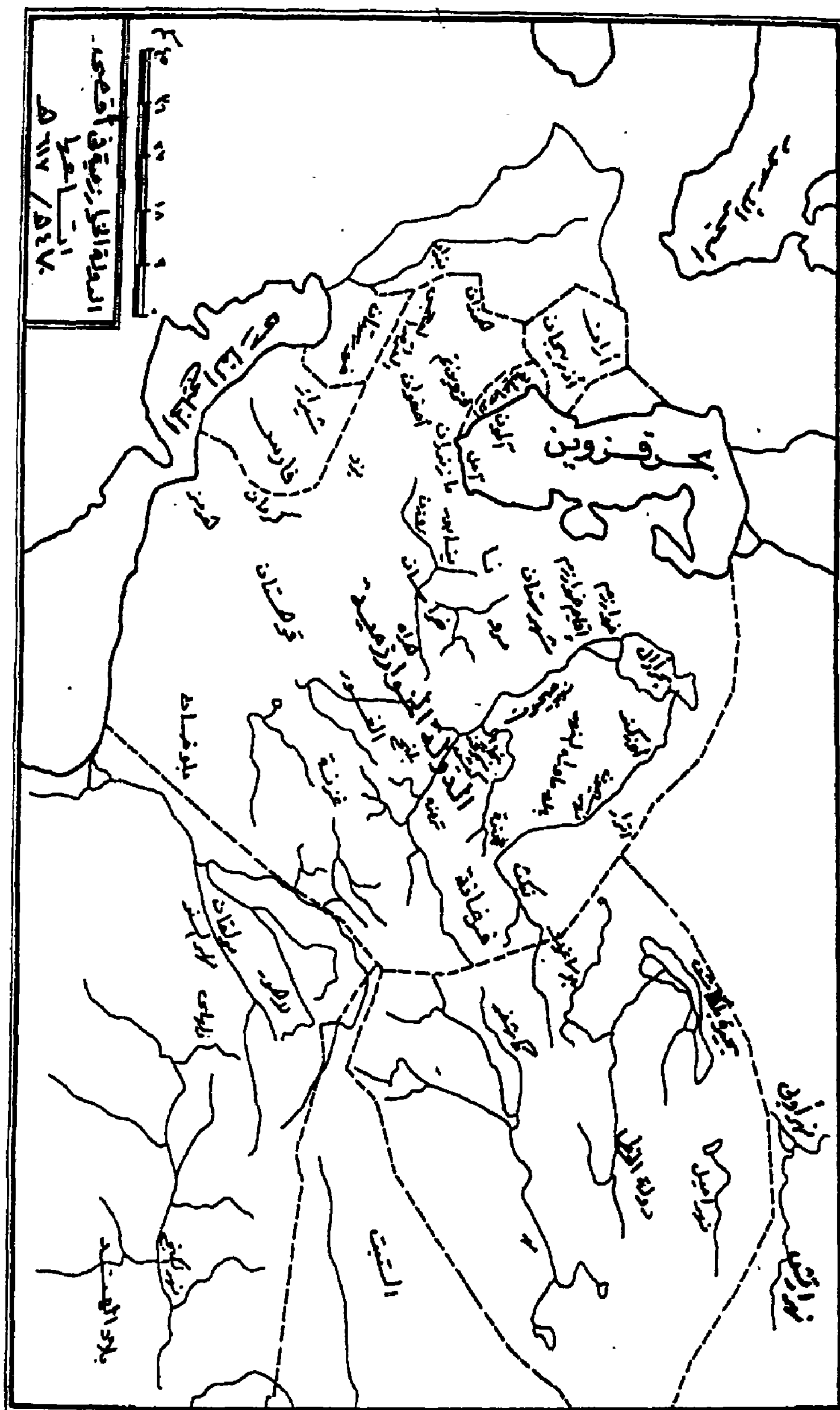
---

(١) السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص٤٤٩.

(٢) محمد النسوي : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى ، ص٢١ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج١٢ ، ص٣١٨ ؛ الجوينى : المرجع السابق ، ص١٨٣ ؛ حافظ أحمد حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص٤٦ ؛ سعد بن محمد حذيفة مسفر الغامدي : سقوط الدولة العباسية ، ص١٤٧.

(٣) محمد النسوي : المرجع السابق ، ص٧٤-٧٥.

(٤) حافظ أحمد حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص٣٠.



الفصل الثالث
نظم الحكم والإدارة في الدولة الخوارزمية

محتويـــات الفصـــــل

مقدمة تمهيدية.

١ – نظم الحكم والإدارة المتوارثة في خوارزم حتى قيام الدولة الخوارزمية.

٢ – نظم الحكم والإدارة في الدولة الخوارزمية.

أولاً : البلاط السلطانى :

١ – السلطان الخوارزمي.

٢ – الوزير الأعظم.

٣ – عميد السلطان.

٤ – كبير الحجاب.

٥ – وكيل البلاط.

٦ – صاحب الشحنة.

ثانياً : الدواوين :

١ – ديوان الوزارة.

٢ – ديوان الرياسة.

٣ – ديوان الرسائل.

٤ – ديوان البريد.

٥ – ديوان المشرف.

٦ – ديوان الاستيفاء.

٧ – ديوان الحفظة «الشرطة».

٨ – ديوان الحسبة.

٩ – ديوان الأوقاف.

١٠– ديوان القضاء.

١١– ديوان المظالم.

ثالثاً : حكام الأقاليم.

الفصـــل الثالث

نظم الحكم والإدارة في الدولـــة الخوارزمية

مقدمة تمهيدية :

١ – نظم الحكم والإدارة المتوارثة في خوارزم حتى قيام الدولة الخوارزمية :

لقد ذكر الجويني أن التنظيمات الغزنوية الإدارية قد ظلت زمنـــاً في خوارزم ، ومن المرجح أن يكون ذلك أثناء تبعيـــة الأســـرة الثانيـــة «الألتونتاشية» للغزنويين وذلك عام ٤٠٨-٤٢٩هـ/١٠١٧-١٠٣٧م ، مما يؤكد أن الإمارة التابعة تطبق عليها الدولة الحاكمة نظمها الإدارية.

ثم يستطرد الجويني قائلاً : إنــه علـــى الـــرغم مـــن اســـتفادة الخوارزميين من التنظيمات السلجوقية الإدارية إلا أنها قد طبعتها بالطابع المحلي الخاص بها ، يتضح ذلك من اعتمادهم على القبائل التركية وقوتها مما ترتب عليه ازدياد نفوذ رؤسائها ، والذي كـــان ســـلاحاً ذا حـــدين ، أحدهما ساهم وساعد على ظهور تلك الإمبراطورية ووصولها إلى أقصى اتساع لها ، والآخر سبباً في إضعاف الدولة المركزية فيما بعد ، وذلـــك عكس السلاجقة الذين شاركوا الشعب في الأعمال الإدارية التابعة لهم[١].

٢ – نظم الحكم والإدارة في الدولة الخوارزمية :

أولاً : البلاط السلطاني :

١ – السلطان الخوارزمي :

والذي كان على رأس البلاط السلطاني ، وذلـــك بصـــفته القائـــد الأعلى للقوات العسكرية ، وخاصة أن تكوين الحكومة الخوارزمية شأنها شأن الحكومات الأخرى التركية تقام على أساس القوات المقاتلة والجيش ، لذا كان حكمه حكماً مطلقاً ، وإن كان ذلك لم يمنع من استعانته في إدارة دولته بعدد من الموظفين من أهل الكفاءة والقدرة[٢]. ومن هؤلاء الـــوزير الأعظم.

---

(١) عطا ملك الجويني : جهان كشا ، ص١٦٨.

(٢) مريم ميرأحمدي : نظام حكومت إيران در دوران إسلامي ، (مؤسسة مطالعـــات وتحقيقات فرينكى ، د.ت) ، ص٢٨٤.

٢ – الوزير الأعظم «خواجه بزرگی»:

والذي يحتل المرتبة الثانية بعد السلطان «الشاه» الخـوارزمي ، ويلقب بالوزير الأعظم أو سيد الدنيا في ديوان الوزارة ، وفـي بعـض الأحيان يكون نيابة عن السلطان في إدارة شئون الدولة.

ومن الشروط الواجب توافرها في الوزير : «الإيمان والصـدق ، والتدين» ، وذلك لأن أمان السلطنة ينحصر في سلوك الوزير الحسـن ، حيث صلاح السلطان والرعية وفسادها رهينان بالوزير وحين التصـرف في الأمور والدقة في تنفيذ أوامره وأحكامه ، وسلامه البديهة ، وحسـن السياسة(١).

وزراء الدولة الخوارزمية :

١. نظام الملك سعد الدين مسعود بن علي الأبهري :

من الوزراء العظام على عهد السلطان الخوارزمي علاء الـدين تكش ، ومن صفاته إصابة الرأي وصفاء الضمير ، ولقـد ظهـر ذلـك بصورة جليه عندما اضطربت الأمور بسبب ما نتج عن الصـراع علـى العرش بين الأخوة ، فاخذ على عاتقه استتباب الأمن في الـبلاد ، وذلـك بقيادة جيش الدولة(٢).

٢. نظام الملك صدر الدين علي بن سعد الدين مسعود :

تولى الوزارة نيابة عن والده من قبل السلطان تكش ، وذلك تخليداً وإكراماً لوالده بعد استشهاده على يد الإسماعيلية الحشيشية ، لـذا كـان

---

(١) نظامى عروضي السمرقندى : جهار مقالة ، ص١٦٩ ؛ نظام الملك الطوسـي : سياست نامه ، ص٥١ ؛ مريم ميرأحمدي : المرجع السـابق ، ص٢٨٤ ؛ هنـد حسين عطية : الأدب العربي في إقليم خوارزم ، ص٨١ ، ٣٠٧.

(٢) غياث الدين خواندمير : دستور الوزراء ، ترجمة وتعليق : حربي أمين سليمان ، تقديم : فؤاد عبد المعطى الصياد ، ص٣٠٩.

حريصاً على تنفيذ ما كان يقوم به والده من تدبير شون الديوان والاهتمام بالرعية وحل مشاكلهم ، وعلى رأسهم رجال العلم وأهل الفضيلة ، وهـــو ما اشتهر به بلاط الخوارزميين وظل بالوزارة حتى عهد عـــلاء الـــدين محمد بن تكش خوارزمشاه.

٣. نظام الملك محمد بن صالح :

تولى الوزارة بعد وفاة الوزير السابق وظل بها ما يقارب من سبع سنوات ، ولكنه اتهم بسوء التصرف والإسراف في أموال الديوان ، على الرغم من كرمه وجوده ، لذا عزله السلطان الخوارزمي علاء الدين محمد ، ثم أعاده للوزارة مكرهاً بناء على طلب والدته «والتي كان محمد بـــن صالح أحد غلمانها» وذلك بعد أن علمت بمؤامرة السلطان محمد من أجل قتل ذلك الوزير والتخلص منه نهائياً[1].

وترتب على تصرف تركان خاتون هذا وعلى الرغم من وجـــود العديد من الشخصيات الملائمة لهذا المنصب وهم موجودون في بلاطه ، ومنهم : تاج الدين كريم الشرف النيسابورى ، وضياء الدين الســـمنانى ، والشريف محمد النسوي ، ونجم الدين كيلابادي ، ومجير الدين المنشي ، لكنه لم يول أحداً من هؤلاء لمنصب الوزارة ، ونتج عن ذلك وقوع الناس

---

(١) بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغـــولى ، ص٥٤٠ ، ٥٤٢ ؛ خواندمير : المرجع السابق ، ص٣١٠-٣١١ ، حيث ذكر نهاية هذا الوزير قائلا : وفي الوقت الذي كان أمراء جنكيزخان يحاصرون فيه قلعة أبلال كان محمـــد بن صالح موجوداً داخلها بصحبة والده السلطان ، وبعد أن تم إخضـــاع القلعـــة حمله الأمراء إلى الخان ، وقالوا : أن هذا الوزير كان مطرودا ومغضوبا عليه من قبل السلطان محمد ، وألحوا عليه أن يجعله من بين رجال الخـــان ، وبنـــاء على ذلك اعتمد جنكيزخان على محمد بن صالح كواحد من رجاله ، وكان يكلفه أحيانا بتنظيم حسابات بعض الولايات ، وخلال تلك الظروف حدثت علاقة بينـــه وبين ابنه «زينكيجة جنكى» وعلم بهذه العلاقة الخان لذا غضب عليه وقتله.

في حيرة من أمرهم حيث لم يجدوا من يرجعوا إليه في تدبير شئون الديوان ، وظل هذا الوضع قائماً حتى نهاية حكم السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه[1].

٤. **شرف الملك فخر الدين علي الجندي** :

كان متولياً لرئاسة ديوان مدينة «جنبد»[2]. من قبل السلطان الخوارزمي علاء الدين محمد ، وارتكب بتلك المدينة العديد من المظالم حتى استغاث الأهالي بالسلطان الذي أمر بالقبض عليه وسحبه كما يسحب الطائر على السيخ ويلقي في النار ، وما أن علم بذلك حتى فّر هارباً[3].

ويتضح مما سبق أن تعيين وزراء الولايات – وخاصة تلك التي ينوب فيها عن السلطان أحد أبنائه – يتم عن طريق السلطان «أي من حق العرش»[4].

٥. **محمد بن أحمد بن علي بن محمد المنشي النسوي** :

من أشهر وزراء الدولة الخوارزمية ، والذي كان في البداية يعمل بوظيفة سكرتير الديوان ، ثم تولى أمر الديوان ، وتحمل كل مسئولياته[5].

ويتضح من خلال دراستنا لهؤلاء الوزراء عدة أشياء ، منها :

١– وراثة ذلك المنصب ، والذي ظهر بصورة جلية على عهد السلطان الخوارزمي علاء الدين تكش كما سبق وذكرنا[6].

---

(١) خواندمير : دستور الوزراء ، ص٣١٠–٣١١.

(٢) **جنبد أو جنبذ** : من قرى نيسابور بمنطقة خراسان وتقع الآن في أفغانستان والعجم ، وتنطق «كنبد» عندهم ، (وتعنى الأزج المدور كالقبة ونحوها) ؛ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، المجلد الخامس ، ص١٦٨.

(٣) خواندمير : دستور الوزراء ، ص٣١١.

(٤) بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص٥٣٩.

(٥) مريم ميرأحمدي : المرجع السابق ، ص٢٨٤.

(٦) انظر الفصل الحالى من الكتاب ، ص٢٨٧.

٢- وجود بعض الوزراء - وإن كان ذلك نادراً - يجمع ما بين السيف «أي قيادة الجيش» والقلم «إدارة شئون البلاد» ، ومنهم الوزير سعد الدين مسعود بن علي الابهرى.

٣- كذلك الاحترام والتقدير الذي يلقاه هؤلاء الوزراء من قبل سلاطين تلك الدولة وتمثل ذلك في السماح لهم بالجلوس على ميمنة السلطان في المجالس العامة ، إلى جانب عدم وقوفه لمن يدخل عليه في مجلس الوزراء مهما علت مكانة ذلك الشخص.

٣ - عميد السلطان «خواجة عميد» :

وهو من الشخصيات البارزة في البلاط السلطاني ، وتتركز أعماله في شيئين : «تنفيذ فرمانات السلطان الخوارزمي وأوامره ، ثم ختم تلك القرارات السلطانية وذلك يعني أنه الشخص الوحيد الذي يحمل الختم الملكي ، لذا يتحتم عليه الاتصاف بالأمانة والثقة إلى أبعد الحدود[١].

٤ - كبير الحجاب «سبهسلارالكبير»[٢]:

لقد كانت تلك الوظيفة رائجة في الدولة الخوارزمية ، وخاصة في أواخر أيامهم فهو معروف بأنه مستشار (أو مشرف على رأس العمل) «بيش كار»في قصر السلطان ، وصاحب ذلك المنصب يكون في بعض الأحيان خلفاً للوزير ومختاراً للوزارة من بعده[٣].

---

(١) مريم ميرأحمدي : المرجع السابق ، ص٢٨٤.

(٢) **سبهسلار** : وتعني أميراً صاحب قبضة قوية ، ورئيساً ذا شأن ، ووظيفته تتمثل في السيطرة والمراقبة وإحكام السيطرة على الأمور ؛ مريم ميرأحمدي : المرجع السابق ، ص٢١٩.

(٣) نظام الملك الطوسي : المرجع السابق ، ص١٥٩ ؛ محمد بن أحمد النسوي : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، ص٦٢ ، حاشية٢ ؛ البيهقي : تاريخ بيهق ، ص٨٩-٩٠ ؛ عصام الدين عبد الرءوف : تاريخ الإسلام في جنوب غرب آسيا في العصر التركي ، ص١٥٢ ، ١٥٤ ؛ محمد محمود إدريس : رسوم السلاجقة ونظمهم الاجتماعية ، (الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٨٣م) ، ص٩٣.

- **ومن أهم اختصاصاته :**

أ – نقل أوامر السلطان إلى الوزير وكبار رجال الدولة ، ومن ناحية أخرى ينقل أوامر الوزير وكبار الموظفين إلى السلطان.

ب- الإشراف التام على المقر الملكي للسلطان ومجلسه وكل شئونه الخاصة.

جـ- استشاره السلطان له في كل مهام الدولة صغيرها وكبيرها ، ويمكن أن يسند إليه السلطان مهمة قيادة الجيوش والحملات العسكرية ، ويعرض هو بدوره على السلطان الأمور الهامة التي يجب عليه بحثها وإبداء الرأي فيها.

ولقد ازدادت أهمية صاحب هذا المنصب لدرجة قيامه بتدبير أمور الدولة في حالة غياب السلطان ، وكذلك تنظيم بلاطه ، فينظم أماكن وقوف العبيد والخدم والأصاغر فلكل منهم مكان معلوم ، وكذلك أماكن الجلوس ويراعي في ذلك حسن التنظيم فيقف الخواص من حول العرش مثل حمله السلاح والسقاة ، ويبعد من دون ذلك ويضاف إلى ذلك إشرافه على إتمام المراسم السلطانية دون إحداث أي خلل بها.

ونظراً لأهمية تلك المناصب كان هناك لكل واحد من أصحاب تلك الوظائف نائب ومعاون له في مهامها ، ويعهد إليه بإتمام بعض المهام والأعمال[1]. لذا كان للحاجب نواب يساندونه في الأمور الجسام الواقعة على كاهله[2].

---

(١) مريم ميرأحمدي : المرجع السابق ، ص٢٨٥.

(٢) عصام الدين عبد الرءوف : المرجع السابق ، ص١٥٣ ؛ محمد محمود إدريس السابق ، ص٩٣.

ومن أشهر حجاب الدولة الخوارزمية وخاصة في عهد السلطان علاء الدين تكش «شهاب الدين مسعود الخوارزمي» ذلك الذي اتهمه الوزير نظام الملك سعد الدين مسعود بن على الابهرى بأمور غير لائقة في المجلس ووفق في الحصول على أمر من السلطان بقتله ولكن حال دون ذلك مقتله «أي الوزير» على أيدي الإسماعيلية الفداوية(١).

وذكر ابن خلدون وظيفة «أمير الأمراء والحجاب» ويبدون أنها متعلقة بالحاجب الكبير ، وممن تولى تلك الوظيفة آينانج نائب علاء الدين محمد وواليه على بخارا(٢).

وترى الباحثة أن تلك الوظيفة ما هي إلا تطور لوظيفة كبير الحجاب في الدولة الخوارزمية.

٥ – وكيل البلاط «أو الباب» «وكيل در» :

وهو المندوب المباشر للولايات والأقاليم في البلاط ومن حقه الاستقرار في العاصمة مندوباً عن الأمراء التابعيين ، وكذلك الولاة في كل الأقاليم المختلفة بصفته وكيلهم في انجاز الأعمال وكذلك مراقبة مصالحهم ويقوم كذلك السلطان الخوارزمي نفسه باختيار وكيل بلاطه الخاص لانجاز أعمال البلاد ويكون معاوناً له أو همزة الصلة بينه وبين الوزير في توصيل التعليمات والأوامر الشفهية للوزير وبمجرد وصولها يقوم الوزير بتحريرها ليتم تنفيذها(٣).

---

(١) محمد النسوي : المرجع السابق ، ص٧٣ ؛ غياث الدين خواندمير : دستور الوزراء ، ص٣٠٩ ؛ مريم ميرأحمدي : المرجع السابق ، ص٢٨٦.

(٢) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، المجلد الخامس ، القسم الثاني ، ص٢٥٣.

(٣) مريم ميرأحمدي : نظام حكومت إيران دوران إسلامي ، ص٢٨٥.

٦ – صاحب الشحنة[١]:

وهو ذلك الشخص المسئول عن الأمـــن والاســـتقرار ومطـــاردة العابثين ومعاقبتهم وهو تابع للوزير فمن حق للوزير عزله في حالة عدم كفاءته أو حتى سوء تصرفه ، وبالتالي من واجبه تنفيذ أوامر الســـلطان والوزير ورفع التقارير إليهما ولقد تمتع بسلطات إدارية وبوليسية واسعة النطاق[٢]. وممن تولى تلك الوظيفة شخص ما في مدينة دهستان بعـــد أن تغلب عليها سلاطين خوارزم[٣].

ثانياً : الدواوين[٤]:

١ – ديوان الوزارة :

يرأس هذا الديوان الوزير الأعظم الذي سبق وتحدثنا عنـــه فـــي بداية الفصل ومن الشخصيات التي تسانده في أمور الديوان الأمين وهـــو

---

(١) **الشحنة** : هى الرابطة من الخيل في البلد لضبطه وليس باسم للأمير أو القائد كما تذهب العامة ، والنسبة إليه شحنتي وشحنية ولا تقل شحنكية ولا شحنهية ، وهذه الكلمة عربية صحيحة واشتقاقها من شحنت البلد بالخير إذا ملأته بهـــا ، وقـــال الأزهرى : في كتاب لسان العرب لابن منظور : شحنة الكورة من فيهم الكفاية لضبطها من أولياء السلطان ؛ ابن منظور : لسان العـــرب ، المجلـــد الرابـــع ، ٢٢٠٩ ؛ الزبيدى : تاج العروس من جواهر القـــاموس ، القـــاهرة ، ١١٨٧هـ ، ج٩ ، ص٢٥١ ؛ أبو الحسن هلال بن المحسن الصابي : رسوم الخلافة ، عنى بتحقيقه والتعليق عليه : ميخائيل عواد ، (دار الرأي العربي ، ط٢ ، بيـــروت ، ١٩٨٦م) ، ص٩.

(٢) محمد محمود إدريس : رسوم السلاجقة ونظمهم الاجتماعية ، ص١٠٩-١١٠.

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج١١ ، ص٣١٦.

(٤) **الدواوين** : من المصطلحات الديوانية في المتون الخوارزمية ، وخاصة في سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى ، ويستنتج أن الدواوين الماضـــية مثـــل ديـــوان الاستيفاء ، وكذلك ديوان الرسائل والبريد ، وديوان المصاهرات ، وغيرها مـــن الدواوين كانت تقوم بالوظائف السابقة نفسها ، وكان من يكلف برئاســـة أعمـــال هذه الدواوين يطلق عليه «خاجية» أو «خاجية جهان» وهو يطلق بشكل خـــاص على ديوان الوزارة ؛ مريم ميرأحمدي : المرجع السابق ، ص٢٨٤.

الشخصية التالية للوزير ، ومن الواجب أن يتصف بالتدين ، والوفاء ، ومعاملة الناس بالحسنى وبجانب راتب الوزير له كذلك «١٠٪» من دخل البلدة التي يتولى وزارتها.

٢ – ديوان الرياسة «أمور السلطان» :

يرتبط ذلك الديوان بديوان الوزارة ، وتتركز مهامه في حفظ جميع الأحكام والأوامر الملكية ، ويرأسه عميد الملك[١].

٣ – ديوان الرسائل «الإنشاء» :

سبق وتحدثنا عن الاتساع الذي وصلت إليه الدولة الخوارزمية[٢]. التي أصبحت بحكم موقعها ومجاورتها لكثير من الدول والأتابكيات تقوم بتنظيم العلاقات الخارجية بإرسال مبعوثيها وسفرائها وتبادل المعاهدات مع القوى المجاورة ، أمثال : القراخطاى والغوريين وغيرهم ومن هنا جاءت أهمية هذا الديوان الذي اختص بتنظيم تلك الأمور ، وإرسال الفرمانات الشاهية إلى الأقاليم.

وكان يعرف صاحبه – كما ذكر النسوي في كتابه – بـ «صاحب ديوان الإنشاء» ويطلق على من يتولى الكتابة لقب «كاتب الإنشاء»[٣].

وكان رشيد الدين العمرى المعروف بالوطواط أشهر من تولى رئاسة ديوان الإنشاء ولقد تولاها ما يقارب من سبعة عشر عاماً[٤]. ومن

---

(١) مريم ميرأحمدي : المرجع السابق ، ص٢٨٤.

(٢) انظر : الفصل الثاني من الباب الثاني من الكتاب ، ص

(٣) حافظ أحمد حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول «غزو جنكيز خان للعالم الإسلامي وآثاره السياسية والدينية والاقتصادية والثقافية» ، ص٨٣ ؛ محمد بن أحمد النسوي : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى ، ص٣٢ ؛ حسين أمين : تاريخ العراق في العصر السلجوقي ، ص٣٦٧.

(٤) رشيد الدين الوطواط : حدائق السحر في دقائق الشعر ، ص١٦.

أشهر السفراء في الدولة الخوارزمية كذلك محمد النسوي المؤرخ لحياة السلطان جلال الدين منكبرتى[1].

- **مهام ديوان الإنشاء :**

تحرير المراسم ، وكذلك وثائق التولية والعقود والرسائل السرية ، وأيضاً السياسية ، ومن خلال تلك المهام ازدادت أهميته ، وتمثل ذلك في حضوره في مجلس السلطان الذي يعقد للتشاور في الأمور الداخلية والسياسية للدولة[2].

وذلك يعنى اختصاص هذا الديوان بالمكاتبات الرسمية للخلافة أو لعمال الولايات[3]. مما يجعله يختلف بعض الشيء عن ديوان البريد كما سنوضح فيما بعد.

- **مساعدو صاحب[4]. ديوان الإنشاء :**

يستعين صاحب الإنشاء بعدد من الكتاب والموظفين لكى يكتمل الشكل الوظيفي لهذا الديوان ومنهم :

أ - **كاتب الإنشاء :** ويشترط فيه الدقة في التلخيص ، والمهارة في قراءة الخطوط الغريبة ، وحسن العرض للموضوعات ، وغير ذلك من المؤهلات التي تتطلبها الأعمال الكتابية.

ومن أهم اختصاصاته : ترتيب الكتب وتلخيصها وعرضها على صاحب الديوان.

---

(١) حافظ أحمد حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص٨٣.

(٢) عصام الدين عبد الرءوف : المرجع السابق ، ص١٦٦.

(٣) فتحى أبو يوسف : خراسان تاريخها السياسي والحضاري من سقوط الحكم الطاهرى إلى بداية الحكم الغزنوى ، ص٢٠٧.

(٤) **صاحب** : يطلق على رؤساء الدواوين مثل : صاحب ديوان الإنشاء ، وكذلك صاحب ديوان البريد ، ولقد كان من صفات الخواص والعظماء في ذلك العصر ؛ مريم ميرأحمدي : المرجع السابق ، ص٢٨٧.

ب- **المراجعون** : ومن أعمالهم قراءة كل ما يكتب في الديوان ومراجعته وتصفحه ، وذلك قبل مراجعة صاحب الديوان له.

جـ- **الخطاطون** : يختصون بنقل الكتب من سواد النسخة الأولى وتبيضها.

د - **الخازن** : ذلك الذي يحفظ أصول المكاتبات التي ترسل إلى الديوان ، وخاصة الأمور الرسمية التي تصدرها الدولة ، وكان يحتفظ بسجل خاص للمنشورات ليسهل العثور عليها في وقت الاحتياج إليها ، وكذلك يسهل حصرها(١).

هـ - **السكرتير** : تتركز وظيفته في التسجيل وتنظيم الإحصاء وإعدادها وإظهار ذلك في السجلات المعينة ، ومن المؤكد وجود مناصب أخرى ، منها : «منشى النظر» ووظيفته إنشاء قواعد المناظرة وتسجيلها(٢).

٤ – ديوان البريد :

من الدواوين الهامة في أية دولة ، ويقترن بهذا الديوان بعض المصطلحات الإسلامية مثل صاحب الخبر والنهى وغيرها(٣).

ويعرف رئيس ديوان البريد بـ «صاحب البريد» ومقره في عاصمة الملك ويعد عمل رئيس الديوان من الناحية النظرية من الأعمال الدقيقة المهمة ، لذا فعليه أن يعهد لمن يعمل معه من أناس لا يرقي إليهم الشك بأي شكل من الأشكال إلى أيديهم ، وألسنتهم ، وأقلامهم.

وهذا ويربط نظام الملك الطوسي ما بين قوة الدولة الحاكمة ومدى عنايتها واهتمامها بتنصيب أصحاب الخبر والمنهيين ، ومن اختصاصاته – أيضاً – اطلاع السلطان على كل الأخبار التي ترد إليه من موظفيه المنتشرين في كل أنحاء البلاد(٤).

---

(١) عصام الدين عبد الرءوف : المرجع السابق ، ص١٦٧.

(٢) مريم ميرأحمدي : المرجع السابق ، ص٢٨٦.

(٣) بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولى ، ص٢٣١.

(٤) نظام الملك الطوسي : سياست نامة ، ص١٢٩ ؛ فتحى أبو سيف : المرجع السابق ، ص٢٠٩ ؛ عصام الدين عبد الرءوف : المرجع السابق ، ص١٦٨.

ولهذا الديوان عمال ونواب على كل الإقاليم لنقل أخبار تلك الولايات والأقاليم التابعة للدولة ، وذلك بكتابة التقارير وإرسالها إلى مركز الدولة حيث صاحب رئيس ديوان الإنشاء التابعيين له(١).

ولديوان البريد محطات يطلق عليها «السكك» تزود بالخيل وراكبيها ، وكل ما يحتاج إليه من أجل السرعة في إرسال تلك الرسائل(٢).

- **وظيفة الرسول «إيلجى»** :

وهي من الوظائف المتعلقة بديوان الإنشاء ، وكذلك ديوان البريد ، وهي وظيفة هامة تحتاج إليها الحكومة المركزية وكذلك الولايات والأقاليم من أجل توصيل الرسائل الرسمية ، وكذلك التقارير وأخبار المملكة ، وعلى الرغم من اعتباره منصباً إلا أن هذا المصطلح من الممكن أن يبقي في أسرة لقبا لها(٣).

٥ – ديوان المشرف :

ويقصد به الإشراف على الأمور المتعلقة بالدواوين ، ويتولى أمر ذلك الديوان مشرف مهمته مراقبة ما يحدث في الدواوين ، وكتابة التقارير للسلطة المركزية إذا احتاج الأمر ذلك ، وله مندوبون في كل الولايات ، ويعنى ذلك تركز أعماله في مراقبة الأجهزة الحكومية المسئولة عن الأموال الخاصة للأمراء وأوجه الصرف فيها(٤).

---

(١) نظام الملك الطوسي : المصدر السابق ، ص٩٤ ؛ فتحي أبو سيف : المرجع السابق ، ص٢٠٩.

(٢) البيهقي : تاريخ بيهق ، ص٤٣٧ ؛ عصام الدين عبد الرءوف : المرجع السابق ، ص١٦٨.

(٣) مريم ميرأحمدي : المرجع السابق ، ص٢٨٨.

(٤) حسن أمين : المرجع السابق ، ص٣٧٠ ، ملحق رقم (١٨) ، ويذكر أن ذلك الديوان مكمل لديوان الاستيفاء ، وكون هذا المشرف مثل المستوفي ، ويستطيع أن ينوب عنه في كل ولاية نائب بسمي «المشرف النائب» ، وهو بمثابة رئيس التفتيش المالي.

ومن الوظائف المتعلقة بذلك الديوان ما يلي :

أ – **وظيفة مهردار** : وهو المسئول عن الأختام السلطانية في البلاط الكبير فنظراً لانشغال السلطان عن توقيع بعض الأوامر ، وكذلك مندوبي ومسئولى الدولة الرسميين – حيث يتم إرسالهم في مهمات خاصة – بتصريح أو سند يطلق عليه اسم «بروانكى» وهو بمثابة تصريح مرور بداخل هذا التصريح يسجل اسم الشخص أو المندوب وكذلك وظيفته ، ولكي يكتسب هذا السند صفته الشرعية كانوا يختمونه بالختم السلطاني.

ب– **الطشتدار** : وقد تحدثنا عنه من قبل[1].

جـ– **آبدار** : وهم السقاة.

د– **دوتدار أو الدوادار**[2]: المسئول عن تحرير الكتابة.

٦ – ديوان الاستيفاء :

ووظيفة صاحبه – وذلك بمساعدة معاونيه وموظفيه – حصر أموال من يتولى الولاية أو منصباً كبيراً حيث يكتب هذا الشخص إقراراً على نفسه بالأموال والممتلكات التي في حوزته ، فإذا ما تم عزلهم يتولى المحتسب «والذي سوف نتحدث عنه في وقته» أو المستوفي بحصر

---

(١) انظر : الفصل الأول من الباب الثانى من الكتاب ، ص ، حاشية

(٢) الدوادار : اسم فارسي مركب من لفظين ، أحدهما عربي وهو الدواة ، والآخر دار ومعناه ممسك ، وصاحب تلك الوظيفة هو الذي يحمل دواة السلطان أو الأمير وغيرهما ويتولى أمرها مع ما يلحق ذلك من المهمات مثل تبليغ الرسائل من السلطان أو الأمير وإبلاغ عامه الأمور ، وتقديم البريد وغيرهما من المهام ؛ محمد النسوى : المرجع السابق ، ص٢١٨ ، حاشية(٥) ؛ المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج١ ، القسم الأول ، ص١٤١ ، حاشية١ ؛ القلقشندى : صبح الأعشى ، ج٤ ، ص٥ ، ١٩ ، ٤٦٢ ؛ مريم ميرأحمدي : المرجع السابق ، ص٢٨٩.

أموالهم ، فإذا ما ثبت حصوله على ذلك المال دون وجه حق تصادر تلك الأموال وتعاد إلى خزانه الدولة[1].

وذلك يعنى أن من مهام هذا الديوان – بجانب ما سبق – جمع الضرائب ، وضبط دخل الدولة وخراجها ، فهو لذلك اشمل من ديوان الخراج[2].

وممن تولى منصب المستوفي في خوارزم «محمد بن منصور أبو سعد المستوفي» الذي لقب بـ «شرف الملك» ، وتوفي عام ٤٩٤هـ/١١٠٠م[3].

- **أهم موظفي الديوان**

صاحب الخزانة «الخاندار أو الخازن» :

وهو المشرف على ديوان المال ، ويساعده في ذلك محاسبون يقومون بتسجيل الوارد والمنصرف من الأموال[4]. وذلك يعنى أن موارد الدولة كانت عبارة عن تلك الضرائب التي تفرض من قبل السلطان على حكام الأقاليم التابعين للدولة وكانت قيمة تلك الضرائب تختلف من إقليم إلى آخر حسب ثروته ، وإن كان الجزء الأكبر من الضرائب المفروضة على تلك الأقاليم يدخل معظمها في خزانه حكام الأقاليم ، وخاصة في الفترة الأخيرة من الدولة عندما كانت تعانى من الضعف والانهيار[5].

---

(١) البيهقي : تاريخ بيهق ، ص١٣٦ ؛ عصام الدين عبد الرءوف : المرجع السابق ، ص١٦٧.

(٢) فتحى أبو سيف : المرجع السابق ، ص٢١١.

(٣) ابن الجوزى : المنتظم من تاريخ الملوك والأمم ، ج٩ ، ص١٣٨.

(٤) محمد النسوى : المصدر السابق ، ص١٤٨ ، ٢٤٩ ، حاشية٧.

(٥) نظام الملك الطوسي : المصدر السابق ، ص٢٩٧ ؛ حافظ أحمد حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص٨٤.

ولقد كان لدى العاملين بديوان الاستيفاء دفاتر مقيد بها أسماء من يدفعون الخراج ، ويسجل أمامهم كذلك كمية الخراج الذي ينبغي علـيهم دفعه وما تبقي عليهم ... إلى غير ذلك ، وكان يطلق على تلك الدفاتر اسم «أوارج»[1].

ويذكر نظام الملك الطوسي أن لكل دولة خزانتين الأولى : يطلق عليها خزانة الأصل ، وهي التي يحول إليها كل الأموال المحصلة مـن الضرائب وغيرها ، ولا يتم الإنفاق منها إلا في الضرورة القصوي ، أو على سبيل القرض الذي يعاد إليها مرة أخرى ، والثانية : يطلـق عليهـا خزانة الإنفاق.

ولم يكن الملوك ينفقون مما كان يدخل خزانته من دخل الولاية ، وذلك لكي تؤدي النفقات في أوقاتها ، وبالتالي لا يحدث أي خلـل أو أي تقصير في أداء العطاءات لذلك تظل الخزانة عامرة دائماً[2].

٧ – ديوان الحفظة «الشرطة» :

في البداية نجد أن المهام الدينيه ، وكذلك السياسية تحـتم علـى الولاة والأمراء والسلاطين إعداد جيش قوى قادر على حمايـة أطـراف البلاد وفرض سيطرته على ما حوله من المناطق المجاورة ، وتعتمد القوة العسكرية في الدرجة الأولى على القوة البشرية وأكثـر المنـاطق التـي تتواجد فيها تلك القوى هي الأقاليم الشرقية الخام البكر ، كما يطلق عليها في منطقة خوارزم وما وراء النهر[3].

---

(١) آدم متز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجرى ، ص١٩٢ ؛ فتحى أبـو سيف : المرجع السابق ، ص٢١١.

(٢) نظام الملك الطوسي : سياست نامه ، ص٢٩٧.

(٣) قحطان عبد الستار الحديثي : أرباع خراسان ، ص١٥٩.

وخاصة أن من السمات المميزة للدولة الخوارزمية أنهـا دولـة عسكرية من الطراز الأول ، استطاعت بقوتها العسكرية البشرية أن تصل إلى أقصى اتساع لها على مدى قرن ونصف القرن تقريباً.

من النقاط الهامة التي نتناولها في ديوان الشرطة ، ما يأتي :

أ – كيفية الانضمام إلى الجيش :

يعد هذا الديوان من أهم الدواوين وأعظمها في الدولة الخوارزمية ، وذلك لكونها دولة عسكرية – كما سبق وذكرنا – من الدرجة الأولى ، حيث أخذ سلاطينها على عاتقهم توسيع أركان الدولة حتى صارت شاسعة ممتدة الأرجاء. ويختص هذا الديوان بتدبير كل ما يلزم الجيش من أسلحة وذخائر وعتاد وأموال(١).

أما عن الانضمام إلى هذا الجيش فيتم عن طريق الانـدماج فـي الخدمة العسكرية حباً في الجهاد وسعياً وراء الأجر(٢). أو عـن طريـق الرق والشراء بالمال(٣). وهناك من ينضم إلى الجيش المـنظم بمحـض إرادته لإثبات فروسيته ، وإن كان ذلك من فعلة الأمراء(٤).

ب – العناصر البشرية التي يتكون منها الجيش :

يتضح من خلال أسماء القواد العسكريين أن معظمهم من الترك. ودليلنا على ذلك أننا نجد في عهد الأمير أبي الحارث محمد بن على بـن مأمون بن محمد خوارزمشاه قائداً فـي الجـيش الخـوارزمي ، وهـو «خمارتاش» والذي كان عدد جيشه في ذلك الوقت ما يقارب من ٥٠ ألف فارس(٥).

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج٤ ، ص١٢ ؛ حـافظ أحمـد حمـدي : الدولـة الخوارزمية والمغول ، ص٨٤.

(٢) الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص٢٩١.

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص٣٩٠.

(٤) الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص٢٩٢ ؛ قطحان عبد الستار الحديثي : المرجع السابق ، ص١٥٩.

(٥) المنينى : تاريخ العتبي ، ج٢ ، ص٣٥٦ ؛ البيهقي : تاريخ بيهق ، ص٧٤٤.

ويقصد بهم – على وجه أوضح وأشمل – القبائل التركيـــة التـــي كانت تتجمع حول رئيسها وتفعل ما يميله عليها ، وهـــم جنـــد مرتزقـــة مأجورون يحاربون مع الجيش الذي يقدم لهم أكثر الأموال ، وكان السبب وراء الاستعانة بهم هو ما كانوا عليه من الجرأة في القتـــال والاعتـــزاز بالنفس والكبرياء والاستقلال في الفكر إلى جانب ما كان فيهم من صفات البدو إلى جانب ميلهم إلى السلب والنهب ، وبالتالي فهم في حاجة إلى يد من حديد من أجل السيطرة عليهم ، ومن تلك القبائل نجـــد : «كجـــات – جغراق – خفجاق»(١).

وبالتالي فقد كان جيش المرتزقة هو الدعامة الوحيدة «للعـــرش» لذا فقد اضطر السلطان الخوارزمي علاء الدين محمد من أجل مصـــلحته ومصلحة بلاده أن يمنحهم الأسبقية على العناصر الدينية(٢).

وبجانب القبائل التركية هناك عنصر آخر كان له تاريخه منذ أن وطئت أقدام العرب إقليم خوارزم ، ألا وهو عنصر الخوارزميين الـــذين اشتهروا بالمقدرة العسكرية في إقليمهم ومدينتهم خوارزم التي تعتبر مـــن مدن الثغور الهامة التي تحرص على حماية حدودها ، ودليلنا على ذلك ما حدث أيام القائد قتيبه بن مسلم الباهلى عند ذهابه إلى الإقليم ومحاولة فتحه ونشر الدين الإسلامي ، وتثبيت التواجد العربي به ولقد تم له ذلك إلى حد ما ، لذا فقد كان في جيشه الأساسي من العناصر المحلية ، وإن كان لـــم يحدد عدد من خرج معه من خوارزم بل دمجه مع خرج من بخارا تحت بند العناصر المحلية ، ويتمثل في ٢٠٠٠٠٠ مقاتل تقريباً(٣).

---

(١) البيهقي : تاريخ بيهق ، ص٣٤ ، ٨٨.

(٢) بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولى ، ص٥٣٨.

(٣) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص٢٨٧ ؛ الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٤٧٣ ؛ ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، المجلد الثالـــث ، القسم الأول ، ص١٣٨ ؛

Gibb : the Arab canquest in central Asia, p.48.

• **الجيش المركزي «الملكي» :**

يتمثل في تلك الفرقة الخاصة بالملك أو السلطان التي تدافع عنه وعن البلاد وفي حالة احتياجهم إلى مدد فليس هناك قوانين لجمع الجيش فيرسلون إلى الأقاليم التابعة لهم ، وفي بعض الأحيان وعند اشتداد الأزمات يتم الجمع لهذا الجيش من الأقاليم المجاورة بصورة إجبارية وتكون السلطة تحت يد الحاكم الأعلى وهو الملك.

ونظراً لكونه الدولة دولة عسكرية من الدرجة الأولى فقد كان الاهتمام كبيراً بتلك الشخصيات التي تتولى تلك المناصب.

الوظائف الهامة في ديوان الشرطة :

أ – القائد الأعلى «صاحب الشرطة» :

يعتبر صاحب الجيش أو «صاحب الشرطة» المسئول عن جيوش الدولة[1]. فيشرف على الأجناد وخيولهم إذا ما خرجوا للقتال ، ولكن يجب إلا نعتقد أن هناك جيشاً ثابتاً قوياً للخوارزميين ، وذلك لاحتوائه على عناصر مختلفة لا يربطها رابط ، لذا لم يثق الخوارزميون في جيشهم كل الثقة ، وكان السلطان في الغالب يقود الجيش بنفسه ، ويلازمه حرسه الخاص به[2]. وكذلك حامل المظلة.

وعلى الرغم من أن للجيش ديواناً خاصاً به يشرف على شئونه العسكرية وكذلك مهامه الإدارية إلا أن المصادر لم تذكر أيه معلومات عن رواتب هؤلاء القواد وجنودهم[3].

---

(١) محمد النسوى : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى ، ص١٠٤ ؛ حافظ أحمد حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص٨٤.

(٢) الراوندي : راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية ، ص٥١٢ ؛ حافظ أحمد حمدي : المرجع السابق ، ص٨٥.

(٣) الثعالبي : يتيمة الدهر ، ج٤ ، ص٧٠ ؛ قطحان عبد الستار الحديثي : المرجع السابق ، ص١٨٢.

ب – وظيفة اسفهسلار :

وهو قائد الجيش ويلي في مرتبته مرتبة صاحب الجيش «القائد الأعلى»[1].

جـ – العارض :

من الوظائف الهامة في الجيش ولقد ذكر في المرجع الفارسي صاحب أعلى منصب في الجيش بعد السلطان وذلك يتعارض مع ذكره النسوي المعاصر للدولة كما سبق وأوضحت[2].

أهم مهامه :

إعداد الخطط الحربية ، وكذلك الإحصاء الدقيق لأفراد الجيش ، ومسئوليته الكاملة عن الأمور المالية للجيش ، إلى جانب صلاحيته لعزل الجنود وتوليتهم وإنقاص أجورهم ورواتبهم[3]. ولا بد أن يكون ملماً بحوائج الجند ومطالبهم الحربية ، وكذلك أسلحتهم ، وعلى هذا الأساس يطالب خزائن السلاح بإمدادهم بأدواتهم العسكرية ، وغير ذلك من المهمات العسكرية[4].

ويقع تحت إشرافه طائفة الفرسان والرجالة تلك التي تقوم بوظائفها كاملة وبالنسبة للجند المؤقتين «الجنود المرتزقة» فكانوا تابعين للحكام المحليين أو زعماء قبائلهم.

---

(١) **أسفهسلار** : لفظ مركب من لفظين ، الأول فارسي وهو «أسفه» بمعنى المقدم ، والثاني تركي «سلار» ويعنى العسكر فيكون معناه مقدم العسكر «أي قائد الجيش» ؛ حسن باشا : الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار ، ص١٥٦ ؛ النرشخي : تاريخ بخاري ، ص١٣٢ ؛ قحطان عبد الستار الحديثي : المرجع السابق ، ص١٧٨.

(٢) مريم ميرأحمدي : المرجع السابق ، ص٢٩٠.

(٣) مريم ميرأحمدي : المرجع السابق ، ص٢٩٠ ؛ قحطان عبد الستار الحديثي : أرباع خراسان ، ص١٨٣.

(٤) قحطان عبد الستار الحديثي : المرجع السابق ، ص١٨٣.

وفي العصر الخوارزمي كان «ضياء الملك علاء الدين محمد بن مودود النسوي» متولياً منصب عارض الجيش أو صاحب الجيش ، كما كانوا يطلقون عليه تلك الصفة الأخيرة[1].

د – قاضي الجيش :

وتتركز وظيفته في مراقبة الأمور الشرعية للجيش وكذلك رفع المشكلات المذهبية ثم تدرجت بعد ذلك وشملت تنظيم دفاتر الجيش العسكري وشئونه المالية حسب الأمور الشرعية وذلك بناءً على القرار الذي أخذه على نفسه من أجل الأمور الشرعية ، ولقد ظل هذا المنصب متواجداً في العصر الخوارزمي ، إلى جانب مسئولياته الملكية السالفة الذكر ، ومن قضاه الجيش : صدر الدين خجندى «قاضي الجيش بنيسابور»[2].

هـ – مين دار ، يوندار ، واون دار :

من الوظائف الهامة في الجيش ، ويكون تحت إمره الأول «مين دار» ١٠٠٠ شخص ، والثاني «يوندار» ١٠٠ شخص ، أما الثالث «أون دار» ١٠ أشخاص في الجيش تقريباً ويكون الثلاثة متصدين للخاصة وتعتبر وظائفهم تلك عهداً ملكياً وذلك يعنى أن وضعهم في تلك الوظيفة يتم عن طريق السلطان أو من ينوب عنه.

ولقد ظلت تلك المناصب النظامية موجودة في حكومة الترك ، وظل استعمالها حتى عصر قاجار في الشئون الملكية[3].

وبجانب ما سبق من الوظائف الهامة في ديوان الشرطة توجد بعض العناصر الأخرى التي يمكن اعتبارها عناصر مساعدة ومساندة بسيطة ، ولكن لا يمكن الاستغناء عنها.

---

(١) مريم ميرأحمدي : المرجع السابق ، ص٢٩٠.

(٢) مريم ميرأحمدي : المرجع السابق ، ص٢٩٠.

(٣) مريم ميرأحمدي : المرجع السابق ، ص٢٩١.

جربكجى :

وهو من الاصطلاحات العسكرية ، فيكون له مطلق اليد على الجنود الذين يخرجون في الحملات العسكرية ويكون صاحب ذلك المنصب مثل سابقة بعهد ملكى[1].

نقبجى :

وهم النقابون ، وهو ذلك الشخص صاحب القبضة العليا على القلعة ، إلى جانب جماعة من المهندسين وصانعى وممهدى الطرق المرافقين للجيش ، ولهؤلاء النقابين مساعدون وآلات خاصة بهم[2].

الجلاد «جاندار»[3]:

من الوظائف المهمة بين المناصب العسكرية في دولة خوارزمشاه ، ففي وثيقة تحمل اسم السلطان علاء الدين تكش يرد ذكر ذلك الشخص بين كبار حشم السلطان الخوارزمي ، وفي عهد السلطان علاء الدين محمد كان يعمل بتلك الوظيفة شخص يدعى «إياز» وهو ذلك المكلف بتنفيذ أحكام الإعدام ولقد لقب «جهان بهلوان» أي : «بطل العالم» ، وكانت تحت قيادته فرقة مكونة من ١٠ آلاف فارس[4].

---

(١) مريم ميرأحمدي : المرجع السابق ، ص٢٩٢.

(٢) مريم ميرأحمدي : المرجع السابق ، ص٢٩٢.

(٣) **الجاندارية** : لفظة مركبة من لفظين فارسيين ، أحدهما : جان ، ومعناه سلاح ، والثاني : دار ، ومعناه ممسك ، أي «حامل السلاح» وهناك أيضاً وظيفة أمير جاندار السلطان ، تعنى أن صاحبها يستأذن على دخول الأمراء للخدمة ، ويدخل أمامهم في الديوان ؛ المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج١ ، القسم الأول ، ص١٣٣ ، حاشية(١) ؛ القلقشندى : صبح الأعشى ، ج٤ ، ص٢ ، ج٥ ، ص٤٥٩ ؛ محمد النسوى : المرجع السابق ، ص٢٦٥ ، حاشية(٣).

(٤) بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص٥٣٩.

ويرتبط بتلك الوظائف وأشخاصها نظام :

- **الاقطاعات العسكرية :**

لقد اتسع نطاق الاقطاعات العسكرية على عهد السلاطين السلاجقة ، ثم ظل معمولاً به في دولة شاهات خوارزم ، وخير مثال على ذلك ما حدث في عهد السلطان علاء الدين تكش ، من وجود أحد القواد والذي تم بتعيينه حاكما لمدينة «بارجنلفكنت» وكذلك منح قريَة من كبريات قرى المقاطعة ، وهي «رباط طغاغيين» عن طريق ديوان الشرطة بمرسوم على سبيل الإنعام.

ومثال آخر : وهو تسلم ابن السلطان الخوارزمي تكش ، وهو الأمير «يغان دغدى» أرض ملك خاصة له معفاة من الضرائب «قرية نوخاس» تلك التي أعلنت بموجب الشرع ملكاً مطلقا لا صاحب له.وأمثلة أخرى عديدة قد ذكرت لدى محمد النسوي ، ومنها : مقطع ساوه لبهاء الدين لـ «شكر» ومقطع كاشان لـ «نور الدين جبرئيل» ، ومقطع سنان لـ «شامى» وأخيراً مقطع كرج لـ «سيف الدين»[١].

- **بيت السلاح «السلاح خانه» :**

وهو يتبع ديوان الشرطة وهو أعظم البيوت وأهمها ، ويتولى أمرها رجل يعرف بـ «السلاح دار» وتتركز مهمة هذا الشخص في حفظ ما يدخل إليها وكذلك ضبط ما يخرج منها مما يتسلمه من أنواع متعددة من السلاح ويقوم بالعمل معه عدد من كبار الصناع الذين يعملون بإصلاح الأسلحة وإعدادها[٢].

---

(١) مريم ميرأحمدي : المرجع السابق ، ص٢٩٢ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص٥٣٩.

(٢) النويرى : نهاية الأرب في فنون الأدب ، الجزء الثامن ، ص٢٢٧ ؛ محمد النسوي : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى ، ص٥٦ ، حاشية(١) ، ص١٤٤ ؛ حافظ أحمد حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص٨٤.

• **جريدة لشكر «جريدة الجيش»** :

وهي جريدة خاصة لاستقصاء الأمراء النظامي ، وتعداد الجنود الموجودين في الجيش وتثبيت أسمائهم في هذه الجريدة ، ويقيد بها أسماء الأفراد الحاضرين وكذلك الغائبين ، وواقع الوفيات ، والفارين وغير ذلك من الأعضاء الدائمين ، وكذلك رسوم الجيش في العاصمة أو «دار الملك» ، ومراكز أخرى مختلفة.

ولقد كان هذا السجل مهيئاً للعمل على الدوام ، حيث يحفظ في الإدراج لحين إرساله في وقت التعهد ، أو إرساله للملكية ، ويدون بها أيضاً مقدار العلوفات والتجهيزات والتداركات وهناك أمور أخرى مرتبطة بالجيش ومن هذه المشاغل الخاصة بالاصطبل والمربين والأفراد الموجودين في خدمة ذلك[1].

٨ – ديوان الحسبة «الحساب أو الاحتساب» :

يرتبط نظام الحسبة عند الخوارزميين بنظامهم القضائي «والذي سوف نتحدث عنه فيما بعد».

وتتمثل مهام هذا الديوان في المحافظة على النظام في الشوارع والأسواق ومحاسبة من يخرج عن الشريعة الإسلامية ، وكذلك تحديد أسعار الأشياء ومنع الغش وأحكامه تكون علنية[2].

المحتسب «والى الحسبة ومهامه» :

وهو موظف يتم تعيينه عن طريق الخليفة أو الوزير أو القاضي من أجل النظر في شئون الحسبة في الدولة الإسلامية[3]. وكذلك بشكل

---

(١) مريم ميرأحمدي : المرجع السابق ، ص٢٩١.

(٢) سهام مصطفي أبو زيد : الحسبة في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى نهاية العصر المملوكى ، تقديم : سيدة إسماعيل الكاشف : (الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦م) ، ص١٠٥.

(٣) مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط ، ج١ ، ص١٧٢ ؛ سهام مصطفي أبو زيد : المرجع السابق ، ص١٠٥.

محدود النظر في شئون الرعية ، وذلك بما يتوافق مع الشـرع وينهـاهم عمنا يخالف أعمالهم سواء الدنيوية ، وكذلك الدينية ، وهو ما ليس مـن اختصاص الولاة والجباه والقضاة ، ويدخل في نطاقه الأمر بـالمعروف والنهي عن المنكر في كل ما يتعلق بالمسلمين في الأسواق ومجتمعـاتهم وعلاقاتهم ببعضهم البعض.

ويقع على عاتقه أيضاً تعيين من يراه مناسباً لذلك من الأعـوان والأنصار[1]. كذلك مراقبة حركة البيع والشراء وذلك من خلال صـحبته لبعض رجال الشرطة في الأسواق من أجل مراقبة المكاييل والموازيين ، لضبط من يحاول الغش فيها ، ويشمل ذلك مراقبة المأكولات المختلفـة ، ويوقع العقوبات على من يبيع طعاماً فاسداً ، كذلك المحافظة على النظام في الأسواق ، وذلك بأن يحول دون بروز الحوانيت في طرقاتهـا ممـا يعوق نظام المرور[2]. إلى جانب نظره في تلك القضايا التي تتعلق بالنظام العام ، وأيضاً الجنايات ، وهي التي يحتاج الفصل فيها إلـى السـرعة ، وهذا يخالف اختصاصات القاضي الذي يقوم بفض المنازعات التي ترتبط بالدين بوجه عام[3].

الشروط الواجب توافرها في المحتسب :

أ – أن يكون مؤمناً ، مكلفا من أولي الأمر حتى يشعر أنه يؤدي واجبـه على الوجه الأكمل ويحاسب إذا قصر في أداء واجبه ، ولكـن فـي حالة عدم تكليفه لا يكون ملزماً بالقيام بالأمر والنهى ولا يجـد مـن يحاسبه.

---

(١) محمد النسوى : المرجع السابق ، ص١٧٢ ، حاشية(١) ؛ سهام الدين مصـطفي أبو زيد : المرجع السابق ، ص١٠٥.

(٢) حسن إبراهيم حسن ، على إبراهيم حسن : النظم الإسلامية ، ص٣٥٥ ؛ حـافظ أحمد حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص٨٥.

(٣) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي ، ج٣ ، ص٣١٦ ؛ حـافظ أحمـد حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص٨٥.

ب – أن يكون قادراً على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ذا رأي وصرامة.وأن يكون أمره عن علم ومعرفة وفقه بالدين وبأحكام الشريعة وذلك لكي يعلم ما يأمر به وينهى عليه الحسبة.

جـ- أن يكون عارفا بكل أنواع المهن والوظائف والحرف ، خبرة في الموازين والمكاييل ، وذلك لكى يتوصل إلى حل مع الباعة في حالة الغش والتدليس ، ويتمكن من التمييز ما بين الصحيح وغير الصحيح يتصف بالعفاف والثقة عفيفاً عن أموال الناس وهداياهم.

د – أن يكون قاصداً في قوله وفعله وجه الله تعالى وطلب مرضاته ، خالص النية ، شيمته الرفق ، لين القول طلق الوجه بشوش ، حسن الخلق عند أمره للناس ونهيه لهم ، فذلك أبلغ لاستماله القلوب متأنياً غير مبادر في العقوبة ، وبالتالي لا يؤاخذ أحد من أول ذنب يصدر منه ، ولا يعاقب بأول ذلة.

هـ- وأخيراً يكون متحلياً بالحلم والصبر على ما يصيبه من الأذى ، مواظباً على سنن الرسول ، وذلك من حيث الطهارة والنظافة في أداء الفرائض والواجبات(١). ولقد تولى الفقيه الفاضل «عالى الدين الخياطي» وظيفة المحتسب في خوارزم(٢).

أعوان المحتسب :

نظرا لتضخم واجبات المحتسب الدينية والاقتصادية ، وكذلك الصحية وبالتالي يكون له الحق في اتخاذ المساعدين والأعوان ، وهو

---

(١) ياقوت الحموي : معجم الأدباء ، (الطبعة الأخيرة منقحة ومضبوطة وفيها زيادات ، القاهرة ، د.ت) ، ج١٩ ، ص٣٢-٣٣ ؛ رشيد الدين الوطواط : مجموعة رسائل الوطواط ، ج١ ، ص٨٠ ؛ سهام مصطفي أبو زيد : الحسبة في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى نهاية العصر المملوكى ، ص١٠٦-١٠٩.

(٢) محمد النسوي : سيرة السلطان جلال منكبرتى ، ص١٧٢.

الوحيد الذي له الحق في تعيينهم وفي بعض الأحيان يطلق عليهم العرفاء أو النواب[١].

ويتم اختيار من توفر فيهمن الخبرة في الصناعة أو التجارة وله الحق أيضاً في أن يتخذ عيوناً في الأسواق لتوصيل الأخبار إليه متضمنة أحوال السوق والتجار والصناع هذا ومن واجب المحتسب أن يعرفهم كيف يتصرفون ويعملون إذا أرادوا طلب أحد التجار حيث يجب عليهم ألا يرسلوا في استدعائه إلا بعد مشاورة المحتسب إلى جانب عدم أخباره بسبب طلبه للحضور. ومن حقه أن يحاسبهم إذا أخطأوا ويكون راتبهم من بيت المال نظير تلك الأعمال التي يقومون بها[٢].

٩ – ديوان الأوقاف :

يتولى أمر هذا الديوان شخص يطلق عليه «مهتم الأوقاف» ويندرج تحت هذا الديوان المؤسسات الدينية والخيرية ، ومنها المدارس والمكتبات والمستشفيات ، حيث يصرف عليها من خلاله ، وكانت الحكومة علاوة على ذلك تخصص مبلغا محدداً كل عام لتنفق منه على المرافق العامة لرفاهية الناس.

١٠– ديوان القضاء :

نظراً لأهمية القضاء وديوانه في الدولة الخوارزمية فقد عين الخوارزميون في كل مدينة قاضيا يحكم بين الناس حسب الشريعة الإسلامية ، وإن كان الأمر يختلف في المدن الكبرى ، والتي تشتمل على أكثر من مذهب بين سكانها ، لذا فقد عين الخوارزميون أكثر من قاض حتى يتناسب ذلك مع تعدد المذاهب[٣].

---

(١) حسن إبراهيم حسن ، على إبراهيم حسن : النظم الإسلامية ، ص٣٥٥ ؛ سهام مصطفي أبو زيد : المرجع السابق ، ص١٢٥.

(٢) سهام مصطفي أبو زيد : المرجع السابق ، ص١٢٥ ، ١٢٨-١٢٩.

(٣) محمد النسوى : المرجع السابق ، ص٧٧ ، حاشية(٧) ؛ حافظ أحمد حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص٨٥ ؛ محمد أحمد الحوفي : الزمخشرى ، ص٢٥.

- **صفات القاضي** :

التجابة ، والزهد ، والورع ، والتدين ، والعفة ، والإقبال على العلم الرفيع وتجنب مواضع الآثام ، والعدل[1].

- **مهام القضاة** :

يعتبر القاضي هو الحكم في القضايا المذهبية ، وإصدار الأحكام الشرعية ، وأيضاً كل ما يتعلق بالإرث والزواج ، وفي بعض الأحيان يمكن أن يكون القاضي خطيباً إذا دعته الظروف إلى ذلك ، وخاصة أن الخطباء يتولون الوعظ والإرشاد والخطابة. وكان بداخل البلاط السلطانى خطباء من أجل إنشاد الشعر وقراءة الرسائل ، وكان الخطيب يتمتع في الولايات بسلطات أكبر ومن أشهر هؤلاء «برهان الدين صدر جهان» الذي كان له شهره كبيرة وطيبة.

وفي بعض الأحيان تكون الصلات طيبة ما بين القاضي ورئيس الناحية والبعض يتمردون على حاكم المدينة.

وهناك إشارة في الدولة الخوارزمية إلى قاضي المنطقة ، وكذلك قاضى المدرسة ؛ وهو من يقوم بتدريس العلوم الدينية في المدارس والمساجد[2].

ومن قضاة خوارزم : «صاعد بن إسماعيل بن صاعد» والمقلب بـ «أبي العلاء الخطيب» ، من أهل نيسابور ، توفي عام ٥٠٦هـ/١١١٢م[3].

---

(١) رشيد الدين الوطواط : مجموعة رسائل رشيد الدين الوطواط ، ط١ ، القاهرة ، ١٣١٥هـ ، ج١ ، ص٧٩.

(٢) محمد النسوى : المرجع السابق ، ص٢٩ ؛ مريم ميرأحمدي : المرجع السابق ، ص٢٨٨.،

(٣) ابن الجوزى : المنتظم في تاريخ الملوك ، ج٩ ، ص١٧٢.

رئيس ديوان القضاء «قاضي القضاة» :

ويشترط فيه أن يكون على درجة عالية في فهم أمور الدين وأحكامه وكان أغلب من شغل تلك المناصب فقهاء المذهب الفقهية المعروفة من شافعية وحنفية ومالكية وحنبلية[١]. ومثال على ذلك القاضي «صدر الدين محمد بن الوزان» رئيس الشافعية بمدينة الري ، والذي عينه السلطان علاء الدين تكش[٢].

كذلك ينظر في القضايا الخاصة ذات الأهمية العظمى في الدولة مثل نظرة في تعسف عمال الولايات وجورهم ، وخاصة إذا لم ينظر فيها أمراء تلك الدولة[٣].

أما عن بقية الجهاز القضائي فنجده يمارس مهامه في تلك القضايا التي تعرض عليه ، حيث يمكن تصنيفها إلى : قضايا تتعلق بالدولة وشئون ماليتها ، مثل : امتناع شخص عن دفع الخراج أو بعض الضرائب ، حيث يحكم القاضي بإجباره على الدفع أو السجن ، وقضايا أخرى تتعلق بحدود الدين ، وفيها يأمر القاضي بإقامة الحدود ، وأخرى تتعلق بالمعاملات بين الناس حيث يعتمد القضاة فيها على الشهود العدول من أجل الوصول إلى البينة التي هي أساس الحكم[٤].

١١- ديوان المظالم :

ويرتبط بديوان القضاء السابق ، وهو هيئة قضائية عليا «تشبه في الوقت الحاضر محكمة الاستئناف» ويطلق على رئيس ديوان المظالم «صاحب المظالم» وسلطته أعلى بكثير من سلطة القاضي[٥].

---

(١) محمد النسوي : المرجع السابق ، ص٧٧ ، حاشية(٤) ؛ بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص٢٣٢ ؛ فتحى أبو زيد : المرجع السابق ، ص٢١٠.

(٢) الراوندي : المصدر السابق ، ص٥٣٤.

(٣) فتحى أبو سيف : المرجع السابق ، ص٢١٠.

(٤) فتحى أبو سيف : المرجع السابق ، ص٢١١.

(٥) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي ، ج٣ ، ص٣١٤ ؛ حافظ أحمد حمدي : المرجع السابق ، ص٨٦.

أما بالنسبة للقضايا الكبرى التي لها أهمية قصوى فيتولى السلطان أمرها وينظر فيها في اغلب الأمور بنفسه حيث يعرضها عليه رجل يدعى «القصة دار» وذلك كل ليلة جمعة من كل أسبوع[١].

ثالثاً : **حكام الأقاليم** :

لقد عهد شاهات خوارزم بحكم الأقاليم التابعة لدولتهم إلى رجال قد أطلق على الكثير منهم لقب الوزير ، وهم حكام لتلك الأقاليم ، هذا ولقد كان الوزراء في تلك الأقاليم تسند إليهم الوزارة ، وهي إقطاعات خاصة بهم ، ومنحة من السلطان لهم فيستولون على دخلها وتكون لهم بمثابة الضيعة إلى جانب مرتباتهم[٢].

ونجد وزير تلك المقاطعة ملزماً بالدفع لخزانة الدولة سنوياً عشر خراج الإقليم الذي يحكمه[٣].

وهناك مصطلحات خاصة بحكام الأقاليم ، ومنها : الرئيس : وهو حاكم المنطقة الذي تم انتدابه رسميا للحكومة في الولايات والأقاليم ، وكان واجبهم تنظيم الأمور العامة الإدارية والعسكرية ، وخاصة فيما يتعلق بالعاصمة الأم ، ومن هؤلاء في العصر الخوارزمي : رئيس أصفهان «صدر الدين خجندى».

وذلك يعنى أنه منصب من المناصب الهامة في الدولة ، إلى جانب أنه يمكن أن يطلق اسم «الرئيس» على حاكم المدينة أيضاً ، ومن المحتمل أن يكون لديه رخصة بجمع أموال الجباية من المدينة[٤].

---

(١) حافظ أحمد حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص٨٦.

(٢) محمد النسوي : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى ، ص٨١ ، حاشية٣ ، ص١٤٩ ؛ حافظ أحمد حمدي : المرجع السابق ، ص٨٢.

(٣) محمد النسوى : المرجع السابق ، ص١٥٣ ؛ حافظ أحمد حمدي : المرجع السابق ، ص٨٢.

(٤) مريم ميرأحمدي : المرجع السابق ، ص٢٨٦.

كذلك من الوظائف المتعلقة بحكام الأقاليم وظيفة صاحب «أي الأمير» أو الشخص الاقطاعى المسئول عن حكم تلك الولاية ، ومن الممكن أن يكون مندوبا عن الدولة ، أو عن جيش في الولاية ، لذا فقد كان نفوذه ممتداً ، والأمثلة على ذلك كثيرة منها : صاحب بلخ «عماد الدين» وصاحب ترمذ «ملك بهرامشاه» ، وصاحب باميان «علاء الدين»[1].

وكل ما سبق – بالنسبة لتلك الوظيفة – يدل على مدى الاتساع الذي وصلت إليه تلك الدولة ، ولكن ما إن زالت هيبة الدولة أصبح حكام الأقاليم شبه مستقلين عن السلطان ، لا يبعثون إليه إلا النذر القليل ، ونجد السلطان ليس أمامه في تلك الحالة إلا الموافقة مجبراً.

ومن الممكن أن يكون هناك سبب آخر لتصرف حكام الأقاليم هذا ،وهو أن الدولة كانت تجمع الأموال من البلاد التي تدخل تحت أيديهم بحد السيف ، سواء أكانت تلك البلد قد دخلت تحت حكم الخوارزميين المباشر أم تلك التي ترك فيها الخوارزميون حكامها في مناصبهم وذلك نظير جزية سنوية مثل : أتابكى فارس وآذربيجان[2].

يتضح من خلال عرضنا السريع لنظم الحكم والإدارة في الدولة الخوارزمية أنها إلى جانب كونها دولة عسكرية من الدرجة الأولى استطاعت بجيوشها توسيع أملاكها – أيضاً – أنها دولة امتازت بسلاطين عظام اهتموا إلى حد كبير بشئون الدولة الداخلية من خلال تعيين موظفين لهم مكانتهم ومساندين للسلطان الخوارزمي «رأس الدولة» في كل شئونها ، ومن خلال كذلك مجموعة من الدواوين لم تترك صغيرة ولا كبيرة إلا وقامت بمعالجتها وترتيب أمورها فظهرت دولة قوية ذات كيان متماسك ما يقارب قرن ونصف القرن.

---

(١) مريم مير أحمدي : المرجع السابق ، ص٢٨٧.

(٢) حافظ أحمد حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص٨٤.

الخاتمة

الخاتمـــــة

نختتم تلك الدراسة ببعض النتائج الآتية :

١- تمتع تلك المنطقة ، وخاصة خوارزم بموقع جغرافي ممتاز ، فعلى الرغم من تطرفها وبرودتها الشديدة إلا أنها منطقة وصل ، ونقطة تلاقي لأغلب الطرق التجارية سواء الآتية من الهنـد أو السـند ، وكذلك تمتعها بكثرة الثروات سواء أكانت زراعية أم حيوانيـة أم معدنية إلى حد ما لقلة المعادن بها إذا ما قورنت ببلاد الصغد.

٢- امتازت أيضاً بالتعدد الجنسي لسكانها وهم الفرس من الجنس الآري القديم ، والذي كان له دور واضح وجلي في التاريخ المبكر لتلـك المنطقة ، حيث اعتمدوا في تاريخهم على تأريخ الفرس ، وظلـوا على ذلك حتى اقتدوا بتأريخ المسلمين ، ثم الترك ، وخاصة الترك الخوارزميين الذين جاهدوا من أجل تلك الإمارة ، وتمتـع هـؤلاء بقدرات عسكرية فائقة الحد قد ظهرت بصورة جلية منذ مقدم القائد العربي قتيبة بن مسلم الباهلي لإقليم خوارزم واستعانته بهـم فـي فتحه لبعض مدن ما وراء النهر.

ثم العرب وتواجدهم في خوارزم أثناء الفتوحات العربية ، وبقائهم في تلك المنطقة ، عن طريق الحامية العسكرية العربيـة ، والتـي كانت البذرة الأولى لهذا التواجد العربي ، ثـم توافـدهم للتجـارة حرفتهم الأولى ، وكذلك الموقع الجغرافي وأهميته لهم ، ثم رسوخ ذلك التواجد العربى إلى حد ما من خلال مجموعة الولاة العـرب الذين تولوا أمر تلك المنطقة في عهد الأمويين ، وكذلك العباسيين، وفي عهدهم بدأ العنصر الفارسي يستحوذ على زمام الأمور والنفوذ والمكانة الأولى ، وحرصهم على إقامة دول مستقلة مع احتفـاظهم بتبعيتهم الاسمية للخلافة العباسية في بغداد ، وبجانب ما سبق وجود طوائف أخرى عديدة منها اليهود والمسيحيين ومـا بينهمـا مـن تجانس.

٣- كذلك تمتع سكان تلك المنطقة وخاصة الفرس بمقدرتهم وبـــراعتهم في الزراعة ، وكذلك الرعي وتغلبهم على الظروف الجوية القاسية وخلق مناخ جديد خاص وملائم لزراعة بعض المحاصيل ولم ينته الأمر عند هذا الحد بل نجد تفوقهم في تصنيع المادة الخام وتحويلها لصناعات متعددة يشترك في صناعاتها النساء والرجال باعتبارهـــا مصدر دخل لهم ، ولتغطية احتياجاتهم ويصدر الفائض منها للبلدان المجاورة.

٤- ظهور بعض الكيانات شبة المستقلة في خوارزم ، والتي لم تعطها المصادر السابقة حقها في الدراسة ومنها تلك الأسر التـــي تحـــدثنا عنها على مدار البحث سواء أكانت المأمونية والألتونتاشية وأمراء كل من الأسرتين وأحداثهما السياسية ودورهم المباشر فـــي نشـــأة الدولة الخوارزمية وبداية قيامها.

٥- امتاز أمراء تلك الكيانـــات السياســـية وكـــذلك ســـلاطين الدولـــة الخوارزمية بسيرهم على سياسة واحدة وهدف واحد متمثـــل فـــي رغبتهم في الحصول على استقلال دولتهم وإنهاء تبعيتها لتلك الدول التي تعاقبت عليها سواء غزنوية أو سلجوقية ، ونجاحهم في تحقيق ذلك الهدف بقيام دولة شاهات خوارزم واستمرارها ما يقارب قرن ونصف القرن تقريباً.

٦- كذلك حرص سلاطين الدولة على اتباع سياسة الود والتعاون مـــع الدول المجاورة وذلك حتى تقوى شوكتهم ، ثم تتحول إلى حـــرب وصراعات وبعد جهاد طويل تصل إلى هـــدفها المرســـوم وهـــو الاستقلال وفرض النفوذ على تلك الدول ولقد اتضح ذلك بصـــورة جلية من خلال علاقاتهم – على سبيل المثال – بدولة القراخطاى ،

فكانت بدايتها تتسم بالود والتعاون وذلك منذ عهد الأمير آتسز الخوارزمي ، وكذلك ابنه من بعده وهو السلطان أيل أرسلان وبقية سلاطينها حتى عهد علاء الدين محمد الذي استولى في النهاية على أراضيهم بالرغم من ذلك التعاون الذي كان بينهما في بداية عهده.

٧- من أهم السمات والصفات التي امتاز بها سلاطين تلك الدولة كونهم رجالاً عسكريين من الدرجة الأولى اتضح ذلك من خلال عنصرين ، أولهما : حرصهم الشديد والأكيد على قيادة الجيوش ، فهو القائد العام والمخطط والمطاع في أوامره يسانده في تلك الأمور قائد الجيش والتابع له ، والعنصر الآخر : ويتمثل في ذلك الاتساع الذي وصلت إليه تلك الدولة من خلال جهودهم.

٨- حرصهم الشديد على استمرار علاقاتهم الأكيدة مع الخلافة العباسية في بغداد من أجل صبغ الدولة بالصبغة الشرعية والروحية ، ولقد ظهر ذلك بصورة جلية من خلال تبادل الهدايا والخلع من كل من الطرفين ثم ما لبثت أن تبدلت الأحوال بين الخليفة الناصر لدين الله والسلطان الخوارزمي تكش ومن بعده السلطان علاء الدين محمد ، وذلك لسببين الأول : وهو سوء فهم كل منهما للآخر وتصرفه معه ، والآخر تدخل الحاقدين الذين وشوا لكل منهما برغبة الآخر في التخلص من الثاني ، حتى وصلت الأمور إلى ذروتها في أواخر عهد السلطان علاء الدين محمد ، وإن كانت في بدايتها اتسمت بالود والتعاون وتبادل المرسلات والرسل ولكن لعدة أسباب سبق وذكرت في متن الكتاب مهدت السبيل للسلطان الخوارزمي لإعداد حملة اتجهت إلى بغداد طمعا في ملك العباسيين وعاصمتهم ، وفشله الذريع في ذلك وندمه على ما اقترفه في حق الخلافة والخلفاء.

٩- كان السلطان الخوارزمي على رأس الجهاز الإداري المركزي الذي يديره ويتحكم في كل صغيرة وكبيرة من بلاطه إلى جانب وجـود شخصيات لها وزنها تقوم بدور عظيم في إدارة الدولـة وتـابعين للسلطان الأعظم في البلاط السلطاني.

هذا ويتضح من خلال تناولنا لنظم تلك الدولة أنهم إداريـون مـن الدرجة الأولى ، فعلى الرغم من قلة المادة العلمية المعالجة لـنظم الحكم والإدارة والتي لم تذكر في الدراسات السابقة إلا في دراسـة حافظ أحمد حمدي بإشارات بسيطة لا تتعدى صفحتين حول ذلك ، فقد وفقنا إلى حد ما في تغطية ذلك الجانب من خـلال الإشـارات التي ذكرت في المراجع والمصادر العربية والفارسية والتى وفقت في تغطية ودراسة ذلك الجانب. والتـي تمثلـت فـي مجموعـة الموظفين الإداريين التابعين للسلطان الخوارزمي صـاحب الحـق المطلق في كل نظم الدولة ، وكذلك مجموعة الدواوين التي ظهرت وتجلت في تلك الدولة ، والتي تدل على مدى براعـة سـلاطينها ورجالها ، وذلك من خلال تخصيصهم لكل جانب من جوانب الدولة ديوانا خاصا يتولى شئونها ، ومتولى أمره شخص يكون رئيس ذلك الديوان ، يسانده مجموعة من الموظفين البارعين فـي إدارة تلـك الدولة ، مما ساعد على صبغ الدولة بالصبغة الإدارية ، فصـارت بجانب قوتها العسكرية واهتمامها بضرورة توسيع أرجائها دولـة ذات نظم إدارية منسقة صارت جنبا إلى جنب مع الجانب الآخر.

١٠- لقد كان للنساء «الملكات» دور واضح في تلك الدولة ، وهو يتجلى في أمرين ، أولهما : الشخصية القوية لهن وكذلك تسلطهن الشـديد في بعض الأمور مثلما حدث مع زوجه السلطان عثمان خان حاكم سمرقند وابنه علاء الدين محمد خوارزم شاه وتصميمها على قتـل زوجها الذي أهانها بزواجه من ابنه ملك القرخطاى والآخر : هـو

حسن تصرفهن في بعض الأمــور البســيطة الشــكل الجوهريــة المحتوى مثلما فعلت تركان خاتون عند استقبالها لرسول الخطا من أجل الحصول على الفدية السنوية المقررة عليهم.

١١- تمتع ذلك الإقليم بازدهار ثقافي واسع المدى ، وذلك من خلال تلك السمة التي امتاز بها هؤلاء السلاطين وهي اهتمامهم البالغ بــالعلم والعلماء ، واحتواء بلاطهم على نخبة لا بأس بها من العلماء فــي مختلف التخصصات ، مثل : الطب والهندسة والرياضيات والفلــك والعلوم العقلية ، وكذلك العلوم النقلية.

ولقد كان لذلك الازدهار أسبابه ، منها ما ذكرناه سالفا من اهتمام سلاطين تلك الدولة بالعلم والعلماء ، موقعها الجغرافي الممتاز ، وما تمتع به من حماية طبيعية ، وكذلك التنوع البشري والتجانس فيما بينهما ، وما ترتب على ذلك التنوع والاختلاط من تبادل الثقافات واللغــات والإنتــاج العلمي وخاصة ما بين الفرس والعرب وحرص كل منهما على تعلم لغــة الآخر وترجمة أعماله كذلك.

كذلك تلك الدول التي تعاقبت على إقليم خوارزم وذلك منذ عهــد السامانيين الذين اهتموا بالثقافات العربية والعمل على نشر الإسلام ، ومع تعاقب تلك الدول تعاقبت الثقافات المتعددة ، وصــارت تلــك التيــارات المتنوعة داخل الإقليم.

كذلك حرص السلاطين العظام على تثقيف الطبقة العامــة مــن الشعب ، لكي تتيسر لهم فرصة نشر العلم والتعلم بين الناس لذا أنشــأوا المدارس في المدن الرئيسية وكذلك دور الكتب ، والتي يدرس بها نخبــة من العلماء والأدباء الذين كان لهم دور واسع في ازدهار الحياة الثقافيــة في ذلك الإقليم وهو ما سوف نفرد له حديثا خاصا في دراسة قادمــة أن شاء الله.

وبعد فهذه هي أهم النتائج التي خرج بها البحث بعد دراسته.

قائمة
المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المصادر العربية

- ابن الأثير : أبو الحسن على بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى ، «ت ٦٣٠هـ/١٢٣٣م».

١- الكامل في التاريخ ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.

٢- اللباب في تهذيب الأنساب ، عن نسخة الخزانة التيمورية المحفوظة في دار الكتب المصرية ، مكتبة القدس ، القاهرة ، ١٣٥٧هـ.

- الإدريسي : أبو عبدالله محمد بن محمد بن عبدالله بن إدريس بن يحي بن علي الحمودي الحسيني ، «ت ٥٦٠هـ/١١٦٦م».

٣- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، بدون تاريخ.

- الإصطخرى : أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي ، «ت ٣٤٠هـ/٩٥١م».

٤- المسالك والممالك ، مجلد١ ، بيريل ١٩٣٧م.

- الأصفهانى : حمزة بن الحسن

٥- تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء ، د.م ، د.ت.

- الأنطاكى : داود بن عمر «ت ١٠٠٨هـ/١٤١٨م».
٦- تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب ، د.م ، الطبعة الأخيرة ، ١٣٧١هـ/١٩٥٢م.
- بدر الدين العينى : شيخ المحمودي أبو محمد محمود بن أحمد بن موسي ابن الحسين بن يوسف بن محمود بن أحمد
٧- السيف المهند في سيرة الملك المؤيد ، حققه وقدم له : فهيم محمد شلتوت ، راجعه : محمد مصطفي زيادة : دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.
- ابن بطوطة : أبو عبدالله محمد بن عبدالله اللواتي الطنجى ، «ت ٧٧٠هـ/١٣٦٨م».
٨- تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، شرحه وكتب هوامشه : طلال حرب : دار الكتب العلمية الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- البغدادى : عبد القاهر بن طاهر بن محمد الاسفراييني التميمي ، «ت ٤٢٩هـ/١٠٣٧م».
٩- الفرق بين الفرق ، تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد : المكتبة العصرية ، ط١ ، بيروت ، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

- البلاذري : أبو العباس أحمد بن يحي بن جابر ، «ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م».

١٠- فتوح البلدان ، حققه وشرحه وعلق على حواشيه وأعد فهارسه وقدم له : عبدالله أنيس الطباع ، وعمر أنيس الطباع : بيروت ، لبنان ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

- البيروني : أبو الريحان محمد بن أحمد الخوارزمي ، «ت ٤٤٠هـ/١٠٤٨م».

١١- الآثار الباقية عن القرون الخالية ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٢٣م.

- الثعالبي : أبو منصور عبد الملك ، «ت ٤٢٩هـ/١٠٣٧م».

١٢- التمثيل والمحاضرة ، تحقيق : محمد عبد التفاح محمد الحلو ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٣٨١هـ/١٩٦١م.

١٣- يتيمة الدهر ، ج٤ ، ط١ ، القاهرة ، ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م.

- الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر البصرى ، «ت ٢٥٥هـ/٨٦٩م».

١٤- التاج في أخلاق الملوك ، تحقيق : أحمد زكى باشا : القاهرة ، ١٣٣٢هـ/١٩١٤م.

١٥- التبصر بالتجارة في وصف ما يستطرف في البلدان من الأمتعة الرفيعة والأعلاق النفيسة والجواهر الثمينة ، مكتبة الخانجي ، ط٣ ، القاهرة ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤.

١٦- فضائل الترك «رسائله» ، أبو الفتح بن خاقان وزير المتوكل وما اختصوه من الشجاعة وعلو الهمة وحسن البلاء في خدمة الإسلام ، القاهرة ، ١٨٩٨م.

- الجواليقي : أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر ، «ت ٥٤٠هـ/١١٤٥م».

١٧- المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم ، تحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر ، دار الكتب ، ط٢ ، القاهرة ، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.

- ابن الجوزى : أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد بن على القرشي ، «ت ٥٩٧هـ/١٢٠١م».

١٨- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، دار صادر ، ط١ ، بيروت ، ١٣٥٨هـ.

- حاجي خليفة : مصطفي بن عبدالله القسطنطيني الحنفي الشهير بكاتب جلبي ، «ت ١٠٦٧هـ/١٦٥٧م».

١٩- كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ، أربعة مجلدات ، دار الفكر ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

- الذهبي : أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز ابن عبدالله التركماني الأصل الدمشقي الشافعي ، «ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧-١٣٤٨م».

٢٠- العبر في خبر من غبر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، بغداد ، د.ت ، ج٣ ؛ تحقيق : فؤاد سيد : الكويت ، ١٩٦١م ، ج٤ ؛ تحقيق : صلاح الدين المنجد : الكويت ، ١٩٦٣م.

٢١- تاريخ دول الإسلام ، جزءان ، وهو محقق على ترتيب السنين منتهي إلى ٧٤٠هـ ، ثم ذيله السخاوى إلى ١٠٩ ذيلا مختصرا وسماه الذيل التام لدول الإسلام ، مدينة حيدر أباد ، ط١ ، ١٣٣٧هـ.

- ابن حزم : أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب الأندلسي ، «ت ٤٥٦هـ/١٠٦٤م».

٢٢- جمهرة انساب العرب ، باريس ، ١٩٤٨م.

- الحسيني : صدر الدين علي بن ناصر.

٢٣- زبدة التواريخ أخبار الأمراء والملوك السلجوقية ، تحقيق : محمد نور الدين ، دار اقرأ ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

- الحميري : محمد بن عبد المنعم ، «ت ٩٠٠هـ/١٥٠٠م».
٢٤- الروض المعطار في خير الأقطار «معجم جغرافي» ، حققه : إحسان عباس : مؤسسة ناصر للثقافة ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٠م.
- ابن حوقل : أبو القاسم محمد النصيبي البغدادي الموصلي ، «ت ٣٦٧هـ/٩٧٧م».
٢٥- صورة الأرض ، مجلدان ، ط١ ، بيريل ، ١٩٣٨م.
- ابن خرداذبة : أبو القاسم عبيدالله بن عبدالله بن خرداذبة ، «ت ٢٧٢هـ/٨٨٥م».
٢٦- المسالك والممالك ، دار صادر ، ط١ ، بيروت ، ١٨٨٩م.
- ابن خلدون : أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد ولى الدين التونسي الاشبيلي المالكى ، «ت ٨٠٨هـ/١٤٠٦م».
٢٧- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، علق عليه : شكيب أرسلان : بيروت ، ١٣٣٥هـ/١٩٣٦م.
- ابن خلكان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ، «ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م».

٢٨- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، المجلد الثالث ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٠م ، المجلد الرابع ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧١م.

- الخوارزمي : أبو عبدالله محمد بن أحمد بن يوسف ، «ت ٣٨٧هـ/٩٧٧م»

٢٩- مفاتيح العلوم ، مطبعة الشرق ، ط١ ، القاهرة ، ١٣٤٢هـ.

- خليفة بن خياط : «ت ٢٤٠هـ/٨٥٤م»

٣٠- تاريخ خليفة بن خياط ، حققه وقدم له : أكرم ضياء العمرى : جزءان ، مطبعة الآداب في المتحف الأشرفي ، ط١ ، ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م.

- الديار البكري : حسين بن محمد بن الحسن ، «ت ٩٦٦هـ/١٥٥٨م».

٣١- تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس ، ج٢ ، القاهرة ، ١٢٨٣هـ.

- الدينورى : أبو حنيفة أحمد بن داود ، «ت ٢٨٢هـ/٨٩٥م».

٣٢- الأخبار الطوال ، تحقيق : عبد المنعم عامر : راجعة : د/ جمال الدين الشيال : بغداد ، بدون تاريخ.

- ابن رسته : أبو علي أحمد بن عمر ، «ت ٢٩٠هـ/٩٠٢م».

٣٣- الأعلاق النفيسة ، المجلد السابع ، طبعة بيريل ، ١٨٩١م.

- الرواندى : محمد بن على بن سليمان

٣٤- راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية ، نقلة للعربية : إبراهيم أمين الشواربي ، وعبدالنعيم محمد حسنين ، وفؤاد عبد المعطى الصياد ؛ مراجعة ونشر : إبراهيم أمين الشواربي : مؤسسة الثقافة الجامعية ، ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م.

- الزبيدي : أبو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرازق الحسينى ، «ت ١٢٠٥هـ/١٧٩١م».

٣٥- تاج العروس من جواهر القاموس ، القاهرة ، ١١٨٧هـ.

- الزركلى : خير الدين الزركي.

٣٦- الأعلام «قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين» ط٢ ، د.م ، د.ت.

- الزهري : أبو عبدالله محمد بن أبي بكر «توفي أواسط القرن السادس الهجرى»

٣٧- كتاب الجغرافية ، تحقيق : محمد حاج صادق ، مكتبة الثقافة الدينية ، د.ت.

- ابن الساعى الخازن : أبو طالب علي بن أنجب تاج الدين ، «ت ٦٧٤هـ/١٢٧٥-١٢٧٦م

٣٨- الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير ، عنى بنسخة ونشره وإصلاح تصحيفه وتعليق حواشيه وعمل فهارسه : مصطفي جواد : المطبعة السريانية الكاثوليكية ، بغداد ، ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م.

- السبكى : تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي ، «٧٧١هـ/١٣٦٩م»

٣٩- طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق : عبد التفاح محمد الحلو ومحمد محمود الطناحى : ط١ ، القاهرة ، ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م.

- السيوطى : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ، «ت ٩١١هـ/١٥٠٥م».

٤٠- تاريخ الخلفاء ، تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد : مطبعة المدنى ، ط٤ ، القاهرة ، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.

- أبو شامة : شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الشافعي.

٤١- الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية رواية الشيخ الإمام مجد الدين أبي المظفر يوسف بن محمد بن عبدالله الشافعي سمعا عنه ، نشر وتحقيق : محمد حلمى محمد أحمد : ج١ ، القاهرة ، ١٢٨٧هـ.

- الشهرستانى : أبو الفتح عبد الكريم ، «ت ٥٤٨هـ/١١٥٣م».
٤٢- الملل والنحل ، جزءان ، مكتبة المثنى ، بغداد ، د.ت.
- شيخ الربوة : شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي طالب الأنصاري الصوفي الدمشقي ، «ت ٧٢٧هـ/١٣٢٧م»
٤٣- نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، بطربورغ ، ١٢٨١هـ/١٨٦٥م.
- الصابي : الحسين بن هلال بن المحسن بن إبراهيم الصابي الكاتب ، «ت ٤٤٨هـ/١٠٥٦م».
٤٤- تاريخ أبي الحسين هلال بن المحسن بن إبراهيم الصابي الكاتب ، ج٨ ، القاهرة ، ١٣٣٧هـ/١٩٨٩م.
٤٥- رسوم دار الخلافة ، عنى بتحقيقه والتعليق عليه : ميخائيل عواد : دار الرائد العربي ، ط٢ ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- ابن صاعد الأندلسي : أبو القاسم صاعد بن أحمد.
٤٦- طبقات الأمم ، بيروت ، ١٩١٢م.
- الصفدى : صلاح الدين خليل بن أيبك ، «ت ٧٦٤هـ/١٣٦٣م»
٤٧- الوافي بالوفيات ، ج٢ ، اعتناء س.ديدرنيغ : ط٢ ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، اعتناء س.ديدرنيغ : الطبعة الثانية ، د.ت.

- الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير ، «ت ٣١٠هـ/٩٢٣م».
٤٨- تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط٤ ، منقحة ومعدلة ، ١٩٦٥م.
- ابن العبري : أبو الفرج جمال الدين غريغوريوس بن هارون الملطي السرياني ، «ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م».
٤٩- تاريخ الزمان «نصوص ، دروس ، المجموعة التاريخية» ، نقلة للعربية الأب إسحق أرملة : قدم له الأب الدكتور/جان موريس فييه : دار المشرق ، بيروت ، لبنان ، ١٩٤٩-١٩٥٦م.
٥٠- تاريخ مختصر الدول ، دار المشرق ، ط٣ ، بيروت ، ١٩٩٢م.

- ابن عربشاه : شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبدالله الدمشقي الانصارى.
٥١- عجائب القدور في أخبار تيمور ، ط١ ، القاهرة ، ١٢٨٥هـ
- ابن العماد الحنبلى : أبو الفلاح عبدالحي بن أحمد بن محمد الدمشقي الصالحي الحنبلي ، «ت ٤٤٨هـ/١٠٥٦م»
٥٢- شذارت الذهب في أخبار من ذهب ، ٥ أجزاء ، الطبعة الثانية منقحة ، بيروت ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

- ابن غازي الحلبي : جمال الدين أبو الحسن على بن الفقيه الإمام أبي منصور ظافر بن الحسين الأزدى ، «ت ٦١٣هـ/١٢١٦م».
٥٣- أخبار الدول المنقطعة «تاريخ الدولة العباسية» ، مكتبة الدار ، المدينة المنورة ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- الفارقي : أحمد بن يوسف بن علي الأزرق
٥٤- تاريخ الفارقي ، حققه وقدم له : بدوي عبداللطيف عوض ، بيروت ، د.ت.

- أبو الفداء : عماد الدين إسماعيل ، «ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م»
٥٥- تقويم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، د.ت.
٥٦- المختصر في أخبار البشر ، ٣ أجزاء ، المطبعة الحسينية ، د.ت.
- ابن فضلان : أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد ، «ت ٣٩٠هـ/٩٩٩م».
٥٧- رسالة ابن فضلان في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة ، حققها وعلق عليها وقدم لها سامي الدهان ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م.
- ابن الفقيه : أبو بكر أحمد بن محمد ، «ت ٢٩٠هـ/٩٠٣م»
٥٨- مختصر كتاب البلدان ، طبعة ليدن ، بيريل ، ١٣٠٢هـ/١٨٩١م.

- قدامة بن جعفر : «ت ٣٣٧هـ/٩٤٨م».
٥٩- نبذة من كتاب الخراج وصنعة الكتابة ، وهو مذيل في نهاية كتاب ابن خرداذبة «المسالك والممالك» ، بيروت ، ١٨٨٩م.
- القرمانى : أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي ، «ت ١٠١٩هـ/١٦١٠م».
٦٠- أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ ، بيروت ، د.ت.
- القزوينى : زكريا بن محمد بن محمود ، «ت ٦٨٢هـ/١٢٨٣م».
٦١- آثار البلاد وأخبار العباد ، بيروت ، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م.
- القلقشندى : أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن عبدالله ، «ت ٨٢١هـ/١٤١٨م».
٦٢- صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية ومذيلة بتصويبات واستدار كات وفهارس تفصيلية مع دارسة وافية ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة والنشر والترجمة ، د.ت.
٦٣- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، دار الكتب العربية ، بيروت ، لبنان ، د.ت.

- ابن كثير : عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ، «ت ٧٧٤هـ/١٣٧٣م»

٦٤- البداية والنهاية في التاريخ ، ط١ ، بنفقة المطبعة السلفية ، ومطبعة السعادة ومكتبة الخانجي ، ١٣٥١هـ/١٩٣٢م.

- الماوردي : أبو الحسن على بن محمد بن حبيب البصري البغدادى ، «ت ٤٥٠هـ/١٠٥٨م».

٦٥- الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٦٦- الوزارة – أدب الوزير ، تحقيق : محمد سليمان داود ، وفؤاد عبدالمنعم أحمد : دار الجامعات المصرية ، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.

- العظيمى : أبو عبدالله محمد بن على بن محمد بن أحمد بن نزار التنوخي الحلبي ، «ت ٥٣٢هـ/١١٣٨م»

٦٧- تاريخ العظيمي ، باريس ، ١٩٣٨م.

- المسعودي : أبو الحسن علي بن الحسين بن علي ، «ت ٣٤٥هـ/٩٥٦م»

٦٨- التنبيه والأشراف ، عنى بتصحيحه ومراجعته عبدالله إسماعيل الصاوى ، بغداد ، ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م.

٦٩- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ط١ ، بيروت ، ١٩٨٢م.

- مسكويه : أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب الخازن الرازي الأصل الاصبهانى المسكن ، «ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م».

٧٠- تجارب الأمم ، ج٢ ، القاهرة ، ١٣٣٣هـ/١٩١٥م.

- مطهر بن طاهر المقدسي : «ت ٥٠٧هـ/١١١٣م».

٧١- البدء والتاريخ ، اعتنى بنشره وترجمته من العربية إلى الفرنساوية : كلمان هوار ، ١٩٠١م ، طهران ، ١٩٦٢م.

- المقدسي : أبو عبدالله محمد بن أبي بكر المعروف بالبشاري ، «ت ٣٧٥هـ/٩٨٥م»

٧٢- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، الطبعة الثانية ، بيريل ، ١٩٠٦م.

- المقريزى : تقي الدين أحمد بن علي ، «ت ٨٤٥هـ/١٤٤٢م».

٧٣- السلوك لمعرفة دول الملوك ، صححه ووضع حواشيه : محمد مصطفى زيادة Ph. d ، الجزء الأول ، القسم الأول ، القاهرة ، ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م.

- ابن منظور : جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم الخزرجي الإفريقي ، «ت ٧١١هـ/١٣١١م».

٧٤- لسان العرب ، المجلد التاسع والعاشر ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م.

- المنينى : أحمد بن علي بن عمر بن صالح بن أحمد بن سليمان بن إدريس بن إسماعيل ابن يوسف بن إبراهيم الحنفي الطرابلسي الأصل المنينى المولد الدمشقي المنشأ

٧٥- الفتح الوهبي في شرح تاريخ أبي نصر العتبي ، جزءان ، د.م ، د.ت.

- مؤلف مجهول :

٧٦- حدود العالم من المشرق إلى المغرب ، تحقيق : يوسف الهادى ، الدار الثقافية للنشر ، ط١ ، القاهرة ، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

- ابن النديم : أبو الفرج محمد بن إسحق ، «ت ٣٨٣هـ/٩٩٣م».

٧٧- الفهرست ، دار المعارف للطباعة والنشر ، تونس ، سوسه ، د.ت.

- النسوى : محمد بن أحمد ، «ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م».

٧٨- سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى ، تحقيق ونشر : حافظ أحمد حمدي : دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٥٣م.

- النويري : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ، «ت ٧٣٣هـ/١٣٣٣م».

٧٩- نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج١ ، ٨ ، ١٠ ، ١١ ، القاهرة ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، المؤسسة المصرية العامة للنشر والتأليف والترجمة والطباعة ، د.ت ، ج٢٦ ؛ تحقيق : محمد فوزي العنتيل ، مراجعة : محمد طه الحاجرى : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ، ج٢٧ ؛ تحقيق : سعيد عبد الفتاح عاشور ، ومراجعة : محمد مصطفي زيادة ، وفؤاد الصياد : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

- ابن الوردى : زين الدين عمر بن المظفر بن عمر بن أبي الفوارس على المعري الحلبي ، «ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م».

٨٠- تاريخ ابن الوردى ، د.م ، جزءان ، ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م.

- الوطواط : رشيد الدين محمد العمري الكاتب البلخى ، «ت ٥٧٣هـ/١١٧٧م».

٨١- مجموعة رسائل رشيد الدين الوطواط ، جزءان ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٣١٥هـ.

- ياقوت الحموي : شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادى ، «ت ٦٢٧هـ/١٣٢٩م».
٨٢- المشترك وضعاً والمفترق صقعاً ، مكتبة المثنى بغداد ، بدون تاريخ.
٨٣- معجم الأدباء ، ج١٩ ، الطبعة الأخيرة منقحة ومضبوطة وفيها زيادات ، القاهرة ، د.ت.
٨٤- معجم البلدان ، ٥ مجلدات ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م.
- اليعقوبي : أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب ، «ت ٢٧٨هـ/٨٩١م»
٨٥- البلدان ، طبعة بيريل ، ١٨٩١م.
٨٦- تاريخ اليعقوبي ، مجلدان ، بيروت ، د.ت.

ثانياً : المراجع

أ – المراجع العربية

- آدم متز
١- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجرى ، نقلة للعربية : محمد عبد الهادي أبو ريدة ، جزءان ، القاهرة ، ١٣٦٠هـ/١٩٤١م.

- أحمد أمين
٢- فجر الإسلام ، الهيئة المصرية العامة

لكتاب ، ١٩٩٦م.
٣- ظهر الإسلام ، ج٤ ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٥٥م.

- أحمد السعيد سليمان

٤- تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسرات الحاكمة ، جزءان ، دار المعارف ، القاهرة ، د.ت.

- أحمد شلبي

٥- كيف تكتب بحثا أو رسالة ،، ط٢ ، القاهرة ، ١٩٥٤م.
٦- موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، ج٣ ، ط٨ ، القاهرة ، ١٩٨٥م.

- أحمد عطية الله

٧- القاموس الإسلامي ، المجلد الأول ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.

- أحمد محمود الساداتى

٨- تاريخ المسلمين في شبة القارة الهندية وحضاراتهم ، الجزء الأول من الفتح العربي حتى قيام الدولة المغولية ، ٨٩-٩٣٢هـ/٧٠٧-١٥٢٦م ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م.

- إدوارد بروى

٩- موسوعة تـاريخ الحضـارات العـام ، المجلد الثالث ، ط٣ ، بيروت ، ١٩٩٤م.

- إسعاد عبد الهادى قنديل

١٠- فنون الشعر الفارسي ، دار الأندلس ، ط٢ ، بيـروت ، لبنـان ، ١٤٠٢هـ/١٩٨١م.

- أسعد السحرانى

١١- الصابئة ، الزرادشتية ، اليزيدية ، دار النفـائس ، ط١ ، بيـروت ، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

- أغناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكى

١٢- تـاريخ الأدب الجغرافـي ، ترجمـة صلاح الدين عثمان مجلدان ، القاهرة ، ١٩٦٣م.

- بدر الدين حي الصيني

١٣- العلاقات بين العرب والصين ، القاهرة ، ١٩٥٠م.

- بدرى محمد فهد

١٤- تاريخ العراق في العصـر العباسـي الأخيـر ، ٥٥٢-٦٥٦هـ/١١٥٧-١٢٥٨م ، مطبعة الإرشاد ، بغـداد ، ١٩٧٣م.

- بديع محمد جمعة

١٥- دار سات في الأدب المقـارن ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٨٠م.

١٦- مـن روائـع الأدب الفارسـي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٨٣م.

- بروكلمان

١٧- تاريخ الشـعوب الإسـلامية ، نقلـه للعربية : نبيه أمين فـارس ، ومنيـر بعلبكى : ط٥ ، بيروت ، ١٩٦٨م.

- بطرس البستانى

١٨- كتاب دائرة المعارف ، «قاموس عـام لكل فن ومطلب» ، المجلد الرابـع ، مطبعة المعارف ، بيروت ، ١٨٨٠م.

- بوكشيشيفسلى

١٩- جغرافية الاتحاد السوفيتى ، الطبيعة – السـكان – الاقتصـاد ، بإشـراف : كازانسكى ، دار التقـدم ، موسـكو ، ١٩٧٦م.

- جرجى زيدان

٢٠- تاريخ التمـدن الإسـلامي ، مطبعـة الهلال ، القـاهرة ، ج١ ، ١٩٠٢م ؛ ج٢ ، ١٩٠٣م ؛ ج٣ ، ١٩٠٤م ؛ ج٤ ، ١٩٠٥م ؛ ج٥ ، ١٩٠٦م.

- حافظ أحمد حمدي

٢١- الدولة الخوارزمية والمغول «غزو جنكيزخان للعالم الإسلامي وآثاره السياسية والدينية والاقتصادية والثقافية» ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٤٩م.

٢٢- الشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٥٠م.

- حسين إبراهيم حسن

٢٣- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي في العصر العباسي الثاني في الشرق ومصر والمغرب والأندلس ، (٢٣٢-٤٤٧هـ/٨٤٧-١٠٥٥م) ، ج٢ ، ط٣ ، القاهرة ، بدون تاريخ ؛ ج٣ ، ط٧ ، القاهرة ، ١٩٦٥م.

- حسن أحمد محمود

٢٤- الإسلام في آسيا الوسطي بين الفتحين العربي والتركى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٢م.

- حسن الباشا

٢٥- الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار ، جزءان ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٧م.

- حسين أمين

٢٦- تاريخ العراق في العصر السلجوقي ، بغداد ، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.

- حسين مجيب المصري

٢٧- من أدب الفرس والترك ، القاهرة ، ١٩٥٠م

- حسين مؤنس

٢٨- ابن بطوطة ورحلاته ، تحقيق ودار سة وتحليل : دار المعارف ، القاهرة ، بدون تاريخ.

- زامباور

٢٩- معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، تأليف : زكي محمد حسن ، سيدة إسماعيل الكاشف ، حسن أحمد محمود ، حافظ أحمد حمدي : دار الرائد العربي ، بيروت ، بدون تاريخ.

- زبيدة عطا

٣٠- الترك في العصور الوسطى «بيزنطة وسلاجقة الروم والعثمانيون» ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، بدون تاريخ.

- زكى محمد حسن

٣١- الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي ، مكتبة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٠م.

- سبرت ، و ، أرنولد توينبي
٣٢- الدعوة إلى الإسلام ، ترجمة للعربية : حسن إبراهيم حسن ، عبدالمجيد عابدين ، إسماعيل النحراوي : القاهرة ، ١٩٤٧م.
- سعد بن محمد بن حذيفة مسفر الغامدى
٣٣- أوضاع الدول الإسلامية في الشرق الإسلامي ، ٥٧٥-٦٢٩هـ/١١٨٠-١٢٣١م ، ط١ ، مؤسسة الرسالة ، الرياض ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
٣٤- سقوط الدولة العباسية «دارسة جديدة لفترة حاسمة من تاريخ أمتنا الإسلامية ٥٤٩-٦٥٦هـ/١١٥٤-١٢٥٨م»
- سعد زغلول عبدالحميد
٣٥- تاريخ المغرب العربي من الفتح العربي إلى بداية عصر الاستقلال «ليبيا ، تونس ، الجزائر ، المغرب» ، منشأة دار المعارف ، الإسكندرية ، ١٩٧٩م.
- سلطان طرنحيم المذهن السرحانى
٣٦- جامع أنساب قبائل العرب ، دار الثقافة ، قطر ، الدوحة ، د.ت.
- سميرة عبد السلام عاشور
٣٧- تاريخ الفرس الأسطورى عند الطبري والفردوسي ، الإسكندرية ، ١٩٩٣م.

- سهام مصطفي أبو زيد

٣٨- الحسبة في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى نهاية العصر المملوكى ، تقديم سيدة إسماعيل الكاشف : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦م.

- السيد أحمد بن زينى دحلان

٣٩- الدول الإسلامية بالجداول المرضية ، القاهرة ، ١٣٠٦هـ.

- السيد الباز العرينى

٤٠- المغول ، دار النهضة ، بيروت ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

- شاهين مكاريوس

٤١- تاريخ إيران ، القاهرة ، ١٨٩٨م.

- شكري فيصل

٤٢- حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول الهجرى «دارسة تمهيدية لنشأة المجتمعات الإسلامية» ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٣٧١هـ/١٩٤١م.

- شيرين عبد النعيم حسنين

٤٣- مسلمو تركستان والغزو السوفيتى من خلال التاريخ والأدب ، القاهرة ، ١٩٨٥م.

- طه ندا

٤٤- دار سات في الشاهنامه ، دار الطالب ، الإسكندرية ، ١٩٥٤م.

٤٥- فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية ، بيروت ، ١٩٧٥م.
٤٦- النصوص الفارسية ، دار المعارف ، الإسكندرية ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٨م.

- عبد السلام عبد العزيز فهمي

٤٧- تاجيكستان : ماضيها وحاضرها ، القاهرة ، ١٩٩٦م.
٤٨- كوروش الكبير ، مؤسسة الإمبراطورية الهخامنشية ، القاهرة ، ١٩٧٢م.

- عبد العزيز الدوري

٤٩- تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجرى ، بغداد ، ١٩٤٨م.

- عبد المنعم ماجد

٥٠- تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ، الطبعة الرابعة ، مزيدة ومنقحة ، القاهرة ، ١٩٧٨م.
٥١- التاريخ السياسي للدولة العربية ، الطبعة الثانية ، مزيدة ومنقحة ، القاهرة ، ١٩٦٠م.

- عبد النعيم محمد حسنين

٥٢- الإيرانيون القدماء ، دار الرائد العربي ، القاهرة ، ١٩٧٤م.

٥٣- سلاجقة إيران والعراق ، ط٢ ، القاهرة ، ١٣٨٠هـ/١٩٧٠م.

- عصام الدين عبد الرءوف

٥٤- تاريخ الإسلام في جنوب غرب آسيا في العصر التركى ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٧٥م.

- عفاف السيد صبرة

٥٥- التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية ، القاهرة ، ١٣٠٨هـ/١٩٨٧م.

- على إبراهيم حسن ، وحسن إبراهيم حسن

٥٦- النظم الإسلامية ، مكتبة النهضة المصرية ، ط١ ، القاهرة ، ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م.

- على الشابي

٥٧- الأدب الفارسي في العصر الغزنوى ، تونس ، ١٩٦٥م.

- عم رضا كحالة

٥٨- معجم المؤلفين «تراجم مصنفي الكتب العربية» ، مكتبة المثنى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م.

- فاسيلي فلاديمير وفتش بارتولد

٥٩- تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، نقله عن : الروسية : صلاح الدين عثمان هاشم ، أشرف على طبعه قسم التراث العربي ، الكويت ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

- فتحى أبو سيف

٦٠- خراسـان : تاريخهـا السياسـي والحضاري من سقوط الحكم الطاهرى إلى بداية الحكم الغزنوى ، القـاهرة ، ١٩٩٤-١٩٩٥م.

- فؤاد عبدالمعطى الصياد

٦١- دار سات في الحضـارة الإسـلامية «التقاء الثقافتين العربية والفارسية» ، القاهرة ، ١٩٧٩م.

- فون كريمر

٦٢- الحضارة الإسلامية ومـدى تأثيرهـا بـالمؤثرات الأجنبيـة ، تعريـب : مصطفي بدر : دار الفكر العربـي ، القاهرة ، ١٩٤٧م.

- ف. وستنفلد

٦٣- جـدول السـنين الهجريـة بلياليهـا وشهورها بما يوافقهـا مـن السـنين الميلادية بأيامها وشهورها ، ترجمة : عبـدالمنعم ماجـد ، عبـد المحسـن رمضان : مكتبة الانجلو المصـرية ، القاهرة ، ١٩٨٠م.

- فيليب حتى ، د. إدوارد جرجي ، د. جبرائيل جبور

٦٤- تاريخ العـرب المطـول ، ج٢ ، دار الكشاف للطباعـة والتوزيـع ، ط٢ ، ١٩٥٠م.

- قحطان عبدالستار الحديثي
٦٥- أرباع خراسان المشهورة ، وزارة التعليم والبحث العلمي ، جامعة البصرة ، ١٩٩٠م.

- كي لسترنج
٦٦- بلدان الخلافة الشرقية ، نقلة للعربية : كوركيس عواد ، بشير فرنسيس : مؤسسة الرسالة ، ط٢ ، ١٤٠٥هـ/١٩٥٨م.

- مسيو ماسبيرو
٦٧- تاريخ الشرق ، ترجمة : أحمد زكي بك : الطبعة الأول ، بولاق ، ١٣١٤هـ/١٨٩٧م.

- مجمع اللغة العربية
٦٨- المعجم الوسيط ، قام بإخراجه إبراهيم مصطفي ، وأحمد حسن الزيات ، وحامد عبد القادر ، ومحمد على النجار ، وأشرف على طبعه : عبد السلام هارون : ج١ ، القاهرة ، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م.

- محمد أحمد الحوفي
٦٩- الزمخشرى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثانية ، بدون تاريخ.

- محمد جمال الدين سرور

٧٠- تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق من عهود نفوذ الأتراك إلى منتصف القرن الخامس الهجرى ، دار الفكر العربي ، ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م.

- محمد على حيدر

٧١- الدويلات الإسلامية في المشرق ، القاهرة ، ١٩٧٤م.

- محمد فريد وجدى

٧٢- دائرة المعارف القرن ١٤ ، ٢٠ ، ج٩ ، الطبعة الثانية ، ١٣٤٣هـ/١٩٢٥م.

- محمد محمود إدريس

٧٣- تاريخ العراق والشرق الإسلامي خلال العصر السلجوقي الأول الطبعة الأولى ، ١٩٨٣م.

٧٤- رسوم السلاجقة ونظمهم الاجتماعية ، ط١ ، القاهرة ، ١٩٨٣م.

- محمد موسى هنداوى

٧٥- سعدي الشيرازي شاعر الإنسانية «عصره ، حياته ، ديوانه البوستان» ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ، ١٩٥١م.

- نعيم زكى فهمى

٧٦- طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب في أواخر العصور الوسطي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٣م.

- هارولد لامب

٧٧- جنكيزخان إمبراطور الناس كلهم ، ترجمة : بهاء الدين نورى : بغداد ، بدون تاريخ.

- هند حسين عطية

٧٨- الأدب العربي في إقليم خوارزم منذ الفتح العربي ٩٣هـ حتى سقوط الدولة الخوارزمية ٦٢٨هـ ، بغداد ، ١٩٧٦م.

- ول ديورانت

٧٩- قصة الحضارة ، ترجمة : محمد بدار ن ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٠م.

ب – المراجع المعربة عن الفارسية

- إدوارد جرانفيل براوان

١- تاريخ الأدب في إيران ، تعريب : إبراهيم أمين الشواربي ، جزءان ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، جزءان ، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م.

- آرثر كريستنسن

٢- إيران في عهد الساسانيين ، ترجمة : يحيى الخشاب : دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٤٦م.

- أرمنيوس فامبري

٣- تاريخ بخارى ، ترجمة : أحمد محمد الساداتى ؛ مراجعة وتقديم : يحيى الخشاب : المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، ١٨٧٢م.

- إقبال عباس الأشتيانى

٤- تاريخ إيران بعد الإسلام : من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة الفاجارية ، ٢٠٥-٨٢٠هـ/١٣٤٣-١٩٢٥م ، نقله عن الفارسية وقدم له وعلق عليه : محمد علاء الدين منصور ؛ راجعه : السباعي محمد السباعي : دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ١٤١٠هـ/١٩١٠م.

- البيهقي : أبو الفضل محمد بن حسين ، «ت ٤٧٠هـ/١٠٧٧م»

٥- تاريخ نصر الدين محمود بن سبكتكين وسماه الناصري «تاريخ بيهق» ، ترجمه للعربية يحيى الخشاب وصادق نشأت ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م.

- خواندمير : غياث الدين بن همام الدين الحسينى ، «ت ٩٤٢هـ/١٥٣٥م»

٦- دستور الوزراء ، تأليف وترجمة وتعليق : حربي أمين سليمان ؛ تقديم : فؤاد عبد المعطى الصياد : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٠م.

- ميرخواند : محمد بن خاوند شاه ، «ت ٩٠٣هـ/١٤٩٧م»

٧- روضة الصفا في سيرة الأنبياء والملوك والخلفاء ، تاريخ الدولة الطاهرية والصفارية والسامانية وآل بويه والإسماعيلية والملاحدة ، ترجمه عن الفارسية وعلق عليه وقدم له : أحمد عبد القادر الشاذلى : راجعه وقدم له : السباعي محمد السباعى : الدار المصرية للكتاب ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

- دونالد ولبر

٨- إيران ماضيها وحاضرها ، ترجمة : عبد النعيم حسنين : دار الكتاب المصري ، دار الكتاب اللبناني ، الطبعة الثانية ، بدون تاريخ.

- عطا ملك الجويني : «ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م»

٩- جهان گشا ، سلسلة تاريخ المغول ، ترجمة : السباعي محمد السباعى : دار الزهراء للنشر ، القاهرة ، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

- ف. بارتولد

١٠- تاريخ الترك في آسيا الوسطى ، ترجمة : أحمد السعيد سليمان ؛ راجعه : إبراهيم صبري : مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م.

١١- تاريخ الحضارة الإسلامية ، نقلة إلى العربية : حمزة طاهر ، وقدم له : عبد الوهاب عزام : ط٢ ، القاهرة ، ١٩٥٢م.

- ف هايد

١٢- تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى ، عربه عن الفرنسية : أحمد محمد رضا ؛ مراجعة وتقديم : عز الدين فودة : ج١ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٥م.

- الگرديزى : أبو سعيد عبد الحى بن الضحاك بن محمود«ت ٤٤٢-٤٤٣هـ/١٠٥٠-١٠٥١م»

١٣- زين الأخبار ، ترجمة : عفاف السيد زيدان ، ط١ ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

- محمد التونجي

١٤- المعجم الفارسي الذهبي «فرهنگ طلائي» ، دار العلم للملايين ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٠م.

- محمد دبير سياقي

١٥- سلطان جلال الدين خوارزمشاه ، ترجمة : حربي أمين سليمان : تهران ، د.ت.

- ناصر خسرو علوي : «ت ٤٨١هـ/١٠٨٨م».

١٦- سفر نامه ، ترجمة : يحيى الخشاب ؛ تصدير : عبدالوهاب عزام : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٣م.

- النرشخى : أبو بكر محمد جعفر ، «ت ٣٤٨هـ/٩٥٩م»

١٧- تاريخ بخارى «ذخائر العرب» ، عربة عن الفارسية وقدم له وحققه وعلق عليه : أمين عبدالمجيد بدوى ، ترجمة : نصر الله مبشر الطرازى : دار المعارف ، القاهرة ، ١٣٨٥هـ/١٩٥٦م.

- النظامى العروضي السمرقندى

١٨- جهار مقالة ، المقالات الأربع في الكتابة والشعر والنجوم والطب ، نقله للعربية عبد الوهاب عزام ، يحيى الخشاب : الطبعة الأولى ، ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م.

- نظام الملك الطوسي : «ت ٤٧٢هـ/١٠٧٩م».

١٩- سياست نامه ، ترجمة وتعليق : السيد محمد العزاوي : دار الرائد العربي ، القاهرة ، ١٩٧٥م.

- الوطواط : رشيد الدين محمد العمري الكاتب البلخى.

٢٠- حدائق السحر في دقائق الشعر ، نقله لأول مرة للعربية مع تعريب مقدماته وتوضيح حواشيه : إبراهيم أمين الشواربي ، القاهرة ، ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م.

ج- المراجع الفارسية

- استاذ خليلي

١- سلطان غزنويان ، د.م ، د.ت.

- حبيب الله شمالوئي

٢- تاريخ إيران از ماد تا بهلوى ، د.م ، د.ت.

- حمدالله بن أبي بكر بن أحمد بن نصر مستوفي القزوينى

٣- تاريخ گزيده ، بسعي واهتمام إدوارد بروان انگليسي ، المجلد الأول ، دار السلطنة ، لندن ، ١٣٢٨هـ/١٩١٠م.

- خواندمير : غياث الدين بن همام الدين الحسينى ، «ت ٩٤٢هـ/١٥٣٥م»

٤- حبيب السير في أخبار أفراد البشر ، المجلد الثاني ، ج٤ ، تهران ، ١٣٥٣هـ.

- رشيد الدين فضل الله : «ت ٧١٨هـ/١٣١٨م».

٥- جامع التواريخ «ذكر تاريخ آل سلجوق» به تصحيح وتحشيه : محمد روشت ، مصطفي موسوى : المجلد الثاني ، الجزء الخامس ، تهران ، ١٣٧٣هـ.

- علي اكبر دهخدا

٦- دائرة المعارف فارس ، تهران ، دانشگاه طهران ، دانشكده ابيات وعلوم إنساني ، ١٣٤٩م.

- قاضي منهاج سراج : قاضي القضاة صدر الدين جهان أبو عمرو منهاج الدين بن عثمان بن سراج الدين بن عمر

٧- طبقات ناصري ، المجلد الأول ، د.م ، ١٣٤٢هـ.

- محمد حسين بن خلف تبريزى متخلص ببرهان

٨- برهان قاطع ، تهران ، المجلد الأول ، ١٣٤١هـ.

- مريم ميرأحمدي

٩- نظام حكومت إيران در دوران إسلامي پژوهشى در تشكيلات اداري كشورى ولشكرى إيران ازصدر إسلامي تاعصر مغول ، مؤسسة مطالعات وتحقيقات فرنيكى ، د.ت.

- ميرخواند : محمدبن سيد برهان الدين خواوند شاه «ت ٩٠٣هـ/١٤٦٧م»

١٠- تاريخ روضة الصفا ، ازانتشارات كتابفروشيهاى ، ١٣٣٩هـ.

د – المراجع الأجنبية

(1) Lewis (Bernard), the Arabs In History, London, 1950.

(2) Brigadier. general, Sir Percysykes, Persia, Oxford, 1922.

(3) _______A History of Persia, vol. 11, London, 1921.

(4) Bosworth (C. E.), the Islamic dynasties, vol. 5, press, 1893.

(5) Gibb, (H. A. R.), M. A, the Arab Conquests In central Asia, London, 1923.

(6) ______ Mohammedanis-man HistoricaL survey, London, n.d.

(7) H. Howorth, Henry, (F. S. E), History of the Mangols from the 9th to the 19th century , London 1876.

(8) Ibrahim Kafeso Glu, Hakkidu Rsum Yildiz Erdo GammerciL and Mehamet Saray , A short History of Turkish Islamic State Excluding the Ottomen State , Ankara, 1994.

(9) John Malcolm, (K. C. B, K. L. S), the History of Persia from the most early Period to the Present time, vol. 1, London 1815.

(10) Wellhausen (J.), Translated by Margaret Grahanweir, M. A, Calcmtta, the Arab Kingdom and its fall, n. p.1927.

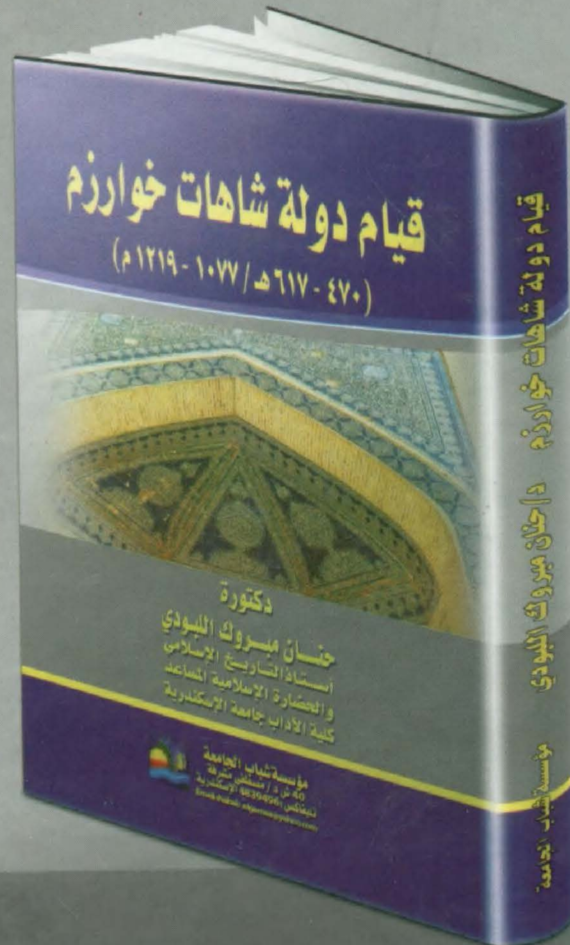
(11) Czaplicka (M. A.), the Turks of centraL Asia In History and at the Peresentday,Oxford, 1918.

(12) Frye (R. N.), the Cambridge History of Aran, the Reriod from the Arab Invasion to the Saljuqs, vol., 1975.

(13) Dozy (R P. A.), dictionnaire de Taille dis noms des vetements (Amsterdam, 1845).

(14) Lanne - PooL (S.), the Mohammadn dynasties, n.p. n.d.

(15) L - Langer (WiLLiam), An Encyclopedia of World History , (Boston, n..d).


قيام دولة شاهات خوارزم
(٤٧٠ - ٦١٧هـ / ١٠٧٧ - ١٢١٩م)
دكتورة
حنان مبروك اللبودي
أستاذ التاريخ الإسلامي
والحضارة الإسلامية المساعد
كلية الآداب جامعة الإسكندرية
مؤسسة شباب الجامعة
قيام دولة شاهات خوارزم
د/ حنان مبروك اللبودي
مؤسسة شباب الجامعة